ديان يعترف



كتاب التعاون

ديان يعترف

إعداد: شوقي ابراهيم
ومراجعة: عزيز عزمي

مركز الدراسات الصحفية بمؤسسة دار التعاون للطبع والنشر

مؤسسة
دار التعاون للطبع والنشر

مركز الدراسات الصحفية

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير العام
ممدوح رضا

مدير المركز ورئيس التحرير
عز الدين كامل

المشرف الفني
جميل شفيق

سكرتير التحرير
سيد قنديل

المراسلات
٦ شارع عبد القادر حمزة
جاردن سيتي - القاهرة
تليفون ٢٨٤٠١ / ٦ خطوط

تقـــديم

حوار قبل الطبع !

جاءنى زميل شاب ، يحمل « بروفات » هذا الكتاب ، ووضعها أمامى •• ولم ينصرف !

وبدأت أتصفح البروفات ••

واستغرقنى هذا الامر ، بعض الوقت •••

ثم ••• تنبهت الى أن الزميل الشاب ، ما زال واقفا بالقرب من مكتبى ، فشكرته وأبلغته بأن فى استطاعته العودة الى عمله •

غير أن الزميل ، قال على الفور :

ـ أرجو أن تسمح لى بالبقاء ، حتى تنتهى من قراءة البروفات !

وأفهمته بأننى سوف أرســـل فى طلبه ، اذا تطلب الامر ذلك ••

فابتسم وهو يقول :

ـ فى الواقع ، ليس هدفى تسلم البروفات بعد الانتهاء من قراءتها فقط ! ولكن عندى سؤال ، أود أن أستمع الى اجابتك عليه، بعد انتهاء القراءة !

وأزحت البروفات جانبا ، ثم قلت له :

ـ تفضل •••

وفى صوت خفيض ، وكلمات هادئة ، قال :

ـ أريد أن أسأل : لمصلحة من نثير الفزع فى قلوب الناس ؟

قلت له : ماذا تقصد ؟

قال : هذا الكلام الذى تنشره الصحف ، منذ حصل الارهابى مناحم بيجين على أغلبية مقاعد الكنيسيت ! وهـــــذه الاحاديث والتحليلات الطويلة ، حول دوره فى السياسة الاسرائيلية ، وعداءه الصريح للعرب ، وللسلام ••• لمصلحة من ؟

اننى أخشى أن يثير هذا الكلام ، فزعا بين الناس !

أخشى أن يتوقعوا أن جهود السلام قد فشلت ، وان حربا جديدة مع اسرائيل ، على الابواب !

قلت له :

* أولا — وكما تعلم — لم يعد أى عربى — بعد حرب أكتوبر المجيدة — يفزع من اسرائيل ، وساستها •• فقد أثبتنا تفوقنا ومقدرتنا ••

ولعلك تعلم — شأن كل مصرى — أن قضية السلام ، بعد جهود الرئيس أنور السادات الكبيرة ، وآخرها اجتماعاته بالرئيس الامريكى جيمى كارتر ، قد أحرزت تقدما هاما •• واتسع نطاق مساندتها ، وتزايدت الجهود الدولية من أجل دعمها ••

هذا من ناحية ••

ومن ناحيـــة أخرى ، فنحن — مع كل جهودنا من أجل السلام ، ومع كل حرصنا على تحقيقه — نستعد بأقصى ما لدينا من طاقات وامـــكانات للحرب ! لماذا ؟ لاننا قد صممنا على تحرير أراضينا المحتلة ، أيا كانت الوسائل !

* ثالثا — قيادة مصر ، بعد ثورة التصحيـــح ، لا تخفى عن الشعب شيئا ! لا تعلن غير ما تبطن •• لا تدعى البطولات الكاذبة ، أو المواقف المزيفة ••• لا تتستر وراء الاوهام والخرافات ••• لا تفزع لأية تطورات فى الموقف ، لأنها تخطط سياساتها ، على أساس جميع الاحتمالات !

وقلت للزميل الشاب :

ـ هل تعلم أن هذا الكتاب ، الذى قدمت لى بروفاته منذ دقائق ، هو أكثر ما يوضح لك ما أقول ؟

قال فى استغراب :

ـ كيف ؟

وما هى العلاقة بين كتاب عن حيـــاة (موشى ديان) وبين موضوع سؤالى ؟

قلت له : سأروى لك ـ باختصار ـ كيف تطورنا وأصبحنا لا نمانع فى نشر أية حقائق عن الموقف فى اسرائيل ، ولا نخشى تقديم مثل هذا الكتاب ، للقارىء العربى !

قبل ثورة التصحيح ·· كان كل ما يكتب عن اسرائيل ، وكل ما يصدر عنها ، ممنوعا ومحظورا !

كنا نعيش فى وهم كاذب ، بأن اخفاء ما يجرى فى اسرائيل ، عن المواطن العربى ، أفضل من الافصاح عنه ·

كنا نخفى الصورة الحقيقية للموقف فى اسرائيل ·· وتمادت الاجهزة المختلفة فى هذا الاتجاه ، فأصبحت تخفيها حتى عن الحاكم نفسه !

ولذلك ··· كان المواطن المصرى ، لا يعرف شيئا عما يجرى فى اسرائيل ·· عن مجتمعهـــا ·· عن اقتصـــادها ·· عن فكر قادتها ! الا اذا كان من هواة الاستماع الى الاذاعات الخارجية !

وكان الاسرائيليون يعرفون ذلك عنا ··

وهذا ما دفعهم لاتهامنا بأننا شعب لا يقرأ ، ولا يفكر ، ولا يتطور !

وتحملنا هذا الاتهام ـ فى ألم وصـــبر ـ لانه لم يكن فى استطاعتنا تكذيبه ! لماذا ؟ لان جميع الكتب السياسية ـ العربية

والاجنبية ـ كانت ممنوعة من التـــداول فى مصر ·· ولان معظم الصحف والمجلات الاوربية والامريكية ، كان لا يسمح بتوزيعها فى مصر ·· ولان كل الدراسات والابحاث التى كانت تعكس التطور الضخم من حولنا ، كانت تخفى تمـــاما ·· حتى عن الاجهزة العلمية !

وعندما كنا نسافر الى الخارج ، كان أول ما نحرص عليه ، زيارة المكتبات ، للاطلاع على ما استحال الحصول عليه أو نواجده فى مكتباتنا !

وكان معظمنا يشترى بكل ما معه ، كتب جديدة ·· ولكن ! كنا ـ ونحن نعود بها الى مصر ـ نعمل على اخفائها بين ملابسنا ·· تماما كما تخفى المخدرات ! خوفا من أن يصادرها رجال الجمارك ، أو تعلم بأمرها أجهزة الارهاب والقمع !

وعندما ننجح فى الوصول بها الى مصر ، كنا نتداولها ـ فيما بيننا ـ بأسلوب الماركسيين فى تداول المطبوعات والمنشـــورات الماركسية !

***

هكذا كان الامر ، قبل ثورة التصحيح ···

فماذا حدث بعدها ؟

بعد أن عهد الرئيس أنور السادات ـ فى اليوم الاول لثورة التصحيح ـ الى الدكتور عبد القادر حاتم بمسئولية تصحيح مسار الاعلام وأجهزته ، ذهب الى الرئيس ، ليرفع بعض مقترحاته ·· وكان بينها اقتراحا بالســماح للصحف الاجنبية بالدخول الى مصر ·

ولم يتلق الدكتور حاتم موافقــة الرئيس فحسب ·· ولكنه فوجىء بتوجيهات للرئيس ، جاوزت كل الاحلام !

لقد قال له الرئيس ، وقتئذ :

* اسمحوا لكل صحف العالم بدخول مصر ·· حتى يتابع الشعب كل ما يجرى من حولنا ·
* مكنوا الناس من قراءة كل الكتب السياسية ·· حتى لو لم تحتو الا على النقد ·
* افرجوا عن الكتب الممنوعة من التداول ·· بما فى ذلك الكتب التى صدرت فى اسرائيل أو عنها ·· حتى يطلع كل مواطن ، على فكر عدوه ، وحتى نكون جميعا . قادرون على مواجهته ·

ثم ····

أتبع الرئيس هذه التوجيهات ، بقرارات أكثر جرأة !

* أمر برفع الرقابة عن برقيات المراسلين الاجانب ·· وأصبح من حق أى صحفى أجنبى ، أن يبعث لصحيفته بأى أخبار أو تعليقات عن مصر ·· أيا كان اتجاهها ·

بعد ذلك ···

* كان قرار الرئيس التاريخى برفع الرقابة تماما عن الصحف ·· ذلك القرار الذى أصبح حقيقة ملموسة لكل مواطن ، والذى لا يدع الرئيس أى فرصة تمر ، دون أن يؤكد اصراره الكامل على استمراره ·

***

وسكت الزميل الشاب قليلا ، ثم قال :

ــ دعنى أصارحك ! لقد أجبت على سؤال ، كنت ــ بصراحة ــ خجلا من توجيهه اليك !

هل تعرف ماذا كان السؤال ؟

كيف تجرؤ احدى المؤسسات الصحفية المناوئة للاتحاد الاشتراكى على اصدار كتاب ألفه زعيم اسرائيلى بارز كموشى ديان ؟ وما حكمة اختيار كتاب ديان بالذات ؟

قلت له : اذا اعتبرت أننى قد أجبتك على الشطر الاول من سؤالك •• فدعنى أجيبك على الشطر الثانى !

ان ديان ـ كما قلت ـ واحد من أبرز زعماء اسرائيل ••

وهو ـ كما تعلم ـ الرجل الذى شارك فى التخطيط لجميع الحروب التى شنتها اسرائيل ضد العرب ••

كذلك •• فهو الرجل الذى قاد هذه الحروب ، وعرف نشوة الانتصار فى معظمهـــا •• وعاش نكبة الهزيمة فى آخرها !

وأخيرا •• فانه الرجل الذى اختـــاره مناحم بيجين ـ رئيس حكومة اسرائيل القادم ـ لقيادة العمل الدبلوماسى فى أصعب مرحلة تواجهها اسرائيل : مرحلة السلام •• التى لم يعد لاسرائيل مفرا من قبوله ، مهما ارتفعت الاصوات المتطرفة داخلها ، ومهما علا صياح صقورها بالتهديد والوعيد ••ومهما استمرت أحاديثهم وأحلامهم عن الاحتفاظ بالاراضى العربيـة المحتلة ، أو (الاراضى المحررة) •• كما يســـميها مناحم بيجين !

***

وقلت للزميل الشاب :

ـ دعنا لا نطيل وقت اعداد هذا الكتاب ••

دعنا نقدمه بسرعة الى القارىء !

***

و ••••

أعطيته الموافقة على بروفات هذا الكتاب •

ممدوح رضا

هـذا الكتاب

هذه هى قصة حياة موشى ديان ..

تماما كما كتبها باللغة الانجليزية فى ٥١٧ صفحة تحت عنوان :
STORY OF MY LIFE

ونظرا لضخامة حجم الكتاب الاصلى ، فقد نشأت مشكلة الترجمة .. فلو تمت الترجمة حرفيا لخرجت فيما يناهز الالف صفحة .. ومن هنا ، فقد رؤى أن خير وسيلة هى ترجمة مضمون الكتاب بشكل عام مع عدم الاخلال بملأ فيه من تفاصيل ..

غير أننا فى كثير من الاحيان اضطررنا الى اللجوء الى ما يشبه الترجمة الحرفية ، حرصا على أن تكون كل دقائق الكتاب أمام القارىء العربى .

ان مركز الدراسات الصحفية بمؤسسة دار التعاون للطبع والنشر باختياره لهذا الكتاب ، يستهدف بالدرجة الاولى توسيع آفاق المعرفة والادراك أمام القارىء العربى .. لانه بالقطع كتاب

هـــذا الـكـتـــاب

بالغ الاهمية ·· يجب أن يقرأه — وبامعان — كل انسان عربى ، مدنيا كان أم عسكريا ·

وقد تضافرت عدة عوامل على اضفاء الاهمية على هذا الكتاب :

● فكاتبه هو موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى ، والرجل الذى تولى قيادة معارك عسكرية عديدة ضد العالم العربى ·

● والكتاب ، من خلال سيرة حياة هذا الرجل ، يعطى فى الوقت نفسه صورة واضحة لكل أبعاد الصراع العربى الاسرائيــلى حتى يومنا هذا ·

● وهو وثيقة تحكى كيف بدأت الهجرة اليهودية استمرارا للحلم الصهيونى فى العودة الى أرض فلســطين ·· وكيف تمت صياغة الذهنية اليهودية تمهيدا للاستيلاء على هذه الارض ·· ثم كيف اعتمدت الحركة الصهيونية على السلاح والعدوان وســيلة لحياتها ، وللبقاء فى المنطقة ·

● وهو سجل يروى بالوقائع والاماكن والتواريخ مسلسل الحرب الذى فرضته اسرائيل على شعوب المنطقة لكى تبقى الحرب هى الخيار والبديل الوحيد أمام الشــعب العربى ، مضحيا بكل موارده ومشاريع التنمية فيه ·

● وهو أخيرا وليس آخرا – شهادة لما أنجزه الجندى العربى عندما هب فى حرب أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ يدك بأقدامه حصون بارليف وموانع المرتفعات السورية (الجولان) .. وكيف كادت اسرائيل تسقط متهاوية تحت الاقدام ، لولا النجدة الامريكية .

لهذه العوامل ، وغيرها ، كان الكتاب هاما .. بل بالغ الاهمية .

وليسمح القارىء العزيز ، بأن نقدم له قبل أن يشرع فى قراءة هذا الكتاب ، عرضا لعدد من الملاحظات العابرة التى قد تعينه أثناء رحلته عبر الصفحات .

ان هذا الكتاب هو موشى ديان الذى يعرفه العالم من خلال صورتين بالذات :

□ الصورة الاولى له وهو يقف بعد حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ على الضفة الشرقية لقناة السويس واضعا يديه فى وسطه وهو يقول ، بكل الصلف والغرور : « هل هناك حدود أكثر أمنا من هذه ؟ » .

هذا الكتاب

□ أما الصورة الثانية ، فصـــــورته وهو يجلس فى مؤتمر صحفى ، أثناء حرب أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ والاسى يمـلأ وجهه والدموع تغمر عينه ، وهو يعلن سقوط أعتى خطوط الدفاع فى العالم تحت أقدام الجندى العربى ٠

باختصار ٠٠ هو الصنم الذى تهاوى ، والاســـطورة التى تحطمت ، والرمز الذى سقط ٠

من هنا يتعين علينا أن ندرك اننا أمام رجل يحاول ــ فى نفس الوقت ــ أن يدرأ عن نفسه تهمة التقصير والفشل ، وأن يثبت ــ بالمبالغة ــ أنه بالفعل ذلك البطل القديم ٠٠

سيجد القارىء أن ديان يحاول ، منذ بدء حديثه عن حـرب أكتوبر أن ينفى عن نفسه مسئولية الزلزال الذى حدث (وفقـــ لوصفه هو) ، ويلقى بها على عاتق الآخرين ٠ بل أنه يحاول أن يعزو الى نفسه ، والى جهوده ، كل ما قامت به اسرائيل من تحركات بعد أن أفاقت من مفاجأة (الزلزال) وكأنه المنقذ والمخلص ٠

لكن القارىء سوف يلمس فى كل سطر من سطور الكتاب ، تلك السمة التى يتصف بها ديان وهى : الغرور ٠

وفى يوم ١٧ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٥ أذاع التليفزيون الفرنسى لقاء مع موشى ديان بمناسبة صدور الطبعة الفرنسيه من

هذا الكتاب ، سأله فيه المذيع : هل حقيقي أن كثيرا من الاسرائيليين يعجبون بك ، وأنك لا تعجب بأحد ؟ فكان رد ديان : « بالعكس فأنا أعجب بكل فرد ، لكنني أعجب بنفسي كلما قمت بعمل أفخر به » .

●●●

وهذا الكتاب يضم القصة الحقيقية لمؤامرة الاستيلاء على فلسطين .. وكيف بدأت أفواج الهجرة اليهودية من العالم الى أرض فلسطين ، رغم أن والدى ديان ـ كما يقول : « لم يتعرضا لاضطهاد فى روسيا ، ولم يطردا قسرا » .. بعد أن نجحت المنشورات الصهيونية فى جعل أبيه « يحلم وهو فى أوكرانيا بمياه نهر الاردن » . ثم كيف حاول الصندوق القومى اليهودى شراء الارض فى فلسطين التى كانت ـ كما يقول : « جزءا من الامبراطورية العثمانية » . وكيف نشأت المنظمات الارهابية اليهودية كالهاجاناه والشترن والارجون زفاى ليومى ، وتحالفت مع سلطات الانتداب البريطانى ، كى تتمكن فى النهاية من خدمة أغراضها التى انتهت باقامة اسرائيل « الدولة » . ثم كيف دعمت « الدولة » وجودها بجلب المهاجرين اليهود من كل أنحاء العالم الى حد « نقل ١٠٠٠ يهودى بالطائرات كل يوم من عدن » .

لكن الكتاب مع ذلك لم يكن بوسعه أن يتجاهل وجود شعب فلسطين فى هذه الفترة .. ونضاله المستمر ضد محاولات الاستيلاء

على وطنه ·· وثورة عز الدين القسام ·· والثورة العربية التى استمرت ثلاثة أعوام فى الفترة ما بين ١٩٣٦ و ١٩٣٩ ·

ويجب أن يكون واضحا في الاذهان أن ديان يوجه هذا الكتاب الى القارىء الغربى · ولذا فهو يرسم صورة قاتمة للمنطقة عندما وصل اليها « الرواد » اليهـــود ·· فالملاريا والتراكوما « المرض المزمن في الشرق الاوسط » ، تنتشران فيها ·· ومدرسة « ويزو » للبنات التي كانت « الاولى من نوعها فى الشرق الاوسط » · أما « الرواد » اليهود ، فهو يصورهم بصورة البطولة ·· فهم « يعملون فى الحقـــول وهم يرتجفون من أثر الحمى » ·· الى أن أصبحت « الارض أرضنا الآن ·· ونحن نعمل على اعادتها الى ما كانت عليه من ازدهار » ·

●●●

أما الحديث عن معركة سيناء عام ١٩٥٦ ، فانه يكشف عن الكثير من الاسرار ، لعل أهمها أن بن جوريون كان يعارض شـنها بشدة ، مثيرا العديد من الحجج المنطقية والمعقولة . فى حين كان ديان يحاول اقحام إسرائيل ضمن المخطط الانجلو ـ فرنسى ـ حتى ولو لم تكن « شريكا كاملا » فى العملية ، باعتبار أنها « فرصـه تاريخية سانحة قد لا تتكرر ·· والا عدنا الى العزلة » · وبضطر

بن جوريون الى نســمية خطة المعركة بـ « خطة ديان » الذى لم يتورع ـ عندما وجد بن جوريون مستعدا للموافقة ـ عن أن يرسم له خريطة الحرب والمعارك على علبة سجائر ٠

وعندما يصل موشى ديان فى قصــة حياته الى « حرب يوم الغفران » ، فانه برغم كل محاولاته لتصوير تحركات اسرائيل ، بعد عدة أيام من اندلاعها ، بأنها نوع من الانتصار فانه لم يستطع أن ينكر عدة حقائق :

● ان مصر وسوريا تملكان عنصر المبادأة ، ولم نكن معتادين على حرب لا نكون المبادأة فيها لنا » ٠

● أن القوات العربية شنت هجومها « بكفاءة أكبر مما قدرناه لها عند اعداد الخطط » ٠

● ان « مخابراتنا ، ومخابرات أمريكا ، فشلت فى اكتشاف استعداد مصر وسوريا للحرب » ٠

● ان الحرب وقعت « فى اليوم الوحيد الذى لم نكن نتوقعها فيه » ٠

● « ان العزلة السياسية سيطرت على اسرائيل ، ولم يكن هناك أمامنا الا أمريكا » .

هذا الكتاب

وفى الوقت نفسه فان ديان يعترف بأن كل ما حققته اسرائيل من تقدم على الجبهة المصرية حتى وصلت الى مشــارف السويس والادبية وعتاقة ، انما تم بعد صدور قرار وقف اطلاق النار فى ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ ٠

أما موجات المصريين التى عبرت القناة ٠٠ وهجومهم بالآلاف ، وأما الدبابات الســورية التى اجتاحت مرتفعات الجولان ، فقد فرضت نفسها كحقائق حتى على حياة موشى ديان ٠

●●●

وسيجد القارىء أنه أمام شخص مجنون بالحرب ٠

فمنذ مطلع شبابه وحياته كلها مصبوغة بالعسكرية ٠٠ وفى عام ١٩٥٦ استطاع أن يستدرج بن جوريون الى الموافقة على شن الحرب ضد مصر ، **مستخدما كل أساليب الخداع المتاحة** ٠٠ وفى عام ١٩٦٧ ظل يجول بين المواقع العسكرية الى أن فرض نفسه على الموقف وزيرا للدفاع ٠ بل انه يعترف بأنه لا يحاسب الجنود اذا ارتكبوا أخطاء فى المعركة ماداموا قد نجحــوا فى تحقيق النصر العسكرى ٠

وسيرى القارىء أن كل سياسات اسرائيل التى تمارسها فى الارض المحتلة ، مرســومة ومخططة من قبل قيام حرب ١٩٦٧ ،

بدليل أن ديان ـ وفق كلامه ـ قد شرع فى سياسات نزع الضفة الغربية عن الاراضى والمقدسات العربية ، بعد أسبوع واحد فقط من انتهاء هذه الحرب ٠

٠٠٠ على الفور شرعوا فى اعادة بناء المستعمرات اليهودية فى نفس أماكنها القديمة التى كانت عليهـــا قبل حرب ١٩٤٨ مثل كفار عصيون ٠ وبعد أيام فقط من انتهاء الحرب تم التوقيع على اتفاقية تنظم أداء المسلمين واليهود لشـــعائر دينهم فى المسـجد الابراهيمى انتهت ـ كما نرى الآن ـ الى تقسيم فعلى لمســجد أبى الانبياء وتحويل جزء منه الى معبد يهودى ٠

ومع ذلك فان ديان لا يخجـــل من أن يقدم المبررات لهذه السياسات ، ولسياسات نسف المنازل ، ونفى قيادات الشـعب الفلسطينى ، خارج الارض المحتلة ٠

●●●

ويسمى ديان نضال الفلسطينيين بـ « أعمال التخريب التى يقوم بها الارهابيون » ٠

لكنه يعترف بأن « الارهابيين » قاموا بـ ٥٨٤٠ عملية داخل الارض المحتلة ، خلال ثلاثة أعوام ابتداء من عام ١٩٦٧ ٠

ويعترف أيضاً ـ فى غمار جنونه العسكرى ـ بأنهم بعد أن

قتلوا الفدائيين الثلاثة الذين احتلوا مدرسة فى « معالوت » ، تبين لهم أن هؤلاء الشباب لم يكونوا قد أعدوا عدتهم لنسف المبنى كما كانوا يهددون •

لكنه يعترف أيضا بأن « الارهابيين » حققوا بعملياتهم داخل اسرائيل شيئا هاما ، هو أنهم « ولدوا الخوف لدى الاسرائيليين »

●●●

والغريب أن جونار يارنج ، مبعوث الامم المتحدة الى الشرق الاوسط ، ظل سنين يتنقل بين عواصم المنطقة سعيا وراء التوصل الى تسوية للازمة ، ومع ذلك فان ديان لا يذكره الا فى صفحة ٣٦٩ من كتابه الذى يضم ٥١٧ صفحة • بل انه يتحدث عن يارنج فى معرض المساومة مع أمريكا ، فاما الحصول على طائرات حربيه والعودة ـ فى المقابل ـ الى محادثات يارنج ، والا فلا مباحثات معه بدون الطائرات •

أليس ذلك دليلا على كراهية ديان للسلام ، وللعاملين من أجله ؟!•

●●●

وسيلاحظ القارىء أن موشى ديان ، بعد أن أسهب فى وصف تحركات اسرائيل المضادة خلال حرب أكتوبر ، وبعد أن رسم صورة زاهية لهذا التحرك ، قد عاد الى الحديث عن تقرير لجنة اجرانات

التى شـــكلتها اسرائيل للتحقيق فى اخطاء هذه الحرب وتحديد المسئولين عنها .

وكمثال فقط فان هذه اللجنة أوصت فى تقريرها ، بالنسبة لكبار رجال المخابرات الاسرائيلية ، بعدم تكليفهم بأى عمل يتصل بالمخابرات وبانهاء خدمة البعض منهم .

ولو كان ديان يريد انصاف لذكر هــذه الحقــائق أثناء حديثه عن مجريات الحرب .. لكنــه تعمــد أن يهرب من الواقع الثابتة ، والتى تقطع بفشلهم ، ونجاح المصريين والسوريين .

وما كان مطلوبا ـ بالطبع ـ من ديان أن يكون منصفا .. و صادقا .

●●●

وبعد ..

فقد استمحنا القارىء عذرا فى تقـديم بعض الملاحظات ، قبل أن يبدأ رحلته عبر الصفحات مع موشى ديان .

ونعتذر للاطالة ، فلم يكن هدفنا سوى القاء بعض الاضواء على محتويات هذا الكتاب .. هذا الدرس الذى يجب أن نعيه جيدا ..

مركز الدراسات الصحفية

مؤســسة دار التعاون للطبع والنشر

الباب الأول :

من العمل السرى تحت الأرض حتى الحرية

١٩١٥ - ١٩٤٨

فصة التسلل الى الارض الفلسطينية وبداية الاستيطان والهجرة تحت ستار التعمير والتعايش مع العرب ثم تنقلب الصورة وتنشأ المنظمات الارهابية اليهودية كالهاجاناه والشتيرون والارجون زفاه ليومى وتتحالف مع الاستعمار البريطانى من اجل اقامه اسرائيل وبدأ الحرب السافرة مع العرب ومعاداة كل من يقف فى طريقهم فالاهداف أصبحت معلنة والهدف هو وطن اسرائيلى على حساب افناء وجود الشعب الفلسطينى .

١ البداية

اسمى موشى ..

وقد ولد هذا الاسم فى جو من الاسى ، لانه كان مكتوبا على أحد المقابر بجوار كهف من الكهوف التى كانت تستخدم فى حفظ الزيوت فى مستعمرة دجانيا ، وهى المستعمرة (الكيبوتز) الرائدة لجميع المستعمرات الاسرائيلية .. اذ أنشئت فى عام ١٩١٠ فكانت مهدا لحركة الاستيطان، فى الوقت الذى لم يتعد سكانها العشرين من الرجال والنساء . وكان اسم موشى الذى أطلقوه على هو اسم أول من قتل فى سبيل الحركة الصهيونية ، وكان يدعى موشى بارسكى .. كان فتى فى التاسعة عشرة من عمره ، جاء من قريته فى روسيا ليساهم فى عودة اليهود الى أرض الميعاد .. وكان ملما بعض الشىء بالزراعة ، وكانت طبيعته وتكوينه الجسمانى تؤهلانه للقيادة .

وفى أحد أيام شهر فبراير (شباط) أصيب والدى بوعكة ، وذهب موشى لاحضار الدواء من قرية مجاورة . ولم يكن ذلك أمرا طبيعيا خلال

هذه الايام ، فقد كان خطرا على أى يهودى أن يغادر مستعمرته بعد حلول الظلام ، اذ كان العرب يهاجموننا بعنف فى تلك الايام ·· ولكن موشى جازف وذهب · وبعد فترة رجع حصانه بمفرده مفزوعا · وقام أهالى المستعمرة بتقسيم أنفسهم الى مجموعات مسلحة خرجت للبحث عنه ، وأخيرا وجدوه مقتولا عند شاطىء نهر الاردن · وعلم فيما بعد أن الذين هاجموه هم ستة من الافراد العرب · وبعث والدى برسالة تعزية الى والد موشى فى روسيا ، الذى رد عليه بقوله (اننا لم نحزن ولم نبك · ان على أبناء شعبنا أن يناضلوا بقوة من أجل استعادة وطننا · وسنرسل ابننا الثانى شالوم كى يأخذ مكان الاول الذى سقط على الطريق · ولعل موت موشى يحفزنا على استعادة وطننا) ·

ووصل شالوم بعد ذلك ، وتبعته أخته ، ثم أمه ومعها أطفالها الثلاثة الباقون ، وأخيرا وصل الاب ·

وبعد ذلك بعام ، أى فى ٤ مايو (آيار) ١٩١٥ ولـــدت أنا فى دجانيا ، وأطلق على اسم موسى · **وكانت أرض اسرائيل تدعى فلسطين فى ذلك الوقت ، وكانت واقعة تحت التحكم التركى من خلال الامبراطورية العثمانية** · وبعد ذلك بعـــامين ونصف تحطمت الامبراطورية العثمانية بانتصار الحلفاء فى الحرب العالمية الاولى ، وتم وضع البلاد تحت الوصاية البريطانية ، وأدار أمورها حاكم عسكرى بريطانى ·

لكننى نشأت وترعرعت فى مجتمع يهودى مستقل ·· يتكلم العبرية ·· ويتمسك بالقيم الاسرائيلية القديمة التى أرسيت قواعدها فى مجتمع اسرائيل القديم ·· وكان والدى ممن ساهموا فى انشـــاء أول مجتمع اسرائيلى عندما انتقلوا من روسيا الى هذا العالم المجهول · وكان والدى تاجر جياد وعربات وكانت أمى ابنة أحد التجار · ولم يكونا قد تعرضا لاى اضطهاد شخصى فى روسيا ، ولا كانا قد طردا قسرا · ولم يكن والدهما راضيين عن ذلك ، لكنهما كانا يتحليان بالمثالية والادراك والوعى وكان الدافع القوى وراء تصميمهما على المجىء هو احساسهما العميق بأن أرض اسرائيل هى مكان اليهودى فعلا · ان أولادى وأحفادى لا يعرفون لهم بلدا الا اسرائيل ، أما أبى وأمى فقد واجها صعوبة الاختيـــار أمام الصراع الروحى ، ومع ذلك خاضا الكفاح واتخذا القرار الملائم ·

وجاء اسم ديان نتيجة لان جدى ، وجد والدى ، كانا يشتغلان قضاة فى الطائفة · وفى العبرية كان اسم ديان يطلق على هذا القاضى ·· أما

اسم العائلة الاصلى فلم يكن أحد يتذكره · وكان جدى فى سعيه من أجل ايجاد لقمة العيش لسبعة أطفال جياع ، يعمل فى عدة مهن · يساعده فيها ابنه الاكبر الياهو ووالدى الذى ترك المدرسة الدينية اليهودية وهو فى سن الثالثة عشرة ·

وكان جدى هذا متدينا للغاية ، ويحتفظ بكتب الصهيونية وبجريدة هاتزفيرا التى تكتب باللغة العبرية الحديثة · وكان والدى أيضا يحتفظ بجريدة العامل الصغير ، وهى احدى النشرات الصهيونية · ومن خلال سطور هذه النشرة قرأ والدى الكثير عن وصف أراضى اسرائيل ، وعن قمم جبل الشيخ وعجائب القدس وعن سفوح الجليل · وعن مياه البحر الاحمر · وكان وهو فى قريته باقليم أوكرانيا فى روسيا ، يحلم بمياه نهر الاردن الدافئة ، وبالثلوج على قمة جبل الشيخ · وانضم أبى الى الجماعات الصهيونية فى أوديسا ، التى كان عمى قد انضم اليها من قبل · وكانت هذه الجماعة تقوم باعداد الطلائع التى ستسافر الى فلسطين لانشاء دولة اسرائيل · وفى عام ١٩٠٨ سافر والدى وعمى مع مجموعة من هذه الطلائع تقدر بستمائة فرد ، وتبعتهما عمتى بيلا بعد ذلك بأربعة أعوام ·

وواجه أبى تحدى العمل فى الارض ·· وكانت كل الظروف أنئذ تمثل تحديا له ·· فالحرارة ·· والذباب ·· والبعوض ·· والفقر · وكل تلك الظروف السيئة التى عمت الاراضى التى كان الاتراك يحتلونها ·· بل حتى نفس طبيعة العمل اليدوى الذى لم يكن والدى معتادا عليه وكان فى الثالثة عشرة من عمره حينذاك · وفى بتاح تكفا كان يقوم بتحزيم عيدان القمح وحفر قنوات الرى ، ثم يعود بعد هذا العمل اليومى الشاق ، مثقل الرأس ·· محنى الظهر ·· ممزق الاصابع ·· مشقق اليدين · حيث لا يجد أمامه من طعام سوى لقمة من الخبز وبعض حبات الطماطم · ومثلما حدث لرفاقه الشبان فقد أصيب بعد فترة بالملاريا ، لكنه استمر فى العمل برغم مرضه · وبعد أن شفى عمل حارسا ليليا ، ثم عاد بعد ذلك الى العمل فى الحقول · واعتاد على هذا العمل بمرور الايام · وأصبح يشغل وقت فراغه فى أغراض أخرى غير التى يشغل بها القوم أنفسهم ، بل أضحى كوخه بمثابة ناد للشباب يجتمعون فيه لمناقشة المجتمع المثالى لدولة اسرائيل ، ويتعلمون اللغة العبرية ، ويقرأون النشرات الصهيونية التى تصدرها حركة العمل اليهودى · وقد ساعد ذلك أبى فى وقت لاحق على أن يلعب دورا فى تطوير الحركة ·

كان معظم الجهد مركزا فى منطقة الجليل · وكانت هناك حاجة ماسة الى أيد عاملة يهودية كثيرة فى المستعمرات التى تم انشاؤها ·

واشترى والدى لنفسه من يافا مسدسا تركيافديما وحزاما للذخيرة . وانطلق الى الشمال حيث عمل فى مزرعة يهودية فى قرية يافنيل ، قام فيها بالحرث والعرس وجمع المحاصيل وركوب الخيل · وسرعان ما ترقى الى النوم فى الحظائر ليطعم الحيوانات ويحرسها · كانت متعته بحياته مع الطلائع كاملة ، وكان شغوفاً بعمله الجديد فخورا بنجاحه فى الفلاحه وهو العمل الذى لم يكن يؤديه سوى غير اليهود فى أوكرانيا ·وبعد ستة شهور رائعة قضاها فى يافنيل سقط مرة أخرى مريضا بالملاريا · وعندما شفى انضم الى مجموعة عمال فى كينريت رحبوا به كعامل زراعى موسمى. وكان قويا برغم اصابته بالملاريا · وأصبح يجيد الحديث بالعبرية · وكان فى وسط هذه المجموعة يشعر وكأنه فى وطنه ، وكانوا يتحدثون عن التغييرات التاريخية التى يعملون من أجل تحقيقها ·· وكان هذا الايمان هو دافعهم الى تحمل المزيد من العمل الشاق ·

كانت قرية يافنيل ملكا للصندوق القومى اليهودى ، وهو الهيئه التى أنشأتها المنظمة الصهيونية لتملك الارض · وفى نهاية عام ١٩٠٩ قام سبعة من عمال مزرعة كينريت بتشكيل مجموعة مستقلة ، واستمروا لمدة عام يزرعون مساحة أخرى من أراضى الصندوق القومى اليهودى بالقرب من أم جونى · وكانت تلك هى بداية دجانيا ، التى اشتق اسمها من كلمة القمح بالعبرية · ولدى نهاية العام ، غادرها هؤلاء السبعة الى مكان طلائعى آخر ، وتم استبدالهم بمجموعة أكبر · وانضم اليها والدى فى عام ١٩١١ ·

وثارت علامة استفهام كبرى فى وجه كل سكان مستعمرة ، هى : ما الذى يمكن أن يقوم عليه مجتمع المستعمرة ؟ وجرت المناقشـات حول شكل الحياة فى المستعمرة فى كل مكان ·· فى الاجتمـاعات ·· فى الحقول ·· فى المنازل ·· وكان أولئك العاملون فى الحقول بمثابة رواد أوائل فقط كل مهمتهم هى فلاحة وزراعة قطعة من الارض ، ثم تسليمها لمجموعة من المستوطنين ، وينتقلون بعد ذلك الى قطعة أخرى من الارض · لزراعتها وفلاحتها · وطرح يوسف بصل – العضو البارز فى الجماعة – فكرة أن تكون داجانيا على هيئة نوع من التعاون التام ، وعليه فلا يجب أن تكون هناك أى ملكية خاصة ، ويجب على الكل أن يعمل ، وأن يأخذ كل بقدر حاجته ، وتكون للنساء الحرية فى اختيار العمل الملائم لهن ، وعلى المستعمرة أن تعتمد على عمل أبنائها ·

واذا كانت فكرة الكيبوتز قد قامت فى هذه المستعمرة ، فقد كان على أفرادها أن يواجهوا أيضا مشاكل الحياة اليومية ·· الحرارة والرطوبة

نظرا لانخفاضها ٦٥٠ مترا تحت سطح البحر .. قلة المياه اللازمة لمواجهة العطش .. قلة الغذاء .. التراب .. البعوض .. الذباب . الى ما لا نهاية له من مشاكل الزراعة . ومع ذلك كله فقد كانت هناك فرص فى الامسيات للغناء والرقص والقراءة والنقاش .

كان هذا هو العالم الذى جاءت اليه أمى ، دفورا ، فى عام ١٩١٣ من احدى ضواحى كييف فى اقليم أوكرانيا بروسيا . وكانت جميلة ، وفى مثل سن والدى . غير أن عائلتها كانت تختلف تماما عن عائلة والدى . فقد كان أبوها هو اليهودى الوحيد فى قرية برونشوروفكا على نهر الدنيبر ، وكان يعمل مديرا لاعمال احدى شركات الاخشاب التى تتولى قطع الاشجار وتعويمها مع التيار . أما أبى فقد نشأ متدينا ، يقرأ ويكتب المقالات ، وكتب كتابا عن الحياة اليهودية فى القرن الســـــابع عشر .

نشأت أمى دون أن تشارك والدها الاهتمام بدراسة اللغة العبرية ، بل تلقت التعليم فى المدارس الروسية حتى وصلت الى كلية التربيـــــة فى جامعة كييف . لكنها تأثرت تأثرا بالغا بالثورة الروسية عام ١٩٠٥ وتعاطفت الى قدر كبير مع العمال ضد النظام القيصرى . كما قرأت القصص الروسية وتأثرت كثيرا بتولستوى . وانضمت الى فروع الدراسات للحزب الاشتراكى الديموقراطى ، وساعدت أستاذها فى رعاية العديد من الاطفال فى كييف . وعلى العموم فإن أمى كانت تتمتع بالذكاء ، وتسيطر عليها الافكار الاستراكية وبعض أفكار الشباب الروسى فى ذلك الوقت . كما خدمت أيضا كممرضة متطوعة على الجبهة البلغارية عام ١٩١١ عندما شن البلغاريون بمساعدة الروس الحرب ضد الاتراك .

وفجأة ، ولامر غير واضح لى ، بل ولا لأمى ، بدأت تشعر بانعدام الثقة فى نفسها . واهتزت علاقاتها بزملائها ، وبدأت فى مناقشة عقيدتها اليهودية . ثم تركت الجامعة وعادت الى منزلها حيث أخـــــذت تناقش والدها فى أفكاره ، وتقرأ الخطابات التى كان ممثلو حركة محبى صهيون فى فلسطين يكتبونها لوالدها . وكان أحد هؤلاء ، ويدعى زئيف تيومكين قد بعث الى والدها بوصف للحياة الصعبة التى تواجهها الطلائع الصهيونية فى فلسطين . وقد دفعها ذلك الى التعاطف مع أبناء شعبها ، فصممت على أن تذهب الى فلسطين . وهكذا وصلت عام ١٩١٣ ، وكان عمرها آنذاك ثلاثة وعشرين عاما . وكانت قد استقلت سفينة حجاج من أوديسا حيث وصلت بعد أسبوع الى حيفا آملة أن تقابل فى الميناء اسرائيل بلوخ ، أحد مؤسسى مستعمرة دجانيا ، الذى كان تلقى رسالة توصية بخصوصها .

لكنه لم يتمكن من مقابلتها لانشغاله في شراء بعض الابقار للمستعمرة من دمشق • ولذلك استقلت القطار الى بلدة زيماخ فى الجليل ، ثم جاءت الى المستعمرة سيرا على الاقدام •

ولاقت أمى فشلا ذريعا فى التعود على طبيعة الحياة فى المستعمرة ، وكانت مسئولة عن المطبخ ، لكن المسئولية كانت مرهقة •• واصطدمت أفكار أمى المثالية بالواقع المر • وكان عدم المامها بالعبرية وتعلقها بالادب الروسى سببا فى أن أعضاء المستعمرة اعتقدوا أنها بورجوازية • وقد رفض طلب العضوية الذى قدمته ، وكان أبى أكبر المعارضين فى منحها العضوية • وانتقلت أمى للعمل وتعلم العبرية فى مستعمرة اخرى هى سيجيرا ، ولكن الاتصال بقى مستمرا بينها وبين أبى • وعندما توجه أبى الى بيروت لعلاج أذنه من عضة بعوضة ، أنفقت آخر قرش لديها لقطع بطاقة السفر للذهاب الى بيروت ومشاهدته • وعادا الى دجانيا مخطوبين •• لكن استقبال دفورا هذه المرة تم دون أية تحفظات •

وتزوج والدى فى المستعمرة عام ١٩١٤ بعد نشوب الحرب العالمية الاولى مباشرة • وكنت أنا أول من يولد فى دجانيا ، لكننى لم أكن أول طفل يولد فى المستعمرات • اذ تمت قبل ذلك بسنتين ولادة جدعون من أبوين من الاعضاء المؤسسين هما يوسف ومريم باراتز ، غير أن ظروف المستعمرات آنئذ كانت مختلفة اذ تحتم على الام أن تذهب الى طبرية لكى تلد ••

لم يكن اغتيال مونى بارسكى قد انمحى من الاذهان ، وقد وقعت فيما بعد عدة حوادث قتل • غير أن العلاقات مع الجيران العرب استمرت علاقات ودية • كان كل من العرب واليهود يفلحون الارض ويزرعونها ، وبدأوا يتعلمون أشياء جديدة من بعضهم البعض •• وكانوا يتبادلون الزيارات ويحضرون احتفالات بعضهم البعض • ولم يكن اليهود يتعرضون للهجمات من هؤلاء المواطنين ، وانما من بعض العرب الآخرين ، اذ أن ملاك الاراضى العرب كانوا هم الآخرون يتعرضون لمثل هذه الهجمات •

وكانت أيام طفولتى الاولى هى سنوات الحرب العالمية الاولى • وكانت تركيا قد انضمت الى محور ألمانيا والنمسا والمجر ، وأعلنت التعبئة العامة فى فلسطين • وتشككت السلطات التركية فى ولاء بعض قادة الحركة اليهودية ونفتهم الى مصر ، أما الجزء الآخر فقد انضم الى الجيش التركى • لكنه تعين علينا أن نبقى أكبر عدد ممكن من المستعمرات حتى نستمر عملية التعمير والتنمية • وتعرضت المستعمرة فى أول سنوات الحرب

لغزوة جراد أتت على كل شيء .. وهكذا ولدت في أســـوأ فترات غزو الجراد . وعندما بلغت من العمر عاما اصبت بمرض العيون المزمن المنتشر في الشرق الاوسط ، التراكوما ، ثم نقلت العدوى الى أمي ، فتوجهنـــا للاقامة مع عمتي بيلا هورفيتز في بلدة نخلة يهودا جنوبي تل أبيب حيث تم علاجنا .

وازدادت الامور سوءا باستمرار الحرب ، فقد وصل بعض الطيارين الالمان الى المستعمرة واحتلوا المنازل ، وكان على أعضاء المســـتعمرة أن ينتقلوا الى المخازن والكهوف خلال هذا الشتاء الممطر القارس البرودة . ومرض جميع الاطفال . وأصبت بالتهاب في اللوزتين . واشتد المرض في عيني .

وفي عام ١٩١٩ ، بعد انتصار بريطانيا في معركة فلسطين وانتهاء الحرب ، اصطحبتني أمي الى احدى المستشفيات في القدس . وكنت قد بلغت الرابعة من عمري ، وبدأت أمي في تعليمي القراءة والكتابة وأخذت أفواج جديدة من يهود أوربا الشرقية في الوصول الى المستعمرة ، ولذا فقد تقرر انشاء مستعمرة جديدة تحت اسم دجانيا (ب) ، وأوكلت الى والدي مهمة الاشراف على الترتيبات اللازمة . لكن والدي لم يكن مقتنعا بالاستمرار في البقاء في المستعمرة .

ونشأت عندئذ فكرة جديدة تقضي بأن تكون لكل عائلة حريه تملك البيت الذي تقيم فيه ، في الوقت الذي يتم فيه العمل الجماعي بصورة مشتركة . وكانت هذه الفكرة هي فكرة الموشـــاف كنوع جديد من المستعمرات ، التي تختلف عن الكيبوتز حيث يتم العمل والملكية وكل شيء بصورة جماعية . وتم انشاء أول موشاف في ناحلال بوادي جرزيل . وقرر والدي الانتقال للانضمام الى هذا المشروع . وكان يوم الرحيل يوما مؤسفا بالنسبة لي ، فقد كنت أودع — وأنا أبكي — زملائي من الاطفال الذين شاركوني اللعب ستة أعوام ، ومعهم كانت ذكرياتي . وقد استغرق مشروع ناحلال وقتا طويلا الى أن حصل على موافقة المؤتمر اليهودي عليه وتم اعتماد ميزانيته وشراء الاراضي اللازمة لتنفيذه . وعشنا خلال هذه الفترة في تل أبيب ، حيث عمل والدي في مركز زراعي تابع للحزب ، ووجدت أمي وظيفة في مكتب العائلات المفقودة ، وأرسلت أنا الى احدى دور الحضانة .

وفي شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٢١ انتقلنا الى ناحلال ، وكانت بيوتنا عبارة عن مجموعة من الخيام ، تطل على وادي جزرل حيث تبدو

من بعيد آثار المدن القديمة المدفونة ، وخيام البدو ، وبعض القرى العربية البائسة . وخوفا من هجوم العرب فقد أقمت أنا وأمي وبقية النساء والاطفال في منزلين تم استئجارهما في مدينة الناصرة العربية . لمدة ثمانية أشهر ، وهناك عولجت من التراكوما .

وكان وادي جرزيل في تلك الاثناء مرتعا للامراض الخبيثة مثل الملاريا والتيفود التي تنشر من مستنقعات الوحل ، وكان علينا ان نجفف هذه الاوحال ، وكان الرجال يقومون بعملية الاصلاح هذه وهم يرتجفون من أثر الحمى .

وتطور بيتنا من خيمة الى كوخ ثم الى منزل خشبي يضم غرفتي نوم ومطبخا ، وعندما بلغت الثامنة ، وأصبح لي أخت ، صممت أمي على أن يقوم والدي ببناء غرفة خاصة لي ، ظللت أستخدمها الى أن تزوجت . وكنت ، بعد المدرسة ، أساعد والدي في عمله بحلب الابقار والزراعة وقيادة العربة حتى ماكينة الطحين في قرية عربية مجاورة . وكنت أساعد أمي أيضا في بعض الاعمال المنزلية . وأشتغل أبي بالحياة العامة واحتل مكانا مرموقا في الحزب والمنظمة ، حيث أرسل مرتين الى الخارج ، استغرقت كل مرة عاما . وكانت أمي تقوم بالعمل كاملا خلال فترات غيابه ، وكنت أساعدها .

وولدت أختي (افيفا) في حيفا حيث كان يقيم خالي . وهناك أيضا ولد أخي (زوريك) . وكنت قد بلغت الحادية عشرة من عمري ، وعهد الى بالقيام بعمل الزراعة ، وكان أبي في الولايات المتحدة الامريكية . وقد ورثت عن أمي حب القراءة ، وكنت متأثرا بالقصص الروسية التي تحكيها لي . وعندما بلغت الرابعة عشرة من عمري بدأت أمي في كتابة مقالات في أكبر جريدة يومية هي (دافار) ، ثم طلب اليها الانضمام الى هيئة التحرير وأن تصبح عضوا في مجلس المرأة العاملة . وكانت تذهب الى تل أبيب لاداء هذه المهام .

وبعد انقضاء عام على بدء العمل في ناحلال ، جاء الينا مدرس مهمته تدريب الخمسة عشر صبيا في القرية . وقسمنا الى ثلاث مجموعات على حسب السن ، وكنا نتلقى الدروس في كوخه ، الى أن تم بناء مدرسة من فصلين . وكان المدرس مهتما بخلق التجربة الشخصية لدينا أكثر من اهتمامه بالدرس . وأصبحنا ، من خلاله ملتصقين بماضي شعبنا وبالظروف المحيطة بنا . وبعيدا عن الدراسة فقد كنت أهوى المعسكرات والرحلات . وتعلمت أن أناقش الاطفال العرب والبدو بنفس لغتهم .

وأذكر هنا طفلا بدويا ، له نفس عمرى ، اسمه (وحش) وقد اصبح صديقا حميما لى • وعلى الرغم من أن جيراننا العرب كانوا فقراء ومتخلفين ، بالقياس بنا ، فان اعجابا واحتراما نميا لدى لما لمسته فيهم من صبر وزهد وعادات قديمة وذلك القدر من الكرامة التى يشعر بها حتى أفقر فقرائهم • **واستطعت من خلال صباى أن أكتشف أن الوصول الى العرب وكسب صداقتهم ليس بالامر الصعب •**

وفى عام ١٩٢٦ أنشأت المنظمة الصهيونية العالمية النسائية (ويزو) مدرسة زراعية للبنات فى ناحلال ، **كانت هى الاولى من نوعها فى الشرق الاوسط** • وكانت الفتيات اللائى يجئن الى المدرسة من كل الانحاء مثار اهتمامنا نحن الشباب • وعقب انتهاء دراستنا الابتدائية اتفق على ادخالنا الى مدرسة ويزو جنبا الى جنب مع البنات • وتوالى رسوب رفاقى الشباب ، ودخولهم الى معترك العمل الفلاحى ، واصبحت فى النهاية الشاب الوحيد الذى يتلقى العلم فى مدرسة للبنات •

٢ التأهب

فى عام ١٩٢٩ ، وكنت عندئذ فى الرابعة عشرة من عمرى ، دعيت للانضمام الى التنظيم السرى للهاجاناه ، وهو القوة العسكرية التى أنشئت سرا للدفاع عن يهود فلسطين • وقد تم انشاؤها فى اعقاب المذبحة العربية على الخليل التى أسفرت عن مقتل ٦٧ شخصا ما بين رجل وامرأة وطفل ، وجرح ستين آخرين ، كما تم حرق عدد من المنازل والمعابد •

وهكذا قامت الهاجاناه لتكون بداية للتنظيم المسلح ، مقررة ألا نبقى المستعمرات بدون سلاح تحت رحمة أى هجوم عربى • وكان على كل مستعمرة أن تنشىء قوتها الدفاعية • وكنت أنا أصغر المنضمين الى الهاجاناه فى مستعمرة ناحلال •

غير أن البريطانيين رفضوا السماح باحراز السلاح غير المرخص أو التدريب عليه • وتولت سلطات الانتداب البريطانى المسئولية عن حماية كل مواطن • لكنها كانت عاجزة لسببين : أولهما أنه كانت لديها قوة بوليسية صغيرة ، وثانيهما أنها كانت غالبا ما تصل متأخرة اذا ما دعيت لنجدة احدى المستعمرات • وفى النهاية سمحت هذه السلطات للكيبوتزات والموشاف بأن تحرز كميات صغيرة من الاسلحة فى صورة بنادق عديمة

الفائدة · وازاء ذلك اضطرت الهاجاناه الى القيام بتوزيع سلاحها الذى كان يتم اخفاؤه فى مخابىء خاصة فى كل مستعمرة · **وكان ذلك بمثابة اجراء غير قانونى ، تماما مثلما كانت عضوية الهاجاناه بالضبط ·** ولذا تحتمت السرية ·

وما أن انضممت الى الهاجاناه حتى بدأت فى التدريب على الاسلحه النارية · ولم يكن هذا التدريب ذا فائدة بالنسبة لى ، اذ أننا كنا نحتفظ على الدوام فى منزلنا فى ناحلال بمدفع رشاش أحضره أبى من داحانيا ·· وكنت أقوم دائما بتنظيفه وتزييته ·· وتعلمت استعماله · لكننى شعرت ، فى هذه المرة ، أن استعمالى للسلاح أكثر فائدة ، اذ أننى سوف أدافع به عن ناحلال وعن أى مستعمرة مجاورة اذا ما تعرضت لهجوم من العرب · وعندما كبرت بعض الشىء نظم يهودا دور احد أعضاء مستعمرة ناحال فرقة من الشباب الصغير ليتولى حراسة حقول المستعمرة ضد أى هجوم عربى · وقد تلقينا تدريبا عالى المستوى شارك فيه أعضاء المستعمرة الذين كانوا يقومون من قبل بنفس العمل فى روسيا · وقد أطلقت على حصانى اسم توكا ، وهو اسم حصان هندى فى احدى روايات جول فيرن ·

وكان عرب المزاريب يجيئون بأغنامهم من وقت لآخر للرعى فى بعض الحقول ، وكانت وظيفتنا هى طردهم · وكان نسق حياتهم يجرى على سرقة واستغلال الحقول التى تخص غيرهم · **ولم تكن هناك أية أسس سياسية لشجارنا مع العرب ، وكانت العملية ببساطة مجرد مناقشات حول التعدى على أراضى الغير ، تماما مثلما يحدث دائما بين أى جيران فى القرى ، وخاصة فيما يحدث بين البدو الرحل والفلاحين المزارعين ·**

فى ذلك الوقت كان الشجار السياسى محتدما بين الاحزاب اليهوديه · ويدور حول محور واحد هو التنظيم الداخلى ليهود فلسطين ·

وكانت هناك مجموعة من الكيبوتز والموشاف قد أقيمت فى البلد ، تابعة لواحدة من حركتى العمال القائمتين آنئذ ، واللتين اتحدتا فى عام ١٩٣٠ وأطلق عليها اسم الماباى ·· أى حزب عمال أراضى اسرائيل · وكان فى الحزب جناح للشباب ، لكننى لم آكن جاد الاهتمام بالانضمام اليه ، مقتصرا على نادى الشباب فى مستعمرة ناحلال الذى كان ينظم نشاطات مختلفة تحظى باهتمامى كالادب والغناء والرقص الشعبى · وكنا ننظم أمسيات للقراءات الادبية والنقاش ، ندعو اليها بعض الادباء · ووقع اختيار النادى الادبى على للذهاب الى القدس لدعوة الشاعر ابراهام شلونسكى لكى يحاضرنا فى الشعر العبرى وقراءة بعض أشعاره · وقد توجهت اليه ولبى الدعوة ، وخلب لب الشباب · هذا فى الوقت الذى

كان الكبار في المستعمرة يعجبون بشاعرنا القومي حاييم نحمان بياليك وراشيل شاعرة وادي الاردن ٠

وفي احدى أمسيات ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٢ ألقيت قنبلة على كوخ يوسف يعقوبي ، أحد جيراننا في المستعمرة ، أدت الى قتل طفله الذي يبلغ الثامنة من عمره ، وتوفي الوالد في الصباح متأثرا بجراحه ٠ وقد أرسى هذا الحدث اتجاهات جديدة في علاقاتنا مع جيراننا العرب ٠ كان من الواضح أن هناك خطا سياسيا وقوميا وراء هذا الحادث ٠وأعقبه هجوم على مستعمرة ياجور ، وهي مستعمرة مجاورة ، وألقت السلطات البريطانية القبض على بعض العرب ، لكنهم لم يكونوا هم مرتكبي تلك الحوادث ٠ كان الذين قاموا بالهجوم هم أعضاء جمعية تطلق على نفسها الشيوخ ذوي اللحية ، عرفت فيما بعد بالقسامية ٠٠ نسبة الى مؤسسها وقائدها الشيخ عز الدين القسام ٠ وكانت القرية العربية زيبوري ،التي تقع بجوار الناصرة هي مقر قيادة هذا التنظيم ٠

وكان لدى والدى اعتقاد ، حملته أنا بعده ، بأن العرب اناس ذوي طبيعة تتميز بالعنف والغوغائية وانهم مسببون للمتاعب وأحسست لوهلة أن الامر ليس هينا حينما ركبت وتوجهت الى هذه القرية العربية، وهناك تحدثت مع بعض العرب الذين تربطني بهم صلة ، ومع بعض أفراد قبائل المزاريب ٠٠ وكانوا جميعا يتحدثون باعجاب عن القسامية ، ويصفونها بأنها تمثل المثالية في التدين ، وأن أفرادها يقضون معظم أوقاتهم في الصلاة ٠ كانت نظرتي للعرب المجاورين نظرة ودودة وايجابية، وكنت أعجب بطريقتهم في الحياة ، وأحترمهم كعمال جادين في عملهم ٠ وكنت اعتقد في امكانية العيش في سلام بينهم هم في قراهم طبقا لتقاليدهم ، ونحن في قرانا وفقا لتقاليدنا ٠ غير أن تغلغل مبادىء القسامية في أحاسيس العرب ـ وان لم يكن قد أثر في مشاعرنا الشخصية ازاء بعضنا ـ فرق بين العرب وبين اليهود الذين كانوا ينفذون مبادىء الصهيونية ومثلها العليا ٠

وانتهت دراستي في مدرسة ويزو الزراعية ، لكن علاقتي بها لم تنته ، اذ أنني ارتبطت بفتاة جميلة زرقاء العينين تدعى جوديث كانت تكبرني سنا وتفوقني طولا ٠ وكنا كثيرا ما نتنزه في غابة الاشجار خلال أيام شهر فبراير (شباط) ، ونقضي أمسياتنا في مشوار طويل في حقول الذرة ٠ وكنت مستمرا في ممارسة نشاطي في نادي الشباب ٠٠ ونظمنا ما أطلقنا عليه اسم الحلقة الايديولوجية ٠٠ وكنا نقرأ ونناقش ما يكتبه قادتنا وعلى رأسهم بن جوريون الذي أصبح الآن قائدا للحركة ، وحاييم ارلوزوروف الذي رأس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية الى أن قتل ، وموشي شاريت الذي خلفه ٠ وسرعان ما ألقينا سذاجتنا وراء

ظهورنا وتزايد اهتمامنا بما كان يحدث ويقـال فى حركة العمل ، ثم انضممنا اليها أخيرا ٠

كان العمل الشاق فى المزرعة فى ناحلال يستغرق فترة طويله ، وكان أبى مشغولا برحلاته التى يقوم بها لحساب حزب العمل والحركه الصهيونية ، أما أمى فقد نظمت أوقاتها بين الحياة العامة والكتابة لصحيفه العمل اليومية ٠٠ أوسع الجرائد انتشارا فى البلاد ٠ وبالنسبة لى فقد بدأت اهتماماتى تتعدى موضوع ركوب الخيل الى الانشغال بتتبع الصراع الوطنى والسياسى ٠ وكان تفكيرى مركزا حول استكمال دراستى العليا ٠٠ لكننى لم أكن قادرا على الابتعاد عن ناحلال ٠

وفى عام ١٩٣٣ ، كنت قد بلغت الثامنة عشرة من عمرى ، بدأت فى المستعمرة عملية بناء منازل دائمة ٠٠ وكان منزلنا من بين الدفعـة الاخيرة التى سيتم بناؤها ٠ وانضممت الى فرقة البناء ٠٠ وكان العمل بالغ المشقة والاجر غير مجز ٠ وقد عرض علينا المهنـــدس المشرف على العملية وظائف فى تل أبيب بأجر مجز ٠٠ وفى الخريف كنا قد أتممنا بناء المنازل الاربعين التى تم اعتماد الميزانية الخاصة بها ٠٠ وكان مقدرا لعملية بناء المنازل أن تستغرق عامين ، ولذا قبل ثمانية أفراد من المجموعة عرض المهندس بيير وذهبوا الى تل أبيب ٠٠ وكنت أنا واحدا من أفراد هذه المجموعة ٠ ولم يكن تغيير رأيى طمعا فى المرتب المجزى ، وانمـا سعيا وراء اكتساب مزيد من التعليم ٠ وقد سمح لنا بعد فترة العمل فى الصباح بأن نتلقى دراسات عليا فى الرياضيات والآداب واللغة العبرية فى الجامعة الاهلية التابعة للدائرة الثقافية فى الهستدروت ٠

وكنت فى نفس الوقت أشاهد باستمرار جوديث ، التى انتهت دراستها فى المدرسة الزراعية ، وانتقلت الى منزلها فى ريشيون ليزيون ٠ وكنا نتقابل فى منزلها أو فى تل أبيب ٠ ولم يكن والداى سعيدين بهذه العلاقة ٠ بل كانت لجوديث نفسها أفكار غريبة عن ذلك الشباب المراهق الذى جاء الى تل أبيب ليصبح عاملا للبناء ٠ وكنا نعمل فى تل أبيب خلال موسم الركود فى الزراعة ٠

ومع مطلع الصيف عدت الى ناحلال مرة أخرى ٠ وقررت فى الخريف أن أقوم ، مع اثنين من أصدقائى ، برحلة فى وادى الاردن سيرا عـلى الاقدام ٠ وكان زادنا فى الرحلة : قليل من النقود وبعض زجاجات الماء وبعض المأكولات المحفوظة وخريطة ٠ وقطعنا وادى الاردن حتى وصلنا الى أريحا ومنها الى بئر سبع ثم الى غزة ٠ وكانت الرحلة شاقة خاصة وقد واجهتنا رياح الخماسين ٠٠ وكان هواء الصحراء الساخن يلفح وجوهنا ٠٠ ولم نستطع نصب خيامنا ٠ وفرغت زجاجات المياه ٠٠ لكنها كانت تجربة مثيرة وهامة ٠

وقد وقع لنا حادث خلال هذه الرحلة كان له اكبر الاثر لدى ، بل انه ما زال عالقا بذهنى بكل تفاصيله حتى الآن . فقد وصلنا أثناء رحلتنا الى واد قريب من الجزء الشمالى من البحر الميت .. وكان الارهاق قد بلغ بنا غايته بعد يوم طويل حار وليل لم يزل حارا .. وبعد نفاذ الماء منا .. فسقطنا على الارض من شدة الاعياء ورحنا فى سبات عميق . واستيقظنا عند الفجر على صوت قطيع من الاغنام بصحبة راع بدوى ، وطلبنا منه بعض الماء .. لكنه اصطحبنا الى مخيم القبيلة حيث استضافنا شيخ القبيلة ولم يكتف بتقديم الماء بل قدم لنا أفضل تقاليد الكرم البدوية . ثم اقترح علينا بعد ذلك أن يصحبنا احد رجاله الى أريحا مع بعض الحمير ليوفر لنا الراحة والامان . وقد قبلنا ذلك العرض وذهبنا مع الاعرابى ، ثم افترقنا متجهين الى سادوم فى جنوبى البحر الميت .

لقد اخذت بهذا الكرم والعطف من البدو .. وهى صورة تختلف فى ذهنى كلية عن الصورة التى رسمتها لى قصص قدامى اليهود من مؤسسى المستعمرات وأحاديثهم . فهم لم يسرقوا ساعاتنا ولا نقودنا .. لم يديروا ظهورهم لاولئك الشباب اليهودى العطشى .. وانما أكرموا وفادتنا وأمنوا لنا طريقنا ، ومن واقع تجربتى فيما بعد ، فان هذا لم يكن حكما عاما بالنسبة للبدو . فالبعض منهم فى غاية الطيبه ،والبعض منهم فى منتهى القسوة .. شأنهم فى ذلك شأن اى شعب . وعلى العموم فلم تكن هذه هى تجربتى الوحيدة مع العرب . فكثيرا ما كنا نذهب الى القرى المجاورة ، ويحاول بعض الشباب الاعتداء علينا .. غير أن الكبار من الاعراب سرعان ما كانوا يهبون لنجدتنا ، ويستضيفوننا فى منازلهم حيث يقدمون لنا الزيتون والخبز ثم يصحبوننا الى منازلنا فى أمان .

وقد جرى لنا صدام من نوع آخر مع العرب بعد عودتنا بعدة أسابيع ، أى فى نهاية عام ١٩٣٤ . اذ كانت هناك مساحة شاسعه من الاراضى التى اشتراها الصندوق القومى اليهودى من مالكها العربى وكانت متروكة دون أى استغلال ، ثم تقرر ضمها الى مستعمرة ناحلال والبدء فى استغلالها . وكانت قبيلة المزاريب تستخدم هذه الاراضى فى الرعى . ولاحظت عندما بدأنا العمل ، أن هناك تجمعات لبعض أفراد القبيلة ، شاهدت من بينهم صديقى وحش وبعض الشباب العرب الذين

اعرفهم . وبينما استمر العمل كان عدد البدو يتزايد . وفجأة انهالت علينا الاحجار .. واستعنا ببعض اليهود من المســـتعمرات المجاورة واستعان البدو بالعرب من القرى المجاورة . وفجأة أحسست بعصـــاه تصيب رأسي .. وسقطت على الارض . ونقلت الى المستعمرة ومنها الى دار للرعاية قرب القدس ومكثت فيها بعض الوقت ثم عدت الى ناحلال مرة أخرى . وقد رجعت بجرح في رأسي ، ولكن بدون شعور عدائى داخل نفسي ضد وحش وأفراد قبيلته المزاريب . لقد كان بمقدوري أن أفهم مشاعرهم ، لكنني لم أكن مستطيعا قبولها . لقد كانوا عبر القرون يقومون برعى قطعانهم على اراضي اناس آخرين ، ويســـقونها من آبار الآخرين . وكانت الارض في ذلك الحين قد ساءت ولم تعد صالحةللرعى . وقد أصبحت الآن أرضنا ونحن الآن نعمل على اعادتها الى ما كانت عليه من فائدة قديما . ولانى كنت أعلم أن البدو لا ينظرون للامور على هـذا النحو ، فانني لم أحمل ضغينة ضدهم . ولم أرهم بعد ذلك ، اذ نقلوا مراعيهم الى منطقة أخرى ، وتم اعداد الارض الجديدة للزراعة . وبرغم ذلك كله فقد دعوت وحشا وأفراد قبيلته الى حفل عرسى فى المستعمرة بعد هذا الحادث بستة شهور ، وحضروا جميعا وقدموا رقصاتهم الوطنية التى يؤدونها دائما فى حفلات الزفاف على نغمات الناى الذى قام بالعزف عليه شاب صغير يدعى عبد . وقد قضينا جميعا وقتا طيبا

وكانت الفتاة التى تزوجتها فى ١٢ يوليو (تموز) ١٩٣٥ قد جاءت الى المستعمرة فى خريف عام ١٩٣٤ لتتلقى العلم فى مدرسة الزراعة وقد انحدرت من أب يدعى زيفى وأم تدعى راشيل ، كانا قد تعلما فى مدرسة هرزيليا الثانوية — وهى أعلى مدرسة لتعليم العبرية — وكانت روث عضوا فى شباب حزب العمل وترى أن مستقبلها فى المستعمرات وهكذا جاءت .. وتعرفت عليها .. وتوثقت صلاتنا لرغبتى فى تنمية معرفتى باللغة الانجليزية التى كانت تجيدها . وتدعمت عرى علاقتها بأمى وبأخى زوريا ، وأختى افيفا ، وكانت كثيرا ما تحضر الى منزلنا وأقيم الحفل فى ساحة المستعمرة ، وأحضرت أم روث معها المشروبات والمزات من القدس . وجاء رتل من السيارات يضم أصدقاء أسرتها وكان من بين المدعوين الدكتور أرثر روبين الذى يعتبر الاب الروحى لانشاء المستعمرات اليهودية فى فلسطين .. كما حضر زفافى أيضا موشى شاريت وزوجته زيبورا ، ودوف هوس أحد القيادات الهامة فى الوكالة اليهودية . وقام بمراسيم الزواج الحاخام زكريا وهو أحـــد مؤسسى مستعمرة ناحلال ويحدر من أصل يمنى .

ولم تكن لدينا خطط للمستقبل القريب .. لكنى كنت راغبا فى ترك المستعمرة . وكنت أحلم بأن أقوم بعمل مثل العمل الذى قام به أبى

عندما كان في متل سنى بأن أنشأ مستعمرة جديدة . لكنني في نفس الوقت كنت أتطلع الى تكملة تعليمي العالى . ولم تكن عضويه الهاجاناه تستغرق من وقتى الكثير ، بل انني كدت أكون خاليا من الواجبات في المنظمة . ووجدت فرصتى لتعلم الانجليزية بطلاقة ، وربمــــا لدخول الجامعة . عندما وجدت من بين هدايا زواجنا بطاقات سفر الى انجلترا

وفى لندن ، كانت روث سعيدة بالعودة الى المدينة التى عاشت فيها خمس سنوات من طفولتها حينما كان والداها يدرسان فى جامعة لندن . واشتغلت هى بتعليم اللغة العبرية ، أما بالنسبة لى فقد انهارت كل أحلامى الوردية .. اذ لم أوفق الى عمل لان لغتى الانجليزية كانت ضعيفة .. ولم أكن حاصلا على شهادة اتمام الدراسة الثانوية حتى يحق لى الدخول الى الجامعة . وهكذا بقيت بلا عمل وبلا دراســـــة . وكانت الخطابات تتوالى من والدى يتهمنى فيها بأنى فضلت الحياة السهله على الكفاح فى المزرعة ، ويؤكد لى أن المزرعة فى حاجة ماسة الى .

ووقع حادثان جعلانا نسارع بالعودة ، الى الوطن . أولهما نشوب الثورة العربية المسلحة فى مايو (آيار) ١٩٣٦ ، وشن الهجوم عـــلى مستعمراتنا بعنف وقسوة راح ضحيتها الكثيرون .. وكنت قد تلقيت بحزن شديد قبل ذلك بشهرين نبأ مقتل ابراهام جالوتمان خبير الحمضيات والرجل الذى علمنى الكثير . وأصبحت هجمات العـــرب المتفرقة تترك المزيد من الضحايا وراءها . ان مكانى فى وطنى . أما الحدث الثانى فكان ذلك القرار الذى اتخذته مجموعتى بانشاء مستعمرة جديدة اختاروها مستعمرة على الحدود لكى تقوم بمسئولية الدفاع الى جانب الزراعة وحتى يمكنهم بدء حياة جماعية مستقلة فقد منحهم مجلس ناحلال مائة هكتار فى منطقة تدعى تل شمرون .. وقد قررت ، أنا وروث ، الانضمام الى تلك المجموعة .

لم يكن الامر سهلا . ففى حين منحت روث العضوية الكاملة ، فانني اعتبرت مرشحا للعضوية بعد مرور فترة اختبار مدتها ستة أشهر أثبت فيها قدرتى على التواؤم مع الحياة الجماعية . ونظرت الى هذه التحفظات على أنها تعنى عدم الثقة وكان أصدقائى يعلمون أننى لا يمكن أن أنتمى الى مجتمع كهذا . فالمساواة العاطفية والاجتماعية المطلقة لم تكن لتتفق مع طبيعتى أبدا .

وكان الامر كذلك بالفعل . وانقضت فترة الشهور الستة وبذلت فيها جهدا جعلهم يثقون فى مسلكى ، ومنحت العضوية الكاملة . وكـ

فى البداية سبعة عشر عضوا فى ناحلال ، ثم انضمت الينا مجموعه من شباب حزب العمل المهاجرين من بولندا وروسيا ، ثم انضمت الينا أخير مجموعة من الفتيات من خريجى مدرسة ويزو الزراعية ٠

وأعطيت لنا ــ أنا وروث ــ فى البداية حجرة واحدة فارغة ، فقمت أنا بصنع أثاثها من جذوع الجميز ٠ وأوكلت مسئولية حظائر الماشيه الى روث ، بينما توليت أنا مسئولية الحراسة الليلية ٠ ولم تســـتطع مستعمرة سمرون اثبات نجاح مؤسسيها وظلت تعتمد على المساعدات التى يقدمها لها الصندوق القومى اليهودى ٠ وكان ذلك موضع مناقشاتنا أنا وروث ، على امتداد عامين ٠ وفى عام ١٩٣٨ انتقلت مجموعة شمرون الى مستعمرة أخرى بالقرب من الحدود اللبنانية ، أما أنا وروث فقد عدنا الى ناحال مرة أخرى لنعيش فى كوخ نمتلكه ٠

وقد ارتبطت بالميدان العســـــكرى أثناء اقامتى فى شمرون ، حيث تصادف ذلك مع حدوث ما أسماه البريطانيون (بالثورة العربية) ، التى استمرت من ١٩٣٦ حتى ١٩٣٩ عندما أصدرت بريطانيا سياستها الجديدة لفلسطين بتقييد الهجرة اليهودية ، واستيطان الاراضى ٠ وخلال هذه السنوات الثلاث ، كافح المجتمع اليهودى من أجل الحفاظ على أمنه ، وتم استنفار الجيل الشاب لاداء دور أكثر نشاطا ٠

وبدأت الثورة باضراب عربى شامل يهدف الى شل الحياة الاقتصادية فى البلاد ، فى عام ١٩٣٦ ، وسرعان ما اجتاحت كل أنحاء الاراضى موجه من العنف والاضطرابات حتى اضطرت بريطانيا الى اســـتدعاء المزيد من جنودها ٠ وأحس البريطانيون بالخطر ، لان موجة العنف كانت موجهه ضدهم وضد اليهود وضد العرب المعتدلين فى نفس الوقت ، وجاءت لجنة ملكية بريطانية لتقصى الحقائق ، حول أسباب الصراع وتقديم توصيات للدبلوماسية المقبلة ٠ ولان اليهود والبريطانيين كانوا هـــدفا للارهاب العربى ، فقد حدث تقارب بين حكومة الانتداب والسلطات اليهودية ٠ وتمثلت أولى اجراءات التعاون فى الاستعانة باليهود والاســـتفادة من خبرتهم فى معرفة البلاد واللغة العربية ٠ وهـــكذا أنشئت أول قوه بوليسية للمستعمرات اليهودية ٠ وأصبحت ــ تحت رتبة غفر ــ واحدا من أعضاء هذا البوليس ٠

وكان خطاب التعيين الذى تلقيته فى مارس (آذار) عام ١٩٣٧ ، وتسلمته فى مستعمرة شمرون ، معنونا باسم قيادة البوليس الفلسطينى ٠

وعيّنت بمرتب قدره ثمانية جنيهات فلسطينية ، وصرفت لي بدلة رسمية وتصريح سلاح ٠

وكنت أعيش في معسكر بريطاني في منطقة عفولة التي تعتبر المركز الرئيسي لوادي هرزل ، حيث تمتد أنابيب البترول التابعة لشركة أنابيب العراق ، والتي تصل بين حقول البترول في الموصل وميناء حيفا ٠ وكانت هذه الأنابيب عرضة لعمليات تخريبية من جانب العرب ولم يكن بمقدور الشاحنات والعربات أن تمر في المنطقة المزدحمة بالقرى العربية ٠

وكان مصرحا لي بالمبيت ليوم واحد في المنزل ٠ وكنت أعمل مع فصيلة اسكوتلاندية وأخرى من يوركشاير ٠ وخلال الفترة التي قضيتها مع هاتين الفصيلتين ، وهي ثمانية أشهر ، اكتشفت مساويء الوحدات النظامية وخاصة فيما يتعلق بالعمل الروتيني الذي كان يفقدها الفاعلية ضد المخربين ٠ وكان في تصوري ان العمل الواجب اتخاذه ضد العرب هو البدء بالهجوم عليهم في مخابئهم ومباغتتهم ٠

واشتد في نفس الوقت نمو بوليس المستعمرات فأصبح يضم ١٣٠٠ من أعضاء الهاجاناه في نهاية عام ١٩٣٦ ٠ وأثر انتهاء خدمتي في عفوله ، عدت الى شمرون كجاويش مسئول عن الحراسة ٠ وكنت اقود فصيلة تتميز بالنشاط الجم ، فكنا نقوم بالمرور خـــلال النهار ، وننصب الكمائن في المساء للعرب ٠

وفي شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٧ أرسلتني الهاجاناه الى معسكر تدريبي على الاعمال القيادية ، وهناك التقيت باســحاق ساديه المشرف على المعسكر ٠٠ وقد أحببت هذا الرجل وصار مثالي الاعلى ٠٠ وتلقينا تدريبا جيدا عالي المستوى يتميز بالواقعية والحيوية ٠وأرسلت عقب ذلك الى مركز تدريب الجاويشية في الجيش البريطاني ٠ وهناك كان جل اهتمامهم موجها للنظافة والاحذية التي تلمع ٠٠ ولا شيء غير ذلك ٠

وباضطراد التعاون بين سلطات الانتداب البريطاني والســلطات اليهودية ، استطعنا أن نحصل على تصريح باقامة معســكرات تدريب وتصاريح باحراز الاسلحة المختلفة التي تستخدمها الجيوش ٠ وأصبح في مقدوري ، أنا وزملائي من رجال البوليس ، أن نمارس نشـــاطاتنا السرية في الهاجاناه بيسر شديد ٠

وانفجرت الثورة العربية في عنف شديد في خريف عام ١٩٣٧ عندما أعلنت لجنة بيل توصياتها التي تقضي بتقسيم فلسطين الى دولة اسرائيلية ودولة عربية ومنطقة تحت الوصاية البريطانية . ورفضت الدول العربية هذه القرارات ، واشـــتد نضال العرب ضـــد اليهود والسلطات البريطانية .

وفي عام ١٩٣٨ خدمت في الهاجـــاناه كمعلم في مناطق ناحلال والاقاليم المجاورة لها . وكنت في نفس الوقت مسئولا عن تدريب القادة الفرعيين في أحد القواعد التابعة للهاجاناه . وخرجت عن قواعد التدريب الروتيني التي تقضي بتعليم استخدام السلاح . ولكوني مســئولا عن التدريب على حرب العصابات ، فقد ألفت كتيبا عنوانه (جرفة الميدان) خاصا بالتدريب يحتوي على تعليمات خاصة باعداد الكمائن - وأســلوب الحراسة - وتاكتيك التسلل والهجوم . ووقعت هذه المذكرة في يد يعقوب دوري قائد الهاجاناه للاقليم الشمالي ، الذي اســتدعاني وفاجأني بأن امتدح هذا العمل وكافأني ، الامر الذي جعلني أشعر بالفخر . وكنت قد قضيت وقتا في التدريب في ناحال ، وقمت بتطوير تدريبي بحيث كنت أمرن الرجال على فن الهجوم ومفاجأة العدو .. وحتى اكتشـــف نقاط الضعف في حراسة مستعمراتنا ، فقد كنت أصطحب رجالي في عمليات ليلية مفاجئة نكتشـــف خلالها الثغرات الموجـــودة في الدفاع . وازاء تحذيرات رؤسائي لي من مغبة هذا العمل ، - اذ أن قوات الحراسة قد تطلق النار علينـــا - فقد اضطررت لطاعة الاوامر وتوقفت عن (غزو) مستعمراتنا .

واستمرت مسئوليتي عن التدريب في الهاجاناه ، في الوقت الذي كنت أمارس فيـــه وظيفتي كجاويش في البوليس الانجليزي . وكانت زوجتي روث تقيم في شمرون . وكنا نلتقي بين الفينة والأخرى ، وبدأنا نناقش خطط المستقبل .. فكانت ترى ضرورة ترك مجموعة شـــمرون والبدء في انشاء مزرعة خاصة بنا وبناء منزل دائم لنا ، وقضاء أوقاتنا في القراءة والدراسة .

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٨ انتقلت مجموعة شـــمرون للاقامة الدائمة في مستعمرة هانيتا التي تقع بجوار الحدود اللبنانية . وكانت الهاجاناه قد احتلت هذه المستعمرة قبل ذلك بثمانية أشهر بعد أن تعرضت لهجوم عربي عليها ، خاصة وأنها تقع على الحدود اللبنانية في النقاط التي يتسلل منها العرب لمهاجمة المستعمرات اليهودية . وكانت الهاجاناه قد حددت يوم ٢١ مارس (آذار) ١٩٣٨ موعدا لعملية مستعمرة

هانيتا . وحشدت من أجلها ٤٠٠ مقاتل من بينهم مائة من بوليس المستعمرات التابع للسلطات البريطانية • ومن أجل ضمان السرية التامة ، وذلك حتى لا يشعر العرب أو السلطات البريطانية ، توزعنا على عدة مستعمرات على الشاطىء • وكانت هذه القوة بقيادة ايزاك ساديه • وكنت أنا ويجال ألون نائبين له • وفى يوم ٢١ مارس (آذار) تحركنا من نقاط تجمعنا متجهين شمالا نحو هانيتا ، وكان ذلك قبل الفجر بقليل • وكان علينا أن نترك السيارات فى الطريق ونتسلق المرتفع الصخرى • وقسمنا أنفسنا الى مجموعتين احداهما لاقامة الخيام والمعسكر والاخرى لبناء برج المراقبة وسور الحماية • وكنا نتمنى أن ننتهى من عملنا خلال النهار اذ كنا نتوقع أن يكون أول هجوم عربى ليلا • لكننا لم نستطيع أن نتم مهمتنا وصادفت عملية نصب الخيام هبوب عاصفة شديدة • وعند منتصف الليل بدأ الهجوم العربى من اثنين من التلال المجاورة • واقترح ايزاك ساديه أن نقوم ، أنا ويجال ألون ، بحركة التفاف حول المهاجمين • غير أن دورى قرر استحالة تنفيذ هذا الاقتراح ، واستمر تبادل اطلاق النار لمدة ثمانى دقائق انسحب بعدها المهاجمون وراء الحدود اللبنانية • وكانت خسائرنا قتيلين وعددا من الجرحى • واستمر العمل فى بناء المستعمرة لمدة ثلاثة أيام فى هدوء •• وفى اليوم الرابع ، وبينما كانت احدى مجموعات البناء تعمل على الطريق ، هاجمها العرب ••• وحاولنا قطع طريق الهرب عليهم ، بيد أنهم كانوا أسرع منا • وتقرر أن نبقى قوات ساديه لحين الانتهاء من بناء المستعمرة • وكنا نقوم بنقل عمال من مدينة نهاريا ، وكان من بين واجباتى الاشراف على نقل هؤلاء العمال •• أما بقية واجباتى فكانت تتعلق بالحراسة • وعندما انتهت عملية بناء المستعمرة عادت قوات ساديه مرة أخرى وانتهت مهمتى • ، وعدت ثانية الى واجباتى فى بوليس المستعمرات •• وبقيت مستمرا فى الحراسة وفى عملية التدريب الخاصة بقوات الهاجاناه •

وذات مساء حضر الى شمرون أحد أفراد الهاجاناه وبرفقته شخص غريب •• هو الكابتن أورد وينجت •• الذى لم يكن جنديا عاديا •• جاء الى فلسطين عند نشوب الثورة العربية عام ١٩٣٦ محملا بأفكار غير تقليدية ضد العرب وأساليب مواجهة العنف والتخريب العربيين •• وكان فى الوقت ذاته متعاطفا للغاية ــ بعكس زملائه العسكريين ــ مع الافكار الصهيونية ، الامر الذى جعله موضع ثقة كل قادة اليهود فى فلسطين •

وكان هذا هو لقائى الاول مع وينجت •• كان متوسط القامة •• ذا وجه شاحب ، لكنه وجه قوى •• وكان يتمنطق بمسدس فى وسطه

ويمحل انجيلا صغيرا حول وسطه • وكانت طباعه تنم عن المرح والاخلاص •• له نظرة هادئة حين يتحدث •• وكان يوجه نظرات عميقة كلما تفحص أحد الاشخاص وكأنه يبحث فى أعماقه عن سره • وطلب احضار المجموعه ليعلمنا كيف نقاتل • وكان يصر على الحديث بالعبرية التى بدأ يتعلمها منذ وصوله للبلاد ، غير أننا طلبنا منه بعد فترة أن يتحدث بالانجليزيه • وأخذ يتحدث عن خبرته فى حرب الغابات فى السودان حيث خدم لعدة أعوام ، وعن طريقة نصب الاكمنة الليلية • وأخيرا فاجأناه باقتراح أن نصحبه لكى يعلمنا على الطبيعة كيفية عمل الكمين الليلى •

وطلب خريطة • وكانت المفاجأة الاخرى اختياره لنقطة على الطريق الموصل لقرية محلول العربية التى تبعد عدة أميال • وكان العمل بالنسبة الينا جديدا لاننا كنا دائما ننصـــب كمائننا بالقرب من المســتعمرات اليهودية للدفاع عنها ، وليس بالقرب من خط العنف القريب من القرى العربية • وقمنا بجمع أسلحتنا •• وكنا نتحرك بأوامر وينجت على حافة التلال وليس فى الممرات • وعندما وصلنا الى هدفنا انقسمنا الى مجموعتين تبعد كل منهما عن الاخــرى مائة ياردة • وكانت التعليمات تقضى بأنه عند ظهور أى مجموعة فى تلك الليلة فانها سوف تمر وسط المجموعتين حيث تجرى مهاجمتها من الجانبين • وبالرغم من عدم ظهور أيه مجموعة هذه الليلة فان الدرس كان هاما وكافيا • وقد اشتد تأثرى بهذا الرجل ، خاصة وأننى كنت ، قبيل العملية ، أتساءل عما اذا كان فى استطاعة هذا الرجل أن يتحرك فى الظلام فوق أرض لا يدرى عنها شيئا ، فى حين أن هذه الارض هى مسقط رأسى وأعرفها شبرا شبرا • وتساءلت وهل سيصيبه التعب ، وهل سيطلب الراحة ؟!! غير أن كل هذه الاسئلة انتهت تماما ، واكتشفت أن معرفته بهذه المنطقة تفوق معرفتى بها ، وانه قوى ، ويستطيع أداء كل ما نمارسه نحن الشباب • صحيح أن أفكار وينجت الجديدة كانت مغروسة فى قلوبنا على يد اسحاق ساديه ، غير أن وينجت تميز عنه بالاتقان والايجابية والعنـــاد وعدم قبول الحلول الوسط •

وقد صاحبت وينجت بعد ذلك فى عمليات كثيرة نجحنا فى بعضها ولم ننجح فى البعض الآخر ، المهم أن المهاجمين العرب أصبحوا يدركون الآن أن جميع الممرات التى قد يسلكونها غير آمنه بالكمائن التى نصبناها فيها •

وكنا كثيرا ما نقضي أمسياتنا في العمل سويا · وأصبحت أؤمن بأن وينجت مقاتل ممتاز · وانسان رائع وكثيرا ما كان يصيبه الارهاق الشديد ، وقد رأيته في احدى المرات وهو يقطف ثمرة بطيخ من أحـــد الحقول ويبلل بها وجهه ليستعيد نشاطه · كما كان يعمد قبيل كل عملية الى قراءة فقرات من الانجيل ·· وخاصة الفقرات التي تتحدث عن المناطق التي سنهاجمها ، ويجد فيها الدلائل على النصر ·· نصر الله ونصر اليهود ·· ونظرا لتعاطفه الزائد مع الصهيونية ، فقد قام رؤساؤه بابعاده عن فلسطين · ولكنه قاتل في الحرب العالمية الثانية في الحبشـــة وبورما حيث قتل في احدى غاباتها عام ١٩٤٤ ·

* ● *

٣ فى السجن

كان كل أفراد مجموعة شمرون قد انتقلوا الى مستعمرة هانيتا على الحدود اللبنانية ·· وذهبت معهم أنا وروث بمثابة ضيوف ، ثم عدنا بعد ذلك الى ناحلال مرة أخرى حيث استأجرنا منزلا من مجلس المستعمرة ، يتكون من حجرتين ومطبخ وحديقة خضروات · وفى فبراير (شباط ١٩٣٩ ولدت ابنتنا يائيل ·

وفى مايو (آيار) من هذا العام أصدرت بريطانيا ما يسمى بالكتاب الابيض ضمنته سياسة جديدة للانتداب ، فحددت الهجرة اليهودية خلال السنوات الخمس التالية ثم منعتها تقريبا بعد ذلك ، وبذلك جاء كل ما فيه ...تناقضا مع روح وعد بلفور الصادر عام ١٩١٧ ، ومع نص قرار عصبة الامم المتعلق بالانتداب ، وسوف يؤدى فى حالة تنفيذه الى تحطيم آمال اليهود فى وطن قومى لهم ، ولذا قررت الهاجاناه حمل السلاح ومقاومة هذا الكتاب الابيض ، وكانت تلك نهاية التعاون بين البريطانيين واليهود ، وعادت الهاجاناه مرة أخرى الى العمل السرى ·

وفى منتصف اغسطس (آب) شرعت الهاجاناه فى برامج للتدريب على تاكتيكات القتال ، وبدأت من جديد فى أداء واجباتى كمدرب فى هذه

البرامج التى اختيرت لها قاعدة جديدة بالقرب من قرية يافنيل على بعد أربعة اميال من مستعمرة دجانيام وامعانا فى التمويه ، فقد جرت هـذه التدريبات ، تحت رعاية الاتحاد الرياضى اليهودى • وبعد ذلك بقليل نشبت الحرب العالمية الكبرى مما جعـل الهاجاناه سرع فى عمليـة التدريب • ومضت الاسابيع السبعة الاولى من التدريب فى هدوء •

وجاء أول جرس للانذار فى يوم ٣ أكتوبر (تشرين الاول) عندما كان بعض الرجال مجتمعين لتلقى بعض الدروس النظرية فى التاكتيك ، وعلى حين فجأة ظهر اثنان من رجـال الامن السرى البريطانى •• قاما بتفتيش المعسكر •• وكان من السهل عليهما أن يعثرا على السلاح ، وتم بسرعة اخطار قيادة الهاجاناه حيث تم اخلاء القاعدة والانتقال الى قاعدة أخرى تبعد ٢٥ ميلا ، بالقرب من مستعمرة عين هاشوفيت • وانقسمنا الى مجموعتين أولاهما مجمـوعة يجال ألون ، ضـمت أفراد بوليس المستعمرات المصرح لهم باستخدام السلاح ، وهذه المجموعة وصـلت الى هدفها بسـلام بعد أن قطعت الطريق من ناحية سـفح جبل تابور • والمجموعة الثانية بقيادة سوكينك قائد مركز التـدريب ، وضـمت ٤٣ رجلا ، وكان عليها أن تقطع الطريق خلال الظلام من خلال الجبـل الى الجنوب الغربى مخترقة منطقة عربية ضخمة فى وادى البيرة ، حتى تصل الى منطقة جزريل اليهودية وتخترقها خـلال النهار • وكانت مهمتى أنا وسوكينك القيام بعملية الارشاد •

وكنا لسوء الحظ قد غادرنا المعسكر متأخرين • اذ ان المعسكر كان موضوعا تحت المراقبة •• وكان علينا أن نجمع أسلحتنا الضرورية التى كانت مخبأة فى بعض المخابىء • كانت الساعة الثانية صباحا عندما بدأنا فى التحرك ، وتسلقنا عدة ممرات صعبة فى الساعات التالية من الظلام • وعندما أشرق الصباح كنا على بعد أميال كثيرة من أقرب مستعمرة يهودية • وكنا على مشارف وادى البيرة الذى تمر فيه أنابيب البترول الخاصـة بالشركة العراقية • وجلسنا أنا وسوكينك للراحة • وفجأة وجدنا أنفسنا محاصرين بقوة من سلاح الحدود الاردنية الخاصة بحراسـة أنابيب البترول • وكانت بقية المجموعة بعيدة عنا حيث كنا نحن فى المقدمة • وكانت هذه القوات تابعة للامن السرى البريطانى • فأخبرناهم أننا من هواة الرحلات ، وأبرز لهم سوكينك رخصة سلاحه ، وعندئذ بدا عليهم الاقتناع •• وتركونا ومضـوا • ولكنهم ظهروا مرة أخرى وقد أحاطوا ببقية المجموعة •• ويبدو أن أحد العرب لفت أنظارهم الى بقية المجموعة المسلحة التى كانت تسير بجوار خط الانابيب •

وسرعان ما أحاطت بنا بعض القوات المســلحة وضابط بريطاني ومحقق من سلاح الحدود ٠٠ ونزعت منا أسلحتنا ، وقضينا بضع ساعات الى ان تقرر رؤساؤهم مصيرنا ٠ ثم قسمونا الى مجموعتين ، وأركبونا سيارتي نقل ، وأخذونا الى السجن ٠ وفي قرية عكا وقفت سيارة نقل ٠٠ ولمحت صديقي كالمان فكتبت له ورقة أقول فيها أنه قد ألقي القبض علي وانه لا داعي للقلق ٠٠ وكتبت عليها عنواني وألقيت بها اليه ، وأثناء هذه الرحلة دار النقاش حول مصــيرنا ، وســاد اقتناع بأن الامر سرعان ما سيتضح وسوف يفرج عنا ٠

ولكن حالتنا النفســية تغيرت بعد أن أوصدت وراءنا البوابات الحديدية في السجن المركزي ، الذي كان قلعة قوية يستخدمها الاتراك خلال حكم الامبراطورية العثمانية ٠ ثم تحولت الى سجن ٠ وقد أرسل من قبل الكثير من اليهود في هذا الســجن أثناء المقاومة بعد الحرب العالمية الثانية ، ولقي بعضهم مصرعه في غرف الاعدام فيه ٠ ودخلنا الى حجرة قمنا فيها بتسليم متعلقاتنا الشخصية ، ثم نقلنا الى حجرة أخرى انتشرت على أرضيتها بعض البطاطين الممزقة ٠ وجلسنا جميعا متعبين ٠ وقبل أن نغمض عيوننا لننام جاء بعض رجال البوليس وسألونا من منا يتحدث بالانجليزية ٠٠ ولم يكن هناك غيري وزفي بريز ٠ واقتيد زفي أولا الى غرفة التحقيق التي كانت تجاور حجرتنا ، لكي نسمع ما يدور فيها هناك ٠ وسمعنا أصواتا ، ثم صوت صفعات ولكمات ، أعقبتها تأوهات ، ثم عاد الكلام مرة أخرى والصفعات والتأوهات ٠ وأبلغت بأن دوري قد حل ٠ وتوجهت الى الغرفة ٠ كانت أيادي فولاذية تمسك بي ، وبدأت عملية تحطيمي نفسيا ، وأبلغوني كيف يمكن أن يحفروا لي قبرا هنا ٠٠ وتصورت ابنتي وكيف يمكن أن تشب يتيمة ثم تعلم بعد ذلك أن والدها قد شنق كأي مجرم عادي ، وقررت مسرعا أن الامتناع عن الكلام غير مفيد والافضل أن أحدد ما يمكن أن يقال وما لا يمكن أن يقال ٠

وذكرت اسمي وعمري ، وأبلغتهم أننا من رجال الهاجاناه ، ولا بأس في ذلك فهي منظمة معترف بها وكانت تتعاون الى وقت قريب مع السلطات البريطانية ٠٠ وأبلغتهم أننا كنا نقوم بالتدريب ٠ وعندما ســئلت عن الاسماء ونوع السلاح لزمت الصمت ٠ وقال لي المحقق أنني ان لم أذكر هذه المعلومات فلن أعيش طويلا ٠ وحاولوا ضربي بالســياط ، غير أني حذرتهم من أن أي أذى يصيبني أو يصيب أحد زملائي سوف يجعل موقفهم صعبا ، لان زملائي في الخارج لن يسكتوا ، وانه يجب عليهم ألا ينسوا أننا شركاء في الحرب ضد هتلر ، وتوقفت الايدي ، واســتطعت انقاذ

زملائي الذين سئلوا بعدي • وأبلغني زفي أنه تعرض للضرب والركل أثناء التحقيق معه لرفضه الكلام •

واستيقظنا في الصباح على أصوات المفاتيح • وسمح لنا بأن نصعد الى البرج لكي نستنشق الهواء ، وأخذنا نتطلع الى منظر خليج حيفا • وتناولنا افطارنا من الخبـــز والزيتون • وسمح لنا بالاتصال بمحام في حيفا • وفي المساء علمنا أن المجلس اليهودي سوف يناقش المسألة على أعلى مستوى ، واننا لن نبقى في الســـجن طويلا • والى أن يحين موعد تقديمنا الى المحاكمة فقد كانت معاملتنا عادية •• اذ كنا نرتدي ملابسنا العادية ونتلقى الطعام من خارج السجن وسمح لعائلاتنا بالزيارة ، وكنا نقوم بالتدريبات الرياضية في الصباح لكي نحافظ على لياقتنا البدنية • وكنا نلعب الشطرنج والداما بقطع من الخبز • وبعد عدة أيام سمح لنا بقراءة الكتب في مكتبة السجن ، وجاءنا محام من حيفا استمع الى كل التفاصيل ووكلناه عنا في المحاكمة •

وجرى التحقيق معنا مرة أخرى في قسم البحث الجنائي البريطاني • وأبلغونا أن محاكمتنا ستتم أمام محكمة عسكرية بتهمة احراز سلاح بدون ترخيص • وحكم هذه المحكمة نهائي غير قابل للنقض أو الاستئناف • وكنا على ثقة من جهود المجلس اليهودي • وكان كل منا يتطلع الى زيارة عائلته له • واقتادونا في يوم الزيارة الى مكان خارج السجن حيث نظمنا في صف طويل ، وعلى بعد عدة ياردات ، وعلى رصيف مرتفع بعض الشيء كانت تقف عائلاتنا يفصل بيننا حاجز من السلك • وكان مسموحا لكل منا بزائرين فقط ، ولذا ظلت بقية العائلات في خارج السجن وســمح لروث بالدخول وهي تحمل يائيل ذات التسعة أشهر ، وهي ترتدي ثوبا جميلا • وقد بكت يائيل وهي تحاول الوصول الى خلال القضبان • وكان كل ما حدث في هذه الزيارة مدعاة للحسرة ، فقد مضت الدقائق العشر والكل يحاول اســماع صوته للآخرين من خلال الصياح ، وضاع الامر هباء •• ومنذ اللحظات الاولى لهذه الدقائق العشر كنا نسمع الحراس العرب يطلقون صيحات (يالله •• يالله) ومعناها اسرع اسرع •

وبدأت محـــاكمتنا يوم ٢٥ أكتوبر (تشرين الاول) في أحـــد المعسكرات بالقرب من عكا حيث كنا نجلس على أرائك خشبية ، وأمامنا هيئة المحكمة على منضدة طويلة ، وقوات الحراسة التي قبضت علينا على أرائك أخرى • ووضعت على الارض الاســـلحة التي ضبطت معنا ، كان الادعاء ممثلا بضابط بريطاني برتبة رائد ، وثلاثة قضاة من الضـــباط البريطانيين ، وكان هناك ثلاثة محامين من بينهم والد زوجتي • وكانت التهمة الموجهة الينا جميعا هي احراز ســـلاح بدون ترخيص ، فيما عدا

ابشالوم تاو الذى وجهت اليه تهمة أخرى هى تصويب سلاحه على القوة التى ألقت القبض علينا • وكان الادعاء قائما على حملنا ســــلاحا بدون ترخيص فى ظل قوانين الطوارىء •• وكان الدفاع قائما على أساس أننا مجموعة من الشباب يقومون بالتدريب على السلاح والاستعداد لمحاربة عدونا النازى واننا نجهل القوانين . واستمرت المحاكمة ثلاثة ايام وتحدد يوم ٣٠ أكتوبر (تشرين الاول) موعدا لصدور الحكم • وفى الســـاعة العاشرة من صباح هذا اليوم اقتادونا الى غرفة المحاكمة ، وصدر الحكم بأننا مذنبون وحكم على كل منا بعشر سنوات من السجن •• أما أبشالوم تاو فقد صدر عليه الحكم بالسجن المؤبد •

وهزتنا الصدمة • نحن الثلاثة والاربعين شخصا . بمجرد ســماع الحكم ، وتغيرت أوضاعنا بعد وصولنا الى السجن ، فقد أصبحنا مساجين •• خلعنا ملابسنا وارتدينا ملابس السجن ، وحلقت شعورنا ، ووضعنا فى حجرات ضيقة لها سقف عال ونافذة مســـــدودة بالقضبان تطل على ساحة السجن ، وكان البرنامج اليومى فى السجن يبدأ مع اطلالة الفجر . حيث نستيقظ على صوت الجرس ، ثم نخرج فى طابور تحت الحراسة لمدة عشر دقائق ، ثم الافطار ، ثم نتوجه الى العمـــل • وفى الحادية عشرة نتناول أولى الوجبتين الرئيســيتين ، ثم طابور آخر ، ثم العمـــل حتى الثالثة من بعد الظهر حيث نتوجه لتناول الوجبة الاخيرة ، ثم نوضع فى وزنزاناتنا حتى صباح اليوم التالى •

وكان علينا أن ننظم أنفسنا • فانتخبنا لجنة من ثلاثة من بين الرجال الثلاثة والاربعين ، كنت واحدا منهم ، وأوكلت الى مسئولية الاتصـــــال بادارة السجن وبالسلطات اليهودية خارج الســجن ، أما الاثنان الآخران فقد كانت مسئوليتهما تنظيم الانشطة والترتيبات داخل زنزانات السجن التى تضم رجالنا • وتقدمت بعدة مطالب لمأمور السجن وافق على بعضها ، وكان أهمها اختصار وقت العمل بالنسبة الينا الى النصف لاســتغلال النصف الآخر فى تحصيل العلم ، أما بقية المطالب فقد كانت السماح لنا باستعمال أدوات الكتابة واحضار الكتب من الخارج والسماح بالاضاءة فى زنزاناتنا حتى الثامنة مساء • وبهذا أصبحنا قادرين على تعلم اللغة الانجليزية والعربية والكيمياء ، وكان مدرسونا هم زملاؤنا الذين كانوا من قبل يدرسون هذه المواد • كذلك فقد قمنا بتطوير برنامج التدريب الخـــاص بالهاجاناه • وكنا عندما تطفأ الانوار نجتمع حول المصــباح (الكلوب) الذى سمح لنا باحضاره ، ونستمر فى الدراسة حتى تنطلق الصفارة الاخيرة الخاصة باطفاء كل الاضواء •

واستطعنا تهريب ملابس داخلية وبطاطين وأغذية وخطابات من الخارج ، فقد كان مسموحا لنا بكتابة الخطابات مرة كل شهر فقط وكانت الزيارة مرة كل شهرين · كان القلق مسيطرا على عائلاتنا ، لكنهم كانوا بلا حول ولا قوة · وكان القلق متبادلا · هم قلقون علينا ونحن قلقون لقلقهم · كان هذا هو نفس حال عائلتى ، وكنت أشعر بتلك الحالة من خلال خطاباتهم ومن نظرات أعينهم عندما يحضرون لزيارتى · وكنت أقول لهم فى خطاباتى أن السجن ليس نهاية العالم ، وما هو الا فترة نقضيها ثم نخرج لنغسل وينتهى الامر · أما هم فكانوا يرون فى السجن مأساة حقيقة يعيشون على أحزانها · اما بالنسبة لابوى فقد كان السجن هو ذلك الشيء الذى قرأوا عنه فى كتابات ديستويفسكى ، وما سمعوه ممن سجنهم الاتراك خلال الحرب العالمية الاولى ، عندما كانت فلسطين جزءا من الامبراطورية العثمانية المتحالفة مع المانيا · أما من ناحيتى أنا فقد كنت أنظر الى السجن على انه جزء من نضالنا من أجل بناء اسرائيل على الرغم من أن الاقامة فى مثل هذا المكان لم تكن شيئا طيبا ·· لكنها كانت على الاقل أفضل حالا من سيبيريا · لكننى كنت أشعر بالاسف لاننا دخلنا السجن لمجرد سوء الحظ ، وليس لاننا قمنا بعملية من أجل وطننا القومى أما السبب الذى كان أيضا مدعاة لاسفنا جميعاً فهو اننا كنا مسجونين فى الوقت الذى تدور فيه الحرب وكنا جميعا نتحرق شوقا الى أن يأخذ كل منا مكانه فيها ·

وفى نهاية شهر نوفمبر (تشرين الثانى) تم التصديق على الحكم مع تخفيض المدة المحكوم بها علينا من عشر سنوات الى خمس سنوات · وقمنا بالاضراب عن الطعام لمدة يوم احتجاجا على عدم الافراج عنا نهائيا · ووزعت الهاجاناه منشورات ضد الحكم مطالبة بالافراج عنا نهائيا · ثم نقلنا بعد شهر الى زنزانات أخرى ، وقسمونا الى أربع مجموعات · ومن حسن الحظ أن المكان الجديد كان يتميز بالاضاءة القوية فى الممرات ، الامر الذى ساعدنا على الاستذكار حتى وقت متأخر من الليل ·

وفى أول زيارة بعد المحاكمة ، طلبت زوجتى روث من الكابتن جرانت قائد الحراس أن يسمح لى بالاقتراب من ابنتى يائيل التى كانت قد احتفلت بعيد ميلادها الاول ، ولكن الكابتن جرانت دفعها ونهرها · وقد خلف ذلك عندى احساسا مريرا بالحقد ، كما ترك لدى روث شعورا بالرعب والكراهية · وكتبت لروث بعد ذلك أصف لها مشاعرى تجاه جرانت وكيف أنه يشبع ميوله السادية برفض مطالبنا ، وأخبرتها أنه لا يمر يوم دون أن يدخل السجن مزيد من اليهود من بينهم الكثير من منظمة ارجون زفاى ليومى ، كما كان الكثير من العرب أيضا يدخلون

السجن ، وان عنبر الاعدام كان يضم أربعة مســـاجين ينتظرون تنفيذ الحكم ، وان العالم ملىء بالرعب والفزع فى كل مكان ٠٠ فى بولندا ٠ وفى ألمانيا وروســـيا وفى نهاية خطابى تمنيت لطفلتى حينما تكبر أن تعيش حياة أفضل فى عالم مختلف عن هذا العالم ٠

وكنا نعمل فى مزرعة الخضروات ٠ وكان حارسنا سمحا ومتعاهما معنا ، فكنا نستخدم هذه المزرعة فى اخفاء علب المأكولات المحفوظة التى كنا نقوم بتهريبها من الخارج ٠ وذات يوم ألقيت بفأسى على الارض باهمال فانكشف موقع الكنز وظهرت ثلاث علب من اللحم المحفوظ (البولوبيف) واستدعيت أمام جرانت حيث كان نصيبى يومين فى الحبس الانفرادى ٠ ونظم زملائى مع أحد الجاويشية موضوع ارسال الطعام لى اذ كان طعام المحبوس انفراديا يتكون من خبـــز وماء فقط ٠ وكانت زنزانة الحبس الانفرادى صغيره ـ مظلمة ـ وباردة ٠٠ وكل مســـاء كانوا يصرفون لى بطانية خفيفـة ووســـادة ٠ وفى الليل سمعت صوتا خافتا يغنى تلك الاغنية المقدســـة التى يغنيها يهود الجليل من أبناء مدينة صغيرة ٠٠ وأدركت أن السجين اليهودى المجاور لى كان يرتل صلوات ليلة السبت ٠ ورددت حوائط السجن ابتهالات اليهودى الصندى الى السماء واعترانى شعور غريب قضى على كل احساس آخر بالظلمة والبرودة والوحدة ، لقد سيطر على وجدانى الاحساس بيوم السبت ـ السبت اليهودى ٠

وفى احدى الزيارات أبلغنا روف هوس ، وهو أحد رجال القســـم السياسى فى الوكالة اليهودية وأحد قادة الهاجاناه ، بأننا سننتقل الى معتقل شمالى سجن عكا ، حيث الظروف أفضل بكثير وحيث الســـماح بالزيارة أكثر ٠ وقد رحبنا بهذا الانتقال والامل يحدونا فى أن يواصل المجلس القومى اليهودى جهوده من أجل الافراج عنا ٠

وكان أخى زوريك وأختى أفيفا يتوليـــان رعاية المزرعة ، وانتقلت روث ويائيل الى القدس حيث أقامتـــا مع والد روث ٠ وكان أبى يكتب الينا كل أسبوع عرضا للمسرح السياسى علمنا منه أن شبح الحرب بدأ يقترب من البلاد ، وهو ما سمعناه من المساجين الجدد من أفراد الهاجاناه المحبوسين بتهمة احراز سلاح بدون ترخيص ٠

وبات واضحا أن السلطات البريطانية مصممة على تحطيم الهاجاناه على الرغم من علمهـــا بأنهـا منظمة للدفاع عن اليهـــود ٠ وكان من بين المسجونين الذين جىء بهم حديثا أحد عشر شخصا من مستعمرة جينوسار شمالى الجليل ، كانوا قد سارعوا الى نجدة بعض زملائهم الذين كانوا قد

تعرضوا فى الحقول لهجوم مفاجىء من العرب ، وبعد انتهاء المعركة جاءت وحـــدة من قوات الامن البريطانيه فوجدت المدافعين لا يزالون حاملين اسلحتهم ، ولم تقبل أعذارهم ، وجىء بهم الى سجن عكا • ومن بين الذين جىء بهم أيضا أربعة وثلاثون شخصا من منظمة أرجون زفاى ليومى ، وهو الجناح اليمينى الذى يعمل فى السر ، والتقيت بهم واتفقنا على التمثيل المشترك فى مواجهة سلطات السجن ، وحصلوا بالفعل على نفس الميزات التى كنا نتمتع بها •

وكان هناك أيضا مئات من العرب من منظمة القسامبين وكانت العلاقات بيننا ودية وعلى أساس من الاحترام المتبادل، اذ كان يجمع بيننا قاسم مشترك واحد وهو أننا لسنا مجرمين عاديين ، بل كان كل منا يدافع عن أفكاره القومية ويضحى بحريته وحياته من أجل شعبه • وكانوا يدعوننا فى أعيادهم الاسلامية وكنا ندعوهم الى أعيادنا اليهودية •

والتقيت خلال اقامتى بعبد الســـالم الذى كان يعزف فى حفـل زفافى • وحضرت اعدام الكثيرين من العـــرب ، وكان الحزن والرعب يجثمان على السجن فى أعقاب أى عملية اعدام ، وكان هناك بعض الحراس من البريطانيين من بينهم من يحسن معاملتنا ، ومنهم من كانوا يعاملوننا بفحه •• وكان كابتن جرانت هو أكثرهم وقاحة • لكنه كان يخشى على أية حال من أن يذهب معنا بعيدا فى وقاحته اذ أنه كان يتوجس من أن يقوم القادة اليهود بتقديم شكوى ضده الى المفوض السامى البريطانى •• كذلك فقد كان يخشى تنظيمنا ووحدتنا داخل السجن •

وفى شهر فبراير (شباط) ١٩٤٠ نقلنا الى معتقل المزرعة بعـد خمسة شهور من وجودنا فى سجن عكا ، وبعد مفاوضات طويلة • وتقل معنا بقية المســاجين من اليهود ، وهناك التقيت بكثير من العــرب من المسجونين السياسيين • وكانت الظروف فى هذا المعتقل أفضل بكثير ، وكنا نعمل فى محطة الزراعة القريبة من المعتقل ، وكان مســـموحا لنا بزيارات عائلية متعددة • وبرغم ذلك فقد بدأ صبرنا ينفذ ، وكنا نقضى أوقاتنا فى العمل والاستذكار ، لكننا كنا نشعر بأننا نحيا حياة فارغة • نعيش فيها عبر الماضى دون أن نساهم فى خلق المستقبل • وكنا نشـغل أنفسنا بالقضايا التافهة كجودة الطعام وما الى ذلك •• وبالطبع بدأنا ننتقد تقاعس السلطات اليهودية عن السعى للافراج عنا •• غير مدركين لاهمية العمل الذى يقوم به القادة اليهود فى حل مشاكل قيام الدولة ،

والاسراع بتنفيذ الحلم الصهيونى فى تحويل الوطن القومى اليهودى الواقع تحت الانتداب البريطانى الى دولة يهودية مستقلة ٠

كانت زيارات العائلة متعددة ، وقد سمح لنا باللقاء فى حجرة ، واصبحنا نلتقى ونحن نشعر بآدميتنا ، وكثيرا ما كنا نستقبل خلسة زيارات عديدة أثناء عملنا فى الحقول ٠ وكان روف هوس يحضر الينا كثيرا ليحيطنا علما بما يحدث فى الخارج ٠

واحتفلنا فى الربيع بعيد الغفران لليهود ، فجاءت سيارة نقل محملة بالاطعمة والنبيذ ، وحضر الينا ابراهام هارزفلد الاب الروحى لحركة المستعمرات حيث أقام شعائر الاحتفال بهذا العيد ٠ وغنينا ورقصنا ٠ وكانت عائلاتنا خلال أيام العيد السبعة تحضر الينا باستمرار ٠

وجاءنا قائد الهاجاناه ليبلغنا بالخطة الجديدة لتأسيس قوة يهودية جديدة تحارب مع الجيش البريطانى ٠ وعلقنا الآمال على أن يعجل هذا باطلاق سراحنا ، اذ كان من الطبيعى أن يرحب الجيش البريطانى بالمزيد من المتطوعين ، وكان الحلفاء يعانون من المتاعب فى أوروبا ، وأخذ النازيون يحتلون الدولة عقب الاخرى ٠ وكنا نتوقع أن يتم الافراج عنا فى ٦ يونيو (حزيران) بمناسبة عيد ميلاد ملك إنجلترا ، لكن يوم ٦ يونيو (حزيران) مر دون أن يحدث أى شىء ٠ وكانت فرنسا قد سقطت ، وانسحبت القوات البريطانية الى انجلترا ، وتم الاستعداد للحرب فى فلسطين وظللنا نحن فى السجن ٠

رحل الخريف ، وكان معنى ذلك انقضاء عام ونحن مازلنا فى السجن . نمارس حياة لا معنى لها ، بينما تتساقط دول أوروبا الواحده بعد الاخرى فى يد النازى ، واليهود يذبحون ، والحرب تدق أبواب البلاد ٠ وعلى عكس احتفالنا بعيد الغفران ، فقد احتفلنا بعيد الشموع فى شهر ديسمبر (كانون الاول) والحزن يملأ نفوسنا ٠ كنا نحتفل فى هذا العيد بالمكابيين الذين حرروا القدس فى القرن الثانى قبل الميلاد من الوثنيين ٠ وكنا قد احتفلنا بهذا العيد فى العام السابق على أمل أن نوقد الشموع فى هذا العام فى بيوتنا ، لكن الامل بدا بعيدا ٠ ومما زاد فى حزننا أن دوق هوس قتل فى حادث سيارة أثر زيارة قام بها لنا ٠ ولانه كان أكثر المدافعين عنا وعن مصالحنا ، فقد خيم الحزن علينا جميعا

وفى يناير (كانون الثانى) ١٩٤١ بدأت الاشاعات والانباء تصل الينا عن تبدل موقف السلطات البريطانية من المجتمعات اليهودية فى

فلسطين ، وعلمنا أن الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية قد نجحتا في جعل السلطات البريطانية توافق على انشاء قوة يهودية خاصة من يهود فلسطين تنضم للجيش البريطانى • ورحب بذلك أيضا القائد البريطانى لمنطقة الشرق الاوسط ووزير المستعمرات • وقررنا الاضراب عن الطعام ابتداء من أول مارس (آذار) • غير أننا أبلغنا فى ١٩ فبراير (شباط) ١٩٤١ أنه قد تقرر الافراج عنا فى صباح اليوم التالى • ولم نصدق لفرط فرحتنا • ولكننا فى الصباح تسلمنا ملابسنا المدنية ، وفتحت البوابات وخرجنا •• وأصبح السجن وراء ظهورنا •



لقطات من حيـــاته

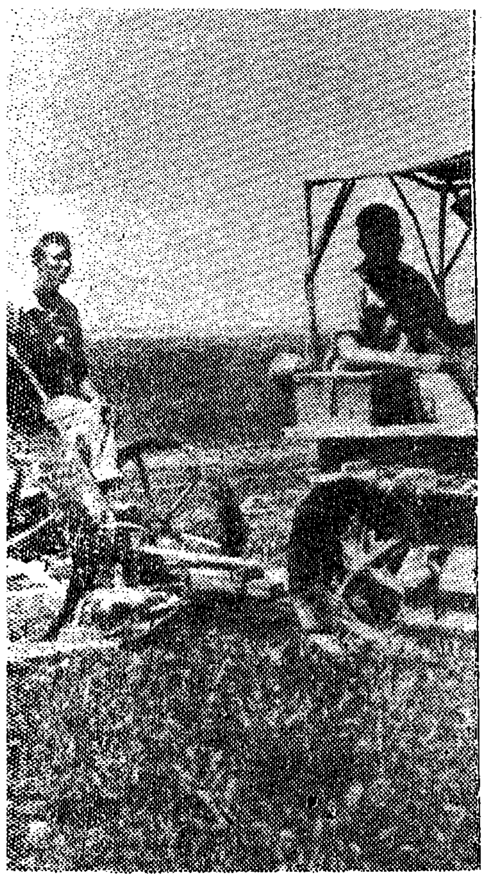
من ملف الصور الذى عرض فيـه موشى ديان لقطات مختلفة لمراحل حياته وتمثـل صـورة واقعية لحيـاة واحد من المواطنين الاسرائيليين والتفاعلات المتعـددة التى مرت بهم للتحرش بالمواطنين الاصليين والاستيلاء على اراضى العرب ثم بدأت الميول العدوانية بالهجوم على الدول العربية المجاورة والاصرار على الاستيلاء على الاراضى المغتصبـة تحت اسم امن اسرائيل وحماية حدودها ..وجاءت حرب أكتوبر ١٩٧٣ وقلبت هـذه الاساطير الاسرائيلية المزعومة وانهزمت اسرائيـل من الحدود الامنة فى حين انتصرت بدون الحدود الامنة ..

والصورة العليا لعائلته قبـل هجرتها من روسيا عام ١٩١٠ ، ويرى والده وجده وبعض الاقارب من الدرجة الاولى ..

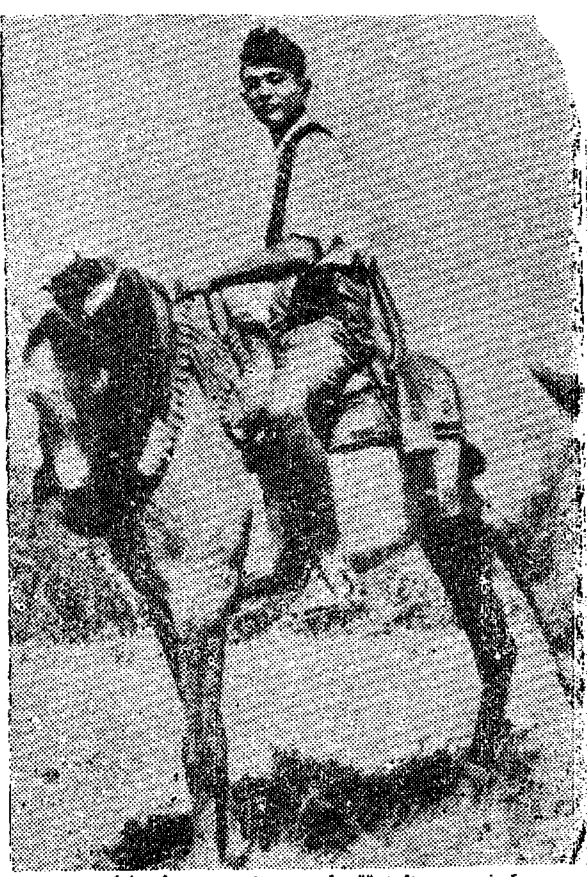
أما الصورة الجانبية فهى لموشى وهو فى الخامسة من عمره مع والده ووالدته ..



● صورة موشى ديان مع عبد الله التــل وذلك أثناء قيامه برياسة قطاع القدس .



ثم اشتغل فى الزراعة
وفى الصورة وهو يقود جرارا زراعيا ..



بدأ فى سن المراهقة التدرب على حرب العصابات
وركوب الجياد واستخدام السلاح .



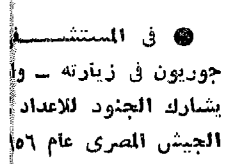
صورة أوشى ديان فى ادغال فيتنام يحارب الوطنيين جنبا الى جنب مع الاستعمار العالمى مما يؤكد ان هناك وحدة بين العنصرية الصهيونية والاستعمار العالمى فكلاهما يهدف الى مواجهة حركات التحرر ونصرة الشعوب سواء أكانت تلك الحركات فى اسيا أم افريقيا ـ والصورة لموشى ديان عام ١٩٦٦ وهو يحارب مع القوات الامريكية .

ديان وزير الدفاع فى حديث مع رئيس الوزراء ليفى اشكول .. وأسفل يراقب القوات المصرية عند القنال ..

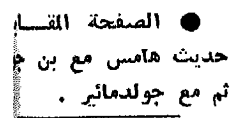


عام ١٩٣٧ انضمت كتيبة اسرائيلية للقوات البريطانية

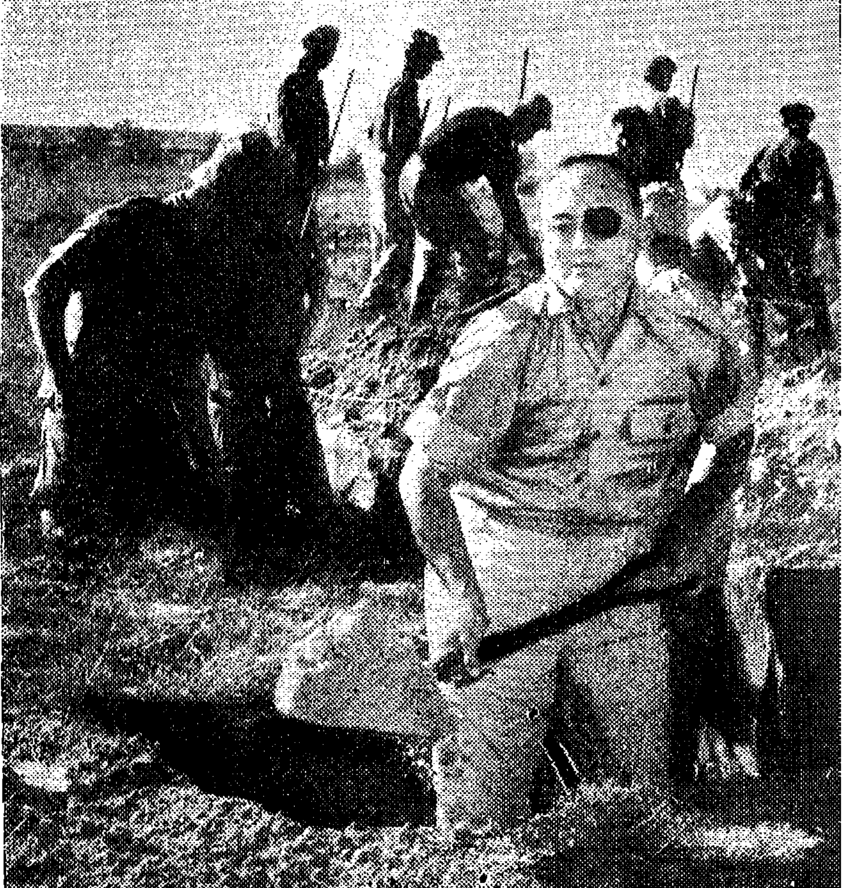
عام ١٩٣٩ فى السجن بعد انضمامه للعصابات الارهابية .



● فى المستشـــف
جوريون فى زيارته ـ وا
يشارك الجنود للاعداد
الجيش المصرى عام ٥٦



● الصفحة المقـا
حديث هامس مع بن ج
ثم مع جولدمائير .







● لقد انتهت القصة بالحسرة والنـــدم والوقوف أمام غضب الشعب ...

٤ عودة إلى ميدان القتال

بدأت أتمتع بحريتى بعد خروجى من السجن ، وتأكدت بالفعل من ان الحرية هى هواء الروح الذى يمنحها الحياة • كانت عكا تبعد قرابة عشرين ميلا عن مستعمرة ناحلال التى أستغرقت رحلة العودة اليهـــا عاما ونصف العام من حياتى ، من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٩ حتى فبراير (شـــباط) ١٩٤١ • وعندما عدت الى مزرعة والدى شرعت فى العمل فى مزرعة العجول والدواجن • وكنت عندما ينتهى الموسم ، أعمل كأجير فى المزارع المجاورة • وكان أحب الاوقات لدى هو وقت الفراغ الذى كنت أقضيه فى اللعب مع يائيل أحب من فى الوجود بالنسبة لى • أما فى الليل فقد كنت أؤدى واجبات الحراسة •

وكان الموقف فى الحرب العالمية يميل لصالح النازى ، فبينما كان روميل يتقدم بجيوشه نحو الحدود المصرية ، كانت الجبهه الشـــمالية بالنسبة لنا ، وهى ســـوريا ولبنان ، تحت الاحتلال الفرنسى أى تحت سيطرة حكومة فيشى المتعاونة مع النازى • وفى ضوء هذا الموقف الخطر حددت الادارة البريطانية فى فلسطين قبولها للعرض الذى تقدمت به الوكالة اليهودية لانشـــاء القوة اليهودية داخل الجيش البريطانى •• وبذا توثق التعاون من جديد بين السلطات البريطانية والهاجاناه • وكانت

النتيجة أن استغلت الهاجاناه الفرصة وقامت بتوسيع قواتها ودعمها من أجل حماية اليهود من أى هجوم عربى · وتم تعيين اسحق ساديه ـ أحد قيادات الهاجاناه ـ قائدا لتلك الوحـــــدة اليهودية الجديدة فى الجيش البريطانى ·· وعينت أنا ويجال ألون قادة مجموعات ·· وكلفنا بواجب فورى هو جمع المتطوعين · وفى أوائل مايو (آيار) استدعانى اســحق ساديه أنا وزفى سيكتور · وأعطانا الاوامر الخاصة بتعبئة القوة اليهودية وتدريبها ، لكنه لم يوضح لى نوعية العمليات التى ستشـــارك فيها هذه القوة · وكان الامر الوحيد الواضح لى هو أن اقامتى مع عائلتى قد انتهت واننى سأبدأ العمل العسكرى من جديد · وعلمنا فيما بعد أن قواتنا سوف تشترك مع قوات الحلفاء فى غزو سوريا كخطة لحماية شمال البلاد · وكان متوقعا أن تكون هذه القوات دليلا لقوات الحلفاء نظرا لدرايتهـــا بطبيعة الارض ·

ولم تشارك وحدتى فى العملية الاولى التى كانت تستهدف نســف مستودعات البترول فى ميناء طرابلس لمنع امدادات الجيش النازى من البترول ، وخاصة طائراته التى كانت تستخدم احدى القواعد الشـمالية السورية · وتم تشكيل قوة من ٢٣ متطوعا بقيادة زفى سيكتور ، أبحرت من ميناء حيفا فى منتصف ليلة ١٨ مايو (آيار) على متن اللنش أســد البحر ، مزودين بثلاثة قوارب مطاطية للانزال · وكان برفقتهم فى نفس الوقت المقدم أنتونى بالمر ·· من فرع عمليات الجيش البريطانى · ولم يتحقق الهدف من العملية ، لان القوة لم تصل الى طرابلس ولم تعد مرة أخرى · ولم يزل ما حدث لافرادها أمرا غامضا حتى الآن · واستنتجنا أن يكون أمرهم قد انكشف بعد أن قامت الطائرات البريطانية بقصـــف طرابلس ، مما نبه العدو الى هذه القوة فأغرقها · وما زلت أذكر جلوسنا طويلا أمام البحر فوق سطح أعلى بنايات حيفا بالنظارات المكبرة نترقب عودة القوة والقلق الغامر يعترينا · وقد تأثرنا جميعا بما حدث لهــذه القوة ، خاصة وانها كانت أول عملية تشارك فيها القوة اليهودية ·

وكنت أنا بالذات أكثر تأثرا ، اذ أننى كنت قد التقيت مع زفى قبل قيامه بهذه العملية ، وعلمت منه أن ساقه قد أصيبت فى حادث سيارة الامر الذى قد يعجل بغرقه فيما لو حدث للقـــارب أى سوء · وكانت الهواجس تراوده حول احتمال فشل العملية ، خاصة وانه تولى قيـــادة العملية بعد أن اعتذر القائد الذى كان معينا لها ·

واستدعيت بعد ذلك بعدة أيام من قبل قائد القوات ، وتســلمت تعليمات بخصوص وحدتى التى ما زالت قيد التكوين · وكانت التعليمات

الاولية تقضى بأن تكون وحدتى جزءا من القوة الاسترالية التى ستكون مقدمة لغزو الحلفاء لسوريا • وكانت مهمتنا هى القيام بدوريات استطلاعية لاكتشاف تحصينات العدو ومدى امكانية استخدام السيارات فى العبور الى الجبهة الشمالية وخاصة بعد أن قامت حكومة فيشى بقطع خطوط المواصلات وتدمير الطرق • وستكون مهمتنا فى ليلة الغزو عبور الحدود واحتلال نقاط المراقبة والجسور والطرق المؤدية الى بيروت • وكان على أن أعثر خلال فترة وجيزة على رجال مدربين أكفاء لهذه العملية • وكان ساديه قد أعطانى أسماء ثلاثين رجلا من المستعمرات يصلحون لهذه المهمة ، ومعظمهم ممن يقيمون فى المستعمرات المجاورة ، ولذا فقد تحتم على أن آمر على هذه المستعمرات جميعا لتجنيدهم ، كما تعين على أيضا أن أخطر مستعمرة هانيتا التى تقع على الحدود بأمر هذه المهمة للتأهب واعداد قاعدة لهؤلاء الرجال ، وفى الليلة التالية ، كان الثلاثون رجلا موجودين فى القاعدة وكلهم من الشباب غير المدربين على الاسلحة ولم يكن بينهم من يتكلم اللغة العربية سوى واحد ، كما لم يكن بينهم سوى واحد يعرف قيادة السيارات فى حين كان واجبنا الاول هو اكتشاف طرق ممهدة لعبور السيارات •

كانت أهمية نجاحنا فى العملية ضرورة ملحة من أجل زيادة الوجود اليهودى مع الحلفاء فى محاربة هتلر • وكانت السلطات البريطانية ترى فى بداية الامر أن تخفف من قبول المتطوعين اليهود فى مختلف الوحدات خوفا من أن يتجه العرب الى التعاون مع النازى • ولم تتشكل القوات اليهودية الخاصة الا فى عام ١٩٤٤ عندما تم تشكيل اللواء اليهودى وكانت السلطات البريطانية تولى أهمية خاصة للقيمة التى يسفر عنها اشتراكنا ، وكنا نحن أيضا نعلق الآمال فى أن يعطينا نجاحنا فى هذه العملية الفرصة للاشتراك فى عمليات أكبر ، ويمنحنا الحق فى أن نزيد قواتنا وأن نحصل على أسلحة كثيرة • ورغم أننا كنا ثلاثين رجلا فان السلطات البريطانية لم تصدر لنا سوى عشرة تصاريح وصرفت لنا تسعة مسدسات فقط مع طلقات من قياس مختلف عن الاسلحة •

وتغلبنا على مشكلة التسليح بالاستعانة بترسانة الهاجاناه ، وقهرنا مشكلة التدريب بالاستعانة باثنين من ضباط الهاجاناه قاما بتنظيم برنامج للتدريب العنيف والسريع • وبقيت عدة مشاكل ، من بينها أن أحدا منا لم يكن يعرف الارض السورية التى كان من المفروض أن تكون وحدتنا هى المقدمة التى ترشد قوات الغزو اليها ، هذا بالاضافة الى أننا لم نكن مزودين بخرائط تفصيلية • وجاء لانقاذنا من هذه المشاكل يوسف فاين (والد موردخاى هود قائد الطيران الاسرائيلى فيما بعد) ، وكان يقيم

لفترة طويلة فى المنطقة السورية المتاخمة للحدود ويعرف بدقة كل دروبها وله أصدقاء كثيرون من العرب • وتمكنا بواسطة يوسف من تجنيد اثنين من العرب لقيادة وحداتنا الاستطلاعية حتى الحدود • وقسمت رجالى الى مجموعتين قاد أحدها يوسف •

كانت عمليات الاسطلاع تتم ليلا ، اذ تبدأ الدوريات منذ الغروب وتعود قبل الفجر • وكانت الدوريات ترتدى الملابس العربية • وقررت أن أنزل احدى عمليات الاستطلاع بنفسى ، وصاحبنى فى هذه الرحلة دليل شركسى ، وخوفا من أن يضللنى هذا الدليل فقد تم احتجاز عائلته فى أحد فنادق حيفا ، وعرف الشركسى أنه فى حالة حدوث أى شىء لى فان ذلك يعنى أن عائلته قد انتهت • وحاولنا خلال هذه الدورية أن نتجنب مقابلة أى شخص ، غير أننا صادفنا بعض المهربين الذين حاولوا خداعنا ، كما حاولنا نحن خداعهم ، وتبادلنا التحية بالعربية ، وافترق كل منا فى سبيله • وكان الليل باردا ، غير أن السير فى ممرات الجبال كان لطيفا • وقد عرفت كل الطرق الصالحة للسيارات وكل الممرات ، وعدنا فى الصباح الى هانيتا • واستمرت داورياتنا الاستطلاعية لمدة أسبوع ، واكتشفنا عدة ممرات تصلح لسير العربات وطرقا للاخلاء •

وتحددت ليلة الغزو فى ليل السبت ٧ يونيو (حزيران) • وكان على أن أتوجه الى القيادة فى حيفا لاخذ التعليمات الاخيرة • ولكنى توجهت قبل ذلك الى ناحلال لاصطحاب روث التى فضلت أن تنتظر عودتى من العملية فى هانيتا • واصطحبت معى كذلك زالمان مارت ، وهو أحد رجال الهاجاناه المدربين ، بعد أن وافق على مرافقتى فى هذه العملية • وأثناء عودتى الى نهاريا استوقفنى أحد رجال الهاجاناه ومعه أحد القادة البريطانيين عند ناحلال ، وأبلغانى أن هناك تعليمات جديدة خاصة بالغزو حيث اكتشف البريطانيون طرقا جديدة لسير السيارات غير تلك التى استكشفناها ، وان الامر يحتاج الى استكشاف ليلى لهذه الطرق بواسطتنا • وتركت روث فى نهاريا وعدت أنا ومارت الى حيفا حيث عثرت بعد بحث على اسحق الدرزى ، وهو من أحسن المرشدين ، وذلك لكى يصحبنا فى دورية سريعة ، واتجهنا نحو الحدود • وهناك التقينا بسائق احدى سيارات الخبز فطلبنا اليه أن يبقى فى انتظارنا ، فاذا لم نعد حتى الصباح فان عليه أن يذهب الى هانيتا ويخبر رجالى بأن يقوموا بالعمل بدونى وينموا المهمة • وعندما حل الظلام تسللت أنا ومارت واسحق الدرزى عبر الحدود ، واستطعنا فى الساعات التالية أن نغطى المنطقة بأكملها واكتشاف كل شىء فيها ، كما اكتشفنا نقاط مراقبة العدو وحالة الاستعداد فى قواعد المنطقة ، وعدنا مرة أخرى قبل الفجر •

واتصلت فورا بقيادة الهاجاناه فى حيفا لتقديم تقريرى ، واستمع لى اسحق ساديه بهدوء واهتمام ، وأبلغنى أن اليوم هو السبت ٧ يونيو (حزيران) وان ساعة الصفر فى الليل • وكان واضحا بجلاء أن الوقت متأخر للغاية لتغيير خطة الغزو • وكان يشك فى امكانية العثور على أى ضابط مسئول فى قيادة الحلفاء لابلاغه بهذا التغيير • وكان من الصعب تغيير التعليمات الصادرة لمختلف الوحدات التى ستشارك فى الغزو اذ أن كل الترتيبات قد اتخذت • وأبلغنى أن أفعل ما أراه ملائما بالتنسيق مع قائد القوة الاسترالية التى تعمل معنا • ووصل الاستراليون الى حيفا ، وجلست بعد ظهر يوم السبت مع اثنين من الضباط لمراجعة الخطة الخاصة باحتلال جسر الاسكندرونه واحتلال الطريق الرئيسى والمحافظة عليهما لحين وصول قوات الغزو •

وخصصنا لهذه المهمة فصيلة تتكون من خمسة من رجالنا ، وعشرة من الاستراليين ، من بينهم ثلاثة ضباط ، ورشيد طاهر المرشد العربى ، وكنا مسلحين ببنادق ومسدسات ورشاشات • وحضر الينا يعقوب دورى • وهو أحد قادة الهاجاناه الرئيسيين (الذى أصبح فيما بعد أول رئيس للاركان فى اسرائيل) وكان بصحبته اسحق ساديه ، حيث شاركانا وليمة العشاء قبل بدء العملية • وبدأ تحركنا فى الساعة التاسعة والنصف مساء • كانت روحنا المعنوية عالية للغاية لاننا بدأنا عملية كنا نرتب لها طوال الفترة الاخيرة ، وسوف يترتب على نجاحها مدى اشتراكنا فى المستقبل فى عمليات مشتركة مع البريطانيين • وكان البدر كاملا مما سهل مهمتنا فى اكتشاف الارض التى نتحرك عليها ، لكنه كان فى الوقت نفسه عاملا على اكتشافنا بسهولة • وبعد تسلق شاق استمر أربعة ساعات وصلنا فوق هدفنا مباشرة • وأخذنا فترة راحة تناولنا فيها بعض الشوكولاته • وراقبنا الجسر بالنظارات المكبرة •• لم تكن عليه أية اضاءة فلم تتح لنا الفرصة لمشاهدة التفاصيل •• ولم نستطع رؤية نقط المراقبة الفرنسية •• لكنه كان علينا أن نستنتج مواقعها • وانقسمنا الى مجموعتين ، وتوجهت فى المقدمة أنا ورشيد والضابط الاسترالى الى الجزء الشمالى فوجدناه بدون حراسة •

وكانت المفاجأة أننا بعد كل تلك الدوريات التى استمرت أسبوعا ، وكل هذا التسلق الشاق ، وجدنا أن مهمتنا تتم بسهولة متناهية دون أن نطلق طلقة واحدة •• اذ لم يكن علينا الا أن نحافظ على الجسر والطريق الى أن تصل قوات الغزو التى كان مقررا أن تصل بعد ساعتين ، أى فى الرابعة صباحا ، ولذا فقد انتحيت جانبا من الطريق ورحت فى النوم ، واستيقظت فى الصباح ، وكانت الشمس قد بزغت ، على أصوات اطلاق

النار وهى تأتى من بعيد .. وكان المنظر حولى يضم قوات الغزو وقد بدت على مرمى البصر . غير أن موقعنا نحن كان صعبا .. اذ كان من السهل مهاجمتنا من أى تل مرتفع . وابلغنى رشيد أن هناك نقطة بوليس على بعد ميل ، ففكرت فى امكانية احتلالها قبل أن نتعرض للهجــــوم .. وعرضت الفكرة على الاستراليين فوافقوا .. وتوجهنا الى النقطة لاحتلالها .

ولم نجد عند وصــولنا قرب المبنى رجال شرطة بل وجـدنا قوات فرنسية عســكرية ، فاحتمينا بأحد مزارع البرتقال المجـاورة ، ولـكن الفرنسيين اكتشـــفوا أمرنا وأخذوا فى اطلاق النار علينا . وحضرت مجموعات فرنسية أخرى على صوت اطلاق النار ، وانضمت لهذه المجموعة وتبين من خلال هذه المعركة أن رشيد ، المرشد العربى ، مقاتل من الدرجة الاولى ، قتل كل من حاول التســلل الى موقعنا محتميا بالاشــجار . ووجدنا ساترا للحماية هو السور المحيط بالمزرعة ، فاحتمينا به وظللنا نطلق النار . وفجأة تغير الموقف بعد أن أطلق علينا أحد الرجال مدفعا رشاشا سريع الطلقات وحاصرنا وراء الســاتر الذى نحتمى به وبدأت ذخيرتنا فى النفــاذ . وطلبت من المجمــوعة تغطية خروجى أنا ومارت لمهاجمة النقطة .. وأخذت أقترب ثم ألقيت قنبلة يدوية لكنهــا انفجرت خارج المبنى . وتسبب الانفجار فى ايقاف عملية اطلاق النار عدة لحظات سمحت لبقية المجموعة بالخروج من خلف الســـاتر ومهاجمة النقطة وألقيت القنبلة الباقية معى ، فدخلت من النافذة وانفجرت فى الداخل . واقتحمنا النقطة وأتممنا احتلالها واستسلم الفرنســيون .. ولم يكن مدفعهم الرشاش قد دمر فسارعنا باحضاره الى سطح النقطة .. وكان من حسن حظنا أن فعلنا ذلك اذ سرعان ماهاجمتنا قوة فرنسية . وكنا قد استولينا على بقية الاسلحة الفرنســية ، ووضعنا الاسرى فى الطابق الاسفل ، وكانت كمية الاسلحة التى غنمناها جيدة للغاية . وقد أفادنا احتلال نقطة البوليس التى كانت تستخدم كمقر للقيــادة . وعلمنا أن القوات الفرنسية الرئيسية قد انتقلت الى الحدود لمقاومة قوات الغزو وان الطرق الرئيسية قد وضعت عليها عوائق لمنع الغزو ونصبت بالقرب منها كمائن لتغطيتها . وكنا نتوقع هجوما من الفرنسيين خاصة اذا لم تكن قوات الغزو قد تمكنت بعد من عبور الحدود ، ولذا فقد كان علينا أن نحاول الاتصال بها . وأخذ مارت دراجة نارية كانت موجــودة خارج النقطة ، واتجه ناحية الحدود آملا أن يمر وســط العوائق التى وضعها الفرنسيون فى الطريق . ولكن النار أطلقت على العجــلات فاضطر الى العودة ثانية ، وكان سعيد الحظ فى أن تمكن من العودة حيا .

ولم يكن أمامنا الا أن ننظم أنفسنا للدفاع لحين وصول قوات الحلفاء وأخذت موقعى خلف المدفع الرشاش الموضوع فوق الســطح . وجاءت

قوة فرنسية أحاطت بالمبنى فأخذت فى اطلاق النار عليها •• وأمسكت بالمنظار المكبر كى أرى الموقف من حـــولى • وما أن تمكنت من تحديد الرؤية ، وعلى حين فجأة أطلقت على رصاصــــة من بندقيـــة • ودخلت الرصاصة الى المنظار حيث حطمت احدى زجاجاته وفجرت الغلاف المعدنى الذى اســـتقر فى قاع عينى اليسرى كما أصيبت فى يدى وفقدت الوعى للحظات • وفى الحال صعد مارت الى الســـطح حيث ضمد عينى ويدى ولف وجهى بكوفية ، وانزلت الى الدور الارضى • ورقدت أفكر فى كيفية توصيل تقرير عما يحدث الآن وأعترف الآن بأن الامر احتـــاج منى قدرا كبيرا من التركيز • واستطعت أن أتبين تطورات المعركة بأذنى ومن واقع طلقات الرصاص التى أسمعها ومن التقارير التى كان مارت يوافينى بها باستمرار ، ولم يكن قد سقط منا قتلى ، وكنت أشعر وكأن مطارق هائلة تدق فوق رأسى باستمرار • وخوفا من أن أفقد كمية كبيرة من الدم فقد اقترح أحد الضباط الاستراليين تسليمى الى الفرنسيين كى أحظى بالعلاج السريع قبل فوات الاوان ، ولكننى رفضت • وكان ســـير القتال جيـــدا لصالحنا ، اذ كان المدفع الرشاش يغطى الساحة الكبيرة فى حين كان مدفع المورتار يغطى الطريق الرئيسى • واستطعنا الاستيلاء على عدة سيارات نقل فرنســـية بمعداتها ، كانت جزءا من قافلة قادمة من بيروت لمقاومة قوات الغزو • ومع أننا كنا محاصرين ولا سبيل أمامنا للهرب ، لكننا فى الوقت نفسه كنا مزودين بأســـلحة كافية ، وجدران عالية محصنة ، ومقاتلين شجعان استطاعوا أن يجعلونا بعيدين عن منال الاعداء •

ووصلتنا مقدمة الغزو المتشـــكلة من القوات الاســـترالية بعد عدة ساعات • ووضعت أنا واثنين من الجنود الاستراليين الجرحى فى سيارة نقل فرنسية من تلك التى استولينا عليها ، ونقلنا الى الجنوب • وأخيرا ، وبعد رحلة شاقة ، وصلنا الى روش هانيكرا حيث كانت كتيبة الخدمات الطبية • وأمر الطبيب البريطانى الذى شاهدنى بسرعة نقلى الى المستشفى • وكان رشيد ومارت يرافقانى خـــلال تلك الرحلة • ونقلت الى حيفا بسيارة اسعاف حيث وصلنا قبل الليل بقليل ، أى بعد اثنى عشرة ساعة من اصابتى • وقد كللت مهمتنا بالنجاح حيث لم تدمر القوات الفرنسية الجسر وتم استخدامه فى الغزو •• صحيح أنهم دمروا طريقا آخر لكنه لم يكن داخلا فى نطاق مهمتنا • وفى غرفة العمليات فى مستشفى حيفا قام الجراح بفحصى وأبدى اعجابه بمارت لانه انتزع شظايا الزجاج من قاع العين الامر الذى أوقف نزيف الدم • وعندما سألت الجراح عن الحالة قال لى أن هناك حقيقتين الاولى أنك فقدت عينك والثانية أنك ستعيش •• أما الامر غير الواضح حتى الآن فهو حالة رأسك التى ترقد فيها كل هذه القطع من الزجاج والمعدن •

٥ الشفاء

كنت أظن فى بداية الامر أننى سوف أعود الى ميدان القتال بسرعة ٠٠ بيد أن الامر أصبح معقدا ٠ اذ نقلت الى القدس حيث أقمت مع أبوى زوجتى روث ، وكنت أتوجه كل يوم الى العيادة الخارجية للمستشفى لاستمرار العلاج ٠ وكنت أعانى من أعراض جانبية مثل الصداع وآلام الجروح فى يدى ورأسى ، وعدم تعودى على استخدام عين واحدة فكانت الحروف تهتز أثناء القراءة ، وكلما صببت لنفسى كأسا من الماء كنت أخطىء الكوب وأسكب الماء على غطاء المائدة ٠ وكان من الصعب التعود على الظلام وكدت أيأس من استرداد لياقتى الحربية ٠ كما كنت دائم التفكير فى مستقبلى ومستقبل عائلتى ، خاصة وأن زوجتى كانت على وشك أن تضع الابن الثانى ايهود ٠

وكان من حسن الحظ أن ريوفين شيلواه ـ وهو أحد أعضاء الدائرة السياسية فى الوكالة اليهودية وهى الجهاز الاعلى لرعاية شئون اليهود فى فلسطين ـ كان مقيما فى نفس المنزل ٠ وذات يوم عرض على العمل معه فى القسم ، وقبلت على الفور اذ كان لى فى ذلك حل لمشكلة تكاليف المعيشة من ناحية ، كما أنه يدخلنى من ناحية أخرى الى ميدان السياسة ، وهو مجال جديد بالنسبة لى ، وكنت قد بدأت أعتاد على حالتى الجديدة

نفسيا وجسديا • وأصبحت أقرأ بسهولة وأميز المسافات بعين واحدة وأقود سيارة وأسير في الظلام •• كنت أتعثر أحيانا لكنني تعودت المحافظة على توازني •

وكان من بين المهام الموكولة الى هذه الدائرة أن تعمل في خدمة قوات الحلفاء ، فقد أصبح التهديد بالغزو النازي حقيقة ، وخاصة بعد تقدم جيوش روميل والانتصارات التي حققها في الصحراء الغربية ، وكانت المهام المناطة بنا هي الحصول على المعلومات اللازمة للحلفاء في حالة الغزو الالماني لفلسطين ، وكان التعاون وثيقا ـ في نفس الوقت ـ بين جهاز المخابرات البريطانية في الشرق الاوسط والوكالة اليهودية والهاجاناه • واتصل البريطانيون بشيلواه وطلبوا منا العمل معهم للحصول على معلومات تتعلق بالنشاط العسكري للاعداء وارسالها الى القيادة البريطانية بالراديو • وأعطوني مفكرة بشأن طريقة الاتصال ، وقدموا لنا بعض الوسائل الحديثة للاتصالات وفي أغسطس (آب) ١٩٤١ وضعت خطة هدفها انشاء مراكز اتصالات في القدس وتل أبيب ومستعمرة ماعوزحاييم في جنوب وادي الاردن ، يدير كلا منها قائد ويعمل فيها فرد للاتصالات اللاسلكية ، مع مجموعة المخابرات ، ووافق البريطانيون على الخطة •

ونظمت دورة تدريبية للاتصالات بالراديو لعشرين رجلا • وكان على رأس المجموعة واحد من رجالنا يدعى ريهوبوام أمير الذي تم اسقاطه فيما بعد وراء خطوط الاعداء في أوربا • وكنت أتنقل فيما بين المراكز لتحديد مواقع العمل والمخابيء السرية ، وتكفلت السلطات البريطانية بدفع التكاليف المادية • وأصبحت أتقاضى راتبي من المخابرات البريطانية ، وقدره خمسة وعشرون جنيها بالاضافة الى ثلاثة جنيهات ايجارا لمنزل لي في القدس كان يستخدم كمركز لتبادل المعلومات •

كان الاسم الرسمي لنا هو العنصر الفلسطيني ، لكنها كانت معروفة باسم مجموعة موشى ديان • وعلى الرغم من أننا كنا نعمل تحت سلطة البريطانيين مباشرة ، فان صلتنا بالهاجاناه ظلت مستمرة • وكان كل أفراد المجموعة من أعضاء الهاجاناه ، وكان من بين الضباط البريطانيين المسئولين عنا منهم الكولونيل ريد من قيادة المخابرات البريطانية للشرق الاوسط ، وضابط آخر يدعى هوبر أبلغني أنه ولد في مصر حيث كان والده يعمل رئيسا للبوليس •• وكان يتحدث اللغة العربية بطلاقة • وكنت دائم التنقل من مكان لآخر أعقد الاجتماعات وأقوم بالتفتيش • وكانت هوايتي المفضلة هي التجول في القدس القديمة ، حيث كنت أسير على طول قمة السور القديم المحيط بها ، وكان كل ما فيها يسحرني سواء

حوائطها القديمة أو أسواقها أو الاماكن المقدسة فيها ، أما القدس الغربية بمبانيها الحديثة فقد كانت غريبة على نفسى ٠

وطرحت فكرة تكوين مجموعة من اليهود العرب واليهـــود الالمان للعمل معنا ، فى حالة وقوع الغزو والاحتلال ولاقت الفكرة قبولا وأرسلت الينا المخابرات البريطانية واحدا من رجالها لاختيار أفراد هذه المجموعة وتدريبهم ، وكان هو الرجل الذى قاد طائرة لورانس خلال الحرب العالمية الاولى ٠

وقمنا بتنفيذ مهام كثيرة ولكن خلف خطوط الاعداء فى أوروبا ، قام بأداء أولاها أربعة من رجالى منهم ريهوبوام أمير ، وبيريز روزنبرج الذى أســـقط فى يوغوســـلافيا فى مايو (آيار) ١٩٤٣ ، حيث قام باجراء الاتصالات اللاسلكية للبعثة البريطانية لدى تيتو ٠

وتم أرسال مجموعة من البالماخ ــ أنشط فروع الهاجاناه ــ للتدريب فى القاهرة ٠ وكانت هناك مهمتان للعناصر التى يتم اســـقاطها خلف خطوط الاعداء ، الاولى مساعدة رجال المقاومة والثانية مساعدة اليهود على الفرار من حكم النازى ٠ وقد نجـــح الكثيرون من هؤلاء المتطوعين فى مهامهم ، بينما ألقى القبض على بعضهم ٠٠ كما حدث بالنسبة لحانازينيس التى ألقى القبض عليها أثناء محاولاتها لعبور الحدود اليوغوسلافية الى المجر لتقديم العون الى المجتمعات اليهودية هناك ، وانزو سيرينى الذى أعدم فى معسكر داخار فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٤٤ ٠ ومن سخرية القدر أن هؤلاء المظليين الذين نجوا من العرب ، لقوا مصرعهم فى عـــام ١٩٥٤ عندما كانوا يحضرون حفلا لاحياء ذكرى زملائهم ، اذ سقطت عليهم طائرة كانت تحمل رسالة من الرئيس فى هذه الذكرى ٠ وكان أحد أبناء سيرينى من بين القتلى ٠

ومع ابتعاد شبح الغزو الالمانى للشرق الاوسط ، انتهى عمل العنصر الفلسطينى ، وعدت الى ناحلال مرة أخرى ٠ وســـمعت ، قبل عودتى الى الشمال ، أن هناك قافلة سيارات بريطانية سوف تسافر الى بغداد لـكى تنقل فرقة هندية وتعود بالفرقة الانجليزية الموجــــودة هناك ٠ وقمت بالاتصال بأحد السائقين فوافق على أن يأخذنى معه كزميل ٠ وعندما علم قادتى فى الهاجاناه بأمر هذا الاتفاق طلبوا منى توصيل ثلاثة طرود من الاسلحة الصغيرة الى تنظيم الهاجاناه فى بغداد ٠

كانت القوة البريطانية معسكرة فى العراق بعد أن قضت على نظام رشيد عالى ، الذى كان مناهضا لبريطانيا ومؤيدا للنازى • وكان العرب خلال عهد رشيد عالى قدهاجموا حى اليهـــود فى بغداد وقتلوا أربعمائة يهودى ، ولذا أنشىء للهاجاناه فرع هنـــاك ، أنيطت به مهمتان أولاهما تنظيم الدفاع عن اليهود ضد أية هجمات واتخاذ الاجراءات اللازمة لتهريب اليهود العراقيين سرا الى فلسطين • وعندما وصلنا الى أحد المعسكرات البريطانية التى تبعد عشرين ميلا خارج بغداد ، صـدرت الينا التعليمات بعدم دخول بغداد خوفا على حياتنا • لكننى استطعت دخولها خلسة بعد ان هربت من المعســكر قبل الفجر بقليل حافى القدمين مرتديا سروالى وملابسى الداخلية •• ووصلت الى العاصمة بعد أن اندسست وســط قافلة حمير متوجهة الى أسواق بغداد وتظاهرت بأننى واحد من الرعاة • ولم يفطن الى أمرى أحد فى نقطة التفتيش عند الجسر •

وكانت مشكلتى هى الاتصـــال بمندوب الهاجاناه انزو سيرينى • الذى يقيم فى فندق أمية • ووافق البواب ، بعد أن منحته بقشيشا ، على أن نجرى اتصالا به فى حجرته – ونزل الى فى الشـــارع – وعن طريق المزيد من البقشيش سمح لى بالصـــعود معه • وبعد أن أبدلت ملابسى اتفقنا على أن نزور الحى اليهودى فى المساء وأخذ انزو يشرح لى معـــالم بغداد وآثارها ، ولم أكن آنئذ – للاسف – مهتما بالآثار • وقد أصابتنى بغداد بصدمة بالغة ، صحيح أننى لم أكن أتوقع أن أشـاهد فيها ملامح هارون الرشيد ، لكننى لم أجد على الاقل أســـواقا تشـــبه أســـواق دمشق ، وانما وجدت جوا ومبان كئيبة •

وفى الحى اليهودى التقيت بالاعضاء النشـــطين فى الهاجاناه والراغبين فى الهجرة الى فلسطين الذين طلبوا منى تهريب شابين بولنديين كانا قد وصلا الى بغداد ، ووافقت • وعدت فى الليل الى المعسكر ، ثم التقينا عند الفجر فسلمتهم الاسلحة واستلمت الشابين وألبستهما الملابس العســكرية البريطانية •

وبعد عودتى الى ناحال ، قضيت العامين التاليين مع عائلتى فى كوخ بمزرعة والدى • وكنا نتحرق شوقا الى انشـــاء مزرعة خاصة بنا • وأصبحت أعتقد ، أن مستقبلى قد يكون للمرة الثانية كواحد من أعضاء مستعمرة ناحلال التعاونية • وماكدنا ننتهى من المفاوضات الخاصة بانشاء المزرعة ، حتى جاءنى الياهو جولومب أحــد قادة الهاجاناه وطلب منى الذهاب الى تل أبيب للتفاوض حول تعيينى ضابطا فى الهاجاناه ووافقت

يعد هناك داع للتعاون معهم بعد انتهاء الحرب • وخلال أحد الاجتماعات الداخلية للوفد أدليت بوجهة نظرى المؤيدة لرأى بن جوريون وخاصة ما يتعلق منها بوجهة نظرى ، وكنت فى غاية السعادة لتأييد الهجرة والاستيطان ، وكم سعدت بتأييد بن جوريون لى •

وعقب انتهاء المؤتمر توجهنا الى باريس لكى أعرض نفسى على أحد الجراحين لعمل عين صناعية لى بدلا من العصابة السوداء على عينى •

واعتزم الطبيب أن يزرع عظمة فى عينى يمكنها أن تحمل عينا صناعية • ولقد كنت على استعداد تام لان أفعل أى شيء وأن أتحمل أى ألم فى سبيل أن أتخلص من هذه العصابة السوداء التى كانت تلفت الانظار الى حيثما توجهت حيث كانت الناس دائما تشير الى وتتبادل الهمسات • وكم كنت أتمنى لو استطعت أن أسير فى الشوارع أو اجلس على مقهى أو أدخل الى دار للسينما دون أن أثير أى اهتمام خاص •

لكن العملية فشلت ، اذ رفض جسمى قبول العظمة المزرعة ومكثت شهرا فى المستشفى وكانت روث وشقيقتها تتناوبان السهر على • وعندما نفذت نقودنا عدنا الى ناحلال •

كان الانتداب البريطانى على وشك الانتهاء ، وكنا نعد عدتنا من أجل مقاومة أى هجوم عربى من الدول المجاورة ، وقبيل انتهاء الانتداب استدعانى يعقوب دورى الذى عينه بن جوريون قائدا للهاجانات ، وهكذا وجدت نفسى فى الخدمة العسكرية مرة ثانية •• لكنى عملت فى هذه المرة فى المخابرات لمقاومة العرب • وعندما أعلنت الامم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٤٧ قيام دولة اسرائيل ، كانت الدنيا ليلا • فأيقظت أولادى من سريرهم وتوجهنا الى قاعدة ناحال لنشترك مع بقية الاهالى فى الرقص • وعندما أعلن القرار ، الذى ساهم فيه بن جوريون بقسط وافر ، شعرت باحساس عميق أننى يهودى بل بأننى لم أكن يهوديا كما أنا الآن • وسرى فى عظامى الاحساس بنصر اليهودية التى تغلبت عبر ألفى عام على القيود والاضطهاد والمذابح الى أن حققت حلمها القديم فى العودة الى صهيون مستقلة •

لكننا كنا جميعا نشعر ، برغم فرحتنا ، بأننا لن نحصل على الحل الا فى ساحة القتال ، فقد رفضت الدول العربية قبول القرار ، واشتعلت البلاد بأحداث عنيفة طوال الاشهر الخمسة التالية ، اذ بدأ الفلسطينيون

يعد هناك داع للتعاون معهم بعد انتهاء الحرب · وخلال أحد الاجتماعات الداخلية للوفد أدليت بوجهة نظرى المؤيدة لرأى بن جوريون وخاصة ما يتعلق منها بوجهة نظرى ، وكنت فى غاية السعادة لتأييد الهجرة والاستيطان ، وكم سعدت بتأييد بن جوريون لى ·

وعقب انتهاء المؤتمر توجهنا الى باريس لكى أعرض نفسى على أحد الجراحين لعمل عين صناعية لى بدلا من العصابة السوداء على عينى

واعتزم الطبيب أن يزرع عظمة فى عينى يمكنها أن تحمل عينا صناعية · ولقد كنت على استعداد تام لان أفعل أى شىء وأن أتحمل أى ألم فى سبيل أن أتخلص من هذه العصابة السوداء التى كانت تلفت الانظار الى حيثما توجهت حيث كانت الناس دائما تشير الى وتتبادل الهمسات · وكم كنت أتمنى لو استطعت أن أسير فى الشوارع أو أجلس على مقهى أو أدخل الى دار للسينما دون أن أثير أى اهتمام خاص ·

لكن العملية فشلت ، اذ رفض جسمى قبول العظمة المزرعة ومكثت شهرا فى المستشفى وكانت روث وشقيقتها تتناوبان السهر على · وعندما نفذت نقودنا عدنا الى ناحلال ·

كان الانتداب البريطانى على وشك الانتهاء ، وكنا نعد عدتنا من أجل مقاومة أى هجوم عربى من الدول المجاورة ، وقبيل انتهاء الانتداب استدعانى يعقوب دورى الذى عينه بن جوريون قائدا للهاجانات ، وهكذا وجدت نفسى فى الخدمة العسكرية مرة ثانية ·· لكننى عملت فى هذه المرة فى المخابرات لمقاومة العرب · وعندما أعلنت الامم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٤٧ قيام دولة اسرائيل ، كانت الدنيا ليلا · فأيقظت أولادى من سريرهم وتوجهنا الى قاعدة ناحال لنشترك مع بقية الاهالى فى الرقص · وعندما أعلن القرار ، الذى ساهم فيه بن جوريون بقسط وافر ، شعرت باحساس عميق أننى يهودى بل بأننى لم أكن يهوديا كما أنا الآن · وسرى فى عظامى الاحساس بنصر اليهودية التى تغلبت عبر ألفى عام على القيود والاضطهاد والمذابح الى أن حققت حلمها القديم فى العودة الى صهيون مستقلة ·

لكننا كنا جميعا نشعر ، برغم فرحتنا ، بأننا لن نحصل على الحل الا فى ساحة القتال ، فقد رفضت الدول العربية قبول القرار ، واشتعلت البلاد بأحداث عنيفة طوال الاشهر الخمسة التالية ، اذ بدأ الفلسطينيون

العرب بمساعدة متطوعين غير نظاميين جندتهم حكوماتهم للقيام بالهجمات المستمرة • واعلنت الحكومة البريطانية أن الانتداب سوف ينتهى فى ١٥ مايو (آيار) ١٩٤٨ • وكان القلق يساور أصدقاءنا ، وبدأ القادة اليهود يتعرضون لضـــغوط قوية لصرف النظر عن موضوع الاســـتقلال • لكن القادة أدركوا ، كما أدرك كل يهودى ، أن القتال سوف يكون شغلنا الشاغل ، وقررنا أننا ما لم نفعل ذلك وننتصر فلن يتم تحقيق حلم صـهيون ولن تكون هناك هجرة ولا استيطان ولا استقلال •

وبحكم عملى كمسئول عن الشئون العربية فى الهاجاناه فقد ركزت اهتمامى على جمع المعلومات عما يحدث بين القوات العربية غير النظامية فى فلسطين ، وكان هنـــاك من بين من يحاربوننا لواء من المرتزقة الدروز بقيادة شـــبيب وهاب ، يخضع لرئاســـة فوزى القادقجى قائد جيش الانقاذ • وفى مارس (آذار) ١٩٤٨ تعرض القادقجى لهزيمة قاسية عندما فشل هجومه على مستعمرة مشمار ها ايميك الاســتراتيجية الموقع •

وقتل أخي زوريك — عن ٢٢ عاما — فى معركة مســـتعمرة رامات يوحنان التى استمرت أربعة أيام ، تاركا وراءه زوجة وطفلا صغيرا اسمه عوزى ولـكم حزنت أمى عـلى وفاة زوريك ، الذى كان أقرب أبنائهـا الى قلبها ، بل أقرب اليها منى ومن أختى أفيفا • وكنت أحرص عـلى زيارة أبوى لتسرينهما ، لكننى كنت أعلم أن جراح أمى لن تندمل ، وان النور قد غاب عن حياتها •

وعلى أثر هذه المعركة وطد أحـــد أعوانى علاقته بالدروز ، وأبلغنى بأن فى استطاعته تحييدهم • وعقدنا اجتماعا مع بعض ضباط الدروز وتم تقديمى اليهم على انى شـــقيق أحد قتلى معركة رامات يوحنان ، واعتقدوا أنهم وقعوا فى فخ •• وان الامر ليس اجتماعا بل عملية انتقام • وقد وافقوا عقب الاجتماع على عدم الاشتراك فى الحرب ومستقبلا ، بل وانضم بعضهم للحرب فى صفوفنا • وعلى الرغم من حزنى على فقد أخى زوريك ، فقد نحيت عواطفى جانبا ، اذ كنت فى هذه الاثناء أؤدى واجبا سياسيا وعسكريا أقوم فيه بتحييد عدو أو كسب صداقته • وكان سرورى عظيما عندما أبلغنى اسحق ساديه ، قائد الهاجاناه ، بتكليفى بتشكيل لواء من الكوماندوز ، اذ كنت أتحرق شوقا الى ترك المجال السياسى والدخول الى الميدان العسكرى غير آبه بالعين الواحدة ولا بفقد العين الاخرى • وعندما بدأت فى تكوينها ، أعلنت دولة اسرائيل ، وبدأ الهجوم من جانب ست دول عربية •

الباب الثانى

الاستقلال

(١٩٤٨ - ١٩٥٢)

وبدأت الحرب لتحرير الوطن العربى من الغـــزو الاسرائيلى التى لعب فيها ديان دورا رئيسيا فى الهجوم على الجيوش العربية ولتثبيت الاستعمار الاسرائيلى على الاراضى العربية ... وفى هذا الباب يخلع ديان قنـاعه ويظهر على حقيقته وينسى الشعارات الزائفة التى كان يتخفى وراءها .

٦ خطر فى الأردن

كان المشهد متواضعا ، لكن الحدث كان عظيما ...

ففى الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر يوم ١٤ مايو ١٩٤٨ بدأ الاحتفال بمناسبة انشاء دولة اسرائيل وافتتح دافيد بن جوريون دورة جديدة خاصة للمجلس القومى ليهود فلسطين وكانت دورات هذا المجلس تنعقد فى القدس ولكن نظرا لوقوعها تحت الحصار وتواجد معظم القادة فى تل أبيب فقد انعقدت الدورة هناك فى قاعدة كبرى من قاعات المتحف وعندما نهض بن جوريون ليبدأ حديثه كان التاريخ يكتب سطوره. فبعد ١٩ قرنا من طرد الرومانيين لليهود وتدمير القدس والدولة اليهودية ، أعلن اعادة مولد اسرائيل الجديدة وحرية اليهود على أرضهم القديمة وستصبح دولة اسرائيل حقيقة فى منتصف الليل عندما ينتهى الانتداب ثم قرأ بن جوريون - وسط جو مشحون بالعواطف - اعلان استقلال اسرائيل .

وبعد ساعات قليلة تعرضت الدولة الجديدة لهجوم من الشمال والشرق والجنوب ، وكان الهجوم من قبل الجيوش اللبنانية والسورية والعراقية والاردنية والمصرية والقوات السعودية التى كانت تعمل تحت القيادة المصرية وقد عبرت كل هذه الجيوش الحدود وغزت اسرائيل وواجهنا

موقفا صعبا للغاية لان كل هذه الجيوش النظامية لدول ذات سـيادة كانت مزودة بأسلحة ثقيلة وكان من السهل عليها الحصول على اسلحة بصفة مستمرة ، فى حين لم يكن لدى اليهود احتياطى كاف من السلاح وكانت قوات الهاجاناه مجرد جيش صغير جدا وعدة سيارات مدرعة محلية الصنع وبعض طائرات التدريب الخفيفة ..

ودخل الجيش السورى بعد منتصف الليل بقليل وخلال اليومين التاليين قصفت القوات السـورية عدة قـرى فى وادى الاردن وبدأت استعداداتها لسحقها وفى اليوم الثالث (١٨ مايو آيار) استدعيت وأمرت بترك الامر الصادر لى بتشكيل قوات الفدائيين وأوكلت الى قيادة القوات فى قطاع الاردن وكان مقر القيادة فى مستعمرة كنيريت فى جنوب غـرب بحر الجليل وهى المستعمرة المجاورة لمستعمرة داجانيا مسـقط رأسى والتى قضيت فيها فترة طفولتى وأعرف كل شبر فيها .

وكانت القوات المعدة للدفاع عن وادى الاردن غاية فى الضعف .. وعندما وصلت مقر القيادة أبلغت أن القوات السورية قد احتلت منطقة زماخ منذ ساعات وأن القوات الموجودة قد انسحبت تاركة خلفها الكثير من القتلى والجرحى ، وكذلك علمت أن السوريين يعدون لهجوم عـلى مستعمرة داجانيا وشقيقتها داجانيا (ب) ومن حسـن الحظ أننى عندما كنت فى طريقى الى (كنيريت قابلت صديقى يورى بار - أوت على رأس) مجموعة متطوعين كانوا فى طريقهم الى وادى الاردن وكنت أيضا قد حملت معى ثلاثة مدافع بازوكا .

وقد استقبلنى موشى مونتاج قائد المنطقة بحفاوة ولكن وبقليل من الارتياح لم يكن الامر مفهوما لديه ، وكنت قد فهمت من القيادة أن مهمتى هى مساعدة قوات وادى الاردن والقيام بعمليات خاصـة خلف خطوط السوريين ولكن لم تكن هناك أى قوات تحت قيادتى وفى البداية سبب لى هذا الامر ضيقا ولكنى بعد أن قمت بجولة تفتيشية فى المواقع ، ووجدت أن الموقف يدعو لليأس لم تعد هناك المشكلة هى من يصدر القرار وانما المشكلة هى ماذا نعمل .

وكانت قيادة القوات السورية متمركزة فى منطقة زماخ المحتلـة وتتكون من كتيبة من المشاة تتلقى تموينها من الدبابات والسيارات المدرعة والمدفعية عبر أحد الجسور . كما كانت تتلقى أيضا مساعدات جوية فى حين كان كل ما لدينا عدة قنابل مولوتوف وعدد قليل من مدافع البازوكا ، لكنه كانت لدينا أيضـا الروح المعنوية العالية والتصميم وبدأت تصـل

الينا أعداد قليلة من المتطوعين فى وادى جزيل ومدينة طبرية القديمة ومن قرية يافتيل وبدأنا نعد الخطة لمساعدة مستعمرات داجانيا وأخبرنى مونتاج قائد القطاع أن أربعة مدافع ٦٥ مم فى طريقها الينا ·

وفى اليوم الثالث بعد احتلال زماخ واجلاء مستعمرين آخرين سادت الوادى حالة من الكآبة وتم اجلاء الاطفال والنساء والعجزة وفى المساء كانت البالماخ — أقوى العناصر الضاربة فى الهاجاناه تأمل فى تغيير الموقف فقامت مجموعة منها لاحتلال نقطة البوليس الحصينة فى زماخ ، ولكنها فشلت فى مهمتها ولم يكن فى وسعنا عمل أى شىء سوى اعداد أنفسنا للدفاع ·· وقد أمضينا اليوم التالى ١٩ مايو (آيار) فى مراجعة أسباب سقوط زماخ حيث اتضح لنا أن خط الدفاع عنها لم تكن قويا وتحتم علينا أن نسرع بتقوية هذه الخطوط ووقع اختيارى على (جيورا) من مستعمرة افيكم لتولى مسئولية الدفاع عن داجانيا وقد لاحظت أيضا قصورا فى اعداد خطة دفاعية فى بيت براج التى تقع شمال داجانيا والتى كان واضحا أن القوات السورية تخطط لاحتلالها هى وشقيقتها داجانيا (ب) حتى تتحكم فى الطريق بين نهر الاردن وبحر الجليل وهو مفتاح التقدم شمالا الى طبرية وغربا نحو قرية بوربا ومرتفعات الجليل ·

وفى الساعة الرابعة والنصف صباح يوم الخميس بدأ السوريون هجومهم بقصف شديد من المدفعية والمورتار ، وبعد نصف ساعة تقدمت الدبابات والمشاة تدعمها بعض هجمات الطيران التى لم تكن دقيقة ولم تؤثر فى موقفنا · كان تقدم السوريين يتم وفقا للدروس النظرية التى تعلموها ، فكانت الدبابات تتقدم يحف بها المشاة من كل جانب ، وعندما نصل الى مدى مواقعنا لينتشر المشاة فى الحقول وتستمر الدبابات والمدرعات فى التقدم ووصلت المدرعات الى أسوار داجانيا ، بل ان احدى الدبابات استطاعت تحطيم السور والدخول الى ساحة المستعمرة ولكنها ضربت باحدى قذائف البازوكا وزجاجة المولوتوف ودمر المتطوعون من قرية بافتيل أعدادا أخرى من المدرعات · ومن موقعى فى قرية بوربا على مرتفعات الجليل تلقيت رسالة تفيد أن مدافع الـ ٦٥ مم قد وصلت وستصبح معدة للعمل عند الظهيرة وقد أرسلت نائبى الى داجانيا (ب) لبرى الموقف هناك نظرا لعدم وجود وسائل اتصالات لاسلكية وأرسلت الى يورى أسأله عما اذا كان يحتاج الى استخدام المدافع اذ قررت أنه فى حالة عدم احتياجه فاننى لن أستخدم المدافع فى هذا اليوم ·

وازاء التقارير التى وردت عن سوء الموقف أصدرت أوامرى باستخدام المدافع فى أسرع وقت ممكن ·

وتحطم الهجوم السورى وانسحبت القوات السورية وتم ذلك نتيجه لعاملين فقد صد المدافعون عن داجانيا وبيت براج الهجمة وصدر أمر سورى بالانسحاب بعد أن بدأت قنابلنا المدفعية تدك مراكز الشرطة فى رماخ • وحتى يكون حديثى أكثر دقة ، فان الدبابات السورية هى التى تلقت الاوامر بالانسحاب دون أن بدأت مدافعنا فى الاطلاق أما الجنود السوريون الذين سمعوا صفير القذائف فوق رؤوسهم فانهم لم ينتظروا صدور الامر ، وأدبروا هاربين •

ومع المساء كان واضحا أن السوريين قد انسحبوا تماما من زماخ الى التلال الشرقية المجاورة ولم أكن أشاهد أى ضوء وأى حركة وقررت أن أذهب بنفسى الى هناك واصطحبت معى بعض الاصدقاء منهم قائد فرقة باراك لنرى الموقف على الطبيعة •• وكانت المنطقة مهجورة ساكنة هادئة وجثث قتلانا ملقاة فى حفرة على جانب الطريق •

وترك السوريون خلفهم بعض الاسلحة والسيارات مبعثرة فى الطرقات وأخذنا سيارة اتصالات لاسلكية سورية معنا الى قيادتنا فى كنبريت •

وانتهت المعركة الشاقة والمؤلمة ، التى أريقت خلالها دماء الكثير من الشباب الذين لم يكونوا مدربين على القتال وقد صمدنا أمام المدرعات السورية بأسلحة ضعيفة فقاذف اللهب لم يعمل وقنابل المولوتوف كانت تنفجر بطريقة بدائية ، والمستعمرات لم تكن معدة للحرب ولم تكن مجهزة بخنادق للدفاع •• لم يكن هناك الا المدافع التى وصلت فى آخر لحظة وقد واجهنا الخطر ، وانتصرنا عليه ، وعلم الجميع ، من خلال الجولة الاولى فى حرب الاستقلال انه لن يكون هناك تراجع ولن يكون هناك استسلام •

٧ فرقة الكوماندوز ٨٩

وعندما عدت من وادى الاردن كلفت بقيادة فرقة الهجوم الميكانيكى ، كما كان يطلق عليها رسميا وهى نفس الفرقة التى كان أسحق ساديه قد كلفنى بشكيلها من قبل وقد أعطيت الوحدة رقم ٨٩ وكانت تابعة للواء ساديه ولم تكن تعمل كتشكيل منفرد ولكنها تحت قيادتى أصبحت تعمل مستقلة وكنت سعيدا بهذا التعيين إذ اتفق تماما مع رغبتى وقدشرح لى اسحق عمل هذه الفرقة وهى أن تكون بمثابة فرقة فدائية خاصة تماما كتلك الفرقة الانجليزية التى كانت تحمى خطوط البترول وجيش بويسكى الخاص خلال الحرب العالمية الثانية وفى البداية علمت أننى سوف أكون مزودا فقط بسيارات جيب وأسلحة خفيفة وسأعمل بدون معاونة أى أسلحة أو قوات أخرى لان طبيعة عملنا ستكون التسلل خلف خطوط الاعداء والعمل هناك ثم تقرر بعد ذلك أن تكون هناك قوات أخرى للمساعدة وزودنا بسيارات نصف مجنزرة .

وأعترف هنا أننى تركت مسألتى التنظيم والتسليح ـ وهما أهم مهمتين لنائبى بوجنان يلتز الذى كانت له خبرة واسعة فى المسائل التنظيمية ، اذ كان يعمل بها خلال خدمته كضابط فى اللواء اليهودى بالجيش البريطانى خلال الحرب العالمية الثانية وانشغلت أنا فى عملية

اختيار نوعية الرجال الذين سيعملون معنا وخلال فترة قصيرة كنا قد شكلنا أربع مجموعات بمثابة نواة لفصائل أكبر ، تكونت احداها من شباب المستعمرات والثانية من شباب تل أبيب والثالثة من شباب تنظيم شتيرن والرابعة من الشباب المتطوع من يهود الخارج ومعظمهم كان من يهود جنوب أفريقيا وقد جذبت كل مجموعة من هذه المجموعات أعدادا جديدة من المتطوعين من خلال الصداقات التى تربط أعضاءها بالآخرين .

وقد تم اختيار قاعدة الفرقة فيمنطقة تدعى تل ليتفينسكى (والتى تدعى الآن تل هاشومير) وتقع بين القرى العربية التى نحتلها القوات الاردنية وخاصة قريتى يهوديا وأونو وصرفت لنا عدة خيام وأكشاك خشبية لاستخدامها كمكاتب وكان جل همى موجها نحو رفع الروح المعنوية للرجال وكذلك روح القتال وكان كل اعتمادنا تكتيكيا على المفاجأة وكنا في الصيف نرتدى الملابس الكاكى بدون رتب وكان تسليحنا مكونا من سيارة جيب ومدفع ماكينة .

ولم تعد مسالة العين الواحدة بالنسبة لى تمثل عائقا . اذ كنت أرى في الظلام جيدا لم يكن صوت الطلقات يزعجنى ـ لا عن شجاعة بل عن مجرد التعود على ذلك.. وفي يوم ٢٠ يونيو (حزيران) ١٩٤٨ وقبل الانتهاء من تشكيل الفرقة بوقت قليل ، استدعيت بصفة عاجلة للقيادة حيث أخبرني ساديه أن منظمة الارجوان مازالت علىخلاف مع الحكومةالاسرائيلية كما كانت من قبل على خلاف مع الوكالة اليهودية وأعلنت الهدنة الاولى فى ١١ يونيو (حزيران) ١٩٤٨ وكان أحد شروطها ألا تقوم اسرائيلوالدول العربية بادخال أسلحة جديدة الى منطقة القتال ولكن الجانبين خرقا هذا الشرط بالطبع ولكن بصورة سرية ، غير أن منظمة الاراجون صممت على استيراد شحنة سلاح وصلت فعلا على متن السفينة (التالينا) الامر الذى يعد تحديا صارخا لسلطة الحكومة الاسرائيلية وتصرفا غير مسئول، وتتعين مواجهته بسرعة ووضوح .

وألقت السفينة (التالينا) مراسيها على بعد ٢٣ ميلا من تل أبيب. وبدأت تفرغ شحنتها على مشهد من الجميع معرضة الموقف الاسرائيلى لكثير من المآخذ . وقد كلفت بأن أستولى على تلك الاسلحة فقررت الا أستخدم فى هذه العملية رجالا ممن كانوا أعضاء فى الشتيرن . واقتصرت على مجموعة المستعمرات التى يقودها يورى بار . وبدأ الاشتباك بين الطرفين فأصيب خلالها ثمانية من أفرادنا قتل منهم اثنان ، ولكن بعد استخدام المورتر توقف الاشتباك وبدأت المفاوضات وفىهذه الاثناء أبحرت

السفينة الى تل أبيب تاركة وراءها بعض السحب البسيطة من الاسلحة على الشاطىء .

ولما كان الخلاف بين الاراجون والحكومه خلافا سياسيا فاننا لم نكن نرغب فى أن يتطور الامر الى خلاف عسكرى لانهم ليسوا أعداءنا بل هم منا .. وبعد ذلك استدعيت للقيادة العامة وطلب منى أن أصحب جثمان الكولونيل دافيد ماراكوس لدفنه فى الولايات المتحدة وصحبنى فى تلك الرحلة موسى هاريل ولم أكن أعرف الكولونيل ماراكوس جيدا . اذ كنت قد قابلته مرات قليلة وكان ضابطا أمريكيا يهـــودى الديانة من خريجى المظلات وست بوينت العسكرية وخدم خلال الحرب العالمية وبالرغم من أنه لم يكن من رجال المظلات الا أنه طلب اسقاطه بالباراشوت فى نورماندى خلال الحرب العالمية الثانية وقام بأعمال مجيدة وقد تطوع للعمل بالجيش الاسرائيلى وكان قائدا لقطاع القدس وقتل فى نهاية مايو خطأ على يد جندى اسرائيلى يقوم بالحراســة عندما غادر خيمته ليلا ليتجول بجوار ســـور المعسكر .

وخلال توقف الطائرة بباريس للتزود بالوقود تسلمت برقية من رئيس الوزراء بن جوريون يأمرنى بالعودة بسرعة للاجتماع به ولذا لم أمكث فى الولايات المتحدة أكثر من أيام قلائل قضيتها بين وســت بوينت ونيويورك دون أن أشاهد شيئا من أمريكا التى أزورها للمرة الاولى وقد قابلت خلال اقامتى فى نيويورك عددا من اليهود ولكنى تعرفت على شخصية اعتبرتها خير من يعمل معى فى الفرقة وهو شاب يدعى ابراهام باوم وكان قد عمل مع الجيش الامريكى خلف خطوط الالمـان خـلال الحرب العالمية الثانية . وقد تعلمت من ابراهام دروسا كثيرة فى العمل خلف خطوط الاعداء .

فقد تحدث معى عن الاهمية القصوى للسرعة والحركة فى المعركة وكان يرى أنه ليس ثمة داع لارسال وحدات استكشاف أولية الى الاهداف التى ســتجرى مهاجمتها ، اذ أن أية معلومات ســوف تعود بها ســتكون ضعيفة بالاضافة الى أن العدو قد يتبينه فيضيع عنصر المفاجأة وكان يرى أن تقوم القوة بأكملها بالهجوم على أن تتقدمها وحدة الاستطلاع التى تعود بالمعلومات اللازمة وتقود القوة الى الهدف صحيح . أن خبرة باوم وتجاربه جاءت من حروب مختلفة ، لكنى رأيت أن هناك شيئين يمكن تطبيقهما عندنا أحدهما الحاجة الى المحافظة على الحركة المستمرة ، وثانيهمـــا أن يكون القائد موجودا فى الميدان على الخط الامامى مباشرة لكى يقرر ما يجب عمله على الطبيعة وعدت الى اسرائيل على نفس الطائرة التى كانت فى هذه

المرة تحمل أول شحنة من أوراق النقد الاسرائيلية التى طبعت فى الولايات المتحدة الامريكية وأثناء هبوط الطائرة فى مطار عين شيمر الذى يتوسط حيفا وتل أبيب أطلقت علينا بعض المواقع العربية النار ولكننا لم نصب وقد توجهت فورا الى مقر قيادتى وقررت أن أنام جيدا لابدأ عملى فى الصباح .

ولكنى لم أذهب الى الفراش لاننى قابلت عند البوابة فصيلة من رجالى متوجهة فى مهمة الى كفر سيركين للهجوم على المناطق التى احتلها العرب والتى تبعد أميالا قليلة عن تل أبيب من ناحية الشرق وأبدلت ملابسى وخرجت مع رجالى .

وكان عمل بقية الفرقة الاستيلاء على المواقع العربية التى تحيط بالقرى العربية فى كلا والطيرة والتى تشـــكل محورا هاما فى تحـــرك الجيوش العربية فى هذا القطاع المتوسط وكانت الطيرة تبعد ثلاثة أميال شمال مطار اللد الدولى الذى كان فى أيدينا ولكنه يقع فى مرمى نيران العرب وكانت مدينة اللد نفسها التى تبعد ميلين عن المطار واقعة تحت الاحتلال العربى ولم أكن محبذا للخطة التى وضعها نائبى والتى تقضى بالتمهيد بقصف مدفعى ، وقررت الاسراع فى الهجوم المباشر .

وتحركنا عند الفجر وتعرضنا لنيران شديدة ولكن استطعنا الافلات وكلفت (اكينا سار) بالهجوم على كلا وهاجمت أنا الطيرة واستطعنـــا احتلال الموقعين وكانت خسائرنا خمسة جرحى .. وكانت عمليتنا بعد ذلك احتلال دير طريف على بعد ميلين أيضاً حيث كان هجومنا هنـــاك بالتنسيق مع لواء القيادة وكنت قد تلقيت بعد عودتى من الولايات المتحدة رسالة شديدة اللهجة تذكرنى بالبرقية التى تسلمتها فى باريس وتطلب منى الذهاب فورا الى تل أبيب لمقابلة رئيس الوزراء وحيث أن القتال كان متوقفا فقد اعتذرت ساعتها وتوجهت الى تل أبيب لمقابلة رئيس الوزراء

وكان بن جوريون قلقا نظرا لاشتداد الهجوم العربى ولعدم موافقة منظمتى الاراجون وشترين على الخضوع لسلطات الحكومة وطلب منى أن أتسلم قيادة القدس من (دافيد شاليتئل) وعلى الرغم من تقديرى فقـــد رفضت العرض وأبلغته بأننى قـــد انتهيت لتوى من تشـــكيل فرقة الكوماندوز ، وقد قمنا بأول عملياتنا هذا الصباح فقط وأن وجودى فى هذه الفرقة أهم بكثير من قيادة القدس . ولما سألنى عن نتائج المعركة وأبلغته بها ، وافق على بقائى فى قيادة الفرقة مؤقتا . على أن يبقى موضـوع قيادتى للقدس معلقا .

وما أن أنهيت مقابلتي لرئيس الوزراء حتى قررت التوجه للانضمام الى فرقتي في عملية ديرتا طريف وعندما حل الظلام قررت قضاء الليلة في أحد الحقول على طريق مستعمرة بتاح تكفا لاخذ قسط من الراحة وعند الفجر تحركت وقابلت أحد رجالنا وسألته عن نائبي (بلتز) فوجدته نائما في مزرعة زينون وكدت أنفجر من الغضب عندما علمت أنهم خاضوا معركة خاسرة وأن الفرقة ٨٢ المدرعة التي كنت نعاونهم قد انسحبت ، وحلت محلها وحدة سيارات الجيب . ولذا تركت نائبي نائما وأمرت رجالي بالتحرك فورا وقابلت اكيفا سار ومجموعته عند التلال المحيطة بدير طريق وقد احتلوا الجزء الغربي والشمالي ، ولكن العرب ما زالوا يحتلون الجزء الشرقي وقررت أن أذهب الى قمة التلال ، ولكن اكيفا حذرني من المدفعية الاردنية التي تحمل هذه المواقع ومع ذلك صممت على الذهاب وكان اكيفا ورائي مباشرة وشاهدت بعض سياراتنا المدرعة عاجزة عن الحركة كما شاهدت سيارة مدرعة أردنية مقلوبة على جنبها فقمنا بنقلها الى خطوطنا .

وصحيح أننا قد تعرضنا للنيران خلال عملية سحب السيارة ، ولكننا كنا حسني الحظ حيث استولينا على دير طريف وبقيت أمامنا نقطة مقابلة هي بيت ناب الله وكانت المهمة خطيرة اذ كان علينا أن ننزل الوادي مرة أخرى ثم نتسلق اليهم ، فلا ثمة مفاجأة ولا ضربة مفاجئة وانما قد يعرضنا هذا لنيرانهم ونظرت حولي وشاهدت حقول البرتقال التي تبعد ثلاثة أميال في أرض مسطحة وفي اتجاه مدينة اللد وقررت أن أسلك طريقا لا تتوقعه اللد هو الطريق القادم من الشرق والذي كانت تسلكه القوات العربية وأن أقوم بالهجوم على اللد على هذا النحو ..ولكن كيف نستطيع تنفيذ الخطة خاصة وأن اللد مدينة محصنة عامرة بالسكان وفيها قوات وعتاد فاستدعيت قادة الجماعات وأخبرتهم بهذا الامر بمزيج من المزاح والجدية ولكنهم أصروا أولا على انهاء خطة احتلال دير طريف .

وفجأة تلقيت رسالة لاسلكية من قائد لواء القطاع الاوسط ملاح كوهين الذي يعمل في الجانب المقابل لنا كأحد فكي الكماشة ولكنني لم أكن أعرف موقعه على وجه التحديد وتعرفت على صوت ملاح الذي أبلغني أن وحداته قد اقتربت من اللد ولكنها تعرضت لنيران عنيفة وسألني عما اذا كان في استطاعتنا مساعدتها بعد حصارها ، فأجبته بالايجاب . وطلبت فقط امهالي حتى الساعة الثانية بعد الظهر الى أن أنتهي من مهمتي الحالية وبدأت مدافعنا المورتار في ضرب بيت ناب الله لاجلاء القوات العربية من هناك وبعثت مجموعة شتيرن بالمزيد من الرجال الى طريق الكلا - اللد ولكنني كنت مصمما على استخدام السيارة المدرعة ذات المدفع

المزدوج التى أخذناها من الاردنيين فبواسطتها كنا سنصـــبح بالفعل كالملوك وفى خلال ساعة واحدة كنا قد دربنا بعض الرجال على استعمال المدفع وأسمينا العربة (النمر المرعب) وفى طريقنا الى اللد وعلى بعـــد مئات الياردات من بيت ناب الله وجدنا طريقين اخترنا أحـــدهما لكن النيران فتحت علينا من أحد حقول الزيتون فتراجعنا الى الطريق الاخر حيث فتحت علينا مجموعة من العرب نيرانها لكن نيران المدافع الاوتوماتيكية أجبرتهم على الابتعاد وأصيبت احدى سيارات الجيب بلغم ٠

ووصلنا مستعمرة بيت شمين فى منتصف الطريق بين بيت ناب الله واللد وهى مستعمرة يهودية ظل العرب يحاصرونها شهورا طويلة وانقطعت كل الاتصالات بينها وبين المستعمرات الاخرى ٠ وكان منظر وصولنا مثيرا لابناء المستعمرة الذين خرجوا لتحيتنا وقد اتفقت مع ملاح كوهن على أن تجلى قواته من الممر الذى يصل بين بيت ناب الله واللد ، وهو الممر الذى قررت استخدامه فى الهجوم باعتباره النقطة الوحيدة التى لا يتوقع العرب الهجوم منها ٠

ولم تكن لدينا أية معلومات عن العدو وقوة تسليحه أو مواقعه وكان القرار هو هل نهجم أم لا ؟! وقررنا الهجوم على أن تقود المجموعة السيارة المدرعة (النمر) التى استولينا عليها من القـــوات الاردنيـــة وتتبعها السيارات النصف مجنزرة للمجموعة الاولى ، وفى النهاية مجموعة الجيب المسلحة وأصدرت تعليماتى للطابور أنه اذا أصيبت النمر أو أى سيارة نصف مجنزرة فعلى بقية المجموعة الالتفاف حولها والتقدم وعندما ننجح فى اختراق نقط العدو الاولى فان على الطابور أن ينتشر وعلى المدفعية أن تطلق النيران فى كل الاتجاهات وأن تنشر الفزع لنتمكن من اجبار العدو على التسليم ، وبعد أن يصلوا الى الطريق الرئيسى تتجه المجموعة الاولى شـــمالا والثانية جنوبا ـ وعندما تنتهى المجموعات من عملها نتقـــابل فى مفترق الطرق واذا واجهت مجموعة أية مصاعب فان على الاخرى أن تسارع لنجدتها وأخبرت الضباط أنه فى حالة عدم تنفيذ الخطة لاى سبب فان عليهم الانتشـــار بمجموعاتهم والهجوم على العـــدو من كل الاتجاهات وأكدت على أهمية عامل السرعة لتقليل حجم الخسائر وتضخيم الصدمة لدى العدو وكان علينا أن ندوس على عدونا وأن نحطمه معنويا وجسديا ٠٠ وانتهى اللقاء بالضابط فى دقائق وشرعنا فى العمل ٠

وما أن تقدمنا مائة ياردة حتى انكشف أمرنا وبدأنا نتعرض للنيران ولكننا استمررنا فى التقدم بدون رد ثم توقفت النمر لتطلق مدافعها على موقعين وتدمرهما فى دقائق ثم بدأنا التقـــدم مرة أخرى ولكن بعد مئات

البياردات توقفنا لان حائط الدفاع فتح النيران علينا من كل المواقع وبدات سياراتنا النصف مجنزرة وسيارات الجيب فى الانتشـــار لمواجهة هذه المواقع وانقلب الموقف الى جحيم ولم نستطع التقدم لان الطـــريق كان مسدودا بحفرة لمنع المدرعات من العبور وتركت عربتى متوجها الى النمر حيث وجدت السيارات مستعدة لدخول اللد لكنها كانت تفضل أن يدخل النمر أمامها لا العكس .

وقامت النمر باثارة عاصفة ترابية ضد مواقع الاعداء ساعدتنا على التقدم عبر طريق فرعى والدخول الى قلب اللد وتقدمت النمر الى الشمال وبدلا من ان تتبعها المجموعة الاولى طبقا للخطة توجهت الى الجنوب مع المجموعة الثانية وتركت النمر بمفردها فى الشمال ووصلنا الى منتصف الطريق وتقدمت بقية القوات الى طريق الرملة للاســـــتيلاء على مركز البوليس الذى تحتله مجموعة عربية ولما كان هجومنا هذا خرج قائـد المجموعة العسكرية العربية الى العراء ليشاهد ما يجرى ولما تبين حقيقـة الامر اختفى واندفعت القوات نحو طريق الرملة وأستطعت ان ألتقى بالجميع عند محطة السكك الحديدية هناك على طريق القدس .

وقمت بجولة تفتيشية على القوات فوجدت أن أربعة من قوات سيارات الجيب قد قتلوا وأن هناك بعض الجرحى من مجموعات السيارات نصف المجنزرة وهناك عدة مفقودين ومعظم السيارات انفجرت اطاراتها وأصيبت فراملها وخزانات أسلحتها وبدأنا في علاج الجرحى واصلاح الاطارات وقبل الانتهاء من مهمتنا بلغنا أن هجوما عربيا فى طريقه الينـا وانهالت علينا قذائف من المورتار ، وتحول الموقف الى اتجاه سىء للغايه واتجهنا الى طريق الرملة اللاطرون وأخذنا عدتنا للقتال خلال رحلة العودة ولكننا كنا لا نزال تحت مرمى نيران العدو وبدأت قوات العـــدو تقترب منـــا وتعجلت الرجال للهرب بسرعة ، حين ظهرت فجأة مدرعة عربية ، وقبل أن تصيبنا طلقاتها كنت قد طلبت من عامل الراديو ، وهو ابن الحاخام زكريا الذى عقد قرانى ، أن يطلق نيرانه ، وما أن فعل حتى هربت المدرعة وعاد الاتصال بالراديو مرة أخرى وأخبرنى (دوف جرانيك) الذى تركته فى دير طريف أن هجوما عربيا حدث ضدهم وأن العرب احتلوا المواقع مرة أخرى ، وأن بعض رجاله جرح والبعض الآخر مفقود وطلب مساعدة ولكننى أخبرته أننى لا أستطيع تقديم أى مساعدة فى الوقت الحالى وانه بمجرد الانتهاء من موقفى الصعب سأسرع اليه وعليه الاتصال بقيـــادة اللواء فقد يكون فى امكانها ارســـال نجدة سريعة له ، ولكنه أخبرنى أن الاتصال بينه وبين القيادة مقطوع وسألنى ماذا يفعل ؟

فقلت له أن ظروفنا صعبة فى اللد ونقاتل قتال شوارع وانه اذا لم يكن قادرا على الصمود فعليه الانسحاب الى الطيرة ، على أن نتعامل نحن مع دير طريف فى اليوم التالى ولكن أجابتى لم تقنعه على مايبدو ، اذ عاد يقول انه ربما يستطيع تنظيم رجاله والاستيلاء على دير طريف مرة أخرى الآن ، وهنا اتضح لى أنه لم يكن فى انتظار الاوامر وانما كان يبحث عن تشجيع وعندئذ صرخت فى الراديو قائلا : هل نحن فدائيون أم لا ؟ ولما لم يسمع ما قلته أعدته عليه فصرخ (نعم فدائيون) فقلت له أهجم من الشرق وكان رده نعم ..

وهاجمنا نقطة البوليس على الطريق بين اللد والرملة واستطعنا انتشال الجنث والجرحى وانسحبنا ولكنه كان انسحابا شاقا وكان علينا المرور من أمام نقطة البوليس الاخرى ولكن النمر الذى ظل يخوض المعركة بمفرده استطاع أن يغطى انسحابنا ولم ينج من التدمير سوى النمر وسيارتين نصف مجنزرة ودمرت بقية السيارات وكانت خسائرنا خلال هذه العملية ٩ قتلى و١٧ جريحا وتركنا وراءنا فقط سيارة جيب مدمرة وسحبنا الباقى وفى اللد التى كان يسودها الهدوء تقدمنا ببطء وأوقفنا النيران ووصلنا الى طريق الخروج من المدينة الذى يصل الى بيت شيمين والتقينا بأفراد باللواء الذى كان مكلفا باحتلال المدينة .

وخلال تحركنا جاءنى قائد احدى الفصائل بالاذن بالعودة الى نقطة الشرطة للبحث عن أحد رجاله المجروحين وكدت أن أرفض لولا أن رأيت عيون كل الرجال تحدق فى عينى ، وكأنما كل منهم يتصور نفسه جريحا ملقى على الارض بعد أن تركه زملاؤه بالعودة شريطة ألا يشتبك فى أية متاعب .

٨ الطريق الى النقب

وأخيرا وصلنا تل هاشومير ، حيث توجد قاعدتنا ، وفى صباح اليوم التالى بعد أن قضينا الليل نتجول فى الحقول بحثا عن طريق آمن ٠٠ وفى القاعدة كانت تروى قصص كثيرة عن احتلالنا لكلا والطيرة ودير طريف وتتوج هذه الاعمال باختراقنا اللد ولكن حالة الفرقة كانت مؤسفة فمعظم سياراتنا تحطمت ومعظم رجالها أصيبوا وخاصة الضباط ٠٠ونمت عدة ساعات وعندما استيقظت وجدت رسالة من قائد العمليات اللواء ايجال يادين يدعونى لمقابلته فى القيادة العامة ولما توجهت الى هناك يوم ١٢ يوليو (تموز) أعطانى الاوامر بأن أنضم الى لواء جيفاتى فى عملية اختراق النقب وكان المصريون قد احتلوا خطا عبر الساحل يمتد شرقا مارا بطريق المجدل ـ الفالوجا ـ حيث فصلوا النقب جنوبا عن مراكز التجمع السكانى فى الشمال وكانت الاوامر تقضى باحتلال ثلاث قواعد للمصريين هى هاتا وبيت عفا وهى قريبة من مراكزنا ٠

أما مهمة فرقتى فقد كانت احتلال قاعدة كاراتيا التى يتطلب الوصول اليها اختراق خطوط المصريين وكانت التعليمات تقضى بأن أنسحب من القاعدة بعد تطهيرها وتسليمها للواء جيفاتى وكانت هذه العملية هى أصعب العمليات الثلاث ٠٠ وكان اللواء يادين على علم بما حدث فى اللد

يوند هنأني في أول الامر ، لكنه لم يكن يعرف شيئا عن أحوال الفرقه حاليا ، فبينت له أن سيارتنا نصف المجنزرة معطلة وأن رجالنا مصابون وأن نائبي واثنين من قادة الجماعات مصابون ، وأن هذه الحالة قد لا تسمح لنا بعمليات مثل هذه في الوقت الحالي ·

وفكر يادين قليلا ثم طلب مني انتظاره لحين التشاور مع بن جوريون وترك حجرته الى الحجرة المجاورة حيث مكتب وزير الدفاع ، وعاد بعد عدة دقائق وقال لي هناك سؤال واحد : هل الفرقة بهذه الحالة تستطيع الوصول الى النقب ؟ فقلت نعم قال اذن نفذ الامر وبعد الهدنة الثانيـــة سنحاول تنظيم الفرقة من جديد ·· وناقشنا خطـــة العمليات ووعدني بسيارات نصف مجنزرة جديدة وخرجت من مكتبه وأمر العمليات في جيبي يقضي بالتحرك فورا وذهبت لمقابلة بن جوريون بناء على طلبه ·

وأدار معي بن جوريون مرة أخرى موضـــوع قيادتي لقوات القدس ولكنه أجله لحين الانتهاء من عملية النقب وسألني عن عملية اللد ولكنه لم يوافقني على أن طبيعة عمليات الفرقة تتطلب الهجوم السريع والجرىء ، وقال أن تلك ليست حربا ، بل عمليات حرب عصابات ·· وطبقا لنظريته فان أى هجوم يجب أن يكون مخططا ومنظما وتسير حركته كجريان النهر ·· وانتهى حوارنا وقد تكونت لديه فكرة عن أنني قائد شجاع وجرىء ولكنني الى حد ما متهور ، أما أنا فقد تكونت لدى فكرة عنه ·· رجل عاقل وســـياسى بارع ويبنى نظرياته عن العرب والحرب بعيدا عن الواقـــع والخبرة ، فهو يعرف الكثير عن العرب ولكنه في نفس الوقت لا يعرفهم ·

وعدت الى القاعدة ومعي ٦ سيارات النصف مجنزرة التي وعدت بها وبذا أصبحت قوة الفرقة تتضمن ١٢ سيارة جيب و٨ سيارات نصف مجنزرة وأربع ســـيارات سكوت وســـيارتين مصفحتين والنمر المرعب وخمس مجموعات من الرجال وقسمت الجماعات الى جماعة سيارات الجيب وتشمل ٢٥ رجلا قسموا الى ثلاث فصائل ،مع كل فصيلة ٣ سيارات جيب مسلحة بمدافع ماكينة وجماعتين مزودتين ببنادق أتوماتيكية الاولى تضم ٣٣ رجلا والثانية ٢٥ رجلا وجماعة مساعدة من سيارات سكوت وأخيرا مجموعة القيادة التي تشمل جماعة الاستطلاع وتضم سيارتين جيب ووحدة المعلومات ونصف سيارة جيب ، ومجموعة السيارات المصفحة ، وكان مجموع رجال القوة ١٣٠ رجلا وكان فخر المجموعة كلها النمر الرهيب وفي يوم ١٥ (تموز) تحركنا الى طريق النقب وهناك أنشأنا قاعدة جديدة لنا في أحد حقول البرتقال حيث بدأنا في تنظيم أنفسنا ·· ولم أكن أعرف

الكثير عن منطقة النقب بالرغم من أننى قمت فيها بعدة رحلات ، وكانت دائما تبدو لى غريبة بعرائها ، فهى خالية من الحدائق والمزارع ولا نوجد فيها مياه بل ان رمال صحرائها لم تكن ناعمة ككل رمال الصحارى .

وفى المساء تلقيت أمر العمليات من لواء جيفاتى الذى سيعمل معنا وكان الامر بالتحرك لاحتلال قاعدتى حيفا وبيت عفا واختـــراق الخط للوصول الى كاراتيا وكان علينا أن نستولى على كاراتيا مســـاء يوم ١٧ يوليو وعقدنا اجتماعا فى مقر قيادة عمليات اللواء وقلت أن التحرك ليلا سيكون صعبا للغاية بالنسبة لسياراتنا واقترحت أن يتم الهجوم نهـارا ولكن اقتراحى رفض ، اذ أن المجموعات الاخرى التى ستشاركنا القتال كانت تفضل القتال ليلا وفى ١٥ يوليو (تموز) أرسلنا خلال الليــل فصيلة استطلاع لتكتشـــف الطريق الى كاراتيا ، وعندما وصلت الى قرب الفالوجا تعرضت لنيران ثقيلة ، مما دفعها الى العودة مرة أخرى بدون تحقيق هدفها وكان علينا أن نجهز للعملية وكان سوء الحظ فى الاستطلاع هو نصيبنا فقد نكون محظوظين فى العملية نفسها .

وحددت ساعة الصفر وكانت العاشرة من مساء يوم ١٧ يوليـــو (تموز) وكنت أعرف مقدما خطورة اختراق خطوط المصريين ولذا وضعت خطتى على أساس أن تتقدم السيارات بأقصى سرعتها على طريق المجـدل الفالوجا .

وبطلق النيران خلال تقدمها وتدور حول الفالوجا فى الطرف العربى متجهة الى كاراتيا وأصدرت تعليماتى الى الرجال فى السيارات بأن يحنو رؤوسهم طوال الطريق . وقد فضل قادة لواء جيفاتى البقاء فى القـاعدة وادارة العملية منها بينما كنت أنا أقود العملية بنفسى وناقشونى فى هذا الامر ولكننى قلت اننى أفضل أن أقود رجالى بنفسى وكنت أتعجب أحيانا كيف يمكن للقائد أن يدير المعركة من مكتبه ويعطى الاوامر ـ وهو آمن ـ لجنوده باكتساح العدو . وفى ساعة الصفر تحركنا وفى البداية أصيبت سيارة نصف مجنزرة بلغم فى الممر ونزل طاقمها وركب سيارات أخرى . وكانت التعليمات تقضى بعدم التوقف لاى سبب من الاسباب وباخلاء أى سيارة تصاب لكى لا يتعطل الطابور . وتقدم الطابور نحو الفالوجا وفى المقدمة سيارتا الاستطلاع يتعقبهما النمر ثم مجموعة المدافع الاتوماتيكية ثم مجموعة سيارات الجيب ومجموعة المعاونة وقد ركبت السيارة النائبة فى مجموعة المدافع الاوتوماتيكية وكان القمر كاملا ، لكنه حتى لو كان الظلام دامسا فان اكتشافنا كان بسبب صوت السيارات وخاصة النصف

مجنزرة وعندما وصلت مقدمة الطابور بالقرب من حافة الفالوجا الساعة العاشرة والنصف فتحت علينا نيران المورتار ومدافع الماكينة ، واستمرينا في التقدم بدون رد الى أن وصلنا الى مسافة ١٥٠ ياردة من العدو ، وهنا أصدرت الاوامر بأن تفتح كل الاسلحة نيرانها ٠

ووصلنا الى أصعب النقط على طريق المجدل الفالوجا حيث ووجهنا بمدافع المصريين الثقيلة من المورتار ومدافع الماكينة وعندما حاول قائد مدفع النمر أن يخرج برأسه ليواجه نيرانه مات فى الحال وجرح ستة رجال عندما انفجرت سيارتهم النصف مجنزرة ولكننا استطعنا اختراق الطريق المرير وتوغلنا فى الحقول للالتفاف والتوجه الى هدفنا مباشرة ولكن نيران الاعداء ما زالت توجه فوق رؤوسنا ولكننا كنا قد ابتعدنا كثيرا عن الخط ووصلنا الى الوادى المحدد على الخريطة على أساس أن به طريقا صالحا للسيارات ولكن الخريطة كانت خاطئة ولم يكن هناك أى طريق يصلح للسيارات ٠

وكان الوادى صعبا وحتى تستطيع السيارات الخروج منه فيجب عليها أن تتسلق حافته وكنا نستطيع العودة ولكن ذلك كان يعنى التخلى عن مهمتنا ٠٠ دخلنا الطريق وتأخرنا ونال التعب من رجالى وسألنى قادة الجماعات ماذا نعمل فان كنا سنعود ، فيجب أن يتـــم ذلك فورا ، لان المصريين ما زالوا يطلقون علينا وابلا من النيران وشعرت بالضياع وكانت الاوامر قبل أن نصل الى الوادى تقول : أخترق وتحرك وتحرك وأطلق النيران كما كانت تقضى بعدم التوقف اطلاقا وها نحن الآن فى مصـــيدة لا نستطيع الخروج منها وأخيرا قررت أن الطريق الوحيد للخروج من المأزق هو أن نمهد طريقا بأيدينا وأمرت رجالى بأن يمهدوا بأيديهم طريقا للخروج من الوادى فى الناحية الغربية وكان عملا هرقليا تحت وابل من نيران المورتار ولكن لم يكن أمامنا حل سواه ٠

وكلفت عاموس ابراموسن بأن يتولى عملية الاشراف على حفر الطريق والحراسة والتزام بقية الرجال الهدوء وتحركت أنا الى الجانب الآخر من الوادى ولففت رأسى فى كوفية عربية ونمت وعندما استيقظت بعد ساعة كنا لا نزال نتعرض لنيران المصريين وكنت أشعر بالنشاط بعد أن نلت قسطا من الراحة ولاننى تركت مهمة الاشراف على اعداد الطريق للرجل المناسب ، ولاننى لم أصدر قرارا سريعا فى الوقت الذى كنت أشعر فيه بتعب ٠ والآن شعرت بنشاط موفور وبقدرة على اتخاذ قرار بأن نستمر فى الحفر لمدة نصف ساعة أخرى لاعداد الممر ، وقررت أن أنقل رجال

السيارات التى لا تستطيع المرور الى السيارات الاخرى وفجأة جذبنى سخص قائلا هل ما زلت على ذلك الجانب من الوادى ؟ لقد انتهى اعداد الممر ٠

وفى الساعة الرابعة صباحا تحركنا نحو كاراتيا بسيارتى الاسطلاع فى المقدمة تليها النمر ثم خمس سيارات نصف مجنزرة تحمل كل الرجال وخلفنا رجال المشاة من لواء جيفاتى ووصلنا الى الطريق المؤدى الى كاراتيا وعندما وصلنا الى مسافة ٢٠٠ ياردة من القرية انتشرت السيارات النصف مجنزرة يمينا وشمالا وبدأت فى اطلاق النار وكان العدو ضعيفا فى عدة طلقات وتقدم النمر لحماية الهجوم وتقدمت مجموعة الجيب الى كاراتيا ثم دخلت السيارات نصف المجنزرة الى القرية بدون أى خسائر ٠

وفجأة وجدنا أنفسنا تحت نيران المدفعية الثقيلة للمصريين وبدأ رجالنا يركبون سياراتهم وذهب رجال الاستطلاع لاكتشاف طريق للخروج من هذا الجحيم ٠٠ لمحاولة الوصول الى هاتا وكانت احدى كتيبتى لواء جيفاتى قد احتلت طريق الفالوجا المجدل فى المساء وهاتا ولكن الكتيبة الثانية فشلت فى احتلال بيت عافا وتكبدت خسائر كبيرة فى هجومها ولكننا استطعنا تطهير كاراتيا واحتلالها رغم نيران المدفعية المصرية الثقيلة الآتية من بعيد وأصبحت الآن هاتا وكاراتيا تحت أيدينا وفتحنا الطريق بين النقب وشمال البلاد وكانت السادسة صباحا عندما غادرنا كاراتيا فى طريقنا الى قاعدتنا عن طريق هاتا بدون خسائر وبعد عدة ساعات زرت الجرحى من رجالى فى المستشفى وكان من بينهم اربك نهمكين ، وميشا بن بارك ، وعلى عينى كل منهما ضمادات وارتسم البؤس على وجهيهما وتذكرت حالتى عندما فقدت عينى ، وقلت لهم تكفى عين واحدة لرؤية كل الاشياء السيئة فى هذا العالم ٠

وكانت تلك هى آخر صلتى بالفرقة ٨٩ ٠

٩ صديقي العدو

بعد خمسة أيام من عملية النقب فى ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٤٨ ، عينت قائدا للقدس وحاولت مجموعة شتيرن فى الفرقة ٨٩ عرقلة هـذا التعيين غير أن جهودهم ذهبت هباء وقد قابل أعضاء هذه المجموعة رئيس الوزراء بن جوريون ، وحاولوا اقناعه بأهمية وجودى على رأس الفرقة ٨٩ ، وهددوه بأن تتبعنى الفرقة كلها الى القدس · واستـــتمع لهم بن جوريون ثم سألهم كيف استطعت كسب ثقة كل الرجال وخاصة المنشقين من مجموعه شتيرن ، فأجابوه دون تردد بان السبب هو أننى كنت أقود بنفسى كل رجالى فى كل المعارك وفى النهاية أخبرهم بن جوريون أن القدس تحتاج لقائد مقاتل ممتاز وأن القـــدس تحتل الاولوية على غيرها من الامكنة ·

وعندما قال بن جوريون ذلك فلا بد أن أفكاره كانت تشتمل عـلى احتمال أن القتال يمكن أن يتجدد فى القدس ، على الرغم من مرور شهرين على الغزو العربى ، وشهدوا على توقيع اتفاقيتى القدس التى أبرم أولاهما سلفى الكولونيل دافيد شالتيل والتى تنص على وضع جبـل المكبر تحت اشراف الامم المتحدة والثانية التى وقعها عن الجانب الاردنى المقدم عبد الله التل قائد قوات الجيش الاردني بالقدس والتى تقرر بمقتضاها وقف

اطلاق النار ، وتم تثبيت الوضع القائم فى الارض المنزوعة السـلاح بين خطوط الجانبين ٠

وخلال الشهور الخمسة التالية حتى نهاية الحرب فى ٧ ينـاير (كانون الثاني ١٩٤٩) لم نشترك سوى فى عمليتى قتال محدودتين ولم تنجح العمليتان ٠ وكان السبب الاساسى وراء هذا الفشل أن الرجال الذين حاربوا كانوا من المهاجرين الجدد الذين لا يعرفون شيئا عن طبيعة البلد ولغتها وتضاريسـها وجوها ، بالاضافة الى أنهم كانوا غير مدربين على القتال ٠ وعندما اسـتلمت قيادتى للقدس قمت بالتفتيش على كل النقاط ، وكانت حالة لواء عصيبون سيئة جدا ولكننى عملت على سد كل هذه الثغرات بنفسى ، وحاولت رفع المعنويات من خلال أحاديثى مع الضباط والجنود، ومنحهم الثقة من خلال سلوكى الشخصى خلال جولاتى التفتيشية وأمرت باعداد برنامج للتدريب وتحسـين الاسـلحة وقمت باحضار ضباط جدد وبهذا ارتفع مستوى اللواء مرة أخرى ولكن القتال لم يتجدد فى القدس وظل خط التقسيم بين اسرائيل والاردن هادئا ولكن طريقنا الى (رامات راشيل) كان واقعا فى مرمى نيران العرب ، ولم يكن لدينا سوى طريق صغير الى الشاطئ وأصبحت القـدس بالفعل بؤرة المشاكل لا حل لها سياسية وعسكرية يهودية ٠

ولقد جئت الى القدس فى عملية تعيين عسكرية ولا شك أن ذلك الترشيح تم بناء على مؤهلاتى القتالية لكننى تحولت الى السياسة حيث كان عملى محصورا فى اجراء المفاوضات حول الترتيبات المحلية مع قادة القدس العربية وعقدة الاتفاقيات ولم أكن فى بداية الامر أولى اهتماما شديدا بالمفاوضات مع العرب وكنت أخطط لقرارات عسكرية وأتوقعها ٠ كما كنت أرى أن حل المشاكل لن يتأتى الا من خلال الخنادق والرصـاص والهجوم ولكن عندما توصل وقف اطلاق النار الى انهاء القتال نفسه انتقلت المعركة الى مائدة مجلس الامن وسرعان ما وجـدت نفسى مندمجا فيهـا ٠

وجعلنى هذا العمل السياسى على اتصـال مباشر مع رئيس الوزراء بن جوريون ومع الزعماء السياسيين الآخرين لكننى أصبحت أرى الآن بصورة مباشرة كيف يتفوق بن جوريون على كافة القـادة فى مجال السياسة ، وقد تأثرت جدا بحكمته السياسية ٠

وكنت عندما نقلت الى قيادة القدس قد اصطحبت عائلتى معى ، وكنا نسكن فى منزل واسع يقع فى مواجهة الجانب الاردنى ويتعرض

للرصاص الذى يطلقه الاردنيون بين الحين والحين وكنا عندئذ نضطر الى الانتقال الى الجانب الغربى من المنزل والى الملاجىء لتجنب الرصـــاص والشظايا • ومع هدوء الاحوال فى المدينة وتوقف أعمال القناصة ، كان المستأجرون الجدد ينزحون الى المدينة فجاء اليها أليعازر كايلام وزيـر المالية وغيره • وكنت على اتصال دائم برجال الصحافة ، الذين كانوا يستقون أخبارهم من اتصالاتى واجتماعاتى مع الجنرال ويليام رايلى كبير مراقبى الامم المتحدة ، وأعضاء لجنة الهدنة التى كانت تضم جين نوينهايس من بلجيكا ورينيه نوفيل من فرنسا ووليام بارديت من الولايات المتحدة وتلقف الصحفيون الاخبار عندما اجتمعت مع العقيد عبد الله التل قائد القدس العربية •

وعملت زوجتى روث فى الوكالة اليهودية فى تنمية الحرف والصناعات اليدوية بين المهاجرين وكانت تمضى معظم وقتها فى زيارات لهذه العائلات لتشجيعها على العمل وتسويق انتاجها أما احتياجات المنزل فكانت تقوم بها سيمحا ، وهى أرملة فى الخمسين من عمرها ، أحبها أطفالى وتعلقوا بها وقد سبب لى الاطفال كثيرا من المتاعب فى القدس وخاصة مع الجيران ولم تكن الحياة فى القدس مختلفة عن الحياة فى ناحلال ، بالنســـبة للاطفال فحســـب ، وانما بالنســـبة لى أيضا حيث غرقت فى اجتماعات ومناقشات ومحادثات لا نهاية لها ، بالاضافة الى الحفلات الكثيرة والمأكولات الدسمة ••• كانت حياة اجتماعية تختلف عما تعودناه فى ناحلال • أما من حيث عملى فقد كنت أفضـــل دائما الا أبقى فى مكتبى وأن أخرج فى زيارات تفقدية لكل مواقعنا على السور •• صحيح أن وقف اطلاق النار كان ساريا لكننى كنت أحب أن أطمئن بنفسى على هذه المواقع وكثيرا ما كنت أخرج من هذه الجولات مباشرة الى اجتماعات رسمية ، وغير مبال بأن تكون ملابسى أو حذائى متسخا •

بعد اسبوعين من تسلمى قيادة القدس ، وفى يوم ١٠ أغسطس (آب) وصل الكونت فولك برنادوت مبعوث الامم المتحدة فى زيارتـه الثانية وكان من الواضح أنه قد قرر حل المشكلة الفلسطينية بنفسه وقد وضع خطة تتعارض مع قرار التقســـيم الذى أصدرته الامم المتحدة فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٤٧ واقترح - من بين بنود هذه الخطـــة تسليم القدس الى العرب ، الامر الذى كان لا بد له أن يؤدى الى اطـالة أمد القتال لا الى اقرار السلام •

وتقابل برنادوت مع الدكتور دوف يوسف الذى كان يرأس لجنة انقاذ القدس خلال الحصار ، وأصبح الآن ممثلا للحكومة مسئولا عن ادارة

القدس · وكان مع دوف يوسف فى الاجتماع اسحاق بن زيفى ، الذى أصبح فيما بعد ثانى رئيس لدولة اسرائيل ودانيل استور أول عمدة للقدس وعقد الاجتماع فى القنصلية البلجيكية ·· وعندما وصل برنادوت الى المبنى استقبلنه مجموعة من الشباب تحمل لافتات كتب عليها استكهولم بلدك والقدس مدينتنا ، وتحت هذه العبارة توقيع (المحاربون من أجل حرية اسرائيل) وهى الاسم الكامل لمجموعة شتيرن · ولم أعلم بما حدث الا عندما اتصل بى دوف يوسف تليفونيا وطلب منى تفريق المتظاهرين وتوجهت الى هناك على الفور وطلبت من المتظاهرين الانصراف فانصرفوا فورا بدون أى مناقشات ·

وبعد شهر أى فى ١٧ سبتمبر (أيلول) عاد برنادوت الى القدس مرة أخرى وقبل أن يلتقى مع دوف يوسف توجه الى مقر الحكومة الذى سلمته السلطات البريطانية الى الصليب الاحمر على اعتبار أنه قد يصلح مقرا لقيادة هيئة الرقابة الدولية ثم انتقل بعد ذلك الى دوف يوسف فى قافلة تضم ثلاث سيارات تابعة للامم المتحدة وفجأة فى منتصف الطريق اعترضت القافلة سيارة جيب قفز منها ثلاثة رجال يرتدون الملابس العسكرية وهاجموا برنادوت وأطلقوا النار عليه وعلى رئيس أركان حربه الكولونيل أندريه بيير سيروف الذى كان يجلس الى جواره وعلم فيما بعد أن سيارة الجيب المستعملة تابعة للامم المتحدة وكانت قد سرقت من قبل ·

وأعلن تنظيم يدعى (جبهة الوطن) مسئوليته عن هذه العملية وكانت الشكوك قد اتجهت الى منظمة شتيرن ، غير أن قادتها أنكروا وسرعان ما تصاعدت آثار هذا الحادث ، وقررت الحكومة حل هذه المنظمة وفى اليوم التالى قامت قوات الجيش بمحاصرة معسكر شتيرن فى القدس وسلم الاربعون رجلا الذين كانوا هناك أسلحتهم بدون مقاومة ·

كانت شتيرن حتى ذلك الحين تعمل فى القدس بشكل صريح وتحظى باستقلال تام وتعين علينا أن نضع حدا لهذا الوضع الشاذ الذى لم يكن موجودا الا فى القدس ، حيث توجد منظمة شبه عسكرية ترفض الخضوع لسلطة الحكومة · أما منظمة الارجون فأعلنت عن رغبتها فى الانضمام الى القوات المسلحة للبلاد وبدأت التكهنات عما ستفعله الشتيرن ازاء القرار بحلها ، لكنها فى النهاية سلمت أسلحتها الى الوحدات الاسرائيلية ·

لم تكن العواقب السياسية لمقتل برنادوت واضحة أمامى ، فقد كان مجالها بعيدا عنى ، ولم أكن مهتما بالشئون السياسية بالقدر الذى

قمت به بالفعل بعد عدة أســـابيع ، كان أهم ما فى الموقف أنى اصبحت القائد الوحيد لكل القدس •

وسرعان ما انغمست فى الشئون السياسية التى بدأت بالمفاوضات التى كنت أجريها مع القادة الاردنيين للقدس ، ثم تلتها المفاوضات مع الدول العربية فى رودس ، ثم اشرافى على تنفيذ اتفاقيات الهدنة التى عقدت مع الدول العربية الاربع التى اشتركت فى حرب ١٩٤٨ وهى مصر والاردن وسوريا ولبنان • وأسفر خطوط وقف اطلاق النار عن تقسيم مدينة القدس الى نصفين ، النصف الغربى وقد سيطرت عليه اسرائيل ، والنصف الشرقى وقد سيطرت عليه الاردن ، بما فى ذلك القدس القديمة والحائط الغربى — أقدس الاماكن المقدسة لدى اليهود — والحى اليهودى • ونظرا لوقوع منطقة اللطرون تحت السيطرة الاردنية ، فقد اضـــطرت اسرائيل الى شق طريق يزيد طوله عن الستة أميال لربط القدس بتل أبيب •

وفى ٣٠ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٤٩ وقعت نيابة عن اسرائيل اتفاقية (لوقف مخلص ومطلق لاطلاق النار) ، ووقعها عبد الله التل باسم الاردن (وكل القوات العربية الاخرى فى منطقة القدس) •وألحقت بالاتفاقية خريطة تبين مواقع وقف اطلاق النار والمنطقـــة المحرمة بين الجانبين • وسمحت الاتفاقية بعبور قافلة اسرائيلية الى جبل المكبر كل أسبوعين حاملة المؤن والافراد الجدد •

وقد أتاحت لى المفاوضات مع العرب فرصة طيبة لكى أعرف الطرف المقابل لى معرفة جيدة • وقد أعجبت بالجنرال عبد الله التل وبشخصيته القوية وعيونه النفاذة ، وازداد اعجابى به عن غيره من الضباط والسياسيين العرب الذين كنت قد التقيت بهم حتى ذلك الحين •

أما فى اجتماعات لجنة مراقبة الهدنة ، فقد كان الكولونيل الامريكى كارلسون — باقحامه نفسه فى المناقشات واثارته للعقبات — مدعاة لنفاذ صبرى • وحدث فى أحد الاجتماعات التى اشترك فيها كارلسون ، أن اضطررت الى طلب عقد اجتماع منفرد مع عبد الله التل فى غرفة مجاورة • ولم يمض وقت طويل حتى كنا قد سوينا ما بيننا من مشاكل بل واتفقنا على مد خط تليفونى يربط فيما بيننا دون ما حاجة الى الاتصال بالامم المتحدة • ولم يثر هذا الاتفاق دهشة الحاضرين فحسب ، وانما أدهش أيضا الجنرال رايلى رئيس هيئة الرقابة ، الذى وان كان تاريخه العسكرى فى البحرية معروفا ، الا أن دراسته بالشرق الاوسط كانت ضئيلة •

وقد كان هذا الخط التليفونى — حتى الآن — هو الخط الساخن الوحيد فى الشرق الاوسط · وقد أثبت هذا الخط فائدته فى ترتيب اللقاءات بينى وبين التل ، وبينى وبين الملك عبد الله فيما بعد فى قصره الشتوى فى الشونة · **ولو اننا اعتمدنا على الامم المتحدة فى مثل هذه الامور لكنا قد فشلنا بالقطع** · وقد بذل التل جهودا رائعة فى ترتيب لقاءاتنا مع الملك عبد الله أو فى اطلاق سراح الاسرى · وكانت مخاطرته الشخصية كبيرة عندما كان يصطحبنا فى سيارته عبر نقاط الحدود العربية ، وكان وجهه يكتسى بياضا كلما نظر أحد الجنود من داخل نافذة السيارة خوفا من أن ينكشف أمرنا ·

كذلك فقد ساعدنى التل على الافراج عن أسرانا فى الحرب بعد أن حصل على موافقة الملك عبد الله على ذلك · وفى يونيو (حزيران) ١٩٤٩ قدم التل استقالته من الجيش بعد أن اختلف مع الملك حول بقاء الانجليز فى الاردن · وسافر الى دمشق ثم الى القاهرة حيث اشترك فى العمليات ضد البريطانيين فى القناة · وحدث أن جاءنى أحد الامريكيين باقتراح ترتيب معه ·· لكن هذا اللقاء لم يتم ·

١٠ محادثات مع ملك عربي

عقب توقيع (اتفاقية وقف اطلاق النار المخلص) مباشرة ، ابلغني عبد الله التل أن الملك قد خوله صلاحية بحث كل الامور المتعلقة بالقدس والمناطق المحيطة بها • وكانت اقتراحات التل مبنية على أساس أمرين هما : تبادل الاراضي وقيام سيطرة مشتركة •• ولا بد أن تلك كانت هي أيضا نفس أفكار الملك • وكان بن جوريون يريد قيام سلام رسمي ودائم ونهائي • ومع أنه كان على استعداد لتبادل الاراضي الى حد معين ، فانه لم يكن يرى امكانية قيام سيطرة مشتركة •

وفي ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٨ اقترح التل اعادة الحي اليهودي مقابل اعادة حي القطمون ، وفتح طريق اللطرون • لكن بن جوريون رفض الاقتراحين • وفي ٥ ديسمبر (كانون الاول) جاءني التل باقتراحين باسم الملك ، أولهما تخلي الاردن عن جزء من منطقة اللطرون نسيطر عليها ... بوليس عربية — يهودية ، في مقابل اعادة بعض اللاجئين العرب الى اللد والرملة ، أما الاقتراح الثاني فكان الاستجابة لما سبق أن أقترحته بخصوص اعادة فتح خط السكة الحديد بين القدس وتل أبيب في مقابل استخدام الاردن لطريق القدس بيت لحم • وكان بن جوريون يعارض أساسا في الترتيبات الجزئية ، وطلب مني ابلاغ الملك — عن طريق التل بأننا لا يمكن أن نستمر في المحادثات مع وجود الهدنة وأننا على

استعداد ــ بل نحبذ بشدة اجراء مفاوضات لايجاد الظروف الحقيقية لقيام السلام ٠

وفي لقاء يوم ١٨ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٨ مع رئيس الوزراء بن جوريون ، قال ان مستقبلنا هو السلام مع أصدقائنا العرب ، وأن الهجرة تتطلب السلام ، وانه يحبذ اجراء محادثات مع الملك عبد الله ٠

وبعد مرور اسبوع أبلغني عبد الله التل أن الملك قد خوله الاشتراك معنا في وضع مشروع خطة السلام ، وسوف يكون برفقته طبيب الملك الخاص ، حتى اذا ما انتهينا من العمل عرضه الملك على حكومته لاقراره٠ وتقرر أن نعقد اجتماعاتنا في مبنى يقع في الارض المنزوعة السلاح ، فاذا ما أحرزت الاجتماعات تقدما عقدناها مرة في مبنى أردني ومرة في مبنى اسرائيلي ٠ وطلب الينا التل الحضور بالملابس المدنية ومعنا الخرائط والوثائق اللازمة ٠

وقرر بن جوريون أن يتشكل وفد اسرائيلي من (ريوفين شيلواه) من وزارة الخارجية بالاضافة الى ٠ وأعطانا عددا من التوجيهات منها ألا تتوقف المحادثات لكي نحتفظ بالهدنة على الجبهة الاردنية ، اذ كانت الهدنة مع مصر قد خرقت ، وألا نعطي أى تعهدات أو التزامات وخاصة فيما يتعلق بضم الاردن للضفة الغربية ، وأن نذكر امكانية منح الاردن ممرا الى غزة عبر الاراضي الاسرائيلية ٠

وانعقد الاجتماع الاول يوم ٥ يناير (كانون الثاني)١٩٤٩ ، في أحد المباني عند بوابة مندلبوم ٠ وتبادلنا أوراق الاعتماد ٠٠ فكانت أوراقنا مكتوبة باللغات العبرية والانجليزية والعربية بتوقيع بن جوريون رئيس الوزراء وموشى شاريت وزير الخارجية ٠ أما أوراق اعتماد الجانب الاردني فكانت عبارة عن رسالة بخط يد الملك عبد الله ٠ وبدا واضحا منذ البداية ، بعد أن عرض التل اقتراحاته ، أن الهوة واسعة تفصل ما بين مفهوم كل منا للتسوية ٠ ونقلنا كما حدث الى بن جوريون مبينين أنه لا جدوى من الاستمرار في المحادثات ، لكنه أشار علينا بالمضي فيها لتثبت استعدادنا لبحث امكانية السلام بشكل جدى ٠

واتفقت مع التل على أن نعقد الاجتماع الثاني يوم ١٤ يناير(كانون الثاني) ٠ وقبل حلول موعد الاجتماع بيوم واحد أبلغني التل أن الملك يدعونا الى قصره في الشونة ليظهر لنا شخصيا رغبته في احلال السلام٠ وتلقيت موافقة بن جوريون على ذلك ٠ وعقدنا اجتماعين مع الملك عبد الله

أولهما يوم ١٦ يناير (كانون الثانى) ١٩٤٩ ، والثانى بعده بأسبوعين - ومثلت اسرائيل فى هذين الاجتماعين مع الياهو ساســـون من وزارة الخارجية • أما الجانب الاردنى فقد حضره مع الملك فى الاجتماع الاول كل من التل وطبيب الملك ، وفى الاجتماع الثانى حضره توفيق أبو الهدى رئيس الوزراء • وكان التل يصحبنا الى هذه الاجتماعات فى سيـــارته الخاصة التى يقودها بنفسه •

وفى الوقت الذى كنا نجرى فيه هذه المحادثات • كانت هناك فى رودس محادثات أخرى تحت اشراف وسيط الامم المتحدة رالف بانش لعقد اتفاقيات هدنة مع الدول العربية • وها نحن قد استطعنا بعـــد ثمانية أشهر من الحرب ان نعيد قوات الدول العربية الى قرب حدودها الاصلية • وانتهت المحادثات بتوقيع اتفاقيات الهـدنة مع مصر فى ٢٤ فبراير (شباط) ومع لبنان فى ٢٣ مارس (آذار) ومع الاردن فى ٣ ابريل (نيسان) وأخيرا مع سوريا فى ٢٠ يوليو (تموز) •

وأعود الى المحادثات مع الملك عبـــد الله ، حيث لم تنته الى نتائج ملموسة تغير من الموقف شيئا • وكان الملك ينتظر توقيع الاردن لاتفاقية الهدنة لكى يتم بعدها بحث اتفاقية سلام بدون وساطة الامم المتحدة ،وأن يجرى ذلك علنا فى القدس بحضور الملك كضـــيف شرف ، بل أن الملك اقترح تشكيل وفد اسرائيل منى ومن شاريت دساسون • وكان الملك حريصا على ألا نعيد غزة الى المصريين ، اذ كان الاردن يحتاجها كمنفــذ له الى البحر الابيض المتوسط ، وكان يقول لنا (خذوها أنتم ـ اعطوها للشيطان ولكن لا تعطوها لمصر) •

كانت اجتماعاتنا تتم فى قصر الشونة الملىء بمظاهر الابهة ، وكانت تبدأ دائما بتحيات الملك الى قادتنا حاييم وايزمان ـ الرئيس ـ وبن جوريون وموشى شاريت ، أما جولدا مائير فلم يكن الملك يحبها • ويرجع ذلك الى لقائها معه قبيل الحرب وطلبها اليه عدم دخولها • وازاء هـــذا التحذير من جانب امرأة فان الملك (بالطبع) اختار أن يدخل الحرب • وعندما علم أثناء المحادثات أنها تعمل فى سفارتنا فى موسكو قال(دعوها هناك ـ دعوها هناك) •

وكان شاريت يتصرف حسب الاصول فى حضرة الملك ، لكنه فى أحد الاجتماعات صحح معلومات الملك حول عضوية الصين فى عصبة الامم ، وكان وهو يؤكد عدم عضويتها يتصرف كمدرس فى الحضانة وأمامه تلميذ متخلف عقليا • وكانت تلك بالطبع هى نهاية هذا الاجتماع •وأثناء

عودتنا سألت شاريت عما اذا كانت عضوية الصين تستحق كل هذا الجدال ، فرد على قائلا أن الصين بالفعل عضو فى عصبة الأمم ٠

وكانت هناك دائما قبل الاجتماع دعوة لتناول الغداء مع الملك يسبقها لعبة شطرنج أو قراءة للاشعار ، وعندئذ لم يكن الامر يقتصر على الانهزام فى الشطرنج وانما على ضرورة ابداء الاعجاب بالتحركات التى يلعبها الملك ، أو التنهد من أعماقنا خلال قراءته للاشعار ٠ وبالرغم من ذلك فاننى لا أبخس الملك عبد الله حقه ، اذ كان رجلا حكيما ، قادرا على اتخاذ القرارات بنفسه مباشرة ٠

أما المحادثات الرسمية بعد ذلك ، فقد بدأت رودس فى الاول من مارس (آذار) ١٩٤٩ واستمرت أسبوعا ٠ وكان وفد اسرائيل مكونا من شيلواه ومنى ٠ وكانت مصر قد وقعت اتفاقية الهدنة معنا ، فلم يعد أمامنا الا أن نفسخ نفس الاتفاقية مع ابدال كلمة (مصر) بـ (الاردن) فى نصوصها ٠ وجرت المحادثات تحت اشراف رالف بانسن ، ورأس الوفد الاردنى العقيد أحمد صدقى الجندى ٠ والواقع أن آخر ما قد يصلح له الوفد الاردنى هو اجراؤهم لهذه المحادثات ، فهم لا يقومون بعمل الا اذا تلقوا الامر وما يصلحون له فعلا هؤلاء العسكريين ليس الا حفظ النظام عمان أو مطاردة اللصوص فى الصحراء ٠

وأثار اعجابى حسن رئاسة رالف بانسن للاجتماعات ٠ كان رجلا يحسن الاستماع ، ويجيد قيادة الامور نحو الاتفاق ، ويبرع فى صياغة ما قد نتفق عليه من بنود ٠ وكم أصاب عندما قال لى ان المهم الآن هو أن نصل الى انهاء القتال ، وبعدها فان حقائق الحياة هى التى ستفرض الاتفاقات اللازمة ٠

وعندما استولت اسرائيل على أم الرسراش ، وهى ميناء ايلات ، بادر الملك عبد الله يوم ١٤ مارس (آذار) ١٩٤٩ بالابراق الى شاريت متسائلا عن صحة ذلك وعن حقيقة تصريحه بأن اسرائيل سوف تحتل أية أراض تنسحب منها القوات العراقية ٠ وفى اليوم التالى بعث والتر ايتان ـ المدير العام لوزارة الخارجية ـ رسالة نيابة عن وزير الخارجية أكد فيها للملك استعداد اسرائيل لاستدعاء العقيد موشى ديان من رودس لاجراء المحادثات اللازمة مع ممثل الملك فى القدس للوصول الى اتفاق حول الاراضى التى تنسحب منها القوات العراقية ٠

وبناء على استدعاء برقى ، عدت الى القدس والتقيت مع عبد الله التل يوم ١٨ مارس (آذار) حيث بادرته بمطالبنا فى الاراضى التى

ستنسحب منها القوات العراقية ، وبعد أن بين أن الاردن لا تستطيع الموافقة على ذلك نظرا لثورة الرأى العام الاردنى ، انفض اجتماعنا على أن نعود للقاء فى اليوم التالى ٠

وفى اليوم التالى أبرق الملك عبد الله الى ايتان مقترحا أن يجتمع معه ومعى للاتفاق على هذه النقطة ، وتوجهت الى مقابلته بالفعل ومعى النقيب يهوشوقات هاركابى ، حيث عرضنا عليه اقتراحاتنا التى وان لم تكن متواضعة فقد كانت عادلة ٠ وقرر الملك عرض الامر على وزرائه ، ثم أمر بتشكيل لجنة وزارية تجتمع معنا لاتخاذ القرار اللازم ، تضم فلاح باشا المدادحة وزير العدل والمدير العام لوزارة الخارجية والتل ٠ وبدأ الاجتماع وانفض دون الوصول الى نتيجة بعد أن استبد بالجميع التعب ٠ وكان وفدنا مكونا من ايتان ويجآل يادين ــ رئيس العمليات ــ وهاركابى وأنا ٠

وفى اليوم التالى عقد الملك اجتماعا ، حضره وفدنا بنفس تشكيله، أما الجانب الاردنى فقد ضم نائب رئيس الوزراء ووزيرى العدل والتربية والمدير العام لوزارة الخارجية ٠ واستمر الاجتماع حتى الثالثة صباحا حين تم توقيع الخرائط ٠ وعندما كان الملك خلال الاجتماع يذكرنا دائما بالتضحيات التى يقوم بها ، خرجت عن مشاعرى وقلت له ان كل عضو فى وفدنا هذا فقد أخا له فى هذه الحرب ٠ وفى نهاية الاجتماع قدم ايتان الى الملك توراة مجلدة بالفضة هدية من بن جوريون ، وأعطانا الملك هدايا ، وكان نصيبى مسدسا ٠

وقال لنا وهو يودعنا (الليلة أنهينا الحرب وأرسينا السلام) ٠

وبعد ذلك بساعات عدت الى رودس ، وفى يوم ٣ أبريل (نيسان) تم توقيع اتفاقية الهدنة مع الاردن ، وعدنا بالاتفاقية والخريطة الملحقة بها موقعة من قبل الجنرال جلوب باشا عن الاردن ، وممهورة عن اسرائيل بتوقيعى ٠

وقد التقيت بالملك عبد الله بعد ذلك عدة مرات ، ولم تكن الرحلة الى عمان سهلة مثل الرحلة الى الشونة ، اذ كان يتعين على بعد أن أنهى الاجتماع فى عمان أن أبقى فيها الى أن يحل الليل ثانية فأعود الى القدس ٠ وأبلغ أحد المراسلين الاجانب بن جوريون أن الملك عبد الله مستعد للتوصل الى السلام ، فبحث هذا الموضوع فى أحد اجتماعنا مع الملك ــ أنا وشيلوب ــ يوم ١٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٩ ٠ وطرحنا عليه (معاهدة سلام) لكن الملك غير الاسم الى (ورقة سلام) ، ثم عاد فى

اجتماع آخر فطلب الينا اعتبار هذه الورقة كأن لم تكن ، ما دامت الدول العربية الاخرى ، وبالذات مصر ، لم تفعل نفس الشيء • ولست أدرى ما اذا كانت الحكومة الاسرائيلية قد صدقت على هذه الورقة ، لكننى أعلم أن بن جوريون لم يرفضها وانما اكتفى بحك أنفه وهو يقرؤها •

وبدأ تنفيذ اتفاقية الهدنة يوم أول مايو (آيار) ١٩٤٩ • وعندما توجهت مجموعة القوات الاسرائيلية والاردنية الى المواقع لوضع الاسلاك الشائكة وتحديد خط الفصل بين الجانبين ، نشأت مشكلة تمثلت فى قرية بيت صفافا التى تحتم أن يمر السلك الشائك فى منتصفها ويفصل بيوتها وأهلها الى قسمين أحدهما فى اسرائيل والآخر فى الاردن • وهب الاهالى وأطلقت النيران وقتل أحد جنودنا ، وفى اليوم التالى وازاء اصرارنا وتصميمنا تم مد السلك • وأصبح خط سكة حديد تل أبيب بأكمله فى قبضة اسرائيل •

وفى الوقت الذى غمر فيه الفرح بن جوريون ، انتفضت الاردن فى غضبة مائجة واستقالت الوزارة• وعين الملك وزارة جديدة ضم اليها ثلاثة من الفلسطينيين فى محاولة لاحتواء غضبتهم • ولقد كان بوسع الملك أن يفيد الاردن والشرق الاوسط ، لولا أنه اغتيل على يد عربى فلسطينى يوم ٢٠ يوليو (تموز) ١٩٥١ أثناء خروجه من المسجد الاقصى عقب صلاة الجمعة •

وبقيت طوال عملى فى القدس ، والى أن عينت قائدا للجبهة الجنوبية فى ١٥ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٩ ، أعالج أمور اتفاقيات الهدنة • وتم تشكيل لجان هدنة مشتركة ، وفى ٩ يونيو (حزيران) ١٩٤٩ صدر قرار بتعيينى رئيسا لكل اللجان المشتركة للهدنة مع الاردن ومصر وسوريا ولبنان • ويمكننى القول أن الاتفاقيات قد وضعت موضع التنفيذ، وان كانت قد فشلت فى أن تكون منطلقا نحو السلام الدائم نظرا لرفض الدول العربية الاستمرار فى المحادثات مع اسرائيل •

وكان هناك أمران نشأ حولهما الخلاف فى هذه الاتفاقيات ، أولهما يتعلق بحق اسرائيل فى الوصول الى الاماكن المقدسة والجبل المكبر ، والثانى يتعلق بتعريف المناطق منزوعة السلاح على الحدود السورية • ولم أكن مهتما بالمناطق منزوعة السلاح على الناحية السورية ، قدر اهتمامى بالقدس حيث كان التفسير الاسرائيلى لهذه المادة الحق فى الوصول الى الاماكن المقدسة وخاصة الحائط الغربى (حائط المبكى) • وكانت اتفاقية الهدنة قد دعت الى تشكيل لجنة خاصة لوضع الترتيبات

اللازمة لذلك ، لكن الاردنيين أداروا ظهورهم لهذه الفقرة ، وظلت القدس القديمة موصدة فى وجه اليهود •

وحاولت ، بدون جدوى ، اقناع بن جوريون والآخرين بأن الحل هو استخدام الجيش لفتح الطرق وتنفيذ الاتفاقية ، مؤمنا بأن عـــدم اصرارنا على تنفيذ بنودها يعد استسلاما أمام العرب • وسألنى بن‌جوريون عن احتمال أن يؤدى هذا العمل العسكرى الى تجدد الحرب ، فأجبته بأننى لا أعتقد ذلك اذ سيبقى الامر اشتباكا عسكريا لا يفجر الاعمـــال الحربية ، بل ان اصرارنا قد يؤدى الى اجبار الاردنيين على التنفيذ •

وكنا فى تلك الاثناء نقوم بعملية انقاذ هائلة يتم خلالها تجميـــع اليهود اليمنيين فى عدن ثم نقلهم الى اسرائيل بالطائرات بمعدل ألف يهودى كل يوم ، وبلغ عددهم عدة عشرات من الآلاف • وكان اليهـــود اليمنيون جزءا فقط من عملية تجميع اليهود من كل أنحاء العالم ، وبوجه خاص أولئك الذين وقعوا ضحايا معسكرات التعذيب النازية • وتطلب الامر جهودا شاقة من أجل اطعام هؤلاء المهاجرين وايوائهم ثم اسكانهم وانشاء المستعمرات الجديدة وخاصة فى الصـــــحراء • كانت تلك هى الاولويات ، خاصة وأن أرض اسرائيل ــ كما قال بن جوريون ــ لن تظل فى أيدينا اذا اعتمدنا فقط على الحرب وقوة السلاح •

كان كتاب الحرب ، فى عقل بن جوريون ، قد أغلق ، ولو فى الوقت الحاضر • وأصبحت عيونه معلقة الآن بتحقيق الحلم الصهيونى ، الذى كانت الهجرة هى جوهره ، وعودة اليهود المنفيين ، واحياء الارض •

١١ عالم جديد

بعد ذلك بشهر واحد ، فى أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٩ ، رقيت الى رتبة جنرال وعينت قائدا عاما للقيادة الجنوبية التى كانت تمتد حتى ايلات • وكان سلفى فى القيادة ضابطا من قوات البالماخ ، قوات الهاجاناه الضاربة قبيل قيام الدولة ، هو يجآل الون • وكان مع ضباط القيادة من رجال البالماخ الذين أغضبهم تعيينى فى هذا المنصب أثناء وجود آلون فى رحلة فى الخارج •

كانت مهام القائد جديدة بالنسبة لى ، تماما مثلما كانت الارض التى سأعمل فيها • وعلى الفور شرعت فى استكشاف المنطقة فى رحلة بالسيارة الجيب وصلت فيها حتى ايلات • وعندما رقدت على رمال ايلات بعد أن قذفت بجسدى المتعب فى الماء ، أحسست بمدى اختلاف هذا العالم الجديد عن العالم الذى اعتدت عليه فى شمال اسرائيل ـ فالعالم هنا صحراوى ـ شاسع الامتداد (جاف) حار •

والتقيت فى الصحراء بمهندسى الجيش وهم يمهدون لانشاء طريق وسط هذه القفار يصل ما بين ايلات وبير سبع ، وقد توصلوا الى خلط الملح مع الارض لكى تستطيع تحمل الطريق الجديد ، وفقا لنفس الخطة

التى ذكرتها التوراة • وكانت هناك أيضا بضع كيبوتزات استطاعت أن تزرع الصحراء ، لكننى رأيت أن الجيش يمكنه أن يقدم الكثير من أجل اعمارها •

وقررت عرض الامر على بن جوريون خلال زيارتى لتل أبيب لاجراء محادثات فى مقر القيادة • واقتحمت عليه خلوته أثنـاء اعداده احدى خطبه ، وعندما سـألته عما اذا كان يريد منى أن أهتم بالتنمية المدنية للمنطقة أجاب بالايجاب ، وبالفعل تم وضع رئيس سلطة تنمية النقب تحت امرتى • وفجأة قال لى بن جـوريون أن بيفن – وزير خارجية بريطانيا – يريد ضمان تسليم منطقـة النقب لمصر لكى ترتبط مصر والاردن بجسر أرضى متين • وعندما حدثته عن اجراءات الامن التى اتخذتها قاطعنى قائلا : (ان الامن لا يعنى مواقع عسكرية ، وانما يعنى تأسيس مدن يهودية ومستعمرات زراعية فى النقب ، وجعل الصحراء تزدهر) •

وهكذا كنت ألجأ الى بن جوريون مباشرة لحل كل المشاكل المدنية فى المنطقة • فقد وجدت مثلا فى قرية المجدل ، التى وقعت داخل اسرائيل وكان أهلها يعيشون من العمل فى غزة ، وجدت أن الاهالى يريدون العودة الى غزة أو الى مدن أخرى داخل اسرائيل – وحصلت على موافقة المقدم محمود رياض ، ممثل مصر فى لجنة الهدنة المشتركة ، وكنت قد التقيت به من قبل فى اجتماعات لجان الهدنة المشتركة • ووافق بن جوريون على ذلك شريطة أن يوافق عرب المجدل بأنفسهم على ذلك •

وخلال استعداداتى لاتمام العملية تلقيت تعليمات بالتوقف وانتظار تعليمات أخرى • واتضح أن بنحاس لافون – سكرتير الهستدروت (اتحاد عمال اسرائيل) ، والذى خلف بن جوريون فترة قصيرة كوزير للدفاع عندما كنت رئيسا للاركان – قد اقترح أن يتولى الهستدروت تشغيل عمال النسيج فى المجدل فقط ، فى حين أن اقتراحى كان مفيدا للقرية كلها • واستدعينا لمقابلة بن جوريون الذى وقف الى جانبى بعد أن سمع اقتراحينا • وأثبت المقدم محمود رياض احتـرامه للوعد الذى قطعه ، اذ وجدته قد أعد لوريات عند نهاية الطريق لتنقل عرب المجدل الى غزة •

وانقضى عام ١٩٥٠ هادئا فى المنطقة لم يكن لنا فيه من عمل الا القيام بالدوريات ونصب الكمائن لمنع المتسللين من عبور الحدود ، وكانت هناك بعض قبائل البدو التى تثير لنا المتاعب كقبيلة العزازمة التى كانت تصر على حريتها فى التجول بحرية بين أراضينا ، أما القبائل الاخرى فقـد مددنا لها خدمات طبية وتعليمية بل وأسلحة للدفاع ضد القبائل المغيرة •

وأعترف بأنني كنت أتمتع بالمشاركة في الدوريات عبر الدوب غير المأهولة في الصحراء هربا من العمل في المكتب • وكنا نتعرض لاطلاق الرصاص علينا من جانب المهربين أو بعض العزازمة الذين يريدون تصفية حسابهم معنا • وكنت أصطحب معي في الصحراء أحيانا ابنتي يائيل وهي في سن الحادية عشرة ، وأشاهدها وهي مبهورة بالصحراء الواسعة أو بقطعان الغزلان الجامحة ••

وحدث خلال احدى الدوريات أن اقتربنا من موقع القسيمة المصري، واكتشف المصريون وجودنا لكننا تمكنا من العودة دون أي حادث •وعلمت القيادة بذلك فبعث الى رئيس أركان حرب الجيش برقية يقول فيها انه فيما عدا الدوريات والمهام الرسمية فانه شخصيا يمنعني من عبور خطوط الهدنة دون اذن مسبق •

وفي أحد الايام اصطحبت ابني عساف في رحلة لصيد الحمام •• وعندما وصلنا الى تل الصافي وجدت بعض الاباريق الفخارية حمـــراء اللون تتدلى من أحد الحوائط التي غسلتها مياه الامطار فكشفت عما كان مخبئا داخلها • وظننت أن الاباريق تخص بعض العرب ، وحملت واحدا منها معي وأريته لصديق على ادراك بعلم الآثار ، فاكتشفنا أنها تعود الى عصر ملوك العبريين ، أي الى القرن التاسع قبل الميلاد • وعندما عدت الى تل الصافي مرة أخرى وجدت الكثير من الآثار الاخرى التي فتحت أمامي عالما جديدا وجدت فيه بقايا وآثار الشعب الذي عاش على هذه الارض منذ ثلاثة آلاف عام • ومن هنا نشأ عندي الولع بالآثار وظل باقيا في نفسي حتى الآن • وتمكنت عبر عدة أعوام من اقتناء مجموعة هائلة من الآثـــار •

وكنت أقضي كل أوقات فراغي وعطلاتي في الورشة التي أقمتها وراء منزلي في زاهالا ، وأنا أرمم الآثار بصمغ فرنسي أو أغسلها مما علق بها من أتربة ورمال • وكثيرا ما كنت أشاهد آثار بصمات أصابع صانع الاوعية والاواني وخاصة قرب حافتهـــا ، بل كنت أجد علامة أظافره • وعندما كنت أعيد تشكيل الاواني وفق حالتها الاصلية منذ آلاف السنين، كنت أمتلىء بمشاعر الخلق •

كانت مسئولية قيادة المنطقة كبيرة ، فهي تغطي نصف مســـاحة البلاد ، وهي مجاورة للحدود المصرية ، أقوى الدول العربية ، بالاضـافة الى محاذاتها لقطاع غزة الذي أصبح يضم ١٠٠ ألف لاجىء فلسطيني غير سكانه الدائمين ، وبات مركزا للفدائيين وعمليات التخريب الفلسطينية ضد اسرائيل •

وتجسدت فى هذه المنطقة أهم التحديات التى تواجه الدولة وهى احياء الارض المهجورة وأيواء المهاجرين الجدد • وكان المهاجرون يصلون الينا كل شهر وخاصة من يهود الدول العربية ، حيث أقيمت بسواعدهم عدة مدن مثل بير سبع وعسقلان وايلات •

ووقع حادث واحد على الجبهة الاردنية فى أواخر عام ١٩٥٠ عند علامة الكيلو ٧٨ من طـــريق ايلات ، اذ أعلنت الاردن أنه يمر داخل أراضيها وأغلقته • وتلقت القيادة الجنوبية أمرا بفتح الطريق وطرد العدو • وكنت فى هذه الاثناء أقضى أجازتى فى تركيا مع عائلتى ،عندما استدعيت للعودة • ورجعت مباشرة الى الكيلو ٧٨ فوجـــدت الجنـــود الاردنيين قد أغلقوا الطريق وجنودنا يناورون من حوله دون أن يخترقوه• وركبت طائرة صغيرة طارت على ارتفاع منخفض ، واستطعت أن أتبين أن عدد الجنود الاردنيين قليل وانهم لا يمتلكون مدافع أو دبابات • وكادت الطائرة أن ترتطم بالارض ، بل ان عجلاتها اصطدمت فعلا بالارض ثم عادت الى الجو •

وبدا الامر كأنه أوبرا فكاهية • اذ أرســلت رسالة الى القـــائد البريطانى للقــوة الاردنيه اطلب اليه رفع الحواجز من الطريق منبها الى أن الموضوع معروض على لجنة الهدنة المشتركة وسوف نلتزم بمـــا تقرره • وعندما رفض القائد ، أمرت جنودى برفــع الحواجـز والمرور والامتناع عن اطلاق النار ما لم يبدأ الاردنيون باطلاقها • ومر الجنـــود بدون أى حوادث ، لكن الاردنيين عادوا الى اغلاق الطـريق فى اليوم التالى ، واطلقوا النيران على جنودنا الذين ازالوا الحواجز .. لكن مدفعيتنا تمكنت من اسكاتهم واجبرتهم على التراجع . وأبتت لجنة الهدنة المشتركة أننا قد أخطأنا وأن المســافة بين الكيلو ٧٤ والكيلو ٨٧ تقع فى الارض الاردنية . وعلى الفور شيدنا طريقا آخر فى هــذه المسافة غربا ، من ناحيتنا .

وأوليت اهتماما خاص الى رعاية الكيبوتزات التى كانت قائمة على الحدود بالقرب من غزة . ومن أجل العمـــــل على تحقيق الازدهار والرخاء لهذه المســـتعمرات فقد وضعت عربات الجيش وقواته تحت تصرفها . كذلك أوليت اهتمامى الى تحسين الظروف المعيشية فى المعسكرات التى كانت تأوى قرابة الســتة آلاف عائلة من المهــاجرين الذين جىء بهم ليسكنوا مستعمرات النقب ويعمروها .

ولم تعد رعاية المهاجرين الجـــدد عملا ذا اهمية خاصة ، وانما اصبحت مصدرا للالهام وللانسانية ، والاحساس باليهودية لدى كل القـــوات • وكان ذلك بالضـبط هو الجوهـــر الحقيقى للصهيونية • وأمام مشاهد المجندات وهن يقمن بكل الاعمال ، انتقلت كل المهمات

والاطباء والعمال للعمل فى قواعد المهاجرين : وكانها لم تعد تعمل فى الجيش .

وفى أثناء عبورى الطريق الصحراوى ، اصطحبت معى عائلة يمنية من المهاجرين ، وجلس الرجل الى جوارى .. فسرحت خواطرى وأنا أفكر فى كمية التغير التى حدثت فى حياة هذا اليمنى الذى لم ير من الاختراعات ما هو أبعد من الموقد البريموس ولم يركب الا ظهر حمار ، وتساءلت عما يحس به هذا الرجل الآن ؟ وكم فوجئت عندما سألنى « الا يوجد فى سيارتك راديو ؟ » واعتذرت بالطبع وادرت له الجهاز .

واخذت الح على ضرورة انشاء مستعمرات من نوع الموشاف ، تكون مجاورة للكيبوتزات القائمة فى النقب ، واقترحت نظاما للحراسة والامن مع ضرورة حصول المهاجرين الجدد على تدريب عسكرى لمدة شهر . وتمت الموافقة على اقتراحى وبدأ مشروع انشاء القرى الزراعية للمهاجرين .

وكان من الضرورى أن تبدأ اسرائيل فى تدريب ضباطها ، وخاصة ذوى الرتب العالية ، على مهام القيادة .. صحيح أنهم اشتركوا فى الحرب جميعا لكنهم كانوا يقودون مجموعات أكبر من رتبهم . وتلقيت الدورة التى تقررت للضباط ومدتها ستة أشهر ، وبعد ذلك — وفى عام ١٩٥٢ — أكملت الدورة بواحدة أخرى فى مدرسة كبار الضباط فى انجلترا . ومع اننا كنا ارقى — فى الرتبة — من معلمينا ، فقد استفدنا من الدروس التى تلقيناها منهم .

لم يكن كافيا ان اكون على دراية بالارض والتلال والممرات ، وانما تعين على أن أخذ فى الحسبان نوع الحرب مع اعدائنا العرب . كان واجبا علينا ان نضع فى اعتبارنا مسئوليتنا عن مستعمرات الحدود ، وشخصية الجندى العربى ، والميزات القتالية للجندى الاسرائيلى . وكنت احب الخوض فى المناقشات ، لا حبا فى النقاش ، وانما لكى يساعدنى ذلك على التفكير فى الامور ، ووزنها ، واتخاذ القرار الملائم بصددها .

واتاحت لى هذه الدورة فرصة الاحساس بالعطلة بعيدا عن القيادة .. وكنا نجرى تدريبات تاكتيكية على مختلف انواع الارض الموجودة .. كذلك فقد ادركت بعمق مدى أهمية عربة القيادة وقدرتها على الحركة فوق مختلف التضاريس .

أما الدورة التى تلقيتها فى لندن فكانت فى الاشهر الثلاثة الاولى من عام ١٩٥٢ . وبالاضافة الى بعض الاجانب ، فقد كان اعضاء الدورة من الانجليز . ولم اكن اقحم نفسى فى الامور اثناء التدريب ، فأنا لم

آت الى انجلترا لكى أعلم البريطانيين كيفيه القتال ، وانمـــا جئت لاستمع وأراقب ، وأوســـع مداركى العســـكرية ، وكان البريطانيون يعاملوننى ببرود ، وخاصة أولئك الذين حاربوا منهم فى الشرق الاوسط وكانوا لا يحبون اسرائيل أو اليهود •

وكنت اقضى عطلة الاسبوع مع روث فى لندن .

ولا أقول ان هـــــده الدوره جعلت من تفكيرى بريطانيا • وانما اتاحت لى الفرصـــــة لكى اعرف بريطانيا والبريطانيين ، وأن أفهم طرقهم االعسكريه .

وعندما عدت الى اسرائيل استدعانى يجال يادين • رئيس أركان حرب الجيش • وعرض على قبـــول منصب نائب رئيس هيئة الاركان ورئيس العمليات ، وذلك بدلا من الجنرال موردخاى ماكليف الذى منح أجازة دراسية ، ولكنى رفضت ، وشرحت ليادين مدى عدم ملاءمة شخصيتى لكى أكون نائبا أنطق بلسان رئيس لى • صحيح أننى كنت على اســـتعداد لتنفيذ أوامره حتى وان كنت أعارضها ، لكنه لم يكن باستطاعتى أن أنوب عنه او امثله فى امر اخطأ فيه . كان ممكنا ان اخضع لرئاسته ، اما ان انوب عنه فكان شيئا مختلفا .

وابدى يادين أسعه لرفضى ولم يحاول ان يغير لى رأيى ، وبدلا من ذلك عينى قائدا للمنطقة الشمالية . وبقيت فى هذا المنصب ستة أشهر الى ان عينت رئيسا لفرع العمليات فى هيئة الاركان فى ديسمبر « كانون الاول » ١٩٥٢ وانتقلت مع عائلتى الى منزل يقع فى منتصف الطريق بين حيفا وناحلال . ودخلت يائيل المدرسة العليا بينما دخل ولداى مدرسة فى ناحلال •

ولم تكن المنطقة الشمالية غريبة عنى ، فقد كنت أعرفها منـــذ طفولتى . مثلما فعلت فى القيادة الجنوبية ، نقد جمعت ضباط القيادة وأبلغتهم باستعدادى لتزكية طلب أى منهم فى الانتقال الى وحدات أخرى ولا أذكر أن أحدا طلب ذلك . وكان مستوى ضباط القيادة الذين عملوا معى عاليا ، وخاصة اثنين منهم هما الكولونيل حاييم بارليف آمر شئون الضباط والكولونيل اريك شارون ضابط المخابرات .

كانت المنطقة الشمالية مختلفة عن المنطقة الجنوبية من حيث ان غالبية العرب يقطنونها . فقـــد كانت لهم قرابة المائة قرية وخاصة فى الجليل بالاضافة الى قراهم فى الناصرة ووادى جزريل • والمجتمع العربى جزء لا يتجزأ من اسرائيل . ولكن الامر لم يكن بيدهم ، اذ لم يكن هناك عربى يود أن يكون اسرائيليا • لقد فرض عليهم الانتمـاء للدولة كنتيجة لحرب الاستقلال ، تلك الحرب التى أجبرنا عليها شعبهم • وعندما وقع الجانبان اتفاقية الهدنة ، لم يكن أمامهم الا واحد من خيارين : فاما ان

يصبحوا مواطنين اسرائيليين ، أو أن ينركوا ديارهم وينتقلوا الى بلد عربى آخر . واختاروا — فيما عدا استثناءات قليلة — ان يمكثوا ويقبلوا المواطنة الاسرائيلية .

وأتاحت مثل هذه الظروف الفرصة أمام توسيع انعدام الثقة بين العرب الاسرائيليين واليهود الاسرائيليين . وكان على الحكومة العسكرية ان تعمل بين امرين ، اولهما اتخاذ الموقف الصحيح ازاء العرب كمواطنين فى اسرائيل ، وثانيهما الانتباه الى انهم قد يعملون كطابور خامس واحتمال استخدام قراهم كقواعد للاعمال الفدائية ضد الدولة .

كانت حدود المنطقة الشمالية مرتبطة بكل من سوريا والاردن ولبنان ، وكانت الجبهات هادئه منذ توقيع اتفاقيات الهدنة ، ولم تكن الا بضعة مشاكل مع سوريا مثل حق السوريين فى الصيد فى بحر الجليل والموقف بالنسبة لبحيرة الحولة بعد أن قمنا بتجفيف جزء كبير منها ، وهكذا اضطررت الى تجديد علاقتى بلجنة الهدنة السورية الاسرائيلية المشتركة .

كانت اللجنة برئاسة كولونيل أمريكى يدعى تكساس . وفى يوم ٩ اكتوبر « تشرين الاول » ١٩٥٢ دعانا الى اجتماع فى فندق شولاميت شمالى بحر الجليل ، وكان الوفد الاسرائيلى برئاستى ، والوفد السورى برئاسة العقيد جديد . وتعثرت المحادثات بعد ان أكد جديد انه ليس مستعدا لبحث أية اتفاقيات ، ولا مخولا بذلك . واقترحت عليه ان نتناول الطعام سويا ، فوافق ، وكانت تلك هى أول مرة يوافق فيها على اقتراح اسرائيلى .

وانتحيت بجديد جانبا اسأله عن العقيد البزرى الذى كان عضوا فى الوفد السورى خلال مفاوضات الهدنة . وكنت فى تلك الاثناء قد انهمكت فى حديث مع البزرى عندما جاءنا جديد متسائلا « ما الذى تطبخانه أيها اليهوديان فى هذا الركن ؟ » . وابلغنى جديد ان البزرى عضو فى الوفد السورى فى الامم المتحدة . ومن الواضح ان أمه كانت يهوديه ثم اعتنقت الاسلام وتزوجت عربيا .

وكان جديد يرفض كل اقتراحاتى التى طرحتها على مائدة المحادثات لكنه ابلغنى بعد ذلك ان دمشق تفضل بقاء الوضع الراهن بكل تعقيداته على أن توقع اتفاقية اخرى مع اسرائيل .

الباب الثالث

واصبحت رئيسا للأركان

(١٩٥٣ - ١٩٥٧)

ودخل ديان الى مرحلة جديدة فى حياته وتقلد منصب رئيس الاركان ليمكن لاسرائيل أن تواجه التغيير الجديد الذى حدث فى الجبهة المصرية ـ فقد كسرت مصر مصادر السلاح وبدأ اعداد الجيش المصرى اعدادا عسكريا حديثا ـ فكان لابد من الهجوم على مصر وتحطيم الجيش المصرى قبل أن يستعيد مكانته الحقيقية تحت الشمس.

١٢ تطوير الجيش

وفى ٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥٢ عينت رئيسا لفرع العمليات فى هيئة الاركان ، وبقيت فى هذا المنصب حتى ديسمبر « كانون الاول » ١٩٥٣ عندما عينت رئيسا لهيئة اركان الحـــرب . أما سلفى الكولونيل موردخاى ماكليف فقد عين رئيسا للاركان عقب استقالة الجنرال يجال يادين .

وجاء هذا التعيين خلال فترة مالية صـــعبة ، اذ كانت الاولويات أمام البلاد هى استقبال واستيعاب وتوطين مئـات الآلاف من المهاجرين الذين نزلوا الى شواطئنا خلال سنوات قليلة وتحتم توجيه الاموال نحو نشاطات المهاجرين ومشاريع التنمية ، وخفضت ميزانيـــة الوزارات بما فى ذلك وزارة الدفاع .

وازاء ضيق الامكانيات المادية ، فقد اتفقت انا وماكليف عـــلى الاهتمام بالوحدات القتالية على حساب وحدات الخـــدمات ، وقررت ذلك بالفعل هيئة الاركان . وتمثل ضعف قواتنا فى حوادث الحدود فى أوائل عام ١٩٥٣ عندما حدثت بعض حوادث التسلل والتخريب : وقيام بعض الاعمال الانتقامية التى كانت تكلفنا عددا من القتلى فى كل مرة .

واعتبرت أن من واجبى احداث هذه التغييرات .. ووجهت جـــل اهتمامى نحو الرجل المقاتل ، فهو الحد القاطع فى ادارة الجيش ، ونحو أن

يكون الجندى الاسرائيلي مستعدا على الدوام للمعركة . وعقدت اجتماعا مع الضباط ابلغتهم فيه انني لن أقبل من أى ضابط ان يقدم تقريرا يقول فيه انه « لم يستطع » انجاز مهمته ما لم يكن قد فقد بالفعل ٥٠٪ من قوته القتالية . وانه ما دامت القوة قادرة على القتال فلتستمر فى الهجوم أما بقية الحديث فقد كان واضحا على قسمات وجهى ، وكانت تعبيراته تقول انه من لا ينجح فى اقناعى بفشله سوف يترك الجيش .

وعملت أنا وماكليف على ضم المجندين ذوى المؤهلات الى الوحدات القتالية ، مع تأسيس وحدة خاصة تعرف بالقوة ١٠١ : تضم متطوعين يقومون بعمليات خاصة ، ويرأسها المحارب الشجاع اريك شارون وأعترف بأننى لم أكن أؤيد انشاء هذه القوة . وقد ساعد نجاح عمليات هذه القوة على احداث التأثير المطلوب فى الناحية القتالية لدى بقية الوحدات .

وفى شهر يناير « كانون الثانى » ١٩٥٤ ، عقب ترقيتى رئيسا للاركان ، انضمت القوة ١٠١ الى لواء المظليين برئاسة شارون . وأصبح منوطا بهذه الفرقة كل عمليات الانتقام والغارات عبر الحدود . ولم تعد قوات المظليين مجرد تشكيل فى الجيش ، وانما اصبحت مفهوما ورمزا للقتال بشجاعة .

واصبحت عندما عينت رئيسا للاركان اتربع على قمة الهرم فى الجيش . وبدأت اغرق فى مشاكل فنية وادارية ومالية .. وابتعدت عن المعارك والمواقع .. لم أعد احارب وانما أصبحت اصدر الاوامر الشفوية والكتابية من فوق مكتبى . لكنه كان من الطبيعى أن أشعر بالفخر لكونى الجندى رقم واحد فى الجيش الاسرائيلى . وعندما قلدنى بن جوريون الرتبة ، شعرت بثقل المسئولية ، وعزمت على حملها بأمانة واخلاص .

وعقب انتهاء الاحتفال أسر سكرتير الحكومة فى اذنى قائلا « يجب ان تشكل موشى ديان فى شكل جديد » ، ولكننى رفضت ذلك مؤكدا اننى لم اتغير وانما تغير شكل رئيس الاركان . وابلغته بعزمى على تغيير أسلوب الجيش ومضمونه . وبدأت التغيير فى مكتبى نفسه فحولته من غرفة فاخره الى غرفة مؤتمرات تملؤها الخرائط ، وتعمدت ان أعيش حياة الجنود كلما زرتهم .. وان اتحدث اليهم مباشرة وجها لوجه حتى مع اصغر قادة الوحدات . كذلك كنت أقوم بجولات تفتيشية ليلا لاتأكد من مراعاة الانضباط .

وكان تعيينى رئيسا للاركان هو آخر أعمال بن جوريون الرسمية كرئيس للوزراء ووزير للدفاع قبل ان يستقيل فى شهر ديسمبر « كانون الاول » ١٩٥٣ ، ويعتزل فى مستعمرة سدى بوكر فى النقب « وسوف يعود الى الحكومة فى فبراير « شباط » ١٩٥٥ » وخلفه فى رئاسة الوزارة

موشي شاريت وأصبح بنحاس لافون وزيرا للدفاع • وكانت تلك هي أول مرة يتولى فيها شخصان رئاسة الوزاره ووزارة الدفاع . كانت العادة ان يقوم الترابط والتنسيق بين المنصبين ، لكن الخلاف بدأ منــــذ اللحظة الاولى .

ونبع الخلاف من اختلاف في وجهات النظر السياسية للاثنين ، اذ اختلفت نظرة كل منهما للحاجات السياسية والامينة للبلاد . كانت سنة ١٩٥٤ صعبة ، اذ كانت بريطانيا قد انسحبت من قناة السويس ، وبدأت امريكا في بسط نفوذها على المنطقة . كما بدأت مصر في احكام الخناق حول السفن الاسرائيلية في القنــــاة وفي خليج العقبه . ورفضت مصر قرارا لمجلس الامن في نوفمبر « تشرين الثــــاني » ١٩٥١ بالسماح للســـفن الاسرائيلية بالعبور ، ولم تكن تسمح الا احيانا بمرور شـــحنات غير استراتيجية وعلى سفن غير اسرائيلية ، ثم فرضت في عام ١٩٥٣ حظـرا شاملا على الشحنات من والي اسرائيل . وكان شاريت يحبذ اتخــــاذ المسالك الدبلوماسية والدولية ، غير ان روسيا طبقت الفيتو ضد قرار لمجلس الامن في مارس « آذار » ١٩٥٤ ، وبدت اسرائيل في صورة ضعيفة وهنا قرر لافون القيام بعمليات عسكرية لردع العرب عن شن أي هجوم ضد اسرائيل .

كان لافون ينظـــر الى شاريت باعتباره وزيرا للخارجيـــة فقط لا كرئيس للوزراء ، ولذا ابقاه بعيدا عن وزارة الدفاع ، واشتكى لافون من انه لم يكن يعلم بالعمليات العسكرية الا من الصحف . وفترت علاقتي برئيسي الوزير حتى قدمت استقالتي في منتصف يونيـــو « حزيران » ١٩٥٤ كان لافون يريد الاستئثار باتخاذ القرارات العسكرية بغض النظر عن توصياتي وتوصيات القادة العسكريين . وجاء الانهيار عندما رفض لافون توصية بحيازه دبابة جديدة تدعم قدرتنا الهجومية . وقام ــ دون ابلاغي ــ بتحويل الاعتمـــادات الى شراء مدافع المورتار وهي اســـلحة دفاعية ، بل ورفض تبرير هذا التصرف ــ

وازاء طلب الاستقالة الذي قدمته ، دعاني لافون الى الغـــداء معه حيث سوينا الخلاف وان كانت جذوره قد بقيت . ثم اختلفنا حـــول الوحدة الخاصة التي كانت قد انشئت خلال حرب الاستقلال عام ١٩٤٨ للقيام بعمليات محدودة داخل بلاد العـــدو .. فكان لافون يتحرق الى تحريكها ، وكنت ارى انه لا داعي لاستخدامها في وقت السلم .

وفي النصف الاخير من يوليـــو « تموز » ١٩٥٤ ، وأثناء زيارتي للقـــواعد العسكرية في الولايات المتحدة الامريكية ، شنت الوحدة عدة عمليات تخريب داخل القاهرة والاسكندرية واسفر الامر عن اعتقال احد عشر فردا ومحاكمتهم ، ثم انتحر واحد منهم وأعدم أثنان في أول يناير « كانون الثاني » ١٩٥٥ .

وهاج الرأى العام الاسرائيلى .. وقال كبير الضباط المسئول عن الوحدة ، انه تلقى أمرا شفويا من وزير الدفاع ، دون أن يكون هنـــاك شهود حاضرين ، وادعى لافون ان الضابط تصرف من تلقاء نفسه . ولم تستطع لجنة التحقيق أن تصل الى من أعطى الامر بتشغيل الوحدة . وقرر زملاء لافون فى الحكومة وفى حزب الماباى ضرورة استقالته . وبالفعل قدم استقالته يوم ٢ فبراير « شباط » ١٩٥٥ ، وقبلتها الحـــكومة فى العشرين من الشهر نفسه . وفى نفس اليوم عاد بن جوريون وزيرا للدفاع تحت رئاسة شاريت رئيسا للوزراء ، الى ان حانت الانتخابات فى شهر نوفمبر « تشرين الثـــانى » فعاد بن جوريون رئيســـا للوزارة ووزيرا للدفاع .

وكنت انتهز فرصة تخريج دفعات الضـــباط الجدد لاخطب فيهم قائلا ما أريد أن أقوله . ففى أواخر شـــهر مايو « آيار » ١٩٥٥ كنت قد فصلت ضابطا شابا لأنه أمر جنديا بسحب ســـيارة تعطلت تحت نيران المصريين ، وقلت لهم ان ضـــباط اسرائيل لا يأمرون جنودهم وانمـــا يقودونهم .

ولم يكن الكلام كافيا لصقل الجيش ، اذ كان ضباطه ممن حاربوا فى حرب الاستقلال ولم يستزيدوا من العلم أو يدخلوا الجامعة . وشرعت فى ارسال الضباط الى الجامعه للدراسة على حساب الجيش فى أى فرع يريدونه حتى ولو كان الفلسفة والآدب ، بالاضافة الى ارسال ضـــباط آخرين الى معهد التخنيون الفنى فى حيفا .

وفى منتصف عام ١٩٥٥ ارســـلنا مجموعة من المتطوعين فى عملية لاستكشاف شرم الشيخ ، الذى يتحكم فى مدخـــل خليج العقبة ، والذى كان مغلقا أمام الملاحة الاسرائيلية نحو شرق أفريقيا والشرق الاقصى . وقد أفادت هذه العملية الاستكشافية بعد عام ونصف من اتمامها .

وفى ٢٧ سبتمبر « ايلول » ١٩٥٥ أعلن جمال عبد الناصر ان بلاده وقعت اتفاقية تجارية مع تشيكسلوفاكيا تقدم بمقتضاها السلاح لمصر فى مقابل القطن والارز . واحدثت هـــذه « الاتفاقية التجارية » ثورة فى ميزان التسليح فى المنطقة ، واعطت لروسيا موطىء قدم فى منطقة كانت مغلقة أمامها ، وفتحت جبهة ثانية للولايات المتحدة فى الحرب الباردة ، وهددت وجود اسرائيل بالخطر .

وتتسلم مصر بمقتضى هـــذه الاتفاقية اعدادا هائلة من الاسلحة الحديثة من الكتلة الشرقية من بينها ٣٠٠ دبابة متوسطة وثقيلة و ٢٠٠ حاملة جنود مدرعة ومدافع مضادة للدبابات والطائرات و ٢٠٠ طائرة من طراز ميج ١٥ و ٥٠ طائرة اليوشن ومدمرتين وأربع كاسحات ألغام و ١٢

رورفطوربيد مع استبدال كل السلاح الخفيف فى الجيش بالبندقية الروسية نصف الآلية .

ان هذه الارقام لا تقارن بمقاييس الوقت الحاضر ، لكنها شكلت أيامها تصاعدا خطيرا فى ميزان التسلح فى المنطقة ، سواء بعددها أو بنوعيها . صحيح اننا كنا نؤمن بتفوقنا فى القدرة القتالية والمهارة ، ولكن ذلك لا يفيد أمام حداثة الاسلحة الجديدة . وأصبح واضحا لدينا فى اسرائيل ان صفقة الاسلحة التشيكية ما هى الا تمهيد لمواجهة حاسمة سيقوم بها عبد الناصر لمحونا من الوجود ، او على الاقل لتحقق نصر عسكرى يجعلنا خاضعين بلا حول ولا قوة .

وبدأ تدفق الاسلحة السوفيتية على مصر فى نوفمبر « تشرين الثانى » ١٩٥٥ ، وكان تقديرنا فى قيادة الاركان ان المصريين يحتاجون الى ٦ أو ٨ اشهر لاستيعاب وفهم الاسلحة الجديدة ، اى اننا يجب ان نتوقع هجوما مصريا فى أواخر الربيع أو أواخر الصيف . وتحتم علينا أن نجد مصادر جديدة للحصول على سلاح يمكن أن يضاهى السلاح السوفيتى ، وبصفة خاصة الطائرات من فرنسا .

ومن أجل احباط الخطط المصرية ، قدمت مذكرة الى بن جوريون يوم ١٠ نوفمبر « ت ٢ » اوصى فيها بالقيام بعمليات انتقامية حادة ضد المصريين ، والاستيلاء الفورى على قطاع غزة ، وشرم الشيخ لفك الحصار عن خليج العقبة . وبعد ذلك بثلاثة أيام اجتمعت مع بن جوريون وقدمت له مقترحات عملية فى المجال العسكرى من بينها اعادة الجنرال يجال يادين رئيسا للاركان وجعل موردخاى ماكليف رئيسا للعمليات ويجال آلون قائدا للمنطقة الشمالية ، على ان اترك انا رئاسة الاركان واتولى قيادة المنطقة الجنوبية فى سيناء . غير أن بن جوريون رفض اقتراح تعيين رئيس للاركان بدلا منى ، وطلب منى تأجيل عملية شرم الشيخ الى يناير « كانون أول » ١٩٥٦ .

وكانت الشهور التى تلت صفقة الاسلحة التشيكية شهورا صعبة ، اذ كان علينا أن نعد البلاد لمواجهة الحرب . وقررت الحصول على السلاح من أى مصدر كان . وبدأ وصول طائرات الميستير الفرنسية فى ابريل « نيسان » ١٩٥٦ ، كما وعدتنا فرنسا بامدادنا بدبابات « ايه . أم . اكس » وشيرمان ، اما الولايات المتحدة فقد اصرت على موقفها من حظر تزويدنا بالسلاح .

وتحدثت الى جنودنا وابلغتهم اننا لا نملك صفقة تشيكية ولا غيرها وان الصفقة الوحيدة التى يمكننا ابرامها هى « الصفقة الاسرائيلية » نعقدها مع انفسنا ونعبىء كل قوانا لمواجهة الحرب اذا ما فرضت علينا وعلى تلك الصفقة نوقف مستقبل الدولة والجيش والامة .

وما أن وصلت أولى الطائرات الفرنسية الى اسرائيل ، حتى حدث خلاف بين وزارتى الخارجية والدفاع الفرنسيتين حول صفقة الاسلحة وسافرت الى باريس سرا أنا وشمعون بيريز - المدير العام لوزارة الدفاع - فى أواخر يونيو « حزيران » ١٩٥٦ ، حيث نجحنا بعد مفاوضات شاقة فى ابرام صفقة الاسلحة اللازمة .

وأعطت الاسلحة الروسية ، بالاضافة الى الموقف الروسى المؤيد ، لجمال عبد الناصر شعورا هائلا **بالثقة ، فكان قراراه الذى أعلنه فى أحد** ميادين القاهرة يوم ٢٦ يوليو « تموز » ١٩٥٦ بتأميم قناة السويس . واحدث القرار ابعادا دولية واسعة ، وتقرر أن يسافر كريستيان بينو وزير الخارجية الفرنسى **الى لندن للاجتماع مع أنتونى ايدن رئيس وزراء انجلترا** . وطلب منا الفرنسيون معلومات مفصلة وحديثة عن قوة التشكيلات العسكرية المصرية ومواقعها فى الارض والبحر والجو .

وفى اليوم التالى غمرنى حزن شديد ، اذ توفيت أمى ودفنت فى ناحلال . **وبعد الجنازة اقترحت على بن جوريون القيام باحدى العمليات** التالية : أما احتلال سيناء حتى قناة السويس واقامة سيطرة دولية على هذا الممر المائى ، او الاستيلاء على شرم الشيخ ورفع الحصار عن خليج العقبه ، او الاستيلاء على قطاع غزه . **وأكدت لبن جوريون انه لا داعى لمخاوفه بشأن الاسلحة الثقيلة التى لم تصلنا وان جيشنا قادر على تحقيق الهدف حتى مع عدم وصول هذه الاسلحة** . لكنه مع موافقته على أن **الظروف الدولية مواتية لمثل هذا التحرك ، فقد** طلب منى الصبر واستيعاب الاسلحة ثم توجيه ضربة حاسمة الى عبد الناصر لازالة تهديداته .

وفى لندن ، قرر الطرفان الانجليزى والفرنسى القيام بعمل عسكرى لاستعادة القناة والغاء التأميم واستعادة حقوق الدولتين فى سلطة القناة ووضعوا نصب اعينهم اسقاط عبد الناصر . ووضع العسكريون من الدولتين خطة تقضى بتجميع القوات فى مالطه وقبرص وانزالها بالسفن بعد اسقاط المظليين ، وفقا للنمط الذى اتبع خلال الحرب العالمية الثانية . **وسميت الخطة « موسكيتو » ، ورأس القوات السير تشارلز** كيتلى قائد القوات البريطانية فى الشرق الاوسط ، وعين الادميرال بيير بارجو ، قائد القوات الفرنسية ، نائبا له .

وكانت فرنسا تؤيد استعمال القوة ، وكذلك كان موقف ايدن وان كانت قد واجهته معارضة قوية فى الداخل - اما الولايات المتحدة فقد عارضت خطة حلفائها الاوروبيين الموجهة ضد مصر . وظلت هذه الاعتبارات قائمة الى ان حانت ساعة الصفر .

١٣ الاتصال الفرنسي الأول

في اليوم الاول من سبتمبر (أيلول) ١٩٥٦ ، وصلتنا أول معلومات عن اهتمام فرنسا بالتنسيق مع اسرائيل في الهجوم على مصر ، وجاء ذلك من خلال برقية لملحقنا العسكري هناك وصلتني خلال اجتماعي مع هيئة الاركان بحضور بن جوريون • وكانت توجيهات بن جوريون أن اسرائيل مستعدة لتقديم كل المعلومات اللازمة ، أما من حيث الاشتراك في الحرب فانه سيوفدني الى باريس • وأبرقت بالتوجيهات اللازمة الى رئيس العمليات أثناء وجوده في أوروبا آنئذ للتباحث مع الفرنسيين مع عرض وضع كل القواعد البحرية والجوية في المعركة ، والتأكيد على أن قدراتنا على الاشتراك في العمليات محدودة •

وتمت المحادثات في منزل خاص بحضور الادميرال بارجو الذي سأل عن امكانية اشتراك اسرائيل بعمل عسكري في سيناء • وذلك لمجرد العلم ، انتظارا لاية ظروف سياسية قد تكون ملائمة لاشتراك اسرائيل فعليا • وكانت القوات الاسرائيلية في تلك الآونة قد ردت بعنف على الهجمات التي شنت ضدها على الجبهة الاردنية ، وساهم هذا الجو في اضفاء تأثير على محادثات السويس •

ومع استمرار تدهور الموقف السياسي ، كنت أركز كل جهودى على اعداد الجنود والمعدات والطائرات بحيث تستعد لاى طارىء ، هذا مع اعادة فحص خطط الطوارىء بالنسبة لمصر ابتداء من الاستيلاء على كل سيناء وانتهاء بالقيام بعمل محدود كالاستيلاء على مضايق تيران أو قطاع غزة • وشرحت لرجالى الموقف الذى نواجهه فى وجود مشاكل عالمية مثل قناة السويس ومشاكل محلية مثل قطاع غزة الذى تشن منه الهجمات ضدنا ومضايق تيران التى تفرض الحصار حولنا • **وبينت لهم انه اذا ما اتخذت الحكومة الاسرائيلية قرارها فسوف تقوم اسرائيل بعمل عسكرى ضد مصر ، سواء رضيت بذلك القوى المعادية لمصر أو لم ترض •**

وذهب شمعون بيريز الى باريس للتوصل الى تخفيف شروط تسديد ثمن المعدات ، لكنه نظرا لصداقته بوزيرى الخارجية والدفاع الفرنسيين ورئيس وزرائهما ، فقد تقرر أن يجرى معهم محادثات صريحة وغير رسمية حول موضوع التعاون السياسى الفرنسى الاسرائيلى فى الشرق الاوسط• وطلبت منه أن يصر على عدة أمور منها أن تأتى المبادرة من جانب فرنسا اذا ما أرادت مثل هذا التعاون ، وأن تتم صفقات الاسلحة سرا نظرا لوجود اتفاقية تنسيق مشترك بين فرنسا وانجلترا وأمريكا فيما يتعلق بتزويد اسرائيل بالسلاح • وكان رأيى أن الوقت قد حان ــ اذا أرادت فرنسا تعاونا معنا ــ لان يتم هذا التعاون بين حلفاء متساويين ، لا مع قاصر خاضع لوصاية ثلاثية .

كذلك فقد كان ضروريا أن نتجنب أى صدام مع انجلترا قد يؤدى الى قيامها بعمل عسكرى ضد اسرائيل ، نظرا لارتباط انجلترا باتفاقيات دفاع مع عدد من الدول العربية • هذا بالاضافة الى أنه اذا ما قامت العرب فسيكون فى وسع اسرائيل تصحيح حدودها فى سيناء وذلك بضم شرم الشيخ ونخل وأبو عجيلة ورفح ، وجميع هذه المناطق صحراوية غير مأهولة ، واعترف بأننى كنت أشك فى أن ينجح بيريز فى التوصل الى كل ما قلته له وسلف بيانه • لكنه فاجأنى عندما استطاع تحقيق ما كنت أظنه مستحيلا •

وعقب سفر بيريز بثلاثة أيام أبرق الى أن وزير الدفاع الفرنسى قد استكشف مع احتمالات اشتراك فرنسا واسرائيل فى عمل عسكرى دون اقحام بريطانيا • وعندما التقى الوفدان الفرنسى والبريطانى فى لندن فى ١٢ سبتمبر (أيلول) ، أفاد الوفد البريطانى بضرورة تأجيل (عملية موسكتير) واضطرارهم لقبول اقتراح جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا بانشاء هيئة المنتفعين بقناة السويس • وخسرت فرنسا ذلك بتخلى

بريطانيا عن القيام بعمل عسكرى ضد مصر ، ولذا استدارت فرنسا نحونا ٠

وانتهز وزير الدفاع الفرنسى فرصة البرقية التى أرسلها الى بن جوريون مهنئا بعيد ميلاده السبعين ، فأكد على رغبة فرنسا فى (عمل سئ) مع اسرائيل دفاعا عن مصالح البلدين ضد العدوان المصرى ٠ كان التوقيت بالنسبة لفرنسا هاما ولذا حبذت اتخاذ اجراء فورى فى حين رأت بريطانيا انتظار ظروف أكثر ملاءمة ٠ ولذا فقد بعث بن جوريون برد شخصى أكد فيه على استعداد اسرائيل لتبنى سياسة مشتركة مع فرنسا ، ووقف الى جانب فرنسا فى أهمية التوقيت ، والاستعداد لعمل مشترك مع فرنسا بدون بريطانيا ٠

وعادت أعمال التخريب والعنف مرة أخرى ، وكنت أرى ضرورة القيام بعمليات عسكرية ضد الدول العربية التى تشن منها هجمات الفدائيين ، حتى تتوقف تلك الدول — وخاصة الاردن — عن مساعدتهم ٠ وازاء تصاعد أعمال العنف على الجبهة الاردنية ، دعا بن جوريون يوم ٢٥ سبتمبر (أيلول) الى اجتماع للوزارة لبحث اتخاذ اجراء عسكرى ضد الاردن ٠ وحددت لبن جوريون عدة أهداف عسكرية يتمركز فيها الجنود بعيدا عن المدنيين ، لكنه خشى من أن يؤدى ذلك الى اعاقة التعاون الفرنسى الاسرائيلى ، أما بيريز فقد أوجز لبن جوريون نتائج آخر اجتماع لهيئة المنتفعين فى لندن يوم ٢١ سبتمبر (أيلول) حيث عاد وزير الخارجية الفرنسى بعد أن أبلغ ايدن أن فرنسا قد تقوم بعمل عسكرى مع اسرائيل، وحصل من ايدن على موافقته على ذلك على ألا تهاجم اسرائيل الاردن ٠

وكان وزير الدفاع الفرنسى يرى أن بريطانيا فى النهاية ، قد تشترك فى العملية وأن الولايات المتحدة لن تتدخل ، لكنه لم يكن يعرف رد فعل الاتحاد السوفيتى ٠ وفى ضوء هذه الوقائع خولت الحكومة الفرنسية وزير الدفاع دعوة ممثلى اسرائيل لبحث اتخاذ عمل مشترك معهم ضد مصر ٠

ومع أن بن جوريون كان يريد القيام بعمل مشترك مع فرنسا ضد عبد الناصر ، الا أنه كان يعتقد أن الموضوع لن يسفر عن شئ هام ٠ وكان اهتمام بن جوريون موجها نحو احتلال الضفة الغربية لخليج العقبة وشرم الشيخ الامر الذى يؤدى الى ازدهار الميناء فى ايلات وبالتالى ازدهار النقب كلها ٠

كانت العراق هى الدولة الوحيدة التى لم توقع معنا اتفاقية للهدنة، ولذا بقيت فى حالة حرب مع اسرائيل • وقررنا ألا نهاجم الاردن طالما لم تسمح بدخول القوات العراقية أراضيها ، وأكد بن جوريون أن بريطانيا قادرة على تحييد الاردن وعدم ادخالها الحرب • وقرر بن جوريون ايفاد وفد الى فرنسا يضم جولدا مائير وزيرة الخارجية وموشى كارمل وزير المواصلات وشمعون بيريز وأنا •

واشتركت قبيل سفرى الى باريس فى عملية قامت بها قواتنا انتقاما لعمليات تخريبية • وقد نجحنا فى نسف الموقع العربى ، لكننا خسرنا عشرة قتلى و١٦ جريحا • وبدا لى من الضرورى القيام بمواجهة شاملة مع العدو يتم بعدها وضع أسس السلام على طول الحدود •

وقبيل سفرنا الى باريس اجتمعنـــــا مع بن جوريون الذى أعطانا التوجيهات التالية :

* ان اسرائيل ستشترك فى العمليات اذا ما بدأها أصدقاؤها •

* أن نتأكد من أن الولايات المتحدة لن تعارض العملية ولن تفرض عقوبات على اسرائيل •

* أن توافق بريطانيا ، ولا تشترك مع أية دولة عربية تســـــاعد مصر •

* ان هدفنا هو السيطرة على الساحل الغربى لخليج العقبة ، وقد نفكر بعد ذلك فى نزع سلاح سيناء كلها ولو تحت اشراف دولى •

ومن ناحيتى أضفت التوجيهات التالية بشأن العمليات •

* أن تعمل قوات كل دولة ــ الارضـــــية والجوية ــ فى قطاعها منفصلة عن الاخرى حتى مع وجود قيادة مشتركة •

* اذا تلقينا المعدات الكافية ، ودخلت القـــــوات المصرية مصر ، فسنقوم باحتلال الجانب الشرقى من قناة السويس (أى كل سيناء) •

* ألا يكون تزويدنا بالمعدات شرطا نعلق عليه اشـــــتراكنا فى العمليات •

وكان بن جوريون قلقا ازاء موقف الولايات المتحدة ومتشككا فى موقف بريطانيا • أما أنا فقد كنت أخشى أن تندمج بريطانيا الى مساندة

الاردن ضدها . وكانت الاردن والعراق قد وقعتا اتفاقية دفاع مشترك لتنسيق العمل العسكرى بينهما .

وفى ٢٨ سبتمبر (ايلول) توجهنا الى فرنسا . وفى اليوم التالى بدأت اجتماعاتنا فى منزل يملكه المستشار السياسى لوزير الدفاع فى مونبارناس . ورأس الوفد الفرنسى كريستيان بينو وزير الخارجية . وبدأ بينو بعرض للموقف من وجهة نظر بلاده مبينا أنه لم يعد هناك الا القوة بعد أن أمم عبد الناصر القناة ، واقترح النصف الاول موعدا للعملية حيث تكون الاحوال الجوية مواتية فى البحر الابيض المتوسط ، بالاضافة الى انتهاز فرصة الانتخابات الامريكية وحرص ايزنهاور على عدم الظهور أمام ناخبيه كمن يضحى بحلفائه بريطانيا وفرنسا .

وكان على بينو أن يسافر الى الولايات المتحدة للمشاركة فى اجتماع مجلس الامن ، حيث داج هامرشولد — السكرتير العام للامم المتحدة — قد اقترح تكوين لجنة رباعية تتولى الوساطة بين مصر والدول الغربية . واستعدت فرنسا لاستخدام الفيتو ضد هذا الاقتراح . وأكد لنا بينو أن فرنسا لا تطلب مشاركة اسرائيل كحل لمشاكل فرنسا ، وانما لو اشتركت اسرائيل فان ذلك يتم دفاعا عن مصالح اسرائيل ، فى حين تتحمل فرنسا المسئولية عن عملها ضد مصر . وأشار بينو الى أن اتفاقية ١٩٥٥ المعقودة بين مصر وبريطانيا تعطى للاخيرة الحق — فى حالة الحرب — فى احتفاظ بقناة السويس ، أى أن هناك أساسا قانونيا لمثل هذا العمل .

وبعد أن تحدث بينو لمدة ٤٥ دقيقة ، قام وفدنا بعرض وجهة نظر اسرائيل . وبدأنا بالاتفاق على أن العلاقات مع عبد الناصر لم يعد ممكنا معالجتها بالوسائل الدبلوماسية ، ولم يبق الا الحل العسكرى . ثانيا : اننا نعتبر فرنسا صديقا وحليفا ومستعدون للعمل المشترك معها . ثالثا . ما هو موقف بريطانيا وهل ستقف الى جوار الاردن . رابعا . ما هو موقف أمريكا وهل ستفرض علينا مقاطعة اقتصادية . وأخيرا : ما الذى سيفعله الاتحاد السوفيتى وهل سيرسل جنوده لمساعدة مصر . ؟

٩

كانت أجوبة الفرنسيين تتسم بالحذر . قيل لنا أنه كلما قصر أمد العملية كلما سهل تفادى التدخل الروسى المباشر ، مع الوضع فى الحسبان أن بعمل البولنديون والتشيك كطيارين فى مصر . ورأى الفرنسيون أن ماكميلان(?) سوف يصر على سياسة عدم التحرك ، ونصحونا بألا نفاتحه فى الموضوع ، اذ أنه عندما سئل عن رأيه وافق على اشتراك اسرائيل ولكن بعد نهاية العام أى بعد انتهاء الانتخابات الامريكية . أما بالنسبة

لبريطانيا فكانوا يرون أنها لن تحـــارب اسرائيل طالما لم تقم الاخيرة بالهجوم على الاردن ٠

وبدا واضحا أن فرنسا تنتظر قرار بريطانيا بشأن العملية ، وانها تحبذ قيام اسرائيل بالبدء فى الهجوم وفقا لتخطيطها ، وعندئذ يمكن ضمان اشتراك بريطانيا ٠ ولم أكن سعيدا بما انتهت اليه هذه الحولة من المحادثات اذ بات واضحا أن قرارا لن يتخذ قبيل انتهـاء اجتماعات مجلس الامن الامر الذى لا يترك لنا وقتا كافيا للاعداد العسكرى ٠ ولم يكن باستطاعة فرنسا دخول الحرب بمفردها خوفا من العواقب السياسية والعسكرية ، كما كنا نعرف أن بريطانيا لا تريد تلطيخ اسمها وبالمشاركة معنا فى حرب ضد العرب ، وانها كانت تفضل لو قمنا بالحرب وحدنا ثم سارعت القوات البريطانية الى طردنا من مصر والعودة الى احتــلال القناة ٠

وبعد أن تناولنا الغداء عدنا الى الاجتماع مرة ثانية حيث بدأنا بحث الامور العسكرية ٠ وكان أول ما بحثناه احتمال استخدام قواعد الطيران الاسرائيلية كبديل للقواعد البريطانية فى قبرص وفقا لخطه (موسكتير)٠ وانتهى اجتماعنا والاتفاق على الاجتماع فى اليوم التالى مع رئيس هيئة الاركان الفرنسية ، على أن يعود معنا الى اسرائيل وفـــد فرنسى لبحث امكانية استخدام اسرائيل بديلا عن قبرص ٠

وحاولت جهدى خلال الاجتماع مع رئيس الاركان وزملائه العسكريين، أن أقنعهم بامكانية نجاح العملية بدون اشتراك بريطانيا ٠ وســألنا الفرنسيون عن القوات التى سوف تقدمها اسرائيل فأبلغتهم بأنها تقدر فيما بين ٦ الى ٨ فرق مشاة ومدرعة و٧٠ طائرة مقاتلة ، وعلى الرغم من صغر هذا الجيش فقد كنت موثقا بأن فى وسعه هزيمة المصريين لا بدون بريطانيا فحسب بل وبدون فرنسا أيضا ٠

وبحثنا الموقف بالنسبة للطائرات والمطارات المصرية ، خاصة وقد كان فى مصر عدد من الطيارين والفنيين التشيك والبولنديين ، وفى الامكان دعوة غيرهم على وجه السرعة لو بقيت المطارات سليمة ٠ وكانت قـوة الطيران المصرى تبلغ ١٥٠ طائرة ميج و٤٠ قاذفة اليوشن ٠ أما من حيث السلاح البحرى فقد تقرر أن تقوم البحرية الاسرائيلية بحماية الشواطىء الاسرائيلية وتتولى البحرية الفرنسية أمر الشواطىء المصرية ، اذ لم يكن لدينا فى ذلك الوقت أية غواصات ٠

وسألنى الفرنسيون عما اذا كنت أعتزم الاحتفاظ برأس جسر على الضفة الغربية من القناة • وأجبت بالنفى • كنت أعلم أنهم سيسألوننى عن القاهرة ، وعندما سألونى أجبتهم بأن احتلال القاهرة سوف يخلق تعقيدات رهيبة لا بد من تجنبها • وكنت فى ذلك الوقت أعبر عن رأى شخصى بحت •

ولم أستطع معرفة حجم القوات الفرنسية التى ستشترك فى العمليه •• وأبلغونى أن الخطة الانجليزية الفرنسية تضم ٤ فرق مشاة ، بالاضافة الى قصف المطارات المصرية ، والهدف هو الاستيلاء على قناة السويس • وفى نهاية الاجتماع أعرب الفرنسيون عن رضاهم عن الخطة الاسرائيلية التى ستمكنهم من اتمام العملية فيما لو انسحبت انجلترا منها ، وأبلغونى أن هناك ٧٥ طائرة قاذفة قنابل و٢٥ طائرة ميستير ستشترك من جانبهم • وقد أبلغتهم أننا سنقدم للوفد الفرنسى كل التسهيلات لتفتيش مطاراتنا ومعرفة قدراتها على استقبال الطائرات الفرنسية ، أما استعمال هـذه الطائرات لمطاراتنا فأمر متروك لحكومتى لاقراره •

وعندما سألونى عن احتياجاتنا قدمت لهم القائمة التى كنا قد أعددناها ، وتتضمن دبابات وعربات مصفحة ومدافع بازوكا وطائرات نقل • وتفاهمنا على التوقيت بعد أن بينا لهم أن جيش اسرائيل الذى يعتمد على الاحتياطى يحتاج الى ٥ أو ٧ أيام لاتمام التعبئة (بارتياح)، وحيث أن مناقشات مجلس الامن تنتهى فى ١٢ أكتوبر (تشرين الثانى)، ثم يتخذ القرار النهائى يوم ١٥ ، فاننا نكون جاهزين تماما يوم ٢٠ •

كان الفرنسيون فى حيرة ازاء أمرين يتعلقان بالعمليـة وبدايتها ونهايتها • كانت فرنسا وانجلترا فى حاجة للهجـوم على مصر ، أما اسرائيل فكانت لديها المبررات الكافية ازاء هجمات التخريب والاستعداد المستمر للحرب من جانب مصر • وكانت النهاية بالنسبة لنا طـرد المصريين من سيناء وفتح العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية • كذلك كنا نحن أيضا نود أن يغيب عبد الناصر ويحل محله نظام جديد يسعى نحو السلام. لكن ذلك لم يكن جزءا أساسيا فى خطتنا ، فقد كان احتلال سيناء كفيلا بتحقيق أهدافنا حتى لو بقى عبد الناصر •

وأدركت الآن فقط السر فى تردد بن جوريون فى أن نقـوم نحن بالعملية ونبدأها •• كانت هناك أسباب كثيرة تضطرنا ألا نفعل ذلك • أما الآن فقد سنحت فرصة لن تتكرر حيث نقوم بالعمل ولكن دون أن

نكون بمفردنا بل معنا فرنسا وربما انجلترا · ولكن رأيى أن نفعل أقصى ما فى وسعنا للاستفادة من هذه الفرصة التاريخية ·

وغادرنا باريس مساء الاول من آكتوبر (تشرين) ويرفقنا الوفد الفرنسي العسكري ، ووصلنا الى اسرائيل فى اليوم التالى · وكان أمام الوفد الفرنسى بالاضافة الى استكشاف مطاراتنا ، عدة مهام منها تحديد درجة حاجتنا الى المعدات التى طلبناها وامكانيات وصول الاسلحة واستيعابها فى الموعد المحدد ·

وذهب الوفد الاسرائيلى الى رئيس الوزراء لابلاغه بنتائج محادثات باريس · أما الوفد الفرنسى فقد اجتمع مع لجنة تمثل الاسلحة الثلاث ، ووصلوا الى ضرورة الاسراع فى تزويدنا بالاسلحة حتى ولو وصلت بعد بدء المعركة · وبالفعل أبرق الوفد الى وزارة الدفاع الفرنسية يوصون بسرعة امدادنا بالاسلحة · وفى الليل عقدت اجتماعا لضباط القيادة أبلغتهم فيه بالانذار بالحرب فى حدود يوم ٢٠ من الشهر أى بعد ١٨ يوما ، والمتوقع أن تستمر ثلاثة أسابيع ·

وأخذنا استعداداتنا لاعلان التعبئة ،وطلبت استدعاء الضباط الذين يدرسون فى الخارج ــ وفى صباح ٣ أكتوبر (تشرين) تلقيت مذكرة من رئيس الوزراء تتسم بالتشاؤم والتحفظ وخاصة فيما يتعلق بعدم اشتراك بريطانيا وخشيته من أن تتعرض مدن اسرائيل للقصف الجوى · صحيح انه لم يرفض الخطة ولم يؤيدها ولكنه طلب ابلاغ الفرنسيين بمدى التعقيدات التى قد تواجهها اسرائيل · وقد جانب الصواب بن جوريون فى هذا الرأى ، فالفرنسيون يحبذون اشتراك بريطانيا معنا بل انهم شاركونا لانه لم يكن أمامهم بديل آخر ·

واجتمعت أنا وشمعون بيريز مع بن جوريون قبل أن يلتقى بالوفد الفرنسى · ورجوته بالحاح أن يعدل عن فكرته فى ارسال مذكرة الى جى موليه رئيس وزراء فرنسا يشرح له فيها شكوكه ومخاوفه ، وناشدته انتظار الاقتراحات الفرنسية النهائية · وأخبرت بن جوريون أن تقديره للطيران المصرى مبالغ فيه ، وأن الطيران الفرنسى قادر على احداث أضرار حسيمة بالطيران المصرى حتى ولو لم تشترك بريطانيا · ولم أندم على أن نبرة صوتى فى الحديث كانت مرتفعة ، فما دامت فرنسا عازمة على الاشتراك معنا فى عمل واحد ، فسوف نكون فى قمة النحس لو رفضنا عرضها وعدنا الى الحالة التى كنا عليها فى صراع منعزل ·

وأثناء اجتمـــاع الوفد الفرنسي مع بن جوريون . سألتهم كيف سيحققون هدفهم الرئيسى وهو اسقاط عبد الناصر فى حين أن خطتهم ترمى الى احتلال قناة السويس ؟! وقال ان الجيش يمكنه القيام عندئذ بأعمال فدائية ضدهم وقد يطلب عبد الناصر معونة سوفيتية . ووافق الفرنسيون على هذا الرأى ولم يجدوا عليه جوابا فى خطتهم الراهنة . كذلك أبدى بن جوريون اهتمامه بالتطور الذى سيحدث خلال أيام المعركة وبعدها ، وأعرب عن تشككه فى اشتراك بريطانيا .

وعدنا مع الوفد الفرنسى الى تل أبيب ، حيث طلبنا قائمة جديدة من المعدات لسلاحنا الجوى . وأبديت اهتماما بموضوع الاسراع فى المعركة . وكنت أضع فى ذهنى الخلاف بين الجنود الاسرائيليين والجنود المصريين . فالمصريون يحاربون طبقا لنظريات الحرب ، وقادتهم بعيدون عن الجبهة ، وليس من السهل بناء الخطوط الدفاعية البديلة ، وتغيير أهداف الهجوم . أما نحن فكنا معتادين على السرعة وقادتنا فى المواقع يتخذون القرارات فورا .

وكان من رأيى أن نستفيد من هذه الميزة . ولذا وضعت خطتنا على أساس اسقاط قوات مظلية بالقرب من هدفنا النهائى ، مع التحكم فى الممرات التى يستخدمها المصريون فى تدعيم قواتهم ، والاحتفاظ بهـــذه المواقع الهامة الى أن تصل قواتنا الرئيسية بعد قرابة ٤٨ ساعة . وأثنى الفرنسيون على كفاءة قواتنا مؤكدين أن فكرتهم عن جيشنا قد تبدلت .

ولم تخل هذه الاجتماعات العسكرية من بحث أمور عسكرية مثل ستبدأ المعركة وكيف ستنتهى . كنت أثناء تقديمى للخطة أبين أن الهجوم الاسرائيلى سوف يواكبه فى نفس الوقت هجـــوم فرنسى . وســـألنى الفرنسيون عما اذا كانت هناك أهمية عسكرية لذلك ، فأجبتهم بالايجاب اذ أن ذلك سيجبر عبد الناصر على توجيه غالبية قواته لصد الفرنسيين وترك قواته فى سيناء دون تدعيم . أما من الناحية السياسية فان رد الفعل العربى والعالمى سيختلف فيما لو قامت اسرائيل بالحرب وحدها عما لو قامت بها فى نفس الوقت مع فرنسا .

وفى الوقت الذى أبلغنى الفرنسيون فيه صعوبة قيام قواتهم بالهجوم فى نفس اليوم الذى سنهاجم فيه ، فانهم سألونى نفس الاســئلة التى وجهها اليهم بن جوريون والتى لا بد أن رؤساءهم سيوجهونها اليهم فى باريس : ما الذى نفعله لو وصلت قوات كل منا الى مواقعها المحددة دون أن ينتج عن ذلك نظام مصرى جديد ؟ وماذا لو بدأ عبـــد الناصر حربا

عدائيه ، وأليس هناك خطر من أن تنقلب الحرب القصيرة الامد الى حرب طويلة منهكة ؟

وكانت تلك منسكله بالفعل ، ولم يكن هناك من مخرج لها · لكنها كانت تمثل لنا منسكلة أكبر مما تمثله لفرنسا · فنحن دولة ناشئة وأى هزيمه سوف تصيبنا فى الصميم ، أما فرنسا فدولة كبــرى لن تهتز أسس وجودها حتى ولو اضطرت الى سحب قواتها · وأجبت بأن المصريين هم أصحاب المشكلة الحقيقية فهم الذين ستصيبهم الخسائر ·

وفى ٤ أكتوبر (تشرين أول) اجتمعت مع بن جوريون الذى وافق على كل افتراحاتى ، وعلى **الإستمرار فى الاستعداد للمعركة دون انتظار لمناقشة الحكومة لها واتخاذ القرار بشأنها** ، وعلى أن نقبـل الاسلحة من فرنسا ــ فاذا ما ألغيت الخطة أعدناها أو دفعنا ثمنها · وأكد بن جوريون للوفد استعداده لابقاء قوات اسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة طالما كانت هناك على الضفة الغربية قوات فرنسية حتى ولو كانت رمزية · واتفق الجانبان على ضرورة الحصول على موافقة بريطانيا ولو كان ذلك بالصمت ·

لم يكن بن جوريون متفائلا بشأن الخطة ولم يكن يتوقع أن توافق عليها الحكومة الفرنسية الا بنسبة ٢٠٪ ، وكنت أكثــر تفاؤلا منه · ومضينا فى اتخاذ الاستعدادات اللازمة ، وعقدت الاجتماعات اللازمة مع قادة الافرع والاسلحة · وعقدت اجتماعا يوم ٨ أكتــــوبر (تشرين) لاصدار الاوامر الخاصة بخطتنا التى أسميناها (عملية قادش) تيمنا باسم آخر موقع سكنه أبناء اسرائيل فى سيناء قبل أن يتوجهوا نحو الارض الموعودة ·

وكان من بين الاوامر التى أصدرتها الاصرار على أن الهدف ليس هو قتل أكبر عدد ممكن من جنود العدو وانما الاستيلاء على أســـلحتهم ومعداتهم · وتقرر استخدام المظليين فى السيطرة على أهم المواقع ، مع دفع المشاة بسرعة للتقدم الى الامام حتى ولو تخطوا مواقع العدو ، مع الاهتمام بألا يعتمد أى تشكيل فى تقدمه على مدى التقدم الذى تحـــرزه التشكيلات الاخرى · وحرصنا على ألا تكتشف مخابرات العدو الامر والا فقدنا عنصر المفاجأة ·

وفى يوم ١٠ أكتوبر (تشرين أول) قامت قواتنا بهجوم ــ تـــم تخطيطه بسرعة ــ على قرية قلقيلية الاردنية · وقد حقق الهجوم أهدافه

لكن خسائرنا كانت كبيرة اذ قتل منا ١٨ (منهم ٨ ضباط) وجرح ٥٠ (من بينهم ١٤ ضابطا) • هذا بالاضافة الى أن علاقاتنا مع بريطانيا تعرضت للخطر • وكانت الايام القليلة السابقة قد شهدت مقتل عدد من العمال والفلاحين الاسرائيليين • **وكان بن جوريون قد طلب منى عدم القيام بأعمال انتقامية وخاصة فى هذا الوقت الذى يجب أن نظهر فيه كضحايا لا معتدين** • وازاء استمرار أعمال العنف فقد قررت الحكومة القيام بأعمال انتقامية تركزت فى قلقيلية •

واستمرت معركة قلقيلية طوال الليل ، ولولا قيام مجموعة انقاذ بفتح طريق العودة لجزء من القوة كان محاصرا ، لكانت قوة من المدرعات والمشاة قد تقدمت تحت حماية الطيران — وفقا لاوامرى — لانقاذ المحاصرين • وسرعان ما **بدأت التعقيدات السياسية ، فقد اتصل القنصل البريطانى** بوزارة الخارجية الاسرائيلية لابلاغها أن الملك حسين طلب ارسال الطيران البريطانى لنجدة القوات الاردنية وفقا لمعاهدة الدفاع المشتركة • وفى اليوم التالى أبلغ القائم بالاعمال البريطانى رئيس الوزراء أن طابورا عراقيا يتقدم نحو الاردن ، واذا اتخذت اسرائيل أى اجراء فان بريطانيا ستقف الى جوار الاردن •

واعترض بن جوريون على التحرك العراقى واحتفظ بحرية اتخاذ الاجراء اللازم فى حال حدوثه • وبالطبع لم تسهم هذه التطورات فى تحسين العلاقات مع بريطانيا فى الوقت الذى كنا فيه على شفا تحرك مشترك ضد مصر •

١٤ الاتصال الفرنسي الثاني

وفي ١٨ أكتوبر (تشرين) بعث جي موليه رئيس وزراء فرنسا ببرقية الى بن جوريون يدعوه فيها الى باريس لبحث الامور بشكل مباشر • وقررنا السفر يوم ٢١ الى باريس بعد أن عرفنا نتائج الاجتماع الفرنسي البريطاني الاخير والذى سلم فيه البريطانيون اعلانا يتضمن فقرتين بتوقيع ايدن رئيس الوزراء وطلبوا ابلاغنا به • وقد شعر البريطانيون بأن هذا الاعلان كفيل بطمأنة قلوبنا وجعلنا نبدأ المعركة بمفردنا ونصل الى القناة •

ونصت الفقرة الاولى على أن بريطانيا وفرنسا سوف تطلبان من مصر واسرائيل سحب قواتهما من منطقة القنال ، فاذا رفضت احداهما تدخلت قوات الدولتين لضمان سيولة الملاحة • وهذا الشرط يقدم الاساس القانوني والسياسي والمعنوي لغزو مصر • أما الفقرة الثانية فتؤكد أن بريطانيا لن تدخل الحرب الى جوار مصر حتى ولو طلبت منها ذلك • ولم يكن الحال هو نفسه مع الاردن التي ما زالت بريطانيا مرتبطة معها بمعاهدة دفاع •

ولم يعتبر بن جوريون هذا الاعلان أساسا للقيام بعمل مشترك ، وأصر على ألا نكون البادئين بالحرب بينما يظهر البريطانيون والفرنسيون

بمظهر ملائكة السلام الذين يعيدون الهدوء الى المنطقه • وقلت لبن جوريون اننى أنظر للامور من زاوية أخرى ، فالبريطانيون **والفرنسيون بطائراتهم الخمسمائة قادرون على القضاء على سلاح الطيران المصرى ، بالاضافة الى الاسلحة الارضية والبحرية ، لكننا نملك ميزة يحتاجونها وهى أننا نقدم لهم الحجة اللازمة للعملية . وبذلك تتاح لنا الفرصة لدخول (نادى) معركة السويس** • كذلك فقد كنت أرى أن مواجهتنا مع مصر تشكل حالة من الحرب المستمرة ، فازاء تصرفات ناصر كغلق العقبة كان علينا أن نأمر قواتنا بعبور الحدود والقتال ، أى أن الرأى البريطانى سليم ونستطيع نحن أن نقدم الحجة اللازمة •

وأبلغت بن جوريون أننا قد نفقد فرصة تاريخية لن تسنح مرة ثانية • فسوف يتحتم علينا أن نمضى فى صراعنا مع ناصر بمفردنا بدون معونة انجلترا وفرنسا وبدون الاسلحة الفرنسية التى سنحصل عليها فى اطار العملية • ولنفرض أننا قمنا من جانبنا فقط باحتلال شرم الشيخ لتأمين الملاحة فى العقبة ، ألم يكن ذلك كفيلا باثارة الدول الكبرى وضغطها ضدنا ؟ لهذه الاسباب كنت مقتنعا بأن نقوم بالحرب على أن تؤمن لنا فرنسا الحماية البحرية والحماية الجوية الدفاعية لحيفا وتل أبيب ، وعلى أن تشترك بريطانيا وفرنسا بعد عدة أيام بالاستيلاء على القناة •

١

وجاءت طائرة فرنسية لتقلنا الى باريس ، وجاء على متنها اثنان من أعضاء الوفد الفرنسى للبدء فى المحادثات قبل الوصول الى باريس •• وكان محور الحديث يدور حول (الحجة) أو (السيناريو) كما أسماه الفرنسيون • ولم تكن بريطانيا قد تزحزحت عن موقفها ،وحاول الفرنسيون اقناعنا بقبول العرض الوحيد الذى يمكن لبريطانيا أن نشترك بمقتضاه ، وهو أن تظهر كوسيط يعيد النظام للمنطقة •

وسألت الفرنسيين عما اذا كانوا مستعدين لنجدتنا اذا ما تعرضت مدننا للقصف خلال الساعات الاربع والعشرين ، فأجابوا بالنفى وأضافوا أن بريطانيا ترى أن ذلك سيفسد (السيناريو) • ولم أتمالك نفسى عند هذا الحد ، وانفجرت ، فلم أكن أفهم أن يقوم طرف بعملية ثم يأتى شريكاه ليطرداه •• أو أن تتعرض مدننا للقصف المصرى لان طائراتنا مشغولة بالتمهيد للغزو الفرنسى البريطانى ثم لا تأتى طائراتهم لنجدتنا لسبب واحد هو عدم افساد (السيناريو) • .

وهنا عرض الفرنسيون ابقاء دوريات فرنسية فى اسرائيل ، تقوم بعمل واحد هو الدفاع عن المدن الاسرائيلية فى حالة الطوارىء فقط . ومع أننى لم أرفض هذا العرض ، فقد كنت أرى أن قيامنا بعمليات بالقرب من القناة لن يدفع المصريين الى قصف مدننا خوفا من أن نرد بالمثل .

وتوجه وفدنا الى المطار مكونا منى ومن بن جوريون وشمعون بيريز وموردخاى بار أون مدير مكتبى . **ولم يكن بن جوريون قد علم بأمر المبعوثين الفرنسيين الا عندما أبلغته بها ونحن فى طريقنا الى المطار** ، وكاد أن يلغى الرحلة برمتها عندما علم أن الفرنسيين يريدون فرض الخطة البريطانية علينا . وعندما وصلنا المطار قال لهما بن جوريون ، وهو يتمالك أعصابه بصعوبة ، أن الامل الوحيد الباقى هو لقاء رئيس وزراء فرنسا .

ووصلنا الى باريس يوم ٢٢ بعد رحلة مرهقة استمرت ١٧ ساعة . وبعد استراحة قليلة بدأت الاجتماعات ، وضم الوفد الفرنسى رئيس الوزراء ووزيرى الخارجية والدفاع . وبدأت المناقشات بأمور عامة . وبدأ بن جوريون بعد ذلك بتحذير الفرنسيين من أنه سوف يقدم اقتراحا قد يبدو للوهلة الاولى خياليا أو ساذجا . **وقال انه يرى أن الاردن لا تملك مقومات الدولة ولذا فانه يقترح تقسيمها ، فيعطى الجزء الشرقى منها الى العراق مقابل تعهدها باسكان اللاجئين فيها . أما غرب الاردن فتكون اقليما له حكم ذاتى فتصبح جزءا من اسرائيل . وتتنازل لبنان عن بعض من ضواحيها الاسلامية . وقال بن جوريون ان هيكل الشرق الاوسط بهذا الشكل يسمح لانجلترا بالسيطرة على العراق التى تأخذ الاردن . ويكون النفوذ الفرنسى مهيمنا على لبنان وربما على سوريا بالاضافة الى الصلات الطيبة مع اسرائيل . وبذلك تصبح الملاحة فى قناة السويس مضمونة دوليا وتسيطر اسرائيل على مضايق تيران .**

قال بن جوريون ان ذلك سوف يجعل من السهل قيام سياسة مشتركة بين الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا وبريطانيا واسرائيل . **وأشار بعدم التسرع فى العمل العسكرى ونصح باستكشاف الاحتمالات السياسية** ، وأكد أن الوقت ملائم لاعادة تقييم الامور على هذا النحو .

واستمع الفرنسيون الى بن جوريون باهتمام ، لكنهم كانوا متمسكين بالخطة العسكرية . وكان من رأيهم أن الامريكيين لن يقتنعوا **بضرورة** قلب نظام عبد الناصر ، وانهم لم يفهموا المشاكل الاوروبية الا قبل مرور

سنتين ، فذلك ما قد حدث فى الحرب العالمية الاولى عندما تدخلوا عـام ١٩١٧ وفى الحرب العالمية الثانية عندما تدخلوا عام ١٩٤١ ٠

وتحدث بينو ـ وزير الخارجية ـ فحذر بن جوريون من أن السعى لحل جميع المشاكل مرة واحدة لن يحل أى مشكلة ، وأن ايدن يواجـه متاعب فى البرلمان ومن حزب العمال بل ومن حزبه وحكومته ، وكلمـا طال الوقت كلما ازداد موقفه ضعفا . اما ناصر فقد كانت قبضته تزداد احكاما كل يوم وصلاته تتوثق مع الروس ، ولهذا فانه يرى أن الفرصة المناسبة السانحة الآن قد تضيع ٠ وعدد بينو ثلاثة أسباب للقيام بالعمل فورا هى : ان البحر الابيض المتوسط ستشتد أمواجه بعد هذا الشهر ولن يصلح للانزال ، وان أمريكا مشغولة فى انتخابات الرئاسة ولا وقت لديها للشرق الاوسط ، وان روسيا مشغولة فى مشـاكل داخلية فى بولندا وغيرها ٠

وعاد بن جوريون الى تأكيد أنه لا يريد حل كل المشاكل مرة واحدة، وانما على مراحل ٠ وهكذا نشأ الخلاف بين بن جوريون والوفد الفرنسى على أساس شخصى ، فبن جوريون كان يحبذ الحلول الشـاملة ، أما الفرنسيون فكانوا يبحثون عن الترتيبات العملية للغزو العسكرى الذى يعتزمونه مع البريطانيين ٠ وكان بن جوريون يريد انتهاز فرصة وجود اسرائيل مع بريطانيا وفرنسا لتحقيق سياسـة متفق عليها تغطى كل مشاكل الشرق الاوسط ٠

وأوضح وزير الدفاع الفرنسى أنه ما لم تتم العملية خلال أيام فان فرنسا ستنسحب منها ، اذ لم يعد ثمة داع لحشد كل هذه السفن ، كما أكد استعداد البحرية الفرنسية لحماية شواطىء اسرائيل بل والمشاركة فى الدفاع ضد الطائرات ٠ كذلك فقد وافق على ابقاء قوات جوية فرنسية فى اسرائيل واشراكها اذا اقتضى الامر فى الدفاع الجوى ٠

وفى الساعة السابعة مساء وصل سلوين لويد وزير خارجيـة بريطانيا ، ولم يشـترك معنا فى الاجتماع وانما التقى بالفرنسيين فى غرفة مجاورة حيث لخصـوا له ما تم حتى الآن من محادثات ٠ ثم عاد الفرنسيون بمفردهم واستمر الاجتماع ٠ وبات واضحا أن الموقف وصل الى طريق مسدود لا مخرج منه ، فلم يكن بن جوريون مسـتعدا لقبول المقترحات البريطانية وأبدى استعداده للسفر الى اسرائيل صباح اليوم التالى ٠ وهدد رئيس وزراء فرنسا بتسريح قواته المعبأة ما لم يتخـذ قرار حاسم وسريع ٠

وعاد بينو الى قراءة الجدول الزمنى الذى وضعته بريطانيا بدءا من تحرك اسرائيل ثم الانذار البريطانى الفرنسى فقصف المطارات المصرية ان رفضت مصر • ونقرر عقد اجتماع آخر مع البريطانيين على أن ننضم نحن اليهم • واستمر الاجتماع ساعة ونصفا ثم استؤنف بعد العشـــاء حيث عاد لويد الى لندن لابلاغ حكومته •

كان الاجتماع غريبا ، فقد بدأه بن جوريون وسلوين لويد بمواقف غاية فى التشدد ثم أنهياه بقدر مفاجىء من الاستعداد والتفاهم • ويبدو أنهما وجدا اســـتحالة فى التفاهم بينهما الامر الذى لا تجدى معه أية تفسيرات أو توضيحات ، ولذا قررا المضى مباشرة الى نقط الاتفاق النهائية بينهما • وبرغم رقة وزير خارجية انجلترا ، فانه لم يخف امتعاضه من الاجتماع والحاضرين وموضوع البحث •

وبدأ لويد حديثه كتاجر يقايض على بضاعته ، فقال أنه ســـوف يصل الى اتفاق مع مصر حول القناة خلال سبعة أيام ، وان محادثاته مع فوزى وزير خارجية مصر قد أسفرت عن موافقة مصر على الاعتراف بهيئة المنتفعين بالقناة ، وقبول الاشراف الدولى عليها ، وتحمل العقوبات التى ينص عليها ميثاق الامم المتحدة فى حالة خرق هذه التعهدات •

أما لماذا نحن هنا الآن مادامت الامور على هذا النحو ؟ فقد أجـاب لويد على هذا التساؤل بقوله أن ذلك سوف يزيد من قوة عبد الناصر • وحيث أن حكومة صاحبة الجلالة تريد اقصاء عبد الناصر ، فانها مستعدة للقيام بعمل عسكرى مشترك وفقا للخطة الفرنسية البريطانية • ويتم بمقتضاها غزو الجيش الاسرائيلى لسيناء خلال ٤٨ ساعة ، تقوم خلالها فرنســــا وانجلترا بتوجيه الانذار ، فاذا لم تذعن مصر بدأ الغزو البريطانى الفرنسى واقصى عبد الناصر • ولن تقوم بريطانيا بمســاعدة مصر ولا بمساعدة الاردن اذا ما هاجمت اسرائيل ، لكنها سوف تساعد الاردن اذا ماهاجمتها اسرائيل •

وكان رد بن جوريون حازما ومختصرا ، فاسرائيل ليست مستعدة لان توصم بالعدوان ثم تتلقى انذارا بالجلاء عن القناة . وهناك احتمال بأن يكون رد فعــــل مصر هو قصف المدن الاسرائيلية ، مع الاخذ بعين الاعتبار احتمال دعم سلاح الجو المصرى بالمتطوعين البولنديين والتشيك • ولذا فان اسرائيل ليست على اســـتعداد للبدء فى الهجوم على مصر واذا ما هاجمتها مصر فهى قادرة على هزيمتها ولو تطلب الامر تضــــحيات وخسائر جسيمة •

وبعد أن شرح بن جوريون ما لم نكن على استعداد لعمله ، استأذنت منه لشرح ما نحن مستعدون لعمله • وشرحت خطتنا التى تتلخص فى قيام قوة اسرائيلية بعبور الحدود المصرية الساعة الخامسة مساء يوم محدد ، ويتم ذلك بإسقاط مظليين قرب القناة وراء الخطوط المصرية • وفى مساء اليوم نفسه يجتمع الفرنسيون والبريطانيون ويطلبوا من مصر سحب قواتها من القناة لضمان سيولة الملاحة • ثم يطلبوا من اسرائيل ألا تتقدم قواتها بعد القناة ونستجيب نحن لذلك • فاذا لم تستجب مصر قامت القوات الجوية الفرنســـية والبريطانية بقصف المطارات المصرية صباح اليوم التالى •

ولم يبد على سلوين لويد أنه قد فوجىء أو صدم بهذه الخطة ، ولم يطلب سوى ألا تكون القوة الاسرائيلية صغيرة وانما أن تشن (عمــلا حربيا حقيقيا) ، والا ما كان هنـــاك داع للانـذار ولظهرت بريطانيا كمعتد • وكان لويد يرى أن لبريطانيا أصدقاء كالدول الاسكندنافية لا ترضى عن قيام بريطانيـــا ببدء الحرب • **ولم أجرؤ على النظر الى بن جوريون وهو يســـمع لويد ، ولا أشـــك فى أنه بذل جهدا كبيرا كى لا تفلت منه مشاعره ويظهر غضبه •**

ثم تحدث رئيس وزراء فرنسا فوعد بتقديم مساعدة جوية فرنسية لاسرائيل وبادخال القوات الجوية الفرنسية عند الطوارىء انطلاقا من قواعدها فى قبرص • وعلى الفور أعلن لويد معارضته لذلك •

وهنا لم يتمالك بن جوريون أعصابه وسأله عما اذا كانت حكومته قد قدرت مدى الخسائر التى قد تتعرض لها المدن الاسرائيليـــة خلال اليومين اللذين ستخوض فيها الحرب بمفردها ؟ ورد لويد بأنه جاء الى باريس لكى يناقش الخطة الفرنسية البريطانية كما وضعت ، لكنه يواجه الآن اقتراحا جديدا • ولم يبد على لويد أنه رفض هذا الاقتراح اذ عاد الى السؤال عن القوات الاسرائيلية التى ستعبر الحدود فأكدت له أنهــــا ستكون (عملا حربيا حقيقيا) • وهنا اقترح هو أن يصدر الانذار فى نفس الليلة التى نبدأ فيها الحرب •

وسافر لويد الى لندن عند منتصف الليل ، وقرر بيننا أن يسافر غدا للقاء رئيس الوزراء البريطانى على أن يعود يوم ٢٤ أكتوبر (ت١) •

وكان بن جوريون حريصا على أن يسمى الخطة التى عرضتها بـ (خطـــة ديان) ، وأعتقد أنه لم يكن يناور بذلك أمام البريطانيـــين والفرنسيين ، وانما كانت لديه بالفعل شكوك حولها •

وعكفت على مراجعة البرقيات التى وصلتنى فوجدت أحداها تفيد بأن رئيس الوزراء الاردنى المقبل هو سليمان النابلسى المعادى للبريطانيين والذى أعلن أنه سيلغى المعاهدة مع بريطانيا • كذلك فان الاردن سوف ينضم الى القيادة العسكرية السورية المصرية المشتركة وسوف ينعقد فى عمان فى نفس اليوم اجتماع لرؤساء أركان حرب الجيوش الثلاثة المصرية والسورية والاردنية برئاسة عبد الحكيم عامر •

وتصاعد التوتر الدولى ، وحل الدور على فرنسا • فبعد تلك الضربة التى وجهتها الاردن الى بريطانيا ومجىء رئيس وزراء معاد لها ، اكتشفت احدى السفن المصرية وهى تحاول تهريب الاسلحة الى الثوار الجزائريين، وثارت ثورة البرلمان الفرنسى على التدخل المصرى فى الشئون الداخلية الفرنسية • وقبلها بيوم كانت فرنسا قد أجبرت طائرة بن بيلا ورفاقه على الهبوط • وهكذا تضاءل دور عبد الناصر فى معاداة الغرب •

وأثناء تناولنا الغداء كانت هذه الموضـــوعات مثار حديثنا • ودار النقاش بيننا وبين الفرنســـيين حول الخلافات بيننا وبين بريطانيا ، وحاول بينو أن يحصل على (كلمتنا الاخيرة) ليحملها معه الى لندن • ووعدناه بأن نعطيه هذه الكلمة بعد اجتماع منفصل لوفدنا • وكانت هذه الاجتماعات المنفصلة غالبا ما تتم أثناء الاجتماعات أما فى ركن من القاعة أو فى غرفة مجاورة •

وكانت هذه الاجتماعات المنفصلة لوفدنا مختلفة عن الاجتماعات المنفصلة للوفد الفرنسى • فهم ذوى رتب ومناصب عالية ويستطيعون اصدار القرار كل فيما يخصه • أما وفدنا فكانت الفجوة فيه واسعة بين مناصب كل منا ورتبته ، ولذا فقد كان وفدنا فى الحقيقة هو بن جوريون كان كالحاخام وكنا نحن أتباعه • ولم تكن اجتماعاتنا معه للنقاش أو البحث وانما كنت أنا وبيريز فقط نحاول اقناعه باقتراحاتنا اذا لم يكن قد قر قراره بعد •

وكنا ندرك أن هذا الاجتماع المنفصل حاســـم ، اذ لابد أن نعطى بينو كلمة يحملها الى لندن فاما أن نشترك فى الحرب أو تلغى الخطة • **ولم يكن بن جوريون قد وصل الى قرار ، لكنه كان مستاء من عدم قبول اسرائيل كشريك كامل فى العملية • ولم يكن بالفعل مستعدا لاتخـــاذ مواقف مرنة أو تنازلات** • وكنت أعتقد أنه يبالغ فى تصوير مدى الخراب الذى قد يلحقه الطيران المصرى بمدننا خلال الساعات الاولى من الحرب ، وربما كان يتخذ ذلك ذريعة للانسحاب من العملية •

واقترح بيريز أن نرسل مركبا اسرائيلية الى بورسعيد ، وعندما يمنعها المصريون تتوفر لدينا الحجة للحرب وللتدخل الفرنسى البريطانى. واستقبل بن جوريون الاقتراح بالصمت • وقلت أنا أننى من الوجهة العسكرية البحتة أحبذ قبول العرض البريطانى ، اذ أن فى امكاننا الصمود خلال الساعات الاولى للحرب • فقال بن جوريون انهم يريدون منا قوة كبيرة نبدأ بها الحرب ، فماذا يحدث لو حوصرت قوات المظليين كما حدث فى قلقيلية ؟ وقال : هل نسينا الحالة التى وصل اليها شعبنا عندئذ ؟ •

وأجبت بأن شعبنا ثار ضد عملية قلقيلية لانها لم تحسم شيئا ، اذ استمرت أعمال التخريب • أما عندما يدرك شعبنا ، بعد اليوم الاول ، ان هذه الحرب حاسمة وانها فرصة تاريخية لا يجب اضاعتها ، فسوف يقبلها هى وتضحياتها ، والا تحتم علينا المضى وحدنا فى الحرب ونحمل خسائر أكبر • واتبعت ذلك بشرح للخطة حيث نسقط كتيبة مظلات فى ممر متلا ، وفى نفس الليلة يتحرك طابور مدرع لاحتلال القسيمة ثم يمضى فى اليوم التالى ليحتل تماده ونخل الى أن يصل الى ممر متلا •

وأضفت الى ذلك أننا سوف نقصر العمليات طوال اليوم على معارك أرضيه بلا طيران بحيث يفسرها المصريون على أنها عملية انتقامية كبيرة ولا يقلبونها الى حرب شاملة ، فلا يعبرون الحدود ولا يضربون المدن الاسرائيلية بالطائرات • وأشرت الى أن ذلك يحقق كل المطالب التى تقدمت بها بريطانيا ، وسوف نخبرهم بحجم القوات لكننا لن نخبرهم بمواقع العملية ، اذ سينصرف ذهن البريطانيين الى أننا سنتحرك على محور العريش ــ القنطرة • فى حين سيكون تحركنا بالفعل نحو الجنوب فى سيناء • وعندئذ لن تحاصر قوة المظليين ، وانما ستصلها الامدادات فى اليوم التالى •

واستمع بن جوريون الى حديثى دون أن يبدى أى تعليق • ثم وافق على أن أقوم بابلاغ بينو بتفاصيل العملية على أن أفهمه جيدا أن الخطة خطتى ولا دخل لبن جوريون بها ، كما وافق على ابلاغه أيضا باقتراح بيريز • وتركنا وصعد الى غرفته • وكان معنى ذلك أن خطتنا ليس لها سند رسمى •

وعدت أنا وبيريز الى الاجتماع مع الفرنسيين • وعرض بيريز اقتراحه بشأن المركب الاسرائيلية الى بورسعيد ، ومع أن الفرنسيين وافقوا على الفكرة فقد عارضوا ادخال اقتراحات جديدة فى هذه المرحلة.

لان ذلك سوف يعطى البريطانيين مبررا للتأخير وربما لتأجيل العملية كلها .

وبعد أن شرحت الخطوط العامة للعملية ، طلب منى بينو أن أعيدها لكى يكتبها ويحملها الى لقائه مع ايدن . وعندما أكدت له أن بن جوريون لم يوافق بعد على خطتى هذه قال لى (اننى أعرف كيف تعملون سويا). وحسدته على هذه الثقة . وسافر بينو الى لندن ، وبقى بن جوريون فى غرفته ، وقررت أنا وبيريز أن تكون الليلة (أجازة) . ولكننا لم نستطع الاستمتاع بالعرض العارى الذى شاهدناه فى أحد الملاهى الليلية ، اذ كانت أذهاننا مشغولة بما هو أهم .

وعدت الى الفندق أفكر فى الموقف . فالقوات الجوية الفرنسية التى وعدنا بها كافية ، ومادام البريطانيون عازمون على التدخل فان تأخيرهم عدة ساعات ليس مهما . كانت المشكلة هى موقف بن جوريون . فقد تأكدت أن لديه شكوكا وقلقا كبيرين حول خطتى ، وانه مازال يفكر : هل نشترك أم لا نشترك ، فهو من ناحية لم يكن يشارك الفرنسيين تفاؤلهم بشأن الموقف الامريكى ، وقد خابت آماله من ناحية أخرى لعدم امكانه اقناعهم ببحث حل شامل للشرق الاوسط . وكانت قناعته كبيرة بأنه ما لم تكن العملية العسكرية جزءا من سياسة شاملة ، فان مصيرها الفشل . وزاد من مخاوفه ذلك الموقف غير (الجنتلمان) الذى وقفته بريطانيا معنا .

وكنت من ناحيتى مؤمنا بتفاصيل الخطة وبأنها كافية لخداع المصريين وايهامهم بأن العملية لا تعدو كونها غارة كبيرة . صحيح أن التصرف وفق هذه الافتراضات كان أمرا يحمل فى طيه كثيرا من المغامرة ، اذ كان من الممكن أن تتعرض مدننا لقصف مصرى رهيب ، لكننى لم أكن اتوقع ذلك من جانب رئيس الاركان المصرية ، بناء على التقارير التى ستصله من المواقع التى ستهاجمها قواتنا خلال اليوم الاول والتى لن تعطيه انطباعا بحرب شاملة . وعند هذا الحد من التفكير أسلمت عينى للنعاس .

وفى الحادية عشرة والنصف من صباح اليوم التالى ، ٢٤ أكتوبر (ت ١) استدعانى بن جوريون أنا وبيريز لاجراء مشاورات نهائية . وطلب منى أن أعيد شرح الخطة ، فاستعنت على ذلك بعلبة سجائر بيريز رسمت عليها خريطة للعمليات والاهداف . ورسمت ثلاثة أسهم تحدد مسار قواتنا ، وكنت سعيدا بعدم وجود خريطة سليمة معى اذ

بدت العمليه نحو الجنوب لاحتلال شرم الشيخ ، فوق ورق علبة السجائر ، عملية بسيطة سهلة التنفيذ .. فعلى هذه الورقة لا توجد جبال ولا وديان ولا صحارى .

وبعد ذلك سحب بن جوريون ورقة كان قد كتب عليها عددا من الاسئلة التى تبين أنه قد وصل الى قرار ايجابى بشأن الخطة ، اذ كانت كلها تدور حول (كيف) و (متى) و (ماذا) ولم يكن بينها ما يبدأ بـ (اذا) . وكانت أجوبتى على بعض الاسئله ، هى :

● تكون ساعة الصفر بالنسبة للجيش الاسرائيلى ، يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر (ت١) الساعة الخامسة مساء .

● تكون ساعة الصفر للبريطانيين والفرنسيين يوم الاربعاء .

● فى حالة رفض مصر ، تبدأ القوات الفرنسية والبريطانيه بقصف المطارات المصرية فجر يوم الاربعاء ، ويتم انزال فرقتين فرنسيتين يوم ٢ نوفمبر (ت ٢)

● اننى لا أعرف ما اذا كانت القوات البريطانية والفرنسية ستسيطر على ضفتى القناة أم على الضفة الغربية فقط .

● اننى لا أعلم اذا ما كانوا سيزحفون الى القاهرة ، وأشك فى ذلك .

● بالنسبة لخطتهم فيما يتعلق بسيناء فاننى أذكر أن سلوين لويد قال لى أثناء العشاء (آمل ألا تكون لديك أحلام بانتهاز هذه الفرصة للاستيلاء على سيناء) .

● لا أعرف ما اذا كان المصريون سيقيمون نظام حكم جديد .

● ان لويد قال ان بريطانيا لن تحارب اسرائيل ، لكنها سوف تتدخل اذا هاجمتنا الاردن ورددنا عليها .

● ان الفرنسيين والبريطانيين لا يمانعون استيلاءنا على مضايق تيران .

● اننى أفكر فى تأخير الاستيلاء على غزة ورفح الى أن تستوعب القوات المصرية فيهما حقيقة ما يحدث .

كانت القـــوات المصرية فى غزة تتكون من فرقتين احداهمـــا فلسطينية • وكان تقديرى أن الامدادات ســـوف تأتى من مصر الى غزة يومى الاثنين والثلاثاء ، وعندما تندخل بريطانيا وفرنسا • فســـوف يكون تحرك القوات المصرية فى الاتجاه المضاد عائدة الى مصر •

واستمرت المناقشـــات حتى الثانية بعد الظهر ، وقبل أن ننهى الاجتماع قال بن جوريون (ان خطة ديان جيدة • انها تنقذ الارواح) وبعدها مباشرة انتقل للحديث عن المملكة اليهودية التى كان يقرأ عنهـا خلال الرحلة فى الطائرة فى كتاب للمؤرخ بروكوبيوس ، وقال (اننى أتعجب كيف قامت هذه المملكة فى يوتفات بدون وجود مياه • لماذا دأب اليهود على تحطيم موسى حول مشكلة مياه الشرب ؟) •

وفى الساعة الرابعة عاد بينو من لندن ، واستدعينا للاجتماع به ، حيث أبلغنا أن وفدا بريطانيا ســـوف يصل حالا ، وان انطباعات ايدن خلال لقائه به كانت أكثر حرارة من انطباعات لويد •

وفيما يتعلق بـ (الحجة) فقد أصر البريطانيون على أن تكون العملية (حربا حقيقية) ، ووافقوا على تقديم تحركهم بحيث يتم فى الســـاعة الرابعة من فجر الاربعـــاء • كما وافقوا على تضمين الانذار فقرة تتعلق بوقف النار ، حتى اذا ما قصفت مصر المدن الاسرائيلية اعتبر ذلك خرقا للانذار • كذلك استبدلوا كلمة (الانذار) بسحب القوات من القنـــال بـ (المناشدة) •

وفى الساعة الرابعة والنصف وصل الوفد البريطانى برئاســـة باتريك دين وعضوية سكرتير لويد المدعو لوجان •• أى أن مســـتوى التمثيل فى الوفد قد انخفض • وبدأ الاجتماع بتقديم من بينو ، ثم أثار بن جوريون مسألة المساعدة البريطانية للاردن وتصميمنا على الاستيلاء على مضايق تيران لانها (قناة السويس الاسرائيلية) • وعندما ســـأل البريطانيون عن خطة عملياتنا ، لم ابلغهم – لا هم ولا الفرنســـيين – بالتفاصـــيل واكتفيت بتأكيد التزامنا بحجم القوات المطلوبة وان انزال المظليين سيتم بالقرب من مدينة السويس لا مدينة بورسعيد •

وبعد لقاء جانبى لوفدنا استمر ساعتين ، عدنا ، وتم اقرار الخطة رسميا على النحو التالى :

● بعد ظهر يوم ٢٩ أكتوبر (ت ١) ١٩٥٦ ، تقوم القوات الاسرائيلية بهجوم واسع النطاق على القوات المصرية بهدف الوصول الى قناة السويس فى اليوم التالى ٠

● فى يوم ٣٠ أكتوبر (ت ١) تقوم حكومتا بريطانيا وفرنسا بتسليم حكومتى اسرائيل مصر ـ كل على حدة وفى نفس الوقت ـ طلبا قائما على الخطوط الاساسية التالية :

الى حكومة مصر :

● وقف مطلق لاطلاق النار ٠

● انسحاب جميع القوات الى بعد ١٠ أميال من قناة السويس ٠

● قبول احتلال القوات البريطانية والفرنسية للمواقع الرئيسية على القناة ، من أجل تسهيل الملاحة لكل سفن العالم ، والى أن يتم التوصل الى ترتيبات نهائية ٠

الى حكومة اسرائيل :

● انسحاب قواتها الى بعد ١٠ أميال شرقى القناة ٠

● سيتم ابلاغ الحكومة الاسرائيلية بقبول مصر ٠ فاذا اعترضت احدى الدولتين أو لم تعلن قبولها خلال ١٢ ساعة ، فللقوات الفرنسية والانجليزية اتخاذ الاجراءات اللازمة لضمان تنفيذ مطالبهما ٠

● لن يطلب من اسرائيل تنفيذ الطلب المقدم اليها فى حالة رفض مصر ٠

● فى حالة رفض مصر تشن عليها القوات الفرنسية والبريطانية هجوما فى الساعات الاولى من صباح ٣١ أكتوبر (ت ١) ١٩٥٦ ٠

● ترسل اسرائيل قواتها للاستيلاء على خليج العقبة ومضايق تيران وصنافير لتأمين الملاحة فى هذا الخليج ٠

● لن تهاجم اسرائيل الاردن خلال عملياتها ضد مصر ، فاذا هاجمت الاردن اسرائيل فسوف تقف بريطانيا الى جانب الاردن ٠

ولم يستطع بن جوريون اخفاء توتر أعصابه ٠٠ واخذ يعيد قراءة هذه الفقرات مرات ومرات وكلمة كلمة ، ثم طوى الورقة ووضعها داخل جيب سترته ٠

كانت أهداف الاطراف واضحة ، والفرق الوحيد هو أن احتلال قناة السويس بواسطة الفرنسيين والانجليز كان مؤقتا ، أما احتلالنا لخليج العقبة فقد نص عليه الاتفاق وعلى أنه ليس مؤقتا • وكانت هناك خطة أخرى هى أن فرنسا وبريطانيا أبلغتا اسرائيل باحتلالهما وحدهما للقناة ، كذلك فان اسرائيل أبلغتهما بأنها ستحتل خليج العقبة وحدها • يضاف الى ذلك أنه لم يعد هناك انذار الا لمصر ، أما لاسرائيل فقد أصبح الامر طلبا يمثل جزءا من العملية •

وتسللت من الاجتماع حيث أرسلت برقية عاجلة الى رئيس العمليات أبلغه فيها بأن عملية قادش قد حانت ، وطلبت اليه أن يعبىء القوات فورا ، وأن يحافظ على السرية ، وأن يستعمل الخداع بحيث تبدو العمليات وكأنها موجهة ضد الاردن بسبب دخول القوات العراقية اليه ، وقفلت عائدا الى قاعة الاجتماع حيث وجدت الاعصاب متوترة والجميع لا يدرون ماذا يفعلون ، لكن الحاضرين كانوا راضين عما توصلوا اليه • وبدأ البريطانيون بمغادرة القاعة ، ثم تبعناهم مودعين مضيفينا الفرنسيين بحرارة •

ووصلنا الى اسرائيل فى منتصف ٢٥ أكتوبر (ت ١) وتوجهنا من فورنا الى مقر قيادة الاركان حيث كنت قد أعددت خلال الرحلة الاوامر اللازمة لاصدارها على الفور وخاصة فيما يتعلق بالعمليات • وتم تغيير أهداف الخطة الاساسية لتصبح وفقا لالتزامنا بالخطة ، تهديد قناة السويس ، والاستيلاء على خليج العقبة ، وهزيمة القوات المصرية •

وكنت ، فيما يتعلق بالهدف الاخير ، قد تناقشت طويلا مع بن جوريون خلال وجودنا فى باريس • ففى حالة الصراع القائم فى منطقتنا ، لم يكن الامر كما هو الحال فى كل الحروب ، وانما كان الحرص هنا على اراقة أقل قدر من الدماء • ولذا حددت الاوامر بالالتزام (باشاعة الفوضى بين القوات المصرية وتحقيق انهيارها) •

أما التغيير الآخر فى خطتنا الاساسية فكان يتعلق بالطيران ، ولم تعد الهجمة الجوية من جانبنا هى نقطة البدء ، وانما يقوم الطيران بنقل المظليين ويبقى جاهزا فى مواقعه • فاذا ما استخدم المصريون طيرانهم قابلناهم بالمثل مع تحديد القتال فى منطقة المعارك •

وعندما خرجت من الطائرة عائدا من باريس ، كنت آمل ألا يحدث اى تغيير آخر فى الخطة ، فلم يعد باقيا الا أربعة أيام فقط •

١٥ معركة سيناء

كان علينا أن نحارب فى صحارى وجبال تبلغ مساحتها ثلاثة أضعاف مساحة اسرائيل آنئذ . وبدأت المعركه مساء يوم ٢٩ اكتوبر « تشرين أول » ، عندما تم اسقاط ٣٩٥ مظليا من الفرقة ٢٠٢ عند المدخل الشرقى لممر متلا على بعد ٣٠ ميلا من القناة . وفى الساعة الخامسة والثلث كانوا قـــد اقلعوا بـــ ١٦ طائرة طراز داكوتا تطير على ارتفاع منخفض لتجنب الرادار المصرى . وقبل أن تصل الطائرات الى منطقة الاسقاط بدقيقتين علت الطـــائرات الى الارتفاع اللازم للاسقاط . وكانت أربع من طائراتنا طراز موستانج قد قامت قبل ذلك بساعتين بقطع كافة اسلاك التليفونات المصرية فى سيناء بمحركاتها وأجنحتها ، وهى تطير على ارتفاع أربع اقدام فقط .

فى نفس الوقت كانت بقيـة قوات المظليين تحتشد عـــلى الجبهة الاردنية لتخدع المصريين وحلفاءهم . وكان عليهم أن يقطعوا ٦٥ ميلا من الصحراء فى النقب ، الى أن يصلوا الى حدود اسرائيل الجنوبية ، ليبدأوا سيرهم بعدها نحو المعركة ، ومضى قائدهم اريك شارون نحو الحدود المصرية ، لا يعوقه عائق ، فوصلها بعد سبع ساعات ، حيث هاجم أول موقع مصرى الكونتلا . وما أن اقتربوا حتى فر المصريون . واستمروا على الطريق الصحراوى بعد ان فقدوا عددا من العربات والدبابات التى أصبحت دبابتين من أصل ١٣ دبابة . وخاضوا أول معركة لهم عنـــد

موقع تماده الحصين : الذى سقط بعـــد معركه مريرة استمرت ٤٠ دقيقة .

وفى نفس الوقت اخترقت وحدات اخرى من وحدات شارون الخط المصرى حتى وصلت الى نخل واستولت عليه بعد عشرين دقيقة . وهناك وعلى بعـــد ١٨٠ ميلا من نقطة انطلاقها ، التقت الوحدة بالمظليين الذين اسقطوا قبل ذلك . وهكذا تم تأمين المحور الجنوبى ، دون أن تتعرض الوحده التى تم اسقاطها للحصار .

وفى نفس الليلة كان موقع النقب قـــد سقط ، واستولت الفرقة الرابعة على موقع القسيمة وبذلك تم فتح الطريق نحو الجناح الجنوبى للجيش المصرى . وبذلك تحققت المرحلة الاولى من المعركة ، وتم تحقيق الاهداف الاربعة التى وضعها لحظه اليوم الاول .

وكان رد الفعـــل المصرى وفق ما توقعته ، اذا لم يســـتغلو الميزة المتوفرة لديهم سواء فى الاسلحة أو الطائرات السوفيتية . ووصلتنى الانباء عن استيلاء وحدة الاستطلاع فى الفرقة السابقة على موقع ديكا على بعد ١٥ ميلا غربى الكونتلا ، وكان معنى ذلك أن هذه الفرقة سوف تخوض أعنف المعارك فى المنطقة التى ركز فيها المصريون غالبية قواتهم .. وكانت تلك هى معارك الحسم .

وعندما عدت من الجنوب الى مقر القيــــــادة ، علمت ان القوات الفرنسية والانجليزية قـــد اجلت هجمتها على المطارات المصرية فجر يوم ٣١ كما خططت . وتوجهت الى بن جوريون ، وكان مريضـــا ، فوجدت القلق مستبدا به أن يؤدى ذلك الى حصـــار فرقة المظليين فى ممر متلا ، وطلب سحب هذه الفرقة فورا فى تلك الليلة ، وحاولت أن أؤكد له أنه حتى لو انسحبت بريطانيا وفرنسا من الغزو فاننا قادرون على الانتصار ، وان تعزيز القوات أفضـــــل من سحبها . وتنازل بن جوريون عن فكرة الجـــلاء ، وان بقى القلق مستبدا به على ارواح المظليين .

وفى المساء اصـــــــدر البريطانيون والفرنسيون انذارهم الى مصر واسرائيل بوقف القتال والانسحاب الى بعد عشرة أميال عن القناة ، وكان على مصر ، خلال اثنتى عشرة ساعة ، ان تقبل احتـــلال مدن القناة لضمان سهولة الملاحة فيها .

فى نفس الوقت كانت الولايات المتحدة أيضا نشطة ، ولكن فى الاتجاه المعاكس . فقد تلقى بن جوريون برقية من الرئيس ايزنهاور يطلب منه فيها انسحاب القوات الاسرائيلية ، وأن ذلك ســوف يحظى بتقـــدير الرئيس . وعندما لم يأت رد من اسرائيل ، طاب هنرى كابوت لودج ،

ممثل امريكا فى الامم المتحدة ، عقد اجتمـــاع طارىء لمجلس الامن ، وقدم فيه مشروعا بقرار بأن تسحب اسرائيل قواتها وان تمنع الدول الاخرى عن استعمال القوه أو التهديد بها . وعنـــدما انتهت فترة التأجيل التى طلبتها فرنسا وبريطانيا واسرائيل لمدة خمسة ســاعات كانت انباء الانذار البريطانى الفرنسى قد وصلت ، وأعتبر ايزنهـاور ذلك عملا من أعمال الخداع والخيانه من جانب حلفائه .

وبالطبع استخدمت فرنســا وبريطانيا حق الفيتو ضد قرار الامم المتحدة .

وفى الوقت نفسه كانت اسرائيـــل قد ردت على الانذار بالايجاب « شريطة أن يصل رد ايجابى من الجانب المصرى » . وكما كان متوقعا فقد ردت مصر بعدم استعدادها لقبول الانذار .

ومع ذلك فان الطيران البريطاني والفرنسى لم يقصف المطـــارات المصرية . وبقيت القوات الاسرائيلية فى سيناء تحارب تحت تهـــديد الطيران المصرى طوال يوم ٣١ اكتوبر (تأ » . وســارع المصريون بارسال التعزيزات الى سيناء وشرم الشيخ ، وشرع ســلاحها البحرى فى مهاجمة الشواطىء الاسرائيلية . وحتى الساعة الخامسة من مساء هذا اليوم لم يكن الطيران الانجلو فرنسى قـــد هاجم قواعد الطيران المصرية .

لكن ذلك لم يمنع الفرقة السابعة المدرعة من خوض اعنف المعـارك والاستيلاء على ابو عجيلة وبير حسنة ، وجبـــل لفنى ، وبير حما . وبذلك اتيحت الفرصة للفرقة للتقدم بسرعة ، رغم انهـا بقيت خلال يومين غير قادرة على استدعاء الطيران الاسرائيلى نظرا لسوء معـدات الاشارة .

وكان على هذه الفـــرقة ان تستولى على منطقة روفادام لتحكم الخناق حول المصريين فى أم كتف وأم شيهان . ومع ان الرجال كانوا مرهقين ، بعد أن ظلوا يحاربون ثلاثة أيام ، فان قائدهم ظل يحفز هممهم لاستغلال فرصة الاختراق الذى احدثوه . وواجه الرجال خنـــادق ومواقع مضادة للدبابات مجهزة بكافة أنواع المدافع ، وخاضوا معركة خسرنا فيها كثيرا لكنها انتهت بتـــراجع المصريين الى العـــريش ، واصبحنا بذلك مسيطرين على الطرق الثـــلاثة التى تتحكم فى جنوب سيناء .

اما فرقة المظليين فى ممر متـلا فقد استمرت تقاتل طوال يوم ٣١ (تأ) لمدة سبع ساعات ابتداء من الثـــانية عشرة والنصف ظهرا . وكان قائد الفرقة قد طلب الاذن باحتلال الممر ، فمنح اذنا بارســال

دورية فقط بشرط الا تشترك فى قتال جدى . لكن القائد لم يرسل دورية وانما ارسل كتيبة كاملة بعرباتها المدرعة . وما أن دخلت الكتيبة الى الممر حتى انهالت عليها النيران من الجانبين . وتعرضت مقدمة الكتيبة لخسائر كبيرة ، فحاول قائد الكتيبة الاسراع لنجدتها عند الطرف الغربى للممر ، لكنه وجد نفسه محاصرا ايضا تحت النيران الكثيفة .

واستمر القتال من الواحدة بعد الظهر حتى الساعة الثامنة ، عندما استطاع جنودنا الاستيلاء على الممر فى معركة لم تخض مثلها وحدة مقاتلة من قبل ، وبقدر من الخسائر لم تلحق أى وحدة مقاتلة من قبل ، اذ اسفرت عن مقتل ٣٨ وجرح ١٢٠ . وكانت الفرقة فى بداية المعركة قد فقدت عربة الوقود وعربة الذخيرة وبعض العربات الاخرى .

وقتل قائدها بينما كان يقفز من عربته . ولم يكن امام الجنود الا أن يتسلقوا جوانب الممر ويهاجموا المصريين فى معركة بالسلاح الابيض .

المهم اننا بعد احتلال الممر تخلينا عنه لكى نمضى قواتنا جنوبا نحو شرم الشيخ . وقد ابلغنى عدد من ضباط الاركان عدم موافقتهم على أننى غفرت للمظليين هجومهم على الممر والخسائر التى ترتبت عليه . صحيح ان الاسف تملكنا على هذه الخسائر ، لكننى كنت أسفا على شىء آخر ، وهو أن الفرقة استعملت كلمة « دورية » لكى « ترضى » القيادة ، وكنت اتمنى لو انهم عندما ارادوا تحدى الاوامر ودخول المعركة ، قد فعلوا ذلك صراحة ودون مواربة . وكان بوسعى أن أفهم تصرف القائد الصغير المعاكس للاوامر الصادرة اليه ، حيث سمح له موقعه ودرايته المباشرة بالعدو أن يتخذ القرار بالمعركة .

اما الخطأ الذى ارتكبته الفرقة فكان تاكتيكيا ، اذ دخلت القوات الممر محمولة على عربات فى هيئة طابور ، وتصور القائد ان المصريين لم يضعوا قوات كبيرة على جنبات الوادى ، وقد دفعت الفرقة ثمن اخطائها بالدم . **اما فيما يتعلق بخرق الاوامر فكنت أرى أن الامر يصبح خطيرا لو فشلت الفرقة فى تنفيذ مهمتها ، لا عندما تؤدى من المهام أكثر مما كان مطلوبا منها .**

وأدان العالم معركة سيناء ، وتصاعدت حدة الانتقادات بالتدخل الانجلو فرنسى أولا بالانذار ثم بقصف المطارات المصرية مساء يوم ٣١ اكتوبر (تأ) . وقادت الولايات المتحدة الحملة ضدنا فى الغرب ، واتخذت روسيا بالطبع نفس الموقف احتجاجا على الهجوم ضد صديقتها مصر ، وانضمت اليهما مجموعة ممن ينادون بـ « السلام باى ثمن » .

اما اخطر ردود الفعل فكان فى بريطانيا ، حيث اتجه النقد اساسا ضد رئيس الوزراء ايدن . ولم يكن هناك شك فى أن الرأى العام كله بل وغالبية الوزارة يرفضون تصرفه فى السويس . وساهم قادة الجيش البريطانى فى جعل العملية أكثر صعوبة ، اذ قدروا أن الجيش المصرى يمتلك قوات كبيرة ، ولذلك اخروا موعد انزال قواتهم الارضية .

وساد الامم المتحدة نشاط محموم ، فبعد أن استخدمت بريطانيا وفرنسا حق الفيتو ، دعيت الجمعية العامة لاجتماع عاجل ليلة ١ نوفمبر (ت ٢) . وبات واضحا لى أن العمل السياسى يسير ضدنا وان الضغوط الدولية سوف تتصاعد لايقاف القتال . وهكذا لم يعد أمام قواتنا الا وقت قليل لاتمام مهمتها بأسرع ما يمكن .

وقمت بزيارة الفرقة العاشرة فى مقر القيادة الجنوبية ، لاحثهم على الاسراع بالاستيلاء على موقع ام كتف ، اذ بقى هذا الموقع هو وأم شيهان فى قبضة العدو عائقا أمام تقدمنا نحو القطاع الاوسط من سيناء . ولم يكن اجتماعى بقادة الفرقة مرضيا ، اذ كانت لديهم شكاوى كثيرة من عدم وصول الامدادات ، وارهاق الجنود الذين كانوا من الاحتياطى قليلى التدريب ، ومن حاجة الاسلحة والعربات الى الاصلاح .. ونفذ صبرى ، فلم يكن لدى حل لهذه المشاكل ، ولم أكن استطيع تغيير النقب ، ولم يكن امامى الا ان افتح الطريق .

وقاموا بمهاجمة أم كتف ، لكنهم فشلوا . وحدث من ناحية اخرى ان حاولت وحدة من الفرقة السابعة والثلاثين المدرعة التقدم ايضا ، لكنها فشلت كذلك . والى جانب بعض العراقيل فقد ساهمت انا فى هذا الفشل . اذ الححت على قائد القيادة الجنوبية فى ضرورة الاسراع نحو فتح الطريق من ام كتف . وضغط هو بالتالى على قادة القيادة قائلا انه ابلغنى ان الطريق سوف يفتح عند اول ضوء . والواقع ان اوامرى كانت فتح الطريق حتى الظهر مع الاشتباك فى الجبهة حتى ولو حدثت خسائر كبيرة .

وعلى اثر فشل الفرقة العاشرة ، قام قائد القيادة الجنوبية بتغيير قائدها ، ووافقته على ذلك ، وكان رأيى أن من يفشل فى القيادة لا يعاقب بل يترك الفرصة امام غيره لقود . وكان تقديرى ان فشل الفرقة راجع الى أنها لم تبذل الجهد الكافى للدخول فى معركة .

استطعنا تقدير مدى كفاءة الجنود المصريين ، فهم يحاربون جيدا من مواقع ثابتة محصنة ومزودة بالمدافع اللازمة وكانت هجماتهم المضادة ضعيفة . وقد بالغوا فى تقدير اهمية ابو عجيلة كموقع حصين يستطيع وقف اية قوة تريد التسلل الى سيناء ، ولو كانوا قد زودوها بقوات متحركة تواجه القوات المتسللة لكانت بالفعل موقعا حصينا .

وطوال ليلة ٣١ اكتوبر (ت ا) ، بعد ٤٨ ساعة من بدء المعركة ، وطوال اليوم التالى ، انتقل القتال الى القطاع الشمالى عند رفح والعريش .. وكانت دفاعات منطقه رفح عبارة عن مجموعة كبيرة من الخنادق ، فانقسمت قواتنا الى مجموعات صغيرة تشق كلا منها طريقها عبر الاسلاك الشائكة وحقول الالغام وتحارب معركة مستقلة بذاتها ..

وتقدمت دبابات المقدمة فى الفرقة السابعة والعشرين نحو مفترق الطريق الى العريش ، يحوطها تهليل قوات الفرقة الاولى المشاة التى كانت قد استولت عليه . ووصلت فى اعقاب بداية هجوم الفرقة السابعة والعشرين ، الذى بدأ فى الساعة العاشرة والنصف صباحا . وعند منطقة جرادى فى منتصف الطريق نحو هدفنا نشبت معركة استمرت ساعة . ووصلنا الى مشارف العريش قبيل حلول الظلام . وأجلنا دخول العريش حتى صباح اليوم التالى بعد أن اشتد تعب الرجال واحتاجت الدبابات الى التموين بالوقود .

وقبل أن أخلد الى النوم أعطيت أوامرى الى القيادة بأن تبدأ الفرقة التاسعة مشاة سيرها نحو شرم الشيخ صباح اليوم التالى ٢ نوفمبر (ت ٢) ، والى الفرقة الحادية عشرة مشاة لتبدأ عملياتها فى غزة . وكنا عندئذ فى طريقنا الى تنفيذ المرحلة الثالثة من المعركة .

ودخلنا العريش فى الساعة السادسة صباحا دون أى مقاومة ، بعد أن انسحبت الوحدات المصرية خلال الليل . وبدا واضحا من مخلفات السلاح أن كل فرد ، عندما صدر قرار الانسحاب ، لم يفعلوا شيئا سوى اللحاق بالقوافل المغادرة ، وفى الوقت الذى استسلمت فيه القوات التى لم تنسحب ، فان البعض الآخر بقى يعمل كقناصة . وقد حدث أن وقفت أرقب الطريق فلمحنى أحد القناصة واطلق رصاصة نحوى ، فأصاب رجل الاشارات الذى سقط بجوارى .

ولم تتلكأ الفرقة فى المدينة طويلا ، فسرعان ما اتجهت الوحدات المقاتلة غربا نحو القنطرة ، واندفعت وحدات أخرى نحو مطار العريش لتأمينه وضمان طريق ابو عجيلة . وفى الساعة الحادية عشرة ركبت طائرة خفيفة من مطار العريش ، لكنها لم تستطع الطيران على ارتفاع منخفض لشدة وكثافة النيران المصرية . لكننى لمحت طابورا من فرقتنا المدرعة يتقدم غربا نحو القناة . وهكذا انتهت تقريبا معركة المحور الشمالى فى سينا .

وبعد عودتى من العريش توجهت لمقابلة بن جوريون ، فوجدت روحه المعنوية عالية ، وسألنى عما تم فى معارك العريش ورفح وغيرها من الجبهات . وعندما لخص له معاونوه ما يجرى فى الامم المتحدة قال

لهم « لماذا انتم قلقـــون هكذا ؟ ما داموا جالسين فى نيويورك ونحن جالسون فى سيناء ، فالموقف ليس سيئا » ..

كانت خسائرنا حتى ذلك الحين ١٠٠ قتيـــل و ٧٠٠ جريح ، ولم نكن قد أحصينا خسائر المصريين وان كنا قد اسرنا كثيرين منهم .

وفى يوم ٢ نوفمبر (ت ٢) اتمت الفرقة ٢٧ المدرعة الاستيلاء على محور القسيمة ــ جبل لفنى ــ الاسماعيلية ، وتم فى نفس اليـــوم الاستيلاء على قطاع غزة . وبقيت المهمة النهائية وهى الاستيلاء على شرم الشيخ ، وعهد الى الفرقة التاسعة بالقيام بها ، فبدأت تحركها فى الخامسة صباحا عبر الساحل الغربى لخليج العقبة . وتم اسقاط كتيبتى مظليين فى مطار الطور ، وتبعتهما كتيبة مشـــاه ، ومن ناحية ممر متلا تقدمت وحدة من فرقة المظليين ٢٠٢ جنوبا فى طريقهـــا الى الطور . وكانت الخطة تقضى بأن تهاجم الفرقة التاسعة شرم الشيخ من الشمال ويهاجمها المظليون من الطور جنوبا .

وفى صباح اليوم التالى ، ٣ نوفمبر (ت ٢) ركبت طائرة من طراز داكوتا طرت بها فوق طابور الفرقة التاسعة وتحدثت مع قائده ، ثم توجهت الى الطور حيث طلبت من المظليين الاسراع نحو مداخل شرم الشيخ ، ثم توجهت الى متلا وبيرحمة فالعريش ، ثم عدت فى المســـاء الى القياده العامة .

أما فى الامم المتحدة ، فقد انعقدت الجمعية العـــامة فى جلستها الطارئة يوم ١ نوفمبر (تشرين الثانى) واصدرت القرار الذى تقدم به جون فوستر دالاس ، وزير الخارجية الامريكى ، داعيا الى وقف اطلاق النار فورا ــ وكان بذلك موجها الى بريطانيا وفرنسا واسرائيل ــ والى الانسحاب الى خطوط الهدنة ، متوجها بذلك الى اسرائيل . وفى اليوم التالى اغرقت مصر سفينتين فى القناة فأغلقتها . وكان ذلك بمثابة ضربة للحكومة البريطانية التى كانت قد أخبرت شعبها ان الهدف هو ابقاء هذا الممر المائى مفتوحا وحرا . وممـــا يثير الدهشة ان بريطانيا كانت قـــد علمت بنوايا مصر واعتزمت اغراق السفينتين فى بورسعيد قبل ابحارهما ، لكنها فشلت .

وجاءنى أحد العسكريين الفرنسيين ليبلغنى انزعاج فرنســـا من تصميم بريطانيا على أن يكون يوم ٦ نوفمبر (ت ٢) هو موعد الانزال الانجلو فرنسى فى منطقة القناة . وكانت فرنسا تخشى صـــدق قرار معاد من الامم المتحدة ولـــذا كانت تتعجل الانزال قبل هـــذا الموعد بيومين . ولم يكن البريطانيون يريدون ، أو قادرون ، على تقديم موعد الانزال وتغيير خطتهم . ولم يكن موعد الانزال بالنسبة الينا يحمل أى

أهمية عسكرية ، فلم يعد باقيا امامنا ونحن نحارب بمفردنا الا شرم الشيخ بعد ان حققنا كل اهدافنا .

وازدادت حدة الضغط السياسى ضد التدخل العسكرى بعد أن عادت الجمعية العامة الى استئناف اجتماعها يوم ٣ نوفمبر (ت ٢) . وكان داج همرشلد ، السكرتير العام للامم المتحدة ، قد اعلن أن فرنسا وبريطانيا واسرائيل ردت ردا سلبيا على قرار وقف النار والانسحاب ، وقال أن مصر من ناحية اخرى قد وافقت . وطالبت روسيا وتوابعها بضرورة الالتزام الكامل من جانب « المعتدين الثلاثة » . واقترح كابوت لودج تشكيل لجنتين دوليتين تعالجان مسألتى النزاع العربى الاسرائيلى ومشكلة السويس . واخيرا وافقت الجمعية العامة على الاقتراح الكندى الذى قدمه ليستر بيرسون بتشكيل قوة عسكرية دولية تضمن تنفيذ القرار .

وفى نهاية الاجتماع الذى استمر حتى فجر ٤ نوفمبر (ت ٢) تمت الموافقة على الطلب مجددا الى فرنسا وبريطانيا واسرائيل بوقف اطلاق النار . ورد ممثل اسرائيل بموافقتها شريطة « ان ترد مصر بالمثل » . ووضع ممثلنا فى اعتباره أنه فى الوقت الذى تكون فيه مصر قد ردت ، يكون شرم الشيخ قد وقع فى قبضتنا . وازاء الضغط الرهيب بدت اسرائيل وكأنها تلتزم بقرارات الامم المتحدة .

واصيب ممثلا فرنسا وانجلترا بالفزع ، اذ ان قبول اسرائيل سوف يزيل « الحجة » للتدخل العسكرى ولذا طلب البريطانيون معونة الفرنسيين فى اقناعنا بسحب هذا الاعلان . واصدر بن جوريون تعليماته الى ممثلنا فى الامم المتحدة بابلاغ هامرشولد أن موقفنا قد أسىء فهمه ، وأننا نقبل وقف اطلاق النار شريطة أن تعلن مصر بدون قيد أو شرط قبولها لذلك ، وتدين سياسة حالة الحرب بينها وبين اسرائيل ، وتبدى استعدادها للتفاوض معنا ، وتوقف المقاطعة الاقتصادية وترفع الحصار عن الملاحة الاسرائيلية .

واشتهر الغضب بين جوريون ، فقد استجاب لطلب الفرنسيين ، فى حين ان البريطانيين الذين كانت امامهم ستة أيام من القتال من ١٠/٢٩ حتى ١١/٤ ، لم يتحركوا بعد وكان الوقت مفتوحا أمامهم الى مالا نهاية . وأصبحت اسرائيل الان ، برفضها قرارات الامم المتحدة ، فى موقف سىء على الساحة الدولية .

وفى ٥ نوفمبر (ت ٢) أرسلت بريطانيا فرقة من المظليين احتلت مطار الجميل ، بينما احتلت فرقة مظليين فرنسية كوبرى بورسعيد . وفى نفس الليلة بعث نيكولاى بودجورنى رئيس الوزراء السوفييتى باندار شديد اللهجة الى رؤساء وزراء فرنسا وبريطانيا واسرائيل .

وتضمن الانذار الموجه الى بن جوريون « الادانة القصـــــوى » لكل « الاعمال الاجرامية التى ارتكبها المعتدون » ضـد مصر ، ودعا اسرائيل الى وقف العمليات العسكرية فورا والانسحاب من الاراضى المصرية .

واشارت الرسالة الى ان اسرائيـل ــ كأداة للقوى الاستعمارية ــ تتلاعب بمصير السـلام وبمصير شعبها ، بل وتثير التساؤلات حول وجودها ذاته كـدولة ، وان الحكومة السـوفييتية المهتمة بحفظ السلام والهدوء » تتخذ فى هـذه اللحظة الخطوات الكفيلة بوضـع حد للحرب وكبح المعتدين » . واختتمت الرسالة بابلاغ اسرائيل أن السفير السوفييتى قد تم استدعاؤه ، وفيما بعد قامت روســيا بقطع علاقاتها الدبلوماسية معنا .

وعندما قابلت بن جوريون لاحظت انه وان لم يكن متجاهلا خطورة هذا الانذار ، فانه لم يكن مرتعد الفرائص ، لم يكن مذعورا بل العكس وجدت الانذار يحفـزه على مواصلة الصراع · لكن ما أغضبه فعلا هو اختلاف الرسالة الموجهة الى اسرائيـل عن هاتين الموجهتين الى فرنسا وبريطانيا . فالرسالة الموجهة الى اسرائيل صيغت باحتقـار وازدراء وهددت وجود الدولة ذاته · أما الرسالتان الموجهتان لبريطانيا وفرنسا ، فبرغم التهديد باستعمال الصواريخ الموجهة ضدهما ، فانهما لم تتوجها بالتهديد الى استقلالهما السياسى ، وخلتـا من أى تهكم أو سـخرية ·

ولقد سررت للبرود الذى قابل به بن جوريون هذا التطور الجديد ، وسرحت خواطرى فى مدى الفزع الذى ربما اصاب كثيرا من القـادة فيما لو كانوا فى نفس موقع رئاسة الوزارة .

ويبدو أن التدخل الروسى فى المجر لكبت ثورتها هو الذى أدى الى تأخر الانذار حتى ليلة ٥ نوفمبر (ت ٢) · وجاء ذلك بالضبط بعد اثنتى عشرة ساعة من اطلاق آخر رصاصة فى معركة سيناء · ففى صباح هذا اليوم كنا قد استولينا على شرم الشيخ .

وكنت حريصـا على التأكد من استيلاء الفرقة التاسعة على شرم الشيخ فركبت طائرة الى الطور حيث وجدت المظليين قـد غادروه متوجهين نحو المدخل الجنـوبى لشرم الشيخ . وانطلقت فى قافلة من ثلاث سيارات لكى ألحق بالمظليين ، مصحوبا ببعض جنود الاحتياطى . وعلى طول الطريق كان الامر يشبه الكابوس المفزع · فالشمس حارقة والبخار يتصاعد من القار المدهون به الطـريق · وفلول الجنـود المصريين عائدة من شرم الشيخ وقد استبد بهم الارهاق والتعب . ولم

يفارقنى ولو للحظة واحدة الاحســـاس بأننا لو توقفنا فى منتصف الطريق فسوف تكون تلك نهايتنا .. لقد كان عددنا قليلا وكان بوسع المصريين أن يمزقونا أربا حتى ولو بأيديهم . وأدركت أن فرصـتنا فى الوصول الى شرم الشيخ تكمن فى امرين : الا ننطلق رصاصة واحدة والا نتوقف ولو لدقيقة . وأخيرا لمحنـــا على البعـــد عربات الفـــرقة التاسعة .

وعلمت من الضـــابط المكلف بحراسة الطريق أن الفرقة احتلت المداخل الجنوبية لشرم الشيخ فى الســـاعة الخامسة صـباحا ، وفى السادسة والنصف حلقت طائرة خفيفة وطلبت من الفرقة التقدم نحو شرم الشيخ ، وتنفيذا لذلك وصل قائد الفرقة فى التاسعة والنصف الى حافة الموقع . وعلى الفور تقدمت نحو الميـنــــاء بمناظره الطبيعية الخلابة التى لم اشهد فى مثل جمالها ابدا . وبتلك النهاية كانت الفرقة التاسعة ، وهى من رجال الاحتياطى بقيادة ابراهام يوفى ، قد انجزت أشق المهام فى هذه الحرب .

وكان هناك بعد سياسى لهذه المهمة ، فان احتلال شرم الشيخ يعنى احتلال مضايق تيران ، وبالتالى فك الحصار عن الملاحة الاسرائيلية ، وهو الهدف الرئيسى لهذه المعركة .

والواقع ان هذه الفرقة قطعت الطريق الى شرم الشيخ وسط رمال ووديان ومرتفعات كانت تضـــطرها أحيانا الى الســـير بسرعة ميلين ونصف فى الساعة . ووصلت الى اول نقاط العـدو المصرية فى واحة دهب يوم ٣ نوفمبر (ت ٢) واستطاع رجالها هزيمة ، الرجال العشرة من راكبى الجمال الذين كانوا يحرسونها ، وفقدنا ثلاثة قتلى . وعند وادى قيد اصبح عرض الطـــريق لا يزيد على البوصتين فاضطر المهندسون الى نسف الصخور لافساح الطريق .

وما أن شقت فرقة الاستطلاع طريقها حتى وقعت فى كمين فقدت فيه احدى سيارات الجيب ، واضطرت الى التراجع فى الســـاعة السادسة مساء . وفى صباح اليوم التـــالى وجد الموقع المصرى خاليا ولكن الطريق ملغم . وبعد ازالة الالغام و فى الساعة الحادية عشرة و ٤٥ دقيقة وصلت الفرقة الى الـــدفاعات المصرية فى رأس نصرانى وشرم الشيخ . وهكذا وصلت الفرقة الى هدفها بعد مسيرة استمرت ثلاثة أيام وليلتين .

وفوجىء المصريون والقائد المصرى بالقوة الاسرائيلية وهى تهاجم من هذا الطريق الوعرة وذلك برغم البلاغ الذى بعثت به الوحدة المصرية

فيمنطقة يوسيت على بعد ٤٠ ميلا جنوبى ايلات ، والذى يفيد تقدم فرقة اسرائيلية .

وعندما وصل الطابور الاسرائيلى الى راس نصرانى وجدها خالية ، اذ قرر القائد المصرى تركيز دفاعاته داخل شرم الشيخ . وكان المصريون قبل مغادرتهم قد أفسدوا المدافع التى كانوا قد نصبوها فى رأس نصرانى لنسف أية سفينة تحاول عبور خليج العقبة .

ورغم هبوط الظلام فقد حاولت الفرقة الهجوم علىالمواقع المصرية، لكنها فشلت . وفى الصباح المبكر عاودت الهجوم مدعومة بالطيران والمدفعية الثقيلة . واستمر القتال ، وبقى أحد المواقع المصرية يقاوم الى أن اصيب اصابة مباشرة ، وفى التاسعة والنصف من صباح ٥ نوفمبر (ت٢) سقط شرم الشيخ آخر المواقع المصرية فى سيناء .

صحيح أن اسرائيل حققت أهدافها من هذه الحرب ، لكنهـــا لم تحقق هدفها فى المفاوضات المباشرة مع مصر ، اذ تم التوصل الى اتفاقية عن طريق السكرتير العام للامم المتحدة كوسيط للفصل بين الطـــرفين . وكان شرطنا للجلاء عن الاراضى المصرية ، ضمان حرية الملاحة الاسرائيلية فى خليج العقبة .

وفى ١٦ مارس (آذار) ١٩٥٧ ، بعد اربعة اشهر ونصف من المعركة، عادت القوات الاسرائيلية الى حدودها . وكانت آخـــر القوات الانجلو فرنسية قد غادرت القناة قبل هذا الموعد بشهرين ونصف ، ولم تعـد شرم الشيخ أو غزة الى مصر وانما وضعتا تحت اشراف قوات الطوارىء الدولية .

الباب الرابع

من وزير إلى مواطن عادي

(١٩٥٨ - ١٩٦٧)

خلع السترة العسكرية بعد أن قام بالدور العدواني المطلوب منه .. وبدأت فترة الاعداد لمرحلة جديدة عدوانية وهجومية على الدول العربية قضاها ديان بين الجامعة للدراسة في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية.. ثم انتقل بعد ذلك الى فيتنام ليحارب مع القوات الامريكية في دراسة عملية لقمع الشعوب الثائرة ومكافحة الذين يسعون لاستقلال بلادهم وخروجها عن فلك الامبريالية العالمية .. انها فترة اعداد وانتظار للانقضاض والاستمرار في سياسة اسرائيل العدوانية والتوسعية .

١٦ الحرية والسياسة

عندما انتهت فترة رئاستي للاركان ، خلعت سترتي العسكرية ، والتحقت كطالب منتظم بجامعة القدس في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية فرع شئون الشرق الاوسط • ولم يختلف الامر في الجامعة عنه في رئاسة الاركان ، ففي كلا المكانين كنت مضطرا الى الجلوس الى مكتبي وسط الاوراق ، واعمال الفكر ، والمحاضرات •• الخ • كان الفارق الوحيد بينهما انتفاء المسئولية • **ومرت السنتان في الجامعة كأنهما عطلة •• وكما هو الحال في العطلات دائما ، فان السنتين لم تتركا في نفسي أي اثر •**

ثم انفتح الميدان السياسي أمامنا ، فقد طلب مني حزب الماباي ـ حزب عمال اسرائيل ، برئاسة بن جوريون ، التقدم كمرشح في الانتخابات يوم ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٩ • والكنيست هو برلماننا الذي يضم ١٢٠ مقعدا ، تجرى الانتخابات عليها بالتمثيل النسبي • فيقدم كل حزب قائمة من ١٢٠ مرشحا في كل أنحاء البلد على رأسها أسماء شخصيات في الحزب البارزة • وبحسب نسبة الاصوات التي يحصل عليها كل حزب ، يكون عدد المقاعد التي يفوز بها •

وحصل حزب المباى على ٥٢ مقعدا · وكالعادة حصل على أكبر عدد ، لكنه كالعادة أيضا لم يفز بالاغلبية المطلقة ، ولذا تحتم عليه تشكيل ائتلاف حكومى · وأصبح بن جوريون رئيسا للوزراء ، وفى ١٦ ديسمبر (كانون الاول) قدم أعضاء حكومته الجديدة الى الكنيست ، وكنت فيها وزيرا للزراعة ·

لم أكن غريبا عن عالم السياسة ، ولم أكن عرضة لاى هجوم ضدى، اذ كان وزير الدفاع هو المسئول عن تصرفات رئيس الاركان ومسلكه فى الشئون العسكرية · ولكن ذلك كله تغير بعد أن أصبحت عضوا فى الكنيست وعضوا فى الحكومة ·

ووجهت جل اهتمامى الى عملى كوزير للزراعة ·· وهو العمل الذى لاءمنى الى حد كبير · فقد ولدت ونشأت فى بيئة زراعية ، بل اننى لم أنفصل عن هذه البيئة عند اشتغالى بالجيش · وظلت قاحلال موطنى وبيتى · والواقع ان الزراعة والحقول والحظائر كانت اقرب الى قلبى من الخبرة العسكرية ·

وتتميز اسرائيل بأن الدفاع والامن يرتبطان باستيطان الارض · وبعد قيام الدولة وجهت الحكومة اهتماما خاصا الى انشاء المستوطنات على الحدود فى التلال شمال البلد ووسطها وفى النقب فى طرفها الجنوبى · وكنت خلال عملى رئيسا للاركان حريصا على تشجيع انشاء المستعمرات وخاصة فى النقب ·

وعندما بدأت عملى كوزير للزراعة وجدت أن المستعمرات تواجه أزمة اقتصادية · فقد انخفض دخل الفلاح عن معدل الدخل العام بنسبة ٢٠ الى ٣٠٪ ، فى حين أن الدخل العام نفسه كان منخفضا ، وكانت الضربة الكبرى موجهة الى مستعمرات الموشاف والكيبوتز التى لم تستطع التغلب على انخفاض أسعار المنتجات الزراعية وارتفاع نفقات الانتاج الزراعى وعدم توافر رؤوس الاموال والقروض للحصول على الميكنة الزراعية · وفوق ذلك فقد واجهت منطقة النجف فترة جفاف استمرت مدة ثلاث سنوات ·

كان ذلك كله يتطلب خطة مركزية للسيطرة على الانتاج لتجنب انخفاض الاسعار ، وكذلك تنظيم احتياجات الفلاحين الجدد الذين يحتاجون الى حصص من الاراضي والمياه · وانشأت جهازا للتخطيط ومجالس للانتاج والتسويق لكل فرع من فروع الزراعة ، ومكاتب

أقليمية محلية يستطيع من خلالها المزارعون تلقى الخدمات والارشـــاد الزراعى ٠

وكانت معركتى الاولى لترشيد الانتاج تتضمن البقر المدر للحليب ، وأستمرت هذه السياسة طوال الخمس سنوات التى عملت فيها وزيرا للزراعة ٠ وبرغم انخفاض الدخل فان المزارعين القدامى كانوا أحسـن حالا من زملائهم الجدد وخاصـــة المهاجرين الوافدين الجدد ، ولذا كان لزاما على أن أقدم لهم يد المساعدة ٠ وتحولت المستعمرات الجديدة الى مزارع ألبان فاحتاجت الى عشرة آلاف رأس من البقر الحلوب بالاضـافة الى ما هو موجود حاليا ٠ وقررت وقف الانتاج فى المستعمرات القديمة ونقل كل حصصـــها فى الانتاج الى المســـتعمرات الجديدة ، ووعدت بتعويض أصحاب المستعمرات القديمة ٠ أما بالنسبة لمستعمرات الحدود، فقد رفعت شــــعار (الارض لمن يفلحها) ٠ ولكن مزارع الالبان التى أغلقتها سببت لى مشكلة ، اذ دأب سكانها على القيام بمظاهرات عنيفة أمام مكتبى ٠ ولكن ذلك لم يمنعنى من تنفيذ القرار ٠ وكانت هناك عدة مشاكل أخرى ، لكن أهم ما كان يشغلنى هو موضوع توزيع الســـكان بشكل مناسب على البلاد ٠

كانت حوالى ٩٠٪ من أراضى اسرائيل ملك الدولة ٠ فكانت هناك الاراضى الاولى التى أشتراها الصندوق القومى اليهودى ، وهو الجهـاز الذى أنشأته المنظمة الصهيونية عام ١٩٠١ لشراء الاراضى ، وهذه الاراضى انتقلت الى الدولة بعد الاســـتقلال ولم يكن للفرد أن يشـــتريها أو يقتنيها ٠ وهناك الاراضى التى كانت تملكها قوات الانتداب البريطانية ، وهذه وقعت تحت سيطرة الدولة وتبلغ نسبتها ٧١٪ ٠ هذا بالاضافة الى الاراضى العربية التى تركها أصحابها وهربوا بعد حرب الاستقلال ، وهذه أصبحت الدولة وصية عليها ٠

ووافق مجلس الوزراء على سياستى بالنســـبة للاراضى ٠ وكانت أحد عناصر تلك السياسة هى السماح بانشاء مشاريع اسكان خاصة فى وسط وشمال وجنوب اسرائيل ولكن بعيدا عن المناطق المزدحمة عـــلى الساحل بالاضافة الى أعمار ساحل البحر الابيض المتوســـــط لجذب السياحة ، وحرصت على تخصيص شواطىء محددة للجماهير لتقضى فيها عطلاتها الصيفية ٠

وبينما كنا نحاول حل مشاكلنا تلقينا طلبات عديدة للحصول عـلى خبرتنا الزراعية من دول أفريقية ومن دول فى أمريكا اللاتينية ٠ وأصبح

خبراؤنا الزراعيون يعملون فى قبرص وتركيا وكريت وفى نيبال وتايلاند والفلبين وسيلان وكمبوديا ٠

وقد بدأت مساعداتنا الخارجية تأخذ شكلا واسعا عندما حصلت الكثير من الدول الافريقية على استقلالها ٠ وقد رحبت اسرائيل بزيارة القادة الافارقة ورتبت لهم جولات فى مستعمرات الكيبوتز والموشاف خلال أقامتهم ، وفى مستعمرات النجف أيضا حيث شرح لهم رجالنا كيف يمكن تحويل الصحراء الى أراض زراعية وكيف تحول المهاجرون الجدد الذين لم تكن لهم أية خبرة زراعية ، الى خبراء فى الزراعة ٠ وكنا نجد صعوبة فى افهام هؤلاء الزوار ظروفنا الخاصة التى مكنتنا من انشاء هذه المستعمرات وصعوبة نقل هذه الخبرة الى بلاد أخرى ٠ ومما لا شك فيه أنه كان بامكاننا مساعدة الافريقيين فى تنمية وسائل الزراعة لديهم، لكن على ألا يتم ذلك من خلال الترجمة الحرفية لما فعلناه فى اسرائيل وأنما من خلال اختيار الرجال والنساء اللائقين لهذه المهمة ، والمستعدين لخدمة هؤلاء الافارقة كما خدموا مهاجرينا ٠ وأجرينا دراسة للمشاكل الزراعية فى أفريقيا ، وكانها مشاكلنا نحن ٠

وبحلول عام ١٩٦٣ كان رجالنا قد عملوا لفترة كافية مكنتهم من الحكم على نشاطاتهم ، وكنت أقابل هؤلاء العائدين وأستمع منهم الى التقارير ، ولكن ذلك لم يكن كافيا ، وكان من الضرورى زيارة هذه المواقع بنفسى ٠ وبحثت الموضوع مع جولدا مائير ، وزيرة الخارجية آنئذ ، وبناء على أقتراحها قررت القيام بجولة فى دول غرب أفريقيا فى خريف ١٩٦٣ ، زرت خلالها توجو والكاميرون وساحل العاج وجمهورية أفريقيا الوسطى وغانا وفى يوليو (تموز) ١٩٦٤ مثلت اسرائيل فى احتفالات الاستقلال فى مالاوى (نياسالاند سابقا) واستكملت رحلتى فى شرق أفريقيا حيث زرت كينيا وتنزانيا (تانجانيقا وزنزبار حينذاك) والتقيت فى كل هذه الدول الافريقية مع رؤسائها ووزراء الدولة والمواطنين الذين يعملون فيها مع خبرائنا ، ولكننى قضيت معظم وقتى فى زيارة الحقول ٠ وكان نشاطنا محل أعجاب كل القادة الافارقة ، وطلب الكثيرون منهم زيادة حجم مساعدتنا ٠

وكانت هناك دول أخرى كثيرة تساعد الدول الافريقية ٠ فقد أنشأ الروس مزارع فى غانا ٠٠ وكان هناك أيضا فى أفريقيا خبراء صينيون وفرنسيون وبريطانيون وفرق السلام الامريكية ٠ وعلى أية حال فقد كان هناك ناس من كل أنحاء العالم يدقون أبواب أفريقيا ويعرضون مساعدتهم ٠ وبالرغم من ذلك فان الكل ، فيما عدا الاسرائيليين

والصينيين ، كانوا لا يعملون بأيديهم ولا يعملون مع الافارقة أنفسهم ، فالفرنسيين والانجليز والروس أقاموا مراكز تجريبية وكانوا من خلالها يوزعون التقاوى والاسمدة ، وفرق السلام الامريكية ـ التى تتكون من الرواد ـ اهتمت ببناء مراكز تجريبية وبتعليم اللغة الانجليزية ٠

ومن ناحية أخرى فان ممثلينا ، الذين نشأوا فى أحضان الكيبوتز والموشاف ، أقاموا علاقات قوية مع المزارعين فى قراهم ، وكان الاسرائيليون والصينيون هم الوحيدون الذين يعملون فى الحقول يدا بيد مع الفلاحين وفى جمع القطن وفى مزارع تربية الدواجن ٠ وكان هذا الارتباط هو العامل الرئيسى وراء النجاح الذى حققناه ٠

وعند عودتى من أفريقيـــا ، اقترحت على الحكومة زيادة معونتنا الفنية الى أفريقيـــا ، وتمت زيادة عدد الخبراء ، وأنشئ مركز لتدريب هؤلاء الخبراء ، وأسست لجنة برئاستى تشرف على شـــئونهم وتحل مشاكلهم ٠

وعلى الرغم من الجهد الذى بذلته اسرائيل كدولة ، وبذله الافراد باخلاص ، فانه لا يمكنني الزعم بأن برنامج المساعدة الخارجية قد لاقى نجاحا كاملا ٠ اذ كان علينا فيما بعد أن نحصد خيبة الامل فى كل مكان عملنا فيه ٠ فقد أجبر الاسرائيليون على العودة الى اسرائيل ، وهجرت المزارع والقرى التى أنشأناها ، بســبب التقارب الذى حدث بين الدول الافريقية حديثة الاستقلال والكتلة العربية المناهضة لاسرائيل ٠ والواقع أن هناك أسبابا أخرى أكثر عمقا توضح السر وراء عدم نجاحنا هذا ٠

لم يكن من السهل تغيير الاجيال أو المجتمعات ٠٠ ففى كل مكان ذهبنا اليه فى أفريقيا علمناهم كل الاساليب والوسائل ، لكنهم كانوا يقلدون ما نعلمهم اياه دون أن يتغيروا هم ٠ ولم يكن تغيرهم هينا بعد أن سيطرت عليهم طيلة القرون روح القدرية وانعدام المبادرة الشخصية ٠

كذلك فقد توالت الانقلابات العسكرية ، وأصبح من المؤسف أن نرى القادة الافارقة يهتمون بالحكم أكثر من اهتمامهم بتحسين أحوال شعبهم ٠ كذلك استخدمت القرى النموذجية كوسيلة للاستعراض أمام الزوار من الاجانب ، ولم تكن هناك الا استجابة ضئيلة للطلبات التى كنا نقدمها لزيادة الاعتمادات المالية اللازمة ، الامر الذى ترتب عليـــه فشل مشروعاتنا ٠

واستمر بن جوريون يتابع باهتمام برنامج المعونة الفنية التى نقدمها للدول النامية ، الى أن ترك منصبه قبل نهاية مدته ، عندما استقال من رئاسة الوزارة ووزارة الدفاع يوم ١٦ يونيو (حزيران) ١٩٦٣ .. وبعد ستة أيام خلفه ليفى أشكول فى المنصبين .

وكانت الاحداث التى وصلت الى هذا الحد قد بدأت قبل هذا التاريخ بثلاثة أعوام ، بل وتعود الى عام ١٩٥٤ عندما وقعت حادثة لافون - وزير الدفاع - التى أنكر فيها أنه أصدر الامر المعروف ، ثم استقال بعد أن أكد الضابط المتهم بأنه تلقى الاوامر من لافون ، وانتهت القضية باستقالته .

وفى سبتمبر (أيلول) ١٩٦٠ جرى تحقيق عسكرى فى قضية أخرى ، طلب على أثره لافون من بن جوريون تصحيح أوضاعه ، فأبلغه بن جوريون أنه لا يقدر على ذلك وانه لابد من حكم يصدره قاض فى هذا الشأن . ولجأ لافون الى عرض الموضوع على لجنة من الكنيست ، وتسربت الى الصحف التهم التى وجهها الى وزير الدفاع . وبناء على طلب الضابط المتهم الى رئيس الاركان تشكيل لجنة تحقيق عسكرية ، عرض بن جوريون الموضوع على الحكومة التى شكلت لجنة وزارية مهمتها تحديد الجهة التى أصدرت الامر ، هل هى الضابط المتهم أم وزيره . وفى ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٠ برأت اللجنة لافون وألقت المسئولية على الضابط المتهم . وأصدرت الوزارة قرارها مع التصويت عليه فى غياب أربعة من الوزراء كنت واحدا منهم .

ولم يشترك بن جوريون نفسه فى التصويت ، على أساس أن الحكومة شكلت لجنة ليست لها صلاحية اجراء المحاكمة ، وأجرت تحقيقا خاصا بها ، ولم يكن لها الحق فى اصدار حكم بين طرفين . وان ذلك كله يمكن أن يعهد به الى لجنة قضائية كاملة . وعلى الفور أعلن بن جوريون تخليه عن مسئوليته عن هذه اللجنة وعن النتائج التى توصلت اليها . ثم ترك مكتبه ولم يعد اليه الا بعد عدة أسابيع لكى يقدم استقالته .

وبعد ثلاثة عشر عاما ، فى اليوم الذى توفى فيه بن جوريون ، جاءنى حاييم يسرائيلى ، مدير مكتبى الذى كان يعمل مع بن جوريون عندما كان وزيرا للدفاع ، وقص لى الحكاية التالية : فى شهر ديسمبر (ك ١) ١٩٦٠ دعيت اللجنة المركزية لحزب الماباى الى اجتماع طارىء تليت فيه رسالة من بن جوريون تفيد قراره بالاستقالة على أثر ظهور

نتائج اللجنة الحكومية • وقد صدم الحاضرون من هذا القرار ، وقالوا ان الحزب لن يشترك فى الوزارة بدون بن جوريون ، لكننى عارضت ذلك مؤكدا أن مصلحة الدولة فوق الجميع بل وفوق بن جوريون •

وأبلغنى يسرائيلى أن بن جوريون ، عقب هذه الواقعة بأربعة أعوام ، كان يكتب مذكراته عن هذه الفترة فطلب محاضر اجتماع اللجنة المركزية للماباى ، وأحضرها له يوسف الموجى ، الرجل الحزبى القديم فى الماباى وسكرتيره آنئذ • ولم يدرك الموجى أن هذا المحضر يتضمن اقتراحى بانشاء حكومة بدون بن جوريون ، الا متأخرا •• اذ كان بن جوريون قد اطلع بالفعل على المحضر وقرأ ما قلته فيه وقال ليسرائيلى (ان موشى هو الوحيد الذى قال كلاما معقولا ــ فأنا كانسان لست مهما ، وانما المهم هو الطريق الذى رسمته •• فهذا هو ما سوف يبقى) • وقد هزنى هذا التقدير •

وفى أغسطس (آب) ١٩٦١ جرت الانتخابات ، وعاد بن جوريون رئيسا للحكومة • لكن الخلافات استمرت بينه وبين أعضاء وزارته الذين اشتركوا فى اللجنة الحكومية الخاصة بلافون ، وانتهى الخلاف بأن ترك العمل ولم يعد اليه مرة ثانية •

وبقيت فى الوزارة ١٦ شهرا بعد ذلك الى أن قدمت استقالتى يوم ٣ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٤ • ولم يكن الدافع لذلك هو غياب بن جوريون عن السلطة ، وانما كان لاحساسى بأنى غير مرغوب فى وجودى بين الفريق • وعلمت فيما بعد أنه كان مخططا لى أن أقع ، لولا أن تركت الوزارة واقفا على قدمى فى الوقت المناسب •

ولم يتوقف بن جوريون ، وهو فى تقاعده فى سيدى بوكر ، عن مهاجمة حكومة أشكول بسبب قضية لافون ، ثم أعلن فى يونيو (حزيران) ١٩٦٥ انشقاقه عن حزب الماباى وتأليفه حزبا جديدا باسم رافى ، انضم اليه على الفور سبعة من أعضاء الكنيست • وبعد عدة شهور انضممت الى رافى •

وحرصت عند مغادرتى وزارة الزراعة على أن أجمع الكتب والصور التى أضعها بجوارى أينما عملت • من بين هذه الكتب التوراة العبرية ، وأشعار بياليك شاعرنا القومى ، وأشعار ناتان أولترمان شاعر الجيل الذى عشته • ويمثل أولترمان واحدة من الصور الثلاثة التى مازلت أضعها فى مكتبتى حتى الآن ، أما الصورتان الاخريان فهما لبن جوريون

وحاييم شيبا • ومع أننى لســـت ممن يعبدون الابطال ، الا أن هؤلاء الثلاثة لهم فى نفسى خليط من التقدير والاحترام والحب •

وقد تعرفت على أولترمان خلال عملى كرئيس للاركان عندما عرفنى به بن جوريون اذ كانا صديقين ، وقد جسد أولترمان معاناة شـــعبه وما قاساه خلال السنين الطوال ، وكانت أشعاره ومقالاته تلهب عواطفنا على الدوام • كان بالفعل اكبر معلم لجيلى • وحفزت كلماته كل الشباب على أن يجعلوا بعث الاستقلال اليهودى قضية شخصية لكل منهم •

أما وقد أصبحت الآن خارج الحكومة وبعيدا عن الجيش ، فقد كنت أقسم وقتى بين حضور جلسات الكنيست ضمن حزب معارض صغير ، وادارة شركة لصيد الاسماك ، وكتابة كتاب عن معركة سيناء ، لكننى ظللت مهتما بأمور الدفاع والامن فى بلدى ، وبقيت أتطلع الى المساهمة بأى مقياس فى تشكيل سياسة الدفاع فى البلاد •

ورغم التقارير والقراءات التى كنت أقوم بها ، فقد بقيت بعيدا عن ميدان الحرب • ولكنى الآن ، فى عام ١٩٦٦ ، قررت أن أشاهد بنفسى وعلى الطبيعة ، كيف تسير الحرب الحديثة وكيف تتطور أحداثها ، وهل يمكن نقل ذلك الى استخداماتنا نحن •

وكانت فيتنام هى (المعمل) الافضل والوحيد آنئذ • وقبلت العمل كمراسل حربى لاحدى الصحف • وعلمت فيما بعد أن روبرت ماكنمارا وزير الدفاع الامريكى عندما عرف بذلك أبلغ القائد الامريكى فى فيتنام، الجنرال وستمورلاند ، بفتح كل الابواب أمامى مع عدم تعريضى للخطر • وهكذا وجدت نفسى فى أول أغسطس (آب) ١٩٦٦ على متن هليكوبتر أمريكية متوجها من دانانج الى الفرقة الاولى الجوية الامريكية للاشتراك فى دورية فى الغابة •

ورأيت القاعدة من الجو حيث الطائرات الهليكوبتر فى وســـطها تحيط بهـــا الخيام ، تحيطها أبراج الدفاع والمراقبة ، فمواقع المدافع الثقيلة ، ومن حولها الغابة الكثيفة التى لم أحارب فى مثلها من قبل • واستقبلنى الجنرال جون نورتون بالترحيب وطلب منى ألا أختار واحدة من وحداته لكى أموت فيها • ثم دعانى الى عشـــــاء حضره الكولونيل بوندسويج قائد الكتيبة الثانية التى سوف تتحرك بعد قليل وستصحبنى معها • وكانت العملية التى ستتم على الحدود مع لاوس وكمبوديا بحثا عن الفيتكونج •

كانت المعركة أساسا تعتمد على طائرات الهليوكوبتر حيث بلغ عددها ١٧٠٠ طائرة عند وصولى ، أى ما يفوق كل ما لدى أوروبا من هذه الطائرات ٠ واضطرت أمريكا لاستعمالها لقهر الغابات ٠ وكنت معتاداً على مثل هذه العمليات حيث كانت هذه الطائرات توفر سهولة النقل دون ما حاجة لاستعمال الطرق أو العربات أو المطارات ٠ ففى خلال أربع ساعات من صدور الانذار كان من الممكن نقل كتيبة بأكملها الى قلب المعركة سواء فى الغابة أو على الجبال ٠

وتقرر بدء العملية عند الظهيرة بدلا من الصباح الباكر نظرا لانخفاض السحب وكثافتها ٠ كانت الخطة تقضى بانزال الجنود الامريكان وسط قوات الفيتكونج المعسكرة داخل الغابة ٠ لكن النقص الوحيد فى الخطة تمثل فى فشل الاستطلاع الامريكى الحديث فى اكتشاف المواقع الحقيقية للفيتكونج ٠ وانطلقت الطائرات فى الساعة الواحدة وخمس دقائق فى مجموعات تضم كل منها ١٦ طائرة ، وقد اتخذ رجال المدافع أماكنهم فيها ٠

وسبقت عملية انزالنا عملية قصف واسعة لتنظيف الحقل الذى كنا سنهبط فيه ٠ وقفزنا مسرعين من الطائرة واحتمينا داخل الحشائش الطويلة ، وأقلعت الطائرات عائدة ٠ وجاءت طائرات الهليكوبتر من طراز شينوك فأنزلت المدافع ١٠٥ ، وتبعتها الطائرات من طراز كرين حاملة المدافع ١٥٥ والبولدوزرات وقوافل الاتصالات ٠ ولم أكن أتمالك مشاعرى عند مشاهدة هذه الطائرات العملاقة التى تتكلف الواحدة منها ٧ ملايين دولار ، من أن أتذكر مدى المعاناة مع وزارة الدفاع الاسرائيلية واضطرارى مثلا الى الغاء رحلة دراسية لمجموعة من الضباط لكى أوفر ٧٠ ألف دولار لقطع الغيار ٠ آه يا أمريكا ٠ آه يا اسرائيل ٠

لكننى تساءلت أين الحرب ، ان العملية تشبه مشاهدة مناورة من جانب واحد ٠ ان أكبر سلاح لدى الفيتكونج هو المورتار الذى يمكن لرجل أن يحمله على ظهره ٠٠ لكن على كل حال أين الفيتكونج ؟ وأين الحرب ؟ ٠ وبعد نصف ساعة بدأت الحرب واتضح أنهم موجودون على بعد ٣٠٠ ياردة ، وتمكنوا من ايقاع المجموعة الثانية فى كمين ٠ وتم نقلى الى مقر القيادة مرة أخرى ٠ وكان الفيتكونج قد أخفوا مواقعهم على طول الممر الذى سارت عليه المجموعة الى أن أصبحت كلها تحت النيران ٠٠ وكانت الخسائر ٢٥ قتيلا و٥٠ جريحا منهم قائد المجموعة ٠

وأسرعت القيادة بارسال مجموعة أخرى للمساعدة فى نقل الجرحى والقتلى ، أما الهجوم المضاد فتم ـ كالعادة ـ بواسطة القصف بالمدافع

وبالطائرات · وكثيرا ما كانت الطائرات تستدعى لقصف مواقع ربما يكون عدد الموجودين فيها قليلا وربما كان فيها قناص واحد · ولم تكن المشكلة أمام القوات الامريكية هى اجتياح مواقع العدو ، وانما كانت اكتشاف مواقعهم · أما الهجوم والاجتياح فكان يتم بالمدفعية والقصف الجوى ·

وكانت القاذفات الثقيلة هى السلاح الامريكى الفعال ، اذ كانت ترمى قنابلها الموجهة الكترونيا وهى تطير عالية فتحدث الدمار الشامل المطلوب بدقة ·

ولم يكن الصدام الذى وقع بين المجموعة الامريكية والفيتكونج عصر هذا اليوم أمرا عارضا ، بل تلك كانت هى سمة المواجهة بين الطرفين باستمرار · وكانت تلك هى النتيجة المباشرة لتاكتيك الفيتكونج واستراتيجية الامريكيين ·

كان تاكتيك الفيتكونج هو تدمير العدو عندما تكون الفرصة سانحة ومضمونة النجاح · وذلك ما حدث عصر اليوم ـ فقد كانوا فى مخابئهم عندما مرت المجموعة الامريكية ـ فى طابور طويل ـ أمامهم · وبالفعل فان ٩٠٪ من المعارك فى حرب فيتنام بدأت على هذا النحو عندما وجد الفيتناميون الفرصة سانحة أمامهم ·

وكان هدف الامريكيين أيضا هو تدمير العدو ، ولكن فى أى وقت وفى أى فرصة حتى ولو كان التفوق الاول للفيتناميين ·· اذ سرعان ما تبدأ المدفعية والطيران فى قصف المواقع التى يتم اكتشافها ·

ان العدوانية التى تميزت بها معارك الجيش الامريكى لم تكن نابعة من طبيعة هذا الجيش ، بل من السياسة والاستراتيجية والطريقة التى كان يأمل من يديرون الخطوات العسكرية فى أمريكا تحقيق النصر بها ·

وحتى أستمع الى المزيد عن الاستراتيجية الامريكية فقد طرت الى سايجون عن طريق واشنطون ، والتقيت بالجنرال ماكسويل تايلور وروبرت ماكنمارا · وكان مفتاح النصر ـ ببساطة ـ فى نظر أمريكا هو تحطيم الروح القتالية لدى هانوى ، وذلك عن طريق قصف ثقيل ومستمر على فيتنام الشمالية وتدمير قوات الفيتكونج فى فيتنام الجنوبية وكان رأى ماكنمارا وتيلور ان استمرار هذه الاستراتيجية سوف يجبر هوشى منه على وقف المعارك والجلوس معهم الى مائدة المفاوضات ·

وقد تواءمت هذه الاستراتيجية مع السمات العدوانية للقادة الامريكيين ، فان من يرى الجنرال نورتون وهو يحفز رجاله على اطلاق النار قبل أن يستقل طائرته بمدافعها ١٥٥ ، لا يتمالك نفسه من أن يتذكر منظر (الشريف) فى الغرب الامريكى وهو يقفز على ظهر حصانه فى طريقه الى معركة يخوضها حتى النهاية ٠

وأعود الى عصر ذلك اليوم ، ففى الخامسة والنصف مساء توجهت من مقر القيادة بصحبة نورتون الى مقر قيادة الجنرال ووكر حيث تناولنا العشاء ٠ وبعدها بدأ نورتون الحديث حول الخطوة المقبلة للفيتكونج وهل سيستفيدون من الظلام فى الانسحاب كعادتهم فى جماعات صغيرة٠ وكان رأى ووكر أنهم سوف ينسحبون ليلا الى كمبوديا التى تبعد حدودها عشرة أميال ٠ وأبدى نورتون قناعته بأن الفيتكونج جاءوا من الشمال بعد مسيرة ثلاثة أشهر لكى يحاربوا الامريكيين ، وذلك بالضبط ما سوف يفعلونه ٠

وأبديت رأيى فى فعالية الهليكوبتر ، رغم ضخامة تكاليفها ، لكننى بينت أن الامريكيين يفقدون عنصر السرية اذ أن الهليكوبتر تعلن عن نفسها خلال كل بوصة من الطريق وعند الانزال ، فى حين يخفى الفيتكونج أنفسهم حتى خلال مسيرة الاشهر الثلاثة ٠ واستمع الى نورتون بانتباه تام ، ثم قال لى (لا تقلق يا جنرال سوف نفوز بهم) ٠

وبعد تناول العشاء نقلت بالطائرة الى منطقة تبعد عن الحدود الكمبودية بثلاثة أميال لاشترك مع فرقة (البيريهات الخضراء) فى دورية لمدة يومين ، وفى الصباح الباكر وردت برقية من نورتون تفيد أن هجوما كبيرا من الفيتكونج قد وقع قرب المنطقة ، ويقترح ايفادى الى موقع المعركة ٠

وكان الهجوم قد تم ليلا وأسفر بعد فشله عن ٢٣٧ قتيلا تركهم الفيتكونج خلفهم ٠ وكانت بالموقع مجموعة من الكوريين الذين أقاموا دفاعات وتحصينات قوية وأحسنوا اخفاءها ٠ وكانت غلطة قائد الفيتكونج أنه تصور أنه يقاتل الكوريين فقط ، دون أن يحسب حساب المدفعية والطيران والدبابات ٠ وهكذا فان الاقوى هزم الاضعف ٠ صحيح أن المواجهة بين داود وجوليات فى بلادى كانت واقعة نادرة ، لكن الشىء نفسه يحدث هنا فى مملكة الدبابات والمدافع ، فقد انهالت على الفيتكونج ٢١ ألف قذيفة ، أو ما يفوق كل ما أطلقته اسرائيل خلال معركة سيناء وحرب الاستقلال مجتمعتين ، الغريب أن بعض الفيتكونج وصلوا الى الاسوار واستطاعوا القاء بعض القنابل اليدوية ٠

ولفت انتباهي أثناء جولتي خلال الحطام ، حداثة سن الفيتكونج . ونظافة هندامهم ، وعنايتهم بمظهرهم رغم أنهم ينتعلون الصنادل بل كان بعضهم حافي القدمين • وكانت أسلحتهم مختلفة ما بين بنادق ماوزر من الحرب العالمية الثانية الى بنادق نصف آلية ســـوفيتية التصميم صينية الصنع الى مدافع رشاشة خفيفة •

ولقد شهدت الكثير في فيتنام ، وسمعت الكثير ، وكنت ســـعيدا بوجودي هناك • لقد رأيت كيف تكون الحرب في منتصف الستينيات • ولم أكن أعلم ، وأنا أغادرها في طريقي الى بلدي ، أنني سوف أعود بعد أقل من عشرة أشهر الى الحكومة في وسط الشئون العسكرية مسئولا عن ادارة واحدة من أكثر المعارك دراماتيكية •

الباب الخامس

حرب الأيام الستة

(١٩٦٧)

فى هذا الباب يتحدث موشى ديان بمنتهى الصلف والغرور عن حرب الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، أو كما جرى العرف عندهم على تسميتها بحرب الايام الستة .

ومن حقه أن يتكلم كما يشاء ، فان ما حدث كان خارجا عن حدود العقل والمنطق ، ولم يدر بخلد اسرائيل نفسها أن تتحقق هزيمة الجيوش العربية فى هذا الزمن القياسى ..

ولكن « ديان » بالرغم من ذلك يكذب ويخادع ، اذ يصور الجيش المصرى والجيوش العربية بصورة الوحش المفترس جاء ليفترس الحمل الاسرائيلى الوديع الذى لم يجد أمامه من سبيل سوى الدفاع عن نفسه ضد جيرانه من الوحوش المتربصين به شرا ..

١٧ الانتظار الطويل

الأول

في ليلة الاحد ١٤ مايو (آيار) ١٩٦٧ ، أثناء احتفال اسرائيل بعيد استقلالها التاسع عشر ، وردت أنباء من المخابرات بأن القوات المصرية تعبر القناة الى سيناء • **وبعدها بثلاثة أيام طلب عبد الناصر** سحب قوات الطوارىء الدولية ووافقه السكرتير العام للامم المتحدة على ذلك • وفى خلال عدة أيام وصل عدد القوات المصرية فى سيناء الى ٨٠٫٠٠٠ جندى و ٨٠٠ دبابة •

وفى ٢٢ مايو (آيار) أعلن عبد الناصر اغلاق مضايق تيران فى وجه السفن المتجهة من والى اسرائيل • وكانت اسرائيل قد حددت موقفها بوضوح تام للجميع عندما انسحبت من شرم الشيخ بعد معركة سيناء ، وهو أن اعادة فرض الحصار سوف يعد عملا من أعمال الحرب • وفى ٢٦ مايو (ايار) أعلن عبد الناصر أن مصر سوف تدمر اسرائيل • وأعلن الملك حسين وضع قواته تحت القيادة المصرية ، وتلته العراق • وانضمت وحدات جزائرية وكويتية للاشتراك مع القوات المصرية فى

سيناء • وهكذا وجدت اسرائيل نفسها فى مطلع شهر يونيو (حزيران) تحت تهديد من كل الجبهات العربية من جانب جيوش تفوقها عددا وعدة • وأصبحت اسرائيل فى نظر العالم محكوما عليها بالفناء •

تمت تعبئة جزئية للاحتياطى فى اسرائيل ، وجرى نفض الاتربة عن خطط الطوارىء وتم تعديلها • وكان أمام الحكومة الاسرائيلية برئاسة ليفى اشكول خياران : اما أن تأمر قواتها بالتحرك المباشر ، أو أن تسعى الى بذل جهود ديبلوماسية للضغط على عبد الناصر • وقررت الحكومة البدء باجراء الاتصالات الدبلوماسية • وبقيت القوات معبأة فىمواقعها اثنين وعشرين يوما فى انتظار الانباء الجديدة • وأخيرا وفى صباح ٥ يونيو (حزيران) انطلقت صفارات الانذار معلنة أن اسرائيل تحارب •

كانت حرب الايام الستة ، كما أسميت فيما بعد ، هى الصراع المسلح الثالث الذى تخوضه اسرائيل فى تسعة عشر عاما مناستقلالها• وقد نشبت هذه الحرب بسبب القرارات الخاطئةللرئيس المصرى جمال عبد الناصر • كانت الاسباب المباشرة تتمثل فى سلسلة من الحوادث بين اسرائيل وسوريا (والاردن أيضا) وفى رد فعل مصر — أو فلنقل رد فعل رئيسها • كان عبد الناصر يعلم أن اسرائيل سوف تعتبر أعماله العدوانية ، وخاصة اغلاق المضايق ، بمثابة عمل حربى ، لكنه كان يفترض أن القوى الكبرى سوف تمنع اسرائيل من الحركة ، او أن اسرائيل لن تستطيع اختراق الخطوط المصرية فى سيناء • ولا بد لمجلس الامن أن يتحرك ويأمر بوقف القتال فيتحقق لعبد الناصر فرض الحصار البحرى بشكل مستمر ••

وكانت احدى الدوريات الاسرائيلية على الحدود الاردنية قد أصيبت بلغم فقتل منها ثلاثة وجرح ستة • وفى اليوم التالى دخلت القوات الاسرائيلية قرية ساموا عند جبل الشيخ ونسفت عشرة بيوت وبلغت خسائر الاردنيين عشرين قتيلا و٣٥ جريحا• واندفعت الصحافة والاذاعة الاردنية تسخر من عبد الناصر الذى وعد بمساعدة العرب ضد اسرائيل فى الوقت الذى تختفى فيه قواته وراء قوات الامم المتحدة التى أمنت الملاحة الاسرائيلية من والى ايلات •

ومن ناحية أخرى فقد كانت هناك سوريا بنظامها المتطرف ، وكراهيتها لاسرائيل ، ومحاولاتها لتحويل منابع المياه من نهر الاردن ، ورعاية جيشها لنشاطات الارهابيين • وكانت سوريا اكثر

عداوة لاسرائيل من غيرها من الدول العربية الاخرى : وكانت سيطرتها على مرتفعات الجولان تتيح لها ميزة طبوغرافية هائلة مكنتها من قصف المستعمرات فى وادى الاردن والحولة • وكانت المساعدات السوفيتية لسوريا بلا حساب •

وبعد عدة اشتباكات وحوادث على الحدود مع سوريا ، وفى ٧ ابريل (نيسان) ١٩٦٧ ، قام الطيران الاسرائيلى بعملية انتقامية فخرجت للقائه الطائرات السورية ، وكانت النتيجة اسقاط ست طائرات ميراج سورية ، ولم يخسر الطيران الاسرائيلى ولا طائرة واحدة •

واتجهت سوريا نحو الاتحاد السوفيتى تطلب مزيدا من الاسلحة وخاصة الصواريخ الموجهة ، ونحو عبد الناصر طالبة اشتراك مصر الفعال فى الدفاع عن سوريا • ولم تفاجأ اسرائيل بذلك لانها كانت تدرى مدى الجرح الذى أصـــاب ســـوريا عندما أسقط الطيارون الاسرائيليون الطائرات السورية فوق دمشق •

ثم جاءت الشكوى السورية من أن اسرائيل تركز (تحشد) على حدودها • وكانت هذه التهمة باطلة تماما • ويبدو أن السوريين تصوروا هذا الامر بعد الاشتباك الجوى • وقد حاولت اسرائيل تفنيـــد هـذه الشكوى ، غير أن الاتحاد السوفيتى جعل من الشكوى قضية ، فاضطر ليفى أشكول الى دعوة السفير الروسى لمصاحبته فى جولة عبر الحـدود للتأكد بنفسه ، لكن السفير رفض •

ووجد عبد الناصر نفسه أمام المشكلة بوجهها الحاد ، وخاصة كيفية مساعدة سوريا التى ارتبطت معها مصر بمعاهدة للدفاع المشـــترك فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٦ • وأضيفت الى ذلك تلك (المعلومات) التى ظل عبد الناصر يتلقاها من مصادر سورية وسوفيتية عن حشـــد اسرائيل لقواتها على الحـــدود بهدف الاستيلاء على العاصـــمة دمشق واسقاط نظامها اليسارى • واختار عبد الناصر الوقوف بجانب سوريا وأعلن فى خطبة له يوم أول مايو (ايار) أنه سوف يضع تحت تصرف سوريا كل احتياجاتها من الطائرات والطيارين •

وأشعل الروس الموقف ، ففى ١٢ مايو (ايار) ١٩٦٧ نقل أحد رجال المخابرات فى السفارة السوفيتية فى القاهرة الى المخابرات المصرية (تأكيدات) للتقارير السورية بأن اسرائيل تحشد قواتها على الحدود السورية • وفى اليوم التالى كرر نيكولاى بودجورنى هذا الادعاء فى

حديثه مع أنور السادات (زميل عبد الناصر الوثيق أثنـــاء زيارته لموسكو . وأضاف بودجورني أن روسيا سوف تساعد سوريا ومصر ، وقال (يجب ألا تؤخذ مصر على حين غرة) ، فالايام القبلة حاسمة) . وردد وزير الخارجية السوفيتي للضيف المصري نفس الاقوال مضيفا أن اسرائيل سوف تتحرك ما بين ١٦ و ٢٢ مايو (ايار) .

وسارع السادات بابلاغ عبد الناصر ، الذى امر يوم ١٤ بارسال فرقتين الى سيناء بالاضافة الى الفرقة الموجودة فيها بالفعل . وكانت تلك هى المعلومات التى وصلت خلال احتفالات اسرائيل بالاستقلال . وطبقا لما قاله محمد حسنين هيكل ، رئيس أكبر الصحف المصرية ، والصديق المقرب لعبد الناصر ، فان هذا التحرك كان لعاملين اولهما تاكيد لسوريا بأن مصر سوف تحارب الى جانبها والثانى اجبار اسرائيل على سحب قواتها من الحدود السورية لمواجهة التهديد المصرى جنوبا .

وكانت الخطوة التالية لعبد الناصر هى طلب سحب قوات الطوارىء الدولية ، أى من غزة الى ايلات . وقال الجنـــرال المصرى الشرقاوى للجنرال ريكى ــ قائد قوات الطوارىء ــ ان مصر تريد حدودها مفتوحة نظرا لان الاعمال الحربية قد تندلع بينها وبين اسرائيل . ولم يتضمن الطلب سحب قوات الطوارىء من شرم الشيخ وغزة .

وبناء على نصيحة الدكتور رالف بانش ، رفض يوثانت ــ السكرتير العام للامم المتحدة ــ ترك قوات الطوارىء فى شرم الشيخ وغزة محتجا بأن القوات لا يمكنها طبقا لمهمتها أن تبقى فى مواقع وتتـــرك غيرها ، فكلها أجزاء متكاملة من عمل واحد . وجاء رد فعل عبد الناصر يوم ١٧ مايو (ايار) بالامر باخراج كل قوات الطوارىء بما فيها تلك الموجودة فى شرم الشيخ . ووافق يوثانت وتم انسحاب القوات بعدها بيومين، وعلى الفور احتل جيش التحرير الفلسطينى مواقع قوات الامم المتحدة فى غزة .

ثم جاء قرار عبد الناصر الذى شكل الخطوة الحاسمة نحو الحرب وذلك خلال اجتماع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى العربى فى منزله يوم ٢١ (أيار) ، حيث تقرر اغلاق ميناء ايلات من خلال اغلاق مضايق تيران وعدم السماح للسفن الاسرائيلية بالمرور أو للسفن الاجنبية التى تحمل مواد استراتيجية من والى اسرائيل . وفى اليوم التالى خلال زيارة عبد الناصر الى قاعدة أبو صوير الجوية أعلن اغلاق خليج العقبة فى وجه اسرائيل . وفى اليوم التالى ٢٢ مايو (أيار) أوقفت سفينتان

ألمانينان وتمت مراجعة أوراقهما وسمح لهما بالمرور بعد التأكد من أن وجهتهما هى ميناء العقبة الاردنى وليست ايلات ٠

وفى نفس اليوم الذى أعلن فيه عبد الناصر اغلاق خليج العقبة قابل السفير السوفيتى بالقاهرة الذى سأله عما اذا كان يرغب فى أن يعلن الاتحاد السوفيتى أنه اذا هاجمت اسرائيل العـــرب فان القوات السوفيتية ستشترك مع العرب فى المعركة ، أجاب عبد الناصر أنه يفضل أن يوجه السوفيت هذا الانذار للولايات المتحدة الامريكية ٠

وهبطت التحركات العسكرية لعبد الناصر هبوط الصاعقة عـــلى اسرائيل ٠ ربما لان الصورة التى كانت موجـودة قبل ١٥ مايو تمثلت فى مجرد أن سوريا طلبت مساعدة مصر فى مواجهة اسرائيل ، أما الآن فقد تغيرت الصورة ، وأصبحت مصر ــ لا ســـــوريا ــ هى التى تهدد اسرائيل بالحرب ٠

لقد حركت مصر أكثـــر من نصف قواتها المســلحة الى سيناء ، وســـحبت قوات الطوارىء ، وأغلقت مضايق تيران ولم تكن الحـكومة الاسرائيلية ولا الشعب يتوقعان هذا العمل ٠ ولم تكن اسرائيل تريد الحرب ، لكنها أيضاً لم يكن فى استطاعتها تجاهل خطورة اغلاق مضايق تيران على ميناء ايلات ولا تجاهل التهديد المصرى الذى يدفع بكامل قوته العسكرية نحو الحدود الاسرائيلية ٠

وعلى الفور بدأت مشـــــاورات فى داخل اسرائيل ، واتصـــالات دبلوماسية واسعة النطاق فى عواصم العالم ، لرفع الحصار عن مضايق تيران وانهاء التهديد المصرى ٠

واتضح فيما بعد أن عبد الناصر كان مخطئا فى قياسه للنتائج التى ستسفر عنها المواجهة العســـكرية لكنه كان مصيبا فى حكمه عـلى الموقف الذى ستتخذه الدول الكبرى ٠ **وقد عمل ممثلو الســوفييت فى القاهرة على تغذية مصر بتقارير زائفة عن الحشود الاسرائيلية على الحدود السورية ، بل ووعدت روسيا بايفاد قوات فى حالة نشوب الحرب ٠**

أما فرنسا فلم تكن نرغب فى قيام الحرب ، لكن الرئيس ديجول كان يساعد عبد الناصر فى محاولة الحصول على مايطلبه بدون حرب ٠ وقد أوقف الرئيس ديجول كل شحنات الاسلحة التى طلبتها اسرائيل من فرنسا ، ودفعت ثمنها ٠ وشرح الرئيس ديجول ذلك لممثل اسرائيل

قائلا انه أوقف شحن هذه الاسلحة حتى يمنع اسرائيل من البدء فى الحرب • وجاء هذا القرار الفرنسى فى الوقت الذى كانت مصر تتلقى فيه كميات هائلة من الاسلحة من الاتحاد السوفيتى • ومضى الرئيس ديجول فاتخذ موقفا يقضى بأن اسرائيل يجب أن تنسى موضوع اغلاق مضايق تيران ، بل وذهب الى حد أنه لا بد من عودة اللاجئين الفلسطينيين لاراضيهم والاعتراف (بحقوق الفلسطينيين) ، وأنه يجب على الدول الاربعة الكبار أن تعالج هذه الموضوعات • وكان ديجول يريد أن يوضح لنا من هذا الاعلان أن فترة التعاون الفرنسى الاسرائيلى عام ١٩٥٦ قد انتهت وأن فرنسا الآن تسعى الى علاقات طيبة مع العرب •

وكان موقف بريطانيا نشيطا ولكن بدون نتائج • وكان رئيس الوزراء هارولد ويلسون يزور واشنطون فى هذه هذه الايام • وأعلن تأييده لاقتراح الرئيس الامريكى جونسون بارسال قوة بحرية للتدخل بالقوة وانهاء الموقف • ولكن الاقتراح تجمد • كما أن وزير الخارجية البريطانى جورج براون حاول البحث عن حلول ، لكن زملاءه فى مجلس الوزراء البريطانى خذلوه • ورفضت ايطاليا وأسبانيا التعاون خوفا من اغضاب مصر • ورفضت فرنسا التوقيع على اعلان حرية الملاحة فى خليج العقبة الذى اقترحته الولايات المتحدة • وأخيرا طار براون الى موسكو يوم ٢٤ مايو (أيار) وقدم مقترحاته للقادة السوفيت ، ولكن كوسيجين هزأ به قائلا : (هل تريد سويس أخرى) • رفض كوسيجين اقتراحين آخرين لبراون هما أن تتعاون روسيا مع بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة لعودة قوات الطوارىء الدولية لمواقعها السابقة ••وأن تضغط موسكو على مصر للجلاء عن شرم الشيخ • وعاد وزير الخارجية البريطانى الى لندن بعد يومين من المباحثات الفاشلة فى موسكو •

أما الولايات المتحدة فلم تكن توافق على تحركات عبد الناصر ، لكنها لم تقبع ساكنة • كذلك فان مقترحاتها لم توضع موضع التنفيذ أو التحرك الفعلى • وفى ٢٣ مايو (أيار) التقى السفير الامريكى فى القاهرة بوزير الخارجية محمود رياض وأبلغه أن موقف الولايات المتحدة يتلخص فى أنها تعارض فى جلاء القوات الدولية وفى احتلال المصريين لشرم الشيخ الا اذا أعلنت مصر قبولها حق حرية الملاحة فى خليج العقبة ، كما تعارض الولايات المتحدة دخول الجيش المصرى لقطاع غزة •

وبعد أسبوع ، فى أول يونيو (حزيران) ، بعث الرئيس الامريكى جونسون بمبعوث خاص الى القاهرة هو روبرت اندرسون الذى كان على

معرفة وثيقة بعبد الناصر ، وسلمه رسالة شخصية من الرئيس الامريكى • وطبقا لرواية محمد حسنين هيكل فان الرئيس جونسون أبلغ عبد الناصر فى هذه الرسالة أن الولايات المتحدة لن نشترك فى ارسال أى قوة بحرية لمضايق تيران • ولكن الرئيس الامريكى مهتم بأمن اسرائيل وتنميتها وينسحب ذلك على حرية اسرائيل فى الملاحة البحرية فى مضايق تيران • ولذا فهو يرى أنه يمكن الوصول الى حل وسط فى ضوء كل ذلك وتجنب الحرب •

وكان الرد الرسمى لعبد الناصر أنه يقبل اقتراح يوثانت بتأجيل اغلاق المضايق لمدة أسبوعين ، يتم خلالهما الوصول الى حل معقول تقبله كل الاطراف وقد أكدت مهمة أندرسون تقدير عبد الناصر واعتقاده فى أن القوى الكبرى لا ترغب فى الحرب وأن روسيا وأمريكا ستعملان على وقف الحرب كما فعلتا عام ١٩٥٦ •

وفى نفس الوقت استمر المصريون فى تقوية قواتهم فى سيناء • وتلقوا امدادات جديدة من الجيوش العربية ، وبدأوا فى وضع اللمسات الاخيرة فى خطة الحرب • ففى الجنوب يستطيع المصريون اغلاق ايلات بالاشتراك مع القوات الاردنية ، وفى الشمال تستطيع القوات السورية مع القوات العراقية الاستيلاء على الجليل الاعلى والسيطرة عليه •

وفى يوم ٢٦ مايو (أيار) ، من خلال حديثه مع وفود العمال العرب ، أثنى عبد الناصر على الاتحاد السوفيتى وهدد بتدمير اسرائيل • وقال ان مصر سمحت لقوات الطوارئ الدولية بالبقاء على أرضها حتى تستكمل مصر بناء قواتها المسلحة ، وعندما تم لها ذلك ذهبت الى شرم الشيخ • وقد سنحت الفرصة لذلك عندما هددت اسرائيل سوريا •

وأعلن الرئيس المصرى أن الجيش السورى والمصرى الآن جيش واحد ، وأنه يأمل أن تنضم بقية الدول العربية التى تحيط باسرائيل فى جبهة عسكرية واحدة •

وفى يوم ٣٠ مايو (أيار) أعلنت الاردن انضمامها الى الحلف العسكرى المصرى والسورى • وكانت علاقة الملك حسين سيئة مع عبد الناصر ، ومع ذلك سافر الملك حسين الى القاهرة بدون أن يتلقى اخطارا بالترحيب باستقباله • وبعد ساعات قليلة من وصوله وقع اتفاقية دفاع مشترك مع مصر وسوريا •

ومع انضمام الملك حسين فانه لم يبق الا معنى واحد ، هو الحرب ٠
وكان حسين يخشى أن تهاجم الجيوش العربية اسرائيل وتحرز النصر
ويصبح موقفه سيئا اذا وقف مكتوف الايدى ٠

وعند عودته الى عمان من القاهرة أدلى بحديث لمراسل جريدة
الحياة البيروتية قال فيه أن توقيعه على اتفاقية الدفاع المشترك فى
القاهرة عمل تاريخى وانها وثيقة تحمل معنى الارادة القوية نحو العمل ٠
وأعرب الملك حسين عن أمله فى أن تشترك الدول العربية شرقا وغربا
فى محو العار وتحرير فلسطين ٠ وتم تعيين الجنرال عبد المنعم رياض
قائدا للجبهة الشرقية والقوات الاردنية ٠

واستحكمت الحلقة حول اسرائيل يوم ٤ يونيو (حزيران) بتوقيع
العراق للمعاهدة الثلاثية لتصبح رباعية ٠ ووصلت الى الاردن طائرات
حربية مصرية وكتيبتان مصريتان وبدأت القوات العراقية تحركها نحو
الاردن وعلى رأسها لواء ميكانيكى وكتيبة مدرعات ٠

ومع انضمام حسين لاتفاقية الدفاع المشترك ، ووضع الجيش
الاردنى تحت القيادة المصرية ، لم يعد فى وسع اسرائيل أن تبقى بدون
عمل ايجابى وتترك نفسها معرضة لهجوم من الشمال والشرق والجنوب ٠
ولم يعد السؤال فى اسرائيل موضوع اغلاق مضايق تيران أو اذا كانت
هناك حرب أم لا ، وانما أصبح السؤال هل ننتظر الهجوم العربى أو
نبدأ نحن بالضربة الاولى ؟ ٠

وعندما بدأت القوات المصرية تحركها فى سيناء ، وبعد أربعة أيام
من هذا التحرك ، بدأت اسرائيل فى تعبئة قواتها الاحتياطية ٠ وكان
ذلك مدعاة لانتشار القلق بين الناس علاوة على حدوث شلل فى الوضع
الاقتصادى فى اسرائيل ٠ وعندما تابع عبد الناصر تحركاته العسكرية
بقرار اغلاق مضايق تيران فى ٢٢ مايو (أيار) لم يعد فى وسع اسرائيل
تحمل هذا الاعتداء ٠ وكان الرأى العام الاسرائيلى يطالب القادة بأن
يتخذوا موقفا صارما من هذا الامر ٠ ولما لم يحدث ذلك ساد الشعور
بأن ليفى اشكول رئيس الوزراء غير قادر على اتخاذ قراره ٠ وبدأ الرأى
العام يشك فى قدرة الحكومة على مباشرة مثل هذه الامور ٠ وكان الحزب
الحاكم (الماباى) منذ انشقاق حزب رافى قد فقد الكثير من الشخصيات
من بينهم بن جوريون وغيره من ذوى الخبرة فى شئون الدفاع مثل
يعقوب دورى ، أول رئيس للاركان ، وشيمون بيريز الذى شغل منصب

نائب وزير الدفاع ، وأنا الذى عملت رئيسا للاركان لمدة خمس سنوات متصلة ، وزفى تسور الذى عمل أيضا لفترة رئيسا للاركان ٠

قبل بداية حرب الايام الستة بأسبوعين لطالما سميت بـ (المنعزل)، وكنت بالفعل أعيش هذه الحالة بل اننى لم أكن أناقش أصـــــدقائى العسكريين والسياسيين فى أى من الامور التى تمر بالبلاد ٠ ولم أشعر من قبل أننى قريب من الناس مثلما كنت هذه الايام فى مشاكلهم التى يواجهونها ٠ فعلى السطح كانت المشكلة تبدو سياسية عسكرية ،لكننى كنت أعلم أنها المشكلة التاريخية لليهود ٠ وكنت أعلم أيضا أن الحرب لا بد منها ، وأن الجهود الدبلوماسية لن تؤدى الى شيء ، وأنه اذا نشبت الحرب فسوف اشترك فيها ولو حتى كجندى عادى ، وان كنت آمل أن أتولى منصبا قياديا ٠

ومن وجهة النظر العامة ، كانت أمامى فرصتان للعمل : الاولى أن أحمل مسئوليتى كعضو فى الكنيست ، اشارك فى أعمال اللجان الوزارية التى لا أشعر نحوها بأى اهتمام ، أو حضور اجتماعات لجنتى الشئون الخارجية والامن التى كانت تستغرقها النصائح والخطب الطويلة من جانب بعض أعضائها الجهلاء أو أن أشترك مع بن جوريون وشيمون بيريز فى مناقشاتهم ، وان كنت أؤمن بأن هذه المناقشات عقيمة الجدوى نظرا لابتعاد حزب رافى عن أى نفوذ فى الحكومة ٠

أما الخيار الاخر فهو الاشتراك فى القتال ولو كأى جندى عادى ٠ وفى يوم ٢٠ مايو (أيار) اتصلت بالكولونيل اسرائيل ليور مســاعد رئيس الوزراء وطلبت الاذن بزيارة الوحدات فى الجنوب للاطلاع على استعداداتهم وامكانياتهم القتالية وطاقاتهم وخططهم لمواجهة المصريين ٠ وقد اتصل بى الجنرال أهارون ياريف قائد المخابرات بعد عدة ســاعات وسألنى عما اذا كنت أرغب فى الانتظار لمدة أسبوعين خاصة وأن الرجال مشغولون فى هذه الايام ، ولكننى قلت له أننى لا أقوم برحلة سياحية وانما أريد أن أغرز أسنانى فيما يحدث على الخطوط الامامية ٠ وتقرر البدء فى رحلتى يوم ٢٣ مايو (ايار) على أن أرتدى الملابس الرسمية وصرفت لى سيارة ، على أن يصحبنى المقدم ياريف ٠ وبعد يومين ، وفى ليلة تحركى حضر الى منزلى الجنرال اسحاق رابين رئيس الاركان (رئيس الوزراء فيما بعد) وسألنى عن تقديرى للموقف ٠ فقلت له أن عبــد الناصر سيغلق الممرات (وهذا ما فعله بعد ٤٨ ساعة) وذلك فيجب على اسرائيل القيام بعمل عسكرى وأن هذا التحرك الحالى لا يكون باحتلال

شرم الشيخ ، وانما يجب ان يتجه الى جر الاعداء الى المعركة فى المكان المناسب لنا ، ثم بعد ذلك تتحول الحملة جنوبا نحو المضايق • وقال رابين أن تلك هى نفس وجهة نظره ، ويرى أن المكان المناسب للبداية هو غزة على أساس أن المصريين سيدفعون قواتهم الى هناك ، وقلت ان ذلك لا يبدو مناسبا لى نظرا لوجود معسكرات لاجئين فلسطينيين بكثرة هناك بالاضافة الى كونها منطقة سكانية أكثر منها عسكرية واننى أفضل أن يكون الصدام الاول مع هدف عسكرى • وأضاف رابين أن من المناسب لنا لا بد أن نبدأ بضربة جوية اجهاضية قوية • وقلت له أننى أشك فى أنه سيحصل على تصديق على هذه الخطة مع الظروف والقيادة السياسية القائمـــة •

وقد كان الارهاق والتعب واضـــحين على رابين ، وكان عصبيا يدخن بكثرة غير عادية • وشكا لى من أنه بدلا من أن يتفـــرغ لمهامه العسكرية فانه يستدعى كل يوم لحضور المشاورات الحكومية • وأن الخط السياسى والعسكرى لاشكول غير واضـــح • وأبلغنى أنه قابل بن جوريون فى اليوم السابق واستمع منه الى وجهة نظره التى تطابق وجهة نظرى • وكنت حريصا على أن أعرف انطباعه عن المقابلة فقال لى أنه رجل واضح ، يجيب بنعم ولا ، وما يمكن عمله وما يجب تجنبه وكان انطباعى الشخصى عن رابين هذه الليلة أنه يعانى من التمزق •

وفى صباح يوم ٢٣ مايو تحركت مع مرافقى المقدم بارليف نحو الجنوب ، وفى الطريق استوقفنى واحد من رجال الشرطة العســـكرية وأبلغنى بضرورة عودتى الى تل أبيب لاجتماع عاجل مع رئيس الوزراء وعندما عدت تبينت أن الاجتماع سيتم بين اللجنة الوزارية للدفاع مع زعماء المعارضة فى الكنيست • فى جانب الحكومة كان هناك اشكول وأبا ايبان واسرائيل جاليل وآرانى وزير التعليم وشـــابيرو وزير الداخلية • ومن المعارضة كان هناك مناحم بيجين وشمعون بيريز وآبا وآخرون • وكان هناك أيضـــا رابين وعيزر وايزمان رئيس العمليات ، وجولدا مائير التى كانت سكرتيرة حزب الماباى فى ذلك الوقت •

وافتتح رئيس الوزراء الحديث قائلا أن الولايات المتحدة طلبت منه الانتظار ٤٨ ساعة قبل ارسال مظاهرة بحرية اسرائيلية تحاول اختراق المضايق بعد اعلان عبد الناصر اغلاقها • واقترح أبا ايبان أن نطلب من الولايات المتحدة ارسال مدمرة أمريكية لتصاحب هذه المظاهرة ، وذلك لنتأكد من موقفها • وقيل لنا أن الولايات المتحدة أبلغت اسرائيل بأنها

اذا كانت تريد مشاركتها في المسئولية ، فيجب أن يأخذ رأيها قبل أى خطوة • وكانت وجهة نظرى التى عرضتها أنه لا بأس من انتظار ٤٨ ساعة ، لنرى اذا كانت الولايات المتحدة ستشترك معنا فى فتح المضايق بالقوة • وان كنت أعتقد أنها لن تفعل ذلك ولذا اذا انتهت المهلة فانى أرى أن نقوم بالهجوم المفاجىء على الجيش المصرى بغرض تحطيمه وأن لا ننسى أن نضع فى اعتبارنا أن الاردن والدول العربية الاخرى قد تهاجمنا ، ولذا فيجب ألا نمكن الاردن من الاستيلاء على جبل المكبر • ولا يجب أن ننسى أيضا احتمال تحرك العرب الاسرائيليين اذا وجدوا أنفسهم فى موقع يسمح لهم بذلك •

وأضفت قائلا اننا لم نسمع شيئا عن الخطة العسكرية ، وأننى أتصور أنه لا يجب أن تحدث لنا أى نكسة فى الضربة الاولى ، ولذا فانى أتصور أنه يجب القضاء على مئات الدبابات فى مدة لا تزيد عن ثلاثة أيام • وكان ايبان – رغم توتره – هو الوحيد الذى فهم الموقف كما شرحته ، أما اشكول فقد بقى متمسكا باقتراح المدمرة الامريكية ، فى حين أن ذلك كان يعنى أنه بدون وجود الحماية الامريكية فلن يمكننا اختبار امكانية الملاحة الاسرائيلية ولا ضمانها •

ويبدو أن أشكول لم يفهم كلامى عن الخطة السياسية العسكرية الشاملة ، اذ قال أن الجيش الاسرائيلى أعد خططا لكل الجبهات من حيث العمليات •

وفى نهاية الاجتماع وافق الجميع على مهلة الـ ٤٨ ساعة ، ولم يوافقوا على طلب مساعدة البحرية الامريكية • ووافقوا أيضا على اعلان التعبئة الشاملة • وبعد انتهاء الاجتماع اقترح شمعون بيريز أن نتصل ببن جوريون ، ولكن رفضت لان موقف بن جوريون قد يجعله يطلب منا عدم التعاون مع رئيس الوزراء وهـذا ما لا يمكن أن أقبله فى هذه الظروف • وقلت لبيريز أنه يجب أن نستمر فى حضور مثل هذه الاجتماعات ولكن كممثلين للمعارضة ، وأن لا نشترك فى حكومة اشكول اذا ما طلب منا ذلك • أما خلع اشكول فأمره يجب أن يترك الى حزبه، الماباى •

١٨ الانتظار الطويل
الثانى

واخيرا وصلت قيادة الجبهة الجنوبية بعد ظهر يوم ٢٣ مايو (اياز) بعد تسعة أيام من بدء تحرك القوات المصرية . وكان الجنرال شايبك « يشعياهو جافيتش » موجود فى القيادة العامة فى تل أبيب وعلمت من رئيس أركانه كل شيء عن مواقع القوات المصرية والاسرائيلية ، وان هناك ثلاثة تشكيلات مدرعة فى القيادة الجنوبية بقيادة الجنرالات اسرائيل تال وافراهام يوفى وأريك شارون . ووجدت أن خطة العمليات لم تكن محددة المعالم بصفة نهائية ، ووجدتها معقدة وينقصها استغلال أهم ميزة لنا وهى المرونة ، بحيث يمكن تغيير الخطة اثناء المعارك لدفع المصريين الى تغيير خططهم واحداث الارتباك فى صفوفهم ولكننى احتفظت بهذه الملاحظات لنفسى .

وانتقلت من قيادة الجبهة الجنوبية الى تشكيل الجنرال تال وذهبت بالطائرة الى اللواء السابع . وقابلنى قائده الكولينل شموئيل جونين وقد سعدت بهذه الجولة لانى وجدت القائد واثقا من نفسه وقدرته ، ورجاله به ، وهو على استعداد لدخول معركة فورية حتى بدون مساعدات مدفعية أو غطاء جوى . وعدت الى فندق الصحراء فى بير سبع لقضاء ليلتى . وفى العاشرة والنصف قابلت الجنرال شايك جافيتش ، فأبلغنى نتائج اجتماعه مع رئاسة الاركان ، حيث تقررت التعبئة العامة ، وتم تحديد ساعة الصفر القتال بعد ٧٢ ساعة

من اغلاق عبد الناصر للمضايق ، وقد صدرت الاوامر بضرب المطارات المصرية واحتلال قطاع غزة .

ولم أبذل مجهودا لاخفاء خيبة أملي . وكان الى جوار شاييك قادة الوحدات . وكنت قد حضرت لاسمع فقط ، ولكنني تكلمت بعد أن قال أنه يجب أن نناقش كل احتمالات العمليات وقال أنه تحدث مع رئيس الاركان وسمح له بمناقشة هذه الخطط معي . وشرح شاييك صعوبة اقتحام النقط المصرية القوية ، وهو يرى ان احتلال قطاع غزة يمكن أن يكون ورقه في ايدينا نساوم بها في مقابل حرية الملاحة في المضايق ، وان القوات المصرية التي ستسارع الى غزة لن تستطيع عمل أي شيء تحت ظروف تمسكنا بالقطاع والسيطرة عليه .

وقلت أن هذه الخطة لا توافقني لاسباب عسكرية وسياسية ، اولها ان قطاع غزة محمل بالمشاكل وسوف تجد اسرائيل نفسها مغروزة مع ربع مليون لاجيء فلسطيني ، وفي نفس الوقت فان مصر لا تعتبر القطاع ورقة رابحة بالنسبة لها . أما السبب الاهم فهو سبب عسكري لان الغرض من الحرب هو الصدام المسلح مع عبد الناصر ، ولم يكن غرض عبد الناصر اطلاقا هو اغلاق المضايق بقدر رغبته في اثباته أن اسرائيل عاجزة عن مواجهة العرب . وأن الواجب علينا ان نثبت عكس ذلك . وهذا يتأتى عن طريقين ، اما ان نحتل شرم الشيخ .. فاذا كان ذلك صعبا بالنسبة لنا في الوقت الحاضر ، فلابد لنا أن نواجه المصريين في معارك واسعة النطاق ، نحطم فيها القوة العسكرية المصرية . واحتلال قطاع غزة لن يصل بنا الى تلك النتيجة خاصة وان عبد الناصر لن يدفع بقواته لانقاذ غزة وقلت انني لذلك ارى انه لا خيار امامنا سوى أن ندخل مباشرة الى قلب تلك القوة العسكرية ونواجهها .

واستمرت مناقشاتنا حول خطط العمليات حتى منتصف الليل . ولمست لدى الرجال تشككا حول جدوى التضحيات التي سنقدمها في مثل هذه العمليات وأصبح واضحا لي أن الحكومة قد قر عزمها على الاكتفاء باحتلال غزة ، وان اشكول لن يوافق على ما هو اكثر من ذلك . وأبلغوني أن رابين سوف يقوم بزيارة للمنطقة الجنوبية ، لكنني علمت صباح ٢٤ مايو (آيار) أنه لن يقوم بهذه الجولة نظرا لملازمته فراش المرض مصابا بتسمم من النيكوتين .

وفي اليوم التالي زرت تشكيل أريك شارون ولمعت عيناه عندما وصف لي خطته في اقتحام المواقع الدفاعية في القسيمة وأم شيهان وام كتف واخبرني ان احدا لم يوافقه على تلك الخطة ، وان كل ما ابلغوه به هو احتلال قطاع غزة . وبعد ذلك اتجهت الى التشكيلات الفرعية التي يرأسها الكولونيل يكوتيل آدم - قائد لواء من المشاة - وكانت تربطني به صلة قديمة من خلال هوايتنا في اكتشاف الآثار .. وقد قدم لي خلال هذه الزيارة بعض الاثار الجديدة التي عثر عليها في

منطقة على الحدود بين النقب وسيناء ، والتى تعود الى القرن الثانى قبل الميلاد ، والتى اشتهرت بها مصر الفرعونية ، لكنها كانت نادرة فى اسرائيل القديمة .

وعند الظهر عدت الى القيادة الجنوبية ووجدت اجتماعا للقادة فى مجموعة اوامر ، اذ ان ساعات الانتظار الطويله قد انتهت واقترب يوم القتال الذى تحدد له اليـــوم التالى ٢٥ مايو (أيار) وستبدأ العملية بضربة جوية على المطارات المصرية . وباقتراب ساعة الصفر ، كنت حريصا على أن انضم للواء السابع .

وعلى الغداء كان واضحا أنه ليس هنـاك اية تأكيدات من الحكومة باعطاء النور الأخضر للجيش للبـــدء فى العملية وما زال رابين مريضا . وتحسنت اوامر المعركة ، صحيح ان احتل قطاع غزة بقى امرا لا بد منه الا ان اللواء السابع سيتقدم فى سيناء لاحتلال العريش ، ثم يتقدم غربا نحو القناة وطلبت سترة عمليات بدون رتب ، وحذاء ومسدسا ، وقررت أن اعمل فى اللواء السابع كجندى وفى الساعة الخامسة بعد الظهر علمت أن ساعة الصفر قد تأجلت لمدة أربع وعشرين ساعة ، فعدت مرة أخرى الى بير سبع وقررت ان أسير فى شوارعها متحاشيا ان يرانى احـــد ، وكانت غلطة اذ عرفنى الكثير من الجالســين على المقاهى وأخذوا ينادوننى باسمى .

وكان الراى العـــام فى اسرائيل يطالب من خلال الصحافة بتغيير الحكومة والاستعانة بوزراء ممن لهم خبـــرة ، ويعلمون كيف يقودون اسرائيل فى الطريق السليم . وبدأ الهمس يتردد حول عـــدم الثقة بالحكومة وان شخصية بن جوريون هى التى تستطيع أن تجعل اسرائيل تقف على قدميها . ولكن حكومة أشكول استمرت واستمر هو رئيســا للوزراء ووزيرا للدفاع . وفى اليوم التالى انضممت الى دورية ضمن لواء يهودا راشيف ، وزرت عدة مستعمرات على الحدود فى قطـــاع غزة ، وشاهدت جميع نقط قوات الطـــوارىء وقد تم اخلاؤها بينمـا وقف الجنود المصريون على بعد عدة ياردات من الحدود وكانت القوات المصرية منتشرة عبر خطوطها القديمة ، وكانت القرى على الحدود تعمل كالمعتاد فى جمع المحاصيل فقد كان الوقت أوان الحصاد .

وتوجهت الى تل أبيب حيث التقيت بعيزر وايزمان ، وطلبت منه ادراجى ضمن التعبئة ثم توجهت الى مائير آميت رئيس فرع الخـدمات الخاصة ، واستمعت منه الى وجهة نظـ ه وتقديره للموقف . وابلغنى عن اتصالاتنا مع واشنطن ، واخبرنى أن كل الدول العربية تستعد لشن الهجوم قريبا جدا . وان هذه الصـــورة قد نقلت الى واشـــنطن مع سؤالها : هل الولايات المتحدة مستعدة الآن لأن تســـارع للدفاع عن اسرائيل . وكنت قد علمت من وايزمان أن الهجوم سيبدأ غدا ــ ٢٦ ــ عـــلى المصريين .. وسألنى مائير عما اذا كنت اقبل فيما لو عرض على

منصب مسئول الآن ، وقلت انى اقبل ، وكتبت مذكرة لاشكول طلبت منه ان يوصلها له فى الصباح ، قلت فيها :

« عزيزى أشكول لقد طلبت من وايزمان أن يستدعينى رسميا حتى يكون عملى العسكرى فى أى وحدة عسكرية منطقيا وملائما . واذا رأيت أنت ورئيس الاركان أن وجودى أثناء الحرب ، من خلال عمل فعلى ، سيكون مفيدا ، فاننى اقبل على الفور ، اما اذا لم تروا ذلك ، فسأستمر فى اتصالى بالوحدات حيث استطيع أن انقل لكم وجهة نظرى فى تقوية الجيش وفيما يمكن أن يؤديه ، موشى ديان — ١٩٦٧/٥/٢٥ .

تم ذهبت لمقابلة أبنتى يائيل التى استدعيتها من اثينا ، تماما مثلما فعلت عشية معركة سيناء ، لانى أعلم أن أى شخص يهـــودى يكون فى الخارج بينما بلاده تحارب ، يشعر بشعور مخيف .

وبعد أن صحبت يائيل الى العشاء ، تركت تل ابيب فى الســاعة الحادية عشرة مساء متجها الى الجنوب لانضم الى اللواء الســابع الذى كان مقررا ان نبدأ عملياته بعد عدة ساعات . وفى القيادة العامة وجدت الجميع فى القيادة مستغرقين فى النــــوم ، وقال لى الضابط النوبتجى ان ساعة الصفر قد تحدد لها التاسعة صباحا ، ولذا فقد ذهب الجميع الى النوم لاخذ قسط من الراحة قبل العمليات واكتشفت مرة اخرى ان العمليات البرية قد تأجلت الى ما بعد الضربة الجوية ولم اكن ادرى كيف سنبدأ العمليات قبل اجتماع ايبان بالرئيس جونسون فى اليوم التالى ، اذ لم يكن امامنا سوى طريقين : اما ان نمضى بدون اخطار جونسون او ننتظر رد جونسون . وفى النهاية تأجلت ساعة الصفر مرة اخرى .

وكنت قلقا من أمرين الاول أن المحادثات مع جونسون لن تكن حول حـــرية اسرائيل فى الملاحة فى مضايق تيران ، وانمـــا حول الضمانات الامريكية فى حالة هجوم العرب على اسرائيل . والامر الثانى هو اقتراح أشكول بانضمام « جحل ورافى كحزبين رئيسيين فى المعارضة » الى اللجنة الوزارية للدفاع . وكانت اللجنة قد تشكلت من سبعة أعضاء ، ومعنى اقتراح رئيس الوزراء أن تتم اضافة أعضاء جدد اليها فى حين أن الحرب تحتاج الى وزارة صغيرة لا يزيد أعضاؤها عن الاربعة .

وكنت أؤمن بأن أهم ما يواجهنا الآن هو أن نلاقى الجيش المصرى ونهزمه ،وأن المصير سوف يسوء لو أن اسرائيل وقعت فريســة خوفها التاريخى ، ومضينا نطرق أبواب القـــوى الكبرى نطلب منها المساعدة وانقاذنا .. وكنت أعتقد اعتقادا جازما بأن فى امكاننا تحطيم المصريين . اما الاتصال بالدول الاخرى والامم المتحدة ، وتقديم الموقف الراهن لهم لكى نبين لهم أن الحق فى جانبنا ، ونشرح لهم خطورة اغلاق مصر القناة السويس ، بعد أن يتأكدوا من أن الحق معنا ويقومون فى النهاية بتقديم اقتراحاتهم لتسوية الموقف .. ذلك كله كان فى تقديرى سذاجة وغباء —

جل يستوى فى ذلك أن نبلغهم أنه ازاء خطورة أعمال عبد الناصر ، فانه لا بد لنا من أن نضرب مصر فورا .

وقضيت صباح يوم ٢٦ فى زيارة اللواءين التابعين لابراهام يوفى ، وبمراجعة خطط المعارك معه اكتشفت ان هناك شعورا بعدم الرضا بين القاده وقيادة الجيش مع اقتراب العمليات وتسلمت رسالة من أشكول يطلب فيها أن برانى وطرت الى بير سبع وانا أتساءل هل نهاجم فى اليوم التالى لا كنت أعتقد أنه الوقت المناسب ..

وفى السابعة والنصف مساء قابلت رئيس الوزراء فى فندق دان فى تل أبيب ، وقال لى انه يريد ان يشكل لجنــــه وزاريه للدفاع والشئون الخارجية تشمل خمسة وزراء منهم هو وايبان وايجال آلون واثنان من الوزراء الاخرين يمثلون الاحزاب الاخرى المشتركة فى الائتلاف الحكومى وعضوان من المعارضة فى الكنيست هما مناحم بيجن من جحال وأنا من رافى . وأخبرته اننى لن اشترك فى هذه اللجنه . وقلت له انه اذا سألنى ـ من ناحية اخرى ـ هو أو رئيس الاركان أو أى مسئول رايى ، بعد ان تتم تعبئتى حسب طلبى ، فاننى سأقوله لهم على الفور . ولم أقترح أن مستشارا لوزارة الدفاع أو ما شابه ذلك ، وانمــــا طلبت عملا فى مهام عسكرية ثم طلب منى أن أخبره عن انطباعاتى عن زيارتى للجنوب .. وفى النهايه وعدنى بأنه سيجيب على طلبى الخاص بأستدعائى للخدمة خلال ٢٤ ساعة ، وبعد لك قابلت مائير وشرحت له رأيى فى خطة العمليات ، واقتراحاتى الخاصة بالتعبير ، وهى كالآتى :

ما دام سببنا الماشر للحرب هو كسر اغلاق مصر للمضايق ، فلا بد ان توجه حملتنا الى تحقيق هدفنا الرئيسى وهـــو اعاده فتح المضايق وذلك بأن نهاجم كل القوات المصرية فى ســـيناء مع مهاجمة المطارات والمدرعات وكل التشكيلات التى توجد بين مصر واسرائيل .

يجب أن يكون هدف المعركة هو مواجهة وتدمير القوات المسلحة المصرية وعارضت فكرة احتلال أراض جديدة ومساومة مصر عليهـــا فى مقابل اعادة فتح المضايق ، وكذلك عارضت احتلال قطاع غزة المملوء بالمشــــاكل .

وكنت أيضا ضد فكرة الوصول الى قناة السويس التى قد تفجرت مشكلة دولية ومن الواضح ان فكره اغلاق القناه ومعايضة فتحها بفتح المضايق ، سوف تثير ضدنا كل المنتفعين بالقناة أما اذا نجحنا فى تدمير القوات المصرية فبمكننا التقدم لاحتلال المضايق .. واقتنع مائير بآرائى وان لم يوافق على بعض المقترحات ، اذ كان من محبذى التوجه مباشرة الى قناة السويس ، وطلب منى السماح له بنقلها لرئيس الوزراء ، وان يطلب منه أن يسمعها منى شخصيا .

وقد كررت ملاحظاتى لعيزر وايزمان رئيس العمليات ، عندما حضر لرؤيتى صباح اليوم التالى ٢٧ مايو « آيار » وقال لى ان مقترحاتى قد تكون قابلة للتنفيذ من وجهة نظر القوات الحربية وابلغنى أنه يواجه مشكلتين عاجلتين ، الاولى هى رئيس الاركان . واخبرنى أن اسحاق رابين قد أبلغه منذ عدة أيام بأنه يشعر بضرورة استقالته والثانية هى توقيت الهجوم ، وهو يرى أننا ان لم نهاجم حالا ، فسنكون قد تأخرنا كثيرا ، لان مصر قد تبدأ بالضربة الاولى . وقلت له اننى غير متأكد من نوايا المصريين ، وطلبت الاطلاع على تقارير المخابرات حتى يمكننى تكوين رأيى بصددها .

وفى الساعة الثامنة بعد الظهر احضر لى نائب مدير المخابرات التقارير التى طلبتها ، وعلمت منها ان للمصريين فى سيناء ٩٠٠ دبابة و ٢٠٠ طائرة حربية و ٨٠ الف مقاتل . وهناك أيضا معلومات ان مصر تعد المزيد من الطائرات للقيام مع القوات البرية بالهجوم الجوى ، أو الرد علينا فى حالة بداية الهجوم من ناحيتنا . وعرض على أيضا معلومات عن نتائج المحادثات مع الرئيس جونسون الذى قال « اولا اعطونا الوقت الكافى ، وسنقوم بفتح المضايق وضمان حرية الملاحة فى المضايق . وثانيا اذا قمتم بأى عمل منفردين فستظلوا منفردين . واذا لم تبداوا الهجوم وهاجم المصريين فسنساعدكم » .

ومن ناحية اخرى فقد وردتنا معلومات بأن الامريكيين يحاولون التقرب من مصر ، وان جونسون على استعداد لدعوة عبد الناصر الى واشنطون واعطائه منحا وقروضا . وقد اخبر السفير الامريكى فى القاهرة عبد الناصر أن الولايات المتحدة ليست مع اسرائيل . ومن ناحية اخرى ، فان المعلومات تقول ان السفير قد طلب رسميا من مصر فتح المضايق ، واعادة قوات الطوارىء الدولية ، وسحب القوات المسلحة المصرية من الحدود — وكانت التعليمات التى اعطتها الحكومة لايبان ان يصور لامريكا عمل المصريين بأنه استعداد لحرب شاملة ضد اسرائيل ، وعدم التركيز على اغلاق المضايق على انه المسألة الرئيسية . ولم يشعر الامريكيون — من جانبهم — أن هذا التصور حقيقى وارسلوا لنا قائمة لا نهاية لها بأسئلة لتوضيح الامور .

وفى يوم ٢٨ مايو « ايار » وجه اشكول حديثا كانت كل الامة تترقبه وجلس كل فرد من أفراد الامة بآذان مشدودة يستمع لجهاز الراديو وهو يتوقع شرحا لكل الامور . ولكن كل ما سمعه الراى العام من رئيس الوزراء كان عدة عبارات متقطعة متلعثمة من رجل غير متأكد من نفسه . واصيب الرأى العام بصدمة اذ شعر الجميع بالأسى ، وانعكس ذلك على الصحافة اذ ظهرت افتتاحيات تحمل اقتراحات بأن يتولى بن جوريون رئاسة الوزارة ، وبعودتى كوزير للدفاع ، وأن يتخلى اشكول عن هذه المناصب .

وفى المســاء توجهت الى الجنوب • وكان مقررا أن يعود ايبان من مهمته الدبلوماسية هذا المســاء ، على ان يعقد اجتماع مجلس وزراء ، فاذا كان هناك قرار بالحرب تم التحرك قبل الفجر ولكن اليـوم التالى ٢٩ مايو « ايار » مر بدون اى عمل . وهكذا امضيت اليوم فى زيارة بعض الوحدات والمستعمرات .

وتوقفت فى مسعمرة نحال عوز ، ومررت على النقاط الدفاعية ، ثم توجهت الى مستعمره اخرى هى ميفالسيم . وعنـدما علم المزارعون اننى هناك أسرعوا الى حجرة السكرتارية وامطرونى بشكاوهم واسئلتهم ووجدتنى مضطرا للدفاع عن موقف الحكومة فى تأجيل العمل العسكرى حتى يتضح الموقف السياسى مع الدول الاخرى بأى شىء وقـد سعدت بلقاء هؤلاء المزارعين ومعظمهم من امريكا اللاتينية ، حيث كانت صراحتهم وصداقتهم تميزانهم عن غيرهم من (السابرا) أو من الوافدين من البلاد الانجلوساكسونيه .

وفى اليوم التالى ٣٠ مايو « ايار » طرت الى ايلات وقابلت قائـــد القطاع وتناولت الغداء مع قائد البحرية . وخلال عودتنا تحدث مراقبى معى عما أسماه التفاف الراى العـــام حولى ، ورفض صاحب المطعم فى ايلات ان يتقاضى ثمن الغداء . وفى كل مكان كان الناس يصرون عـــلى عودتى للحكومة لتولى مسئولية الدفاع . وكانت الصحف خلال تلك الايام تناقش مسألة عودتى الى تولى مسئولية الدفاع • وظهرت احدى الصحف فى هذا اليوم وفيها اعلان فى الصفحة الاولى يدعو الى تغيير هذه الحكومة بحكومة وحدة قومية اخرى قبل فوات الأوان . وقد وقع هــذا الاعلان مجموعة من الرجال والنســاء الذين نظموا انفسهم عام ١٩٦٥ ، لهزيمة بن جوريون وتأييد أشكول .

وكان ذلك بمثابة ضربة قوية للحكومة ، اذ اتسع نطاق الدعوة الى تشكيل وزارة قومية ، وتبناها وزير الداخلية شابيرو الذى يرأس الحزب القومى الدينى ، ودعا الى تولى بن جوريون رئاسة الوزارة ، وحتى مناحم بيجن ، المعارض الفعلى لبن جوريون ، طالب أشكول بأن يترك رئاســة الوزارة لبن جوريون وأن يعمــل معه تحت رئاسته • وكان شمعون بيريز ، سكرتير عام حزب رافى ، يبذل نشاطا واسعا وصل الى حد اقتراح أن يوافق حزب رافى على الانضمام مرة أخــرى الى الماباى اذا كان ذلك شرطا لتعيينى وزيرا للدفاع .

وفى يوم ٣٠ مايو « ايار » ، عندما طار الملك حسين الى القـــاهرة ووقع اتفاقية الدفاع المشترك مع مصر ، وأصبح الموقف سيئا بعد أن أصبحنا نواجه ثلاث جبهات ، أصبح واضحا اننا قد تأخرنا للغاية •وفى الرابعة بعـــد الظهر استدعانى أشكول وعرض على منصب نائب رئيس

الوزراء بينما يتولى ايجال آلون وزاره الدفاع . ورفضت تولى أى منصب استشارى كهذا واقترحت تعييني قائدا للجبهة الجنوبيه تحت رئاسة رابين .

وبعد عودتى الى المنزل استدعيت مره اخرى . وذهبت الى مكتب رئيس الوزراء فوجدت معه رابين الذى ظل يسـالنى ما الذى اريده بالضبط ؟ فأخبرته اننى اريد أن اتولى قياده الجبهة الجنوبية المواجهة للمصريين ، ولكنه عاد ليسالنى هل اريد ان احل محله رئيسا للاركان ؟ فنفيت ذلك ، وابلغته باننى لم أتصل برئيس الوزراء وانمـا هو الذى اتصـل بى ، واننى اخبرت رئيس الوزراء اننى لا ارغب فى اى منصب استشارى بل اننى أرغب فى محاربة المصريين ، وأن وظيفة قائد الجبهة الجنوبية هى الوظيفة التى افضلها عن اى وظيفه اخرى .

وفى صباح اليوم التالى اول يونيو « حزيران » توجهت الى القياده الوسطى للتفتيش على منطقه القدس ، واتصلت برابين وسالته عما اذا كان قد تقرر تعيينى قائدا للمنطقة الجنوبيه ام لا ، فقال لى انه سيبحث الموضوع مع رئيس الوزراء ، فاذا ما تقرر شىء ما يتطلب عودتى ، فانه سيتصل بى خلال جولتى التفتيشيه ، وان لم يتصل بى فعلى الاتصال به بعد عودتى . وأخبرنى أنه لم يتحدث بعد (لشايك جافيش) ... الجبهة الجنوبية ، فطلبت منه أن يبلغه اذا تحدث معه برغبتى فى اقامته معى كنائب لى ، أو كرئيس لاركان القيادة . وبعد ظهر نفس اليوم ، وفى اجتماع سكرتاريه حزب الماباى ، وضح ان الاغلبيه تريد عـودتى وزيرا للدفاع . تم طلب ايجـال آلون سحب ترشيحه وزيرا للدفاع . وبينما كان هذا الاجتماع منعقدا ، جرت مظاهرة نسائية امام مقر الحزب تطالب بتشكيل حكومة قوميه وتعيين موشى ديان وزيرا للدفاع .

وفى الساعة الرابعة بعد الظهر طلب منى مكتب رئيس الوزراء ان احضر فورا ، وأخبرنى اشكول انه سيعرض على الحكومه توصيته بتعيينى وزيرا للدفاع . وفى المساء اجتمعت سكرتارية حزب الماباى ثانية ، وقدم رئيس الوزراء تقريرا عن المشاورات التى أجرتها لجنة وزارية محدوده مع حزبى جحال ورافى لتوسيع نطاق الوزارة الائتلافية . وفى الساعة السابعة مساء طلبنى أشكول تليفونيا ، وأبلغنى أن مجلس الوزراء قد اجتمع الآن ووافق على تعيينى وزيرا للدفاع . وكمـا قال ونستون تشرشل الابن فى حديث صحفى نشر فى اليوم التالى ، فان دخول ٨٠ الف جندى مصرى الى سيناء كان السبب فى عودتى مرة اخرى الى الوزارة .

١٩ القـــرار

وبعـــد قرار مجلس الوزراء مساء يوم أول يونيو بضم وزراء جدد انعقد المجلس الجديد . وافتتح الاجتماع أشكول بأن أعلن ان الحـــكومة الجديدة ستكون حكومة وحده قومية ، ورحب بالوزراء الجدد . ثم رد مناحم بيجن بكلمة قصيرة تضمنت بعض الفقرات من التـــوراه ، وكان اشكول يردد بعده ـ بروح مرحة ـ « آمين ، آمين » . ثم قدم رئيس الاركان تقريرا عن قوات الاعـــداء ومناطق انتشارها ، وأبدى ملاحظة مؤداها أننا لو هاجمنا منذ خمسة أيام لكانت كل المميزات فى صالحنا . ثم قدم أيبان تقريرا عن الجهود الدبلوماسية . وبعد ذلك بدأت مناقشة الموقف ، واستمر الاجتماع حتى منتصف اللبـــل ، وكان لا بد للوزراء الجدد أن يتفهموا الحقائق قبل ابداء أية مقترحات . وكان علىّ أن أجتمع طويلا مع رئيس الاركان لمعرفة الصورة العسكرية كاملة . وقد تقرر أن تجتمع اللجنة الوزارية للدفاع اجتماعا عاجلا فى صباح اليـوم التالى فى القيادة العامة ، على أن يحضر الاجتماع كل الضباط الكبار فى رئاسة الاركان .

وبدأت عملى فى اليوم التالى ٢ يونيو « حزيران » باجتماع مع زفى تسور ، أحد رؤساء الاركان السابقين ، وطلبت منه العمل معى باعتباره الشخص الثانى بعدى ، ويمكنه أن يسمى نفســه مستشارا أو مساعدا كما يحلو له . وقد وافق وأصبح لقبه مساعد وزير الدفاع وطلبت منه

أن يعمل كل الترتيبات لاحاطة بن جوريون باستمرار بكل التطورات ، كما قررت الاستفاده من خبرة شمعون بيريز ، وطلبت من تسور أن يكلفه بمهمة ذات مستوى عال فى الوزارة . وابلغت تســـور أن مسئولياته فى الوزارة تقتصر على الجانب المدنى ، ولن يكون له ضلع بالعمل العسكرى الذى أتعامل فيه أنا مع رئيس الاركان مباشرة . وبعد ذلك مباشرة قابلت رابين ثم تقابلت مع لجنة الدفاع وضباط رئاسة الاركان . وطلبت منهم أن يتكلموا عما يدور فى ذهنهم . وقد فعلوا ذلك بدون تردد .. واتضح أن التوقيت وخطة العمليات لم يعرضا بالطـــريقة السليمة . وفكرت فى ضرورة التركيز على ثلاث نقاط رئيسية أولاها اننا اذا كنا سنحارب . فكلما انتظرنا كلما زاد الامر ســـوءا ، لان المصريين يعززون مواقعهم ، والنقطة الثانية هى مدة استمرار المعركة ، فالوقت سوف يكون محدودا اذ سنتعرض لتدخل مجلس الامن ولضغط القوى الكبرى .لايقاف القتال وسيتحول انتصارنا الى فشل اذ تم ذلك فى منتصف الحملة قبـــل تدمير الجيش المصرى فى ســـيناء . والنقطة الثالثة ان الحملة يجب أن تسير فى مرحلتين ، الاولى احتلال شمال سيناء والثانية احتلال شرم الشيخ ، فاذا انتهت المرحلة الاولى بالانتصار ننتقل الى الثانية .

وفى الساعة الحادية عشرة والنصف ، حضرت اجتماعا محدودا فى مكتب رئيس الوزراء ، ضم أشكول وايبان ويجال آلون ورابين . وكان هذا هو أهم اجتماع حضرته حتى الآن . وطلب رئيس الوزراء توضيح وجهة نظرنا استعدادا لاجتماع لجنة الدفاع مساء يوم السبت فى القدس وطلب منى أن أبدأ الحديث . وقلت اننا يجب أن نبدأ هجوما عسكريا بلا أدنى تأخير ، فاذا اتخذ مجلس الوزراء قرار الحـــرب فى اجتماعه القادم مساء يوم الاحد ٤ يونيو « حزيران » ، فيجب أن نبدأ صباح اليوم التالى . ويكون الهدف من هجومنا هو تحطيم القـــوات المصرية فى وسط سيناء ، دون أى هدف جغرافى ، فلا يجب أن ندخل قطـــاع غزة داخل نطاق خطتنا الا اذا تهددنا دخول القوات العـــراقية ، وسوف تستمر المعركة ما بين ثلاثة وخمسة أيام .

وتكلم بعدى أيجال آلون . ويجب أن أقول اننى أصبت بخيبة أمل وكان قد مضى وقت طويل منذ ان اشتركنا ســـويا فى نقاش سياسى عسكرى . وقد وافق ايجال على كل ما قلته بصفة عامة ، ولكنه قال انه يجب أن نحاول الوصول الى قناة السويس لنشكل تهديدا للملاحة فيها ، وحتى يتضح اننا نستطيع اغلاق قنـــاة السويس اذا فكر المصريون مرة أخرى فى اغلاق المضايق . وقال انه يجب احتلال قطاع غزة والتخطيط لنقل اللاجئين الفلسطينيين الى مصر وقد اعترضت على الاقتراحين ، وقلت أن تهديدنا لقناة السويس سيكون خطأ فادحا ، لانه سيؤثر على اهتمامات القوى الكبرى وسيجعلها تنقلب ضدنا ، كما أنه سيجعـــل الكثيرين من أصدقائنا يتخذون موقفا معاديا لنا . ولذا فانه يجب علينا

أن لا نقترب كثيرا من القناة ، والا نهدد بأغلاقها ، أما بالنسبة لاقتراح نقل اللاجئين الفلسطينيين لمصر ، فان تنفيذه ليس بهذه البساطة ، كما ان هذه العملية ستبدو بربرية وغير انسانية . كذلك فاننا يجب أن نؤكد مسئولية الامم المتحدة عن اللاجئين ، اذلو فصلت غزة عن مصر فان معونات الامم المتحدة وهيئة الاغاثة ستصل الى اللاجئين عن طريق اسرائيل ، وربما لا توافق الامم المتحدة على ذلك .

وكان واضحا من كلام ايبان انه غير متحمس للعمل العسكرى ، اما أشكول فقد كان واضحا أنه فى صف العمل العسكرى . وتم الاتفاق على أن يستمر التشاور فى اجتماع الليلة القادمه بالقدس . وتناولت طعام الغداء مع الجنرال يجال يادين ، احد رؤساء الاركان السابقين ، الذى يعمل الآن استاذا للآثار فى الجامعة العبرية .. وكان أشكول طلب منه أن يقترح أسس التعاون بين رئيس الوزراء ووزير الدفاع ، وأن ينسق العلاقة بينهما ، ومسئوليه كل منها . وكانت هذه المرة الثالثة منذ قيام دولة اسرائيل التى تنفصل فيها وزارة الدفاع عن رئاسة الوزراء . الاولى فى الفترة ما بين ١٩٥٣ ، ١٩٥٥ عند تقاعد بن جوريون ، وكان موشى شاريت رئيسا للوزارة وبنحاس لافون وزيرا للدفاع ، والثانية عام ١٩٥٥ عندما عاد بن جوريون وزيرا للدفاع ، تحت رئاسة موشى شاريت وهذه هى المرة الثالثة ، ولهذا لم يكن معروفا — بل ولم تكن قد نوقشت — اية سلطات منفصلة بين رئيس الوزراء ووزير الدفاع . وفى هذه المرة فان فصل هذه السلطات كان مطلوبا لامرين : أن السلطات المنفصلة بدأت بالفعل فى عشية الحرب ، علاوة على أن العلاقة بينى وبين اشكول لم تكن — كالعلاقة المفروض أنها كانت جيدة — بين شاريت وبن جوريون أو بين شاريت ولافون . وكان يادين قد أعد مذكرة حول هذه العلاقة قبلتها مع تعديلات طفيفة . وكانت أهم نقاط هذه المذكرة أن وزير الدفاع لا يعمل على القيام بهجوم ضد أى دولة دون موافقة رئيس الوزراء ، وأن وزير الدفاع لا يقذف أى دولة بالقنابل الا اذا بدأت هذه الدولة بضرب اسرائيل .

وفى المساء تم اعداد الخطة النهائية للعمليات فى سيناء ، بعد ادخال عدة مراجعات عليها ووافقت عليها .. وكانت تضم أربعة محاور اثنان فى رفح جنوب قطاع غزة واثنان فى وسط سيناء . ولم يكن هناك أى تقدم نحو غزة أو وصول لقناة السويس ، مع عدم التقدم نحو مضايق تيران . واستمر اجتماعنا حتى الحادية عشرة مساء . وبعد ذلك توجهت الى منزل شمعون بيريز ، حيث اجتمع بن جوريون وآخرون لشرب نخب تعيينى .

وقضيت اليوم التالى — السبت — ٣ يونيو (حزيران) أنظم العمل الوزارة من خلال اجتماعاتى مع الضباط الكبار فى رئاسة الاركان . ثم

عقـــدت مؤتمرا صحفيا للمراسلين الاجانب والمحليين ، تم اجـــريت مشاورات مع رئيس الوزراء للاستعداد لاجتماع مجلس الوزراء فى اليوم التالي . وفى المؤتمر الصحفى تلوت ملخصا عن الحالة ، ثم استمعت الى الاسئلة وأجبت عليها ، ودارت كلها حـــول ما اذا كنت اظن أن الازمة ستتقرر فى مجلس الامن أو فى ميدان القتال ، وحاولت ان انقل انطباعا باننا نأمل فى أن تحل الازمة من خلال الجهود الدبلوماسية .

وفى المساء توجهت الى القدس ، حيث حضرت اجتماعا مع رئيس الوزراء ويجال آلون ويجال يادين ومائير اميت وسفيرنا فى واشنطن . وكان مائير قد عاد من رحلة سريعة الى واشنطن ، وقـــدم تقريرا عن محادثاته مع ماكنمارا وزير الدفاع وآخـرين . وكان ـ رايه الخاص أن الولايات المتحدة لن تفعل شيئا لفتح المضايق وانها ايضا لن تفعل شيئا اذا دخلنا الحرب وهناك احتمال ان تساعدنا الولايات المتحدة فى المجال السياسى فى مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة . وهكذا اصبح واضحا للجميع ، بما فيهم أشكول انه لا مفر من الحرب ، وبأسرع وقت ممكن . وطلبت من اشكول أن يدعو لجنـــة الدفاع الوزارية للاجتماع وأصدار قرار حاسم ورسمى فى الموضوع .

وأجتمعت لجنة الدفاع فى القدس فى الساعة الثامنة والنصف من صباح اليوم التالى ٤ يونيو (حزيران) . وبدأ ايبان بتقرير عن الجهود الدبلوماسية ، وكان آخر ما عرضه مذكرة من الرئيس جونسون لرئيس الوزراء تقول أن الولايات المتحدة تأمل فى الحصول على توقيع كل الدول التى اتصلت بها عن اعلان بحرية الملاحة فى المضايق ، فيما عدا فرنسا . فقد رفض ديجول التوقيع ، علما بأن فرنسا وقعت على الوثيقة الاصلية لحرية الملاحة فى الممرات البحرية عام ١٩٥٧ واضافت المذكرة ان الولايات المتحدة تعمل من أجل انشاء قوة بحرية لاقرار حرية الملاحة البحرية فى المضايق ، وهى تأمل أن تنضم الى هذه المظاهرة ست دول تشمل بريطانيا وهولندا واستراليا وواحدة من دول امريكا اللاتينية . وكان مقررا لهذه المظاهرة يوم ١١ يونيو « حزيران » ، حيث تتحرك ســـفينة اسرائيلية بصحبة القـــوة البحرية نحو المضايق ، فاذا فتح المصريين النيران ، ترد السفن الحربية عليهم بأطلاق النار .

علاوة على ذلك فأن الولايات المتحدة تركز على « من يطلق الرصاصة الاولى » ، اذ ستحدد موقفها على هذا الاساس . وترى الولايات المتحدة أن العمل العسكرى لبس واردا الان ، بالرغم من قرار عبد الناصر بسحب قوات الطوارىء الدولية واغلاق المضـــايق اللذين لا تعتبرهما الولايات المتحدة من أعمال الحرب ضد اسرائيل . وقبل ذلك بيومين كان السفير الاسرائيلى فى موسكو قد استدعى لمقابلة وزير الخارجيـــة جروميكو ، الذى سلمه مذكرة رسمية لنقلها الى الحكومة الاسرائيلية ، فى خاتمتها فقرة تقول « أن الحكومة السوفيتية تكرر وتوضح انها ستبذل كل وسعها

لمنع نشوب الحرب . وجهودها الان تتجه نحو هذا الهدف . لكنه اذا احذت حكومه اسرائيل على عاتقها مسئولية نشوب الحرب فأنها ستدفع ثمنا غاليا » .

وفى فرنسا قامت مظاهرات يوم ٢ يونيو ((حزيران)) لتأييد اسرائيل ، ولكنها لم تؤثر على موقف ديجول . وقد اجتمع مجلس الوزراء الفرنسى وقرر أن فرنسا حريصه على عدم التدخل فى الشرق الاوسط ، أو اتخاذ صف أحد الجانبين ، ولكن الجانب الذى بدأ اطلاق النار سيفقد تأييد فرنسا • وأن مشاكل المنطقة كاللاجئين الفلسطينيين وحقوق الشعب الفلسطينى وسباق التسلح بين دول المنطقة يجب أن تبحث كلها كمشكلة واحدة فىاجتماع يضم الاربعة الكبار فرنسا وبريطانيا والولايات المتحده وروسيا . وفى اليوم التالى ٣ يونيو أعلن ان فرنسا قد قررت بصفة قاطعة تأجيل شحن الاسلحة الى اسرائيل وفى مقابلة لسفيرنا مع ديجول قرر ديجول أن وضع فرنسا بالنسبة لاسرائيل عام ١٩٦٧ يختلف عن عام ١٩٥٦ . وقد جددت فرنسا علاقاتها مع العرب وهى حريصة على تنمية هذه العلاقات وقال ديجول ان فرنسا أوقفت شحنات الاسلحة لاسرائيل لمنعها من الدخول فى حرب اما بريطانيا ، فتقوم بتنسيق علاقاتها مع أمريكا ، وقد رحب هارولد ويلسون رئيس وزراء بريطانيا ، الذى كان يزور الولايات المتحدة فى هذا الوقت ، بالاشتراك فى الاعلان الذى يقترحه الرئيس جونسون حول حرية الملاحة ، وايضا فى الاشتراك فى المظاهرة الحربية .

وبعد هذا التقرير الذى قدمه ايبان ، عرض ياريف رئيس المخابرات الخطوط الرئيسية واهداف التحرك العربى . فمصر تعتبر أن الاشتباك العسكرى معنا أمر لا يمكن تجنبه ، ولذا فقد عملت على تقوية قواتها فى سيناء وهناك لواء مدرع عربى على وشك دخول سيناء ، وهناك كتيبة مراقبة فى طريقها الى قطاع غزة ، وقد وعدت ليبيا والسودان بارسال قوات الى مصر ، ولكن هذه القوات لم تصل سيناء بعد . وكانت هناك عدة مؤشرات تشير الى أن مصر على وشك القيام بهجوم ، ففى نفس اليوم أصدر الفريق مرتجى قائد القوات المصرية فى سيناء امرا يوميا يقول فيه : « ان أنظار العالم تتجه اليك فى حربك المجيده ضد اسرائيل التى تمثل الاعتداء الاستعمارى على أرض أجدادك . ان حربك هى لاسترداد حقوق أمتك العربية واستعادة أرض فلسطين بفضل الله والحق وبقوة سلاحك ووحدة ايمانك » .

وكان عبد الناصر يعمل من جانبه على ضمان دخول سوريا والاردن فىالحرب وتم انشاء قيادة فرعية تحت قيادة الفريق المصرى عبد المنعم رياض ، الذى أمر كل القوات الاردنية بالانتشار على كل حدود اسرائيل وقد وعدت العراق بارسال أربعة لواءات مشاة وقوة مدرعة فورا الى الاردن . وفيما يشبه المظاهره ، الغت الاردن صفقة الطائرات التى تعاقدت عليها مع الولايات المتحدة الامريكية .

وعندما انتهى ياريف من عرض تقريره ، اضاف ايبان أنه يرى من خلال اتصالاته فى الولايات المتحدة بدين راسك وروبرت ماكنمارا ، أن الولايات المتحدة ترى أنه بالرغم من ان مصر تقوم بالاعداد لاعمال الحرب ضد اسرائيل ، فان الهجوم الفورى غير متوقع . وبالنسبة لطلباتنا من الاسلحة الامريكية فان وزارة الدفاع ترى انه حتى فى حالة الموافقة على هذه الاسلحة فان وقتا طويلا سيمضى الى أن تصل الاسلحة لاسرائيل .

وعندما انتهى ايبان وياريف سألنى اشكول عن رأيى . وكنت قد سلمته ورقة تتضمن اقتراحا بالقرار الذى اتوقع أن نتخذه . فقلت، أن هناك تغييرين رئيسيين حدثا فى الايام القليلة الماضية . هما محاولة مصر لفتح جبهة جديدة فى الاردن . والثانى هو استعدادات مصر لهجوم فورى . وأن هناك وحدتى كوماندوز قد أرسلتهما مصر الى الاردن منذ يومين . وقد لا يشن المصريون هجومهم صباح الغد ، لكنهم حريصون على أن يقوموا بالضربة الاولى اذا عرفوا أن ذلك هو هدفنا أيضا . واذا حدث هذا فسنفقد كل مزايا المفاجأة .

وسيكون هناك عاملان حاسمين لو فقدنا عامل المفاجأة ، فسوف نفقد القدرة على الضربة الجوية الحاسمة ، وبقواتنا المحدودة ، فاننا لن نستطيع تحقيق النصر ، وعندما اخبرنا رئيس المخابرات أن مصر جلبت طائرات جديدة من العراق هززنا رؤوسنا وقلنا وماذا بعد ؟ . ان كل هذه الاضافات تزيد من الصعاب التى تواجهنا ويجب أن أنبه الى أن كل يوم يمر يزيد من الصعوبات امامنا . فالتحرك مثلا الى رفح وغزة ، الذى كان معدا له منذ أسبوع ، قد أصبح الآن أكثر تعقيدا بعد أن أصبح مملوءا بالدبابات والرجال والاسلحة ، الامر سيكلفنا الكثير من رجالنا أن أى واحد يشجع على انتظار أسبوع آخر حتى نؤمن بالموقف السياسى ، سوف يشعر بالندم على كل يوم يمر . والآن يجب علينا أن نتخذ قرارنا هل نبدأ بالضربة الاولى أم لا .؟ اننا ان اخذنا العدو بالمفاجأة ، فسنضرب له على الاقل مائة طائرة ونمنعها من العمل ،ذلك بالنسبة لنا يمثل قدرا من الامدادات كنا قد نتلقاها خلال ستة شهور . ومن يبدأ بالضربة الاولى والطلقة الاولى ، من وجهة نظرى ، سوف يغير ميزان القوى .

كذلك فاننا اذا بدأنا بضربة جوية ، فان انتصارنا سيتأكد ، لانه خلال هذه الضربة ستتحرك قواتنا المدرعة فى قلب سيناء وتهاجم المواقع المصرية وتفرض عليهم الحرب وفقا لخطتنا نحن ، ويمكن بقوة صغيرة الصمود على الجبهات الاخرى وسوف يكون الموقف بالغ الخطورة اذا تركنا العدو يبدأ بالضربة الاولى ، ويجب أن نتخذ قرارا بالبدء بالضربة الاولى .

وأثناء حديث رئيس الوزراء ــ بعـــــدى ــ وصلت رسالة من الرئيس الامريكي جونســـون بدأت بالعبارات التقليدية التى اســتخدمها كل الرؤساء الامريكيين الاربعة منذ قيام دولة اسرائيل · وهى « أننـــا نحترم أراضى اسرائيل واستقلالها كما نحترم سيادة كل الدول فى المنطقة على أراضيها . ويؤكد الرئيس محاولة ايجاد حل حاسم لحرية الملاحة فى المضايق بالاشتراك مع الدول البحرية الكبرى ، وأن الولايات المتحدة لن تعمل بمفردها . وقال ان الولايات المتحدة تدرس اقتراح بريطانيـــا بالتواجد الدولى فى مياه المضايق ووصف أشكول رسالة جونسون بأنها مخيبة للآمال ، وقال أن موقفنا خطر . وأنه يجب أن نفعـــل ما يجب فعله وكأنه لا يريد أن ينطق كلمة « حرب » . وختم حديثه باقتـــراح اصدار امر الى الجيش باختيار الوقت والمكان والاســلوب الملائمين ، وكان ذلك ، بأسلوب رئيس الوزراء يعنى البدء فى الهجوم على حســـب ما يتراءى للجيش .

وعقد اجتماع اللجنة الوزارية للدفاع على فترتين ، توســطهما اجتماع مجلس الوزراء . وحضر جميع الوزراء ، وطرح رئيس الوزراء اقتراحين للتصويت . أحدهما منى والآخر من ممثــــــل حزب مابام الجناح اليسارى لحزب العمل وكان اقتراحى أن تتخذ الحكومة عمــلا عسكريا لتحرير نفسها من القبضة الخانقة التى بدأت تهددنا ، ولمنـــع الهجوم الوشيك عليها بواسطة قوات القيادة العربية المشتركة . وعلى الحكومة أن تمنح السلطات لرئيس الوزراء ووزير الدفاع للموافقة على التوقيت لرئيس أركان حرب جيش الدفاع الاسرائيلى .

وكان اقتراح وزراء المابام أن تعود الحـــكومة ــ من أجل كسر الحصار القوى للعدو ــ الى التحرك الذى تقرر فى ٢٧ مايو « أيار » ، وهو تأجيل اى عمـــــل عسكرى ، واتاحة الفرصة لجهـــود الرئيس جونسون ، وارسال اسطول دولى بكسر اغلاق المضايق ، بينما نوضح لكل القوى أننا وحدودنا فى خطر ، وطلب المزيد من الامدادات لنؤمن أمننا وسلامتنا ، وحصل اقتراح المابام على صوتين فقط هما صـــوتا وزيرى الحرب ، أما باقى الوزراء فقد صـــوتوا الى جانب اقتراحى ، والذى أصبح الآن قرارا للحكومة . وطلبت رابين تليفونيا وأبلغته أن خطة العمليات بما فيها ساعة الصفر ٧٫٤٥ صباح اليوم التـــالى ، قد تمت الموافقة عليها .

وعدت الى تل أبيب ، حيث اجتمعت مـــع رئيس الاركان ونائبه رئيس العمليات لمراجعة خطة العمليات فى الجنوب ثم طرت الى الشمال للاجتماع مع قائد الجبهة الشمالية دافيد اليعازار ، واســتمعت الى تقريره عن الموقف ومقترحاته . وكنت أرى عدم تنشيط الجبهة السورية ولذا فلا داعى لاى عمل أو لاحتلال ثلاث مستعمرات كما كان يرغب ، بل

اننى أرى أن نقوى دفاعنا وأن نتوسع فى حقول الالغام . أما المنطقة الوحيده التى نستطيع التحرك منها فهى منطقة الحمة ، ثم نتقدم غربا بمحاذاة نهر اليرموك لنؤكد مشاركتنا فى ميـاه النهـر وفقا لمشروع جونسون (٥٣ ـ ١٩٥٥) الذى رفضت سـوريا فى آخر لحظة بتأييد من مصر التوقيع على اتفاقيته التى كانت تخول لنا المشـاركة فى مياه النهر مع سوريا والاردن .

وتقرر عقد اجتماع لمجلس الوزراء فى العاشرة صباحا وتم تجهيز حجرة لى فى القيادة العامة لانام فيها فاذا لم تحـدث أى تطورات غير متوقعة ، فان الحرب ستبدا فى الساعه ٥٫٤٧ صباح اليوم التالى .ولم يحدث اى شىء يذكر خلال الليل ، وقرب الفجـر كانت كل قواتنـا مستعدة للتحرك . واتصلت براحيل وطلبت منها تناول الافطار معى . ولم يكن قد بقى على الحرب سوى سـاعة ، وكنت أرغب فى رؤيتها ولو لبضع دقائق . وفى مطعم صغير على بعد عدة ياردات من القيـادة تناولنا أفطارنا ، دون أن أبلغها شيئا عما سيحدث بعد قليل . وعدت الى مكتبى الساعة السابعه والنصف . . وكانت هذه هى المرة الثالثة التى أعين فيها فى مركز رئيسى فى أمور الدولة . الاولى ، عندما عينت رئيسا للاركان ، والثانية عنـدما عينت وزيرا للزراعة ولكن الشعور هذه المرة كان مختلفا ففى هذه المرة كان كل إهتمامى منصبا على الحرب واصبحت الآن ممسكا بمفاتيح الدولة أى حارسـها ، وكانت تسيطر على كل حواسى حالة الحرب .

وفى هذه الحالة يتغير كل شىء فى الانسان ، واعترف اننى شعرت بالرضى والفخر لاننى اخترت لاتولى هذه المسئولية ، فى أكثر لحظات الامة حرجا ، واننى قد حييت بمظاهرات التأييد سواء فى الجيش أو من الرأى العام . وكنت على ثقة من أننى أعرف ما الذى سوف أعمله ، وما لا أعمله ، بالنسبة للعمل العسكرى والسياسى أثناء الحرب . ومع ذلك فقد كنت اعى جيدا تحذيرات بن جوريون من هذه الحـرب ، وآراء ديجول ، وملاحظات دين راسك .

وفى هـذه المرة كنت أتصرف تحت مسئوليتى المباشرة ، فلم يكن اشكول فوقى مثل بن جوريون فى حملة سيناء وبالرغم من أن بن جوريون كان قريبا من مقر قيادتى ، فاننى لم أحاول استشارته ، لانه أصبح يمثل العالم القديم بالنسبة لى . فهو ما زال يقدر ديجول ويحترمه ، وما زال يبالغ فى قوة عبد الناصر ، وما زال غير واثق من قدرة جيش الدفاع الاسرائيلي . وبدات العجلات تدور فى الحرب التى اخوضـها بحدى . .

٢٠ الانفجار

يوم القتال ٥ يونيو « حزيران » ساعة الصفر ٧٫٤٥ صباحا .

فى تمام السابعة والنصف ، وفى مقر قيادة القوات الجوية ، كان الشعور مرهفا ولم تبعد أى عين عن مائدة الحرب ، ولا غفلت أذن عن جهاز الراديو الخاص بالعمليات وعندما وصلت طائراتنا الى أهدافها وكان واضحا أن أمرها لم يكتشف ، تسارعت ضربات قلبى .. لقد نجحت البداية وبدأت الطائرات فى قذف أهدافها . وتلقت القيادة الجنوبية أمر القتال « ناحشوميم : تحرك . حظا سعيدا » .

وتحركت أيضا مدرعاتنا .

وفى غضون ساعة ، بدأت تقارير الطيارين ترد الينا : مئات من طائرات العدو دمرت على الارض ومواقع الصواريخ اما دمرت أو اصبحت غير صالحة للاستعمال . ونادرا ما كانت تصاب لنا طائرة واحدة وهكذا سحقنا قوة العدو الجوية ، وما زالت دباباتنا لم تشترك مع مدرعات العدو . أن الحرب لم تبدأ الا من لحظات ولكنها بداية مشجعة للغاية ، وقد أصبحت مصر بلا طيران ، ولم يكفل ذلك أبعاد الخطر عن مناطقنا السكانية فحسب ، بل أضاف ميزة ضخمة لقواتنا البرية التى أصبح بوسعها أن تعمل بمساعدة الطيران بينما تعمل القوات المصرية بلا غطاء جوى .

وقد تم هجومنا على قواعد الطيران المصرية على موجتين أولاهما بين الساعة ١٤ر٧ و ٣٥ر٨ صباحا . وقد هوجمت خلالها ١١ قاعدة جوية ، ودمرت ١٨٩ طائرة على الارض و ٨ فى الجو خلال معارك جوية ، وأصبحت ٦ مطارات غير صالحة للاستعمال ٠ ٤ فى سيناء واننان فى فايد وكبريت غرب قناة السويس ٠ وكذلك أصبحت ١٦ محطة رادار غير صالحة للعمل .. وفى الموجة الثانية هاجمت ١٦٤ طائرة اسرائيلية ١٤ قاعدة جوية ودمرت ١٠٧ طائرات للعدو ٠ وكانت خسائرنا ١١ طيارا منهم ٦ قتلى (خمسة فى الموجة الاولى وواحد فى الموجة الثانية) و ٢ أسير و ٣ جرحى ٠ وعادت ٦ طائرات سالمة رغم ضربها ، وتم اصلاحها ٠ وقد فقد المصريون فى هذا الصباح ثلاثة أرباع طيرانهم « ٣٠٤ طائرات من ٤١٩ » . وقد نفذت خطة العمليات فى الموجة الاولى تماما كما وضعت ، وكان تخطيطا سليما فى أن الضباط المصريين الكبار يكونون فى هذا الوقت فى طريقهم من منازلهم الى مقر القيادة . كذلك فقد ساعد الطيران المنخفض على عدم اكتشاف الطائرات بالرادار الى أن وصلت الى أهدافها .

وقد أصدر موردخاى هود قائد الطيران الاوامر الى قادة الاجنحة بعد ظهر يوم ٤ يونيو « حزيران » الذين ابلغوها الى قادة الاسراب فى الثامنة من مساء نفس اليوم . وفى صباح اليوم التالى تم ايقاظ الطيارين فى الساعة ٤٥ر٣ صباحا وبدأ العمل بقذف بير جفجافة ، وبعدها بدقيقة قام التشكيل التالى بضرب قاعدة ابو صوير غرب القناة ، ثم قامت التشكيلات التالية بضرب قاعدتى بنى سويف وغرب القاهرة (تعرض لـ ٢٢ طلعة) ٠ وتعتبر تلك الثلاثة أكبر القواعد كانت تقضى باحتلال مدينة العريش خلال يوم او اثنين ، وسنكون فى حاجة الى المطار . وكانت أكثر المطارات تعرضا للخسائر هى ابو صوير « فتعرض لـ ٢٧ طلعة » وفايد « وتعرض لـ ٢٤ طلعة » وغرب القاهرة « تعرض لـ ٢٢ طلعة » . وتعتبر تلك الثلاثة اكبر القواعد الجوية للاعداء ، اذ تحتوى على أكبر عدد من الطائرات وبسبب خطأ فى الملاحة وصل أحد تشكيلاتنا الى مطار القاهرة الدولى ، ولما وجده خاليا من الطائرات الحربية ، لم يمس المطار .

وفى الساعة ٣٤ر٩ صباحا خرجت الموجة الثانية ٠ وقد هاجمت هذه الموجة ١٤ قاعدة من بينها ٦ لم تكن قد هوجمت من قبل . وقد ضمت الموجة الثانية ١٦٤ طلعة ١١٥ طلعة تهاجم المطارات ، و ١٣ طلعة تهاجم محطات الرادار ، والباقى للقيام بدوريات تغطية وحماية للآخرين . وقد هوجمت فى هذه الموجة مطارات بعيدة مثل المنصورة وبلبيس وحلوان والمليز والغردقة والاقصر . وكان مطار ابو صوير هو الذى تعرض للموجتين حيث دمرت فيه ١٦ طائرة بعد ٥٢ طلعة . وعندما بدأت الموجة الثانية كان المصريون على أقصى درجة من الانتباه ، تعرضت طائراتنا فى كثير من القواعد لمقاومة أرضية عنيفة .

وبينما كان هجومنا دائرا على الجبهة المصرية ، بدأت الطائرات السورية والعراقية والاردنية في مهاجمة اسرائيل . وكان السوريون أول من هاجم ، فقد هجمت ١٢ طائرة من طراز ميج ١٧ على اسرائيل فقد هجمت اثنتان على مستعمره داجانيا ، وعلى نقطة قوية في بيت يارح ، وعلى سد على نهر الاردن . وقد أسقطت احدى هذه الطائرات وأخطأت طائرة أخرى - خطأ - مستعمرة عين هاميفراتز ، على أنها مستودعات البترول في حيفا . وهاجمت البقيه مستعمرات كفار هاحوريش .

وكانت الطائرات الاردنيه هي التاليـة في الهجوم ، اذ أقلعت الطائرات الهنتر عند الظهر وهاجمت ناتانيا ومطار سبركين وهناك دمروا طائرة نقل . وبعد ساعة هاجمت ثلاث طائرات هنتر عراقيـة مستعمرة ناحلال - موطني - مصورة أنها تقذف مطار رامات دافيد ، وما أن وصلت التقارير الخاصة بالهجوم السوري والاردني ، حتى أمر موردخاي هود قواته بضرب سوريا والاردن ، بأسرع ما يمكن وفي خلال دقائق تم تحويل ثمانيه تشكيلات في الجو لتتوجه لضرب القواعد الجوية في سوريا والاردن .

وفي الساعة الثانية عشرة والربع بعد الظهر ، انطلقت موجة ثالثة لضرب القواعد الجوية في الاردن ، ضربت قاعدتي المفرق وعمان في ٥٢ طلعة دمرت كل الطائرات الاثنين وعشرين التي تملكها الاردن ، وكذلك ممرات المطارات . وفقدت سوريا ٥٠٪ من قواتها الجوية ، اذ تم تدمير ٥٣ من بين ١١٢ طائرة ، في ٨٢ طلعة على المطارات في دمر ودمشق ومارج ريال وت ٤ . وفقدت العراق عشر طائرات في قاعدة هـ ٣ . وكانت خسائرنا عشر طائرات ومن الطيـارين ٥ قتلى ، وجريحان ، وأسر اثنان . وكان اليوم بالنسبة لرجالنا طويلا مرهقـا ، لكنه تميز بروعة التخطيط وجرأة العمليات .

وكانت خطوتنا الاولى مع مصر ، لكننا كنا نواجه الآن مشـكلة هامة لابد من الاجابة عليها فورا مع سوريا والاردن واضعين في اعتبارنا اتهام العالم لنا حتما بأننا أصحاب الطلقة الاولى .

وقد حاولت خلال هذا النشاط الجوي المثير أن أبقى لأطـول وقت في قيادة الطيران ، وكانت أمامنا لوحة العمليات الزجاجية ، نتابع عليها النشاط من خلال الاشارات التي نتلقاها من الطيـارين . وكان السكوت مطبقا في غرفة العمليات ، ليتيحوا لموردخاي هود فرصـة متابعة الموقف والتفكير ثم اصدار أوامره الحاسمة . وكنت أشاهـد سير المعركة على وجوه الرجال قلما أن يبتسموا اذا ما ضرب هـدف أو يفكرون بعمق اذا أصيبت طائرة لنا .

كانت تربطنى بموردخاى هود صلة قوية فهو أحد أبناء مستعمرة داجانيا مثلى ، وعندما ولـد كنت قد انتقلت مع عائلتى الى ناحلال ، لكن الصلة ظلت قوية ، فقد كان خاله احد مؤسسى ناحـلال ، وكان أبوه هو مرشدى فى دورية قمت بها فى ســوريا عام ١٩٤١ . والآن ، وأنا أرقب لهفة موردخاى على طياريه ، تذكرت صورة والده وهو ينتظر عودتى قلقا من تلك الدوريات .

وكنت قد التقيت فى الصباح فى مطار تل ابيب مع عضاء لجنـة الشئون الخارجية والامن فى الكنيست الذين كان مقررا أن يتوجهوا الى الجبهة الشمالية فى زيارة تم ترتيبها منذ اسبوع ، ولم اشـأ أن أؤجلها حرصا على السرية ، وقد سألونى بمجرد وصولى عمن أطلــق الطلقة الاولى ، فقرأت عليهم بيان المتحدث العسكرى الذى أذيع فى الصباح وجاء فيه « حدث اشتباك عنيف صباح اليوم بين القـــوات الجوية المصرية والمدرعات المتقدمة نحو حدودنا وبين قواتنا التى تقدمت لايقافها » . ولم أجب على سـؤالهم الخاص بالطلقة الاولى ، لكننى بينت لهم أهمية قيامنا بالمبادرة ، وعندئذ لم يعودوا فى حاجة الى أن يخمنوا من أطلق الطلقة الاولى .

وفى نفس الوقت أعلن راديو القاهرة انه اســقط ٤٠ طائـــرة اسرائيلية ، وكان هذا البيان ــ بالطبع ــ غير صــحيح ، لكنى أمرت بعدم الاشارة الى انتصاراتنا على الاقل فى اليوم الاول .

ولم يكن العالم الخارجى فقط هو الذى يحتاج لايضاح ، بل أن شعبنا وجنودنا أيضا كانوا فى حاجة لايضاح . وتحـدث رئيس الوزراء الى الشعب ، وتحدثت أنا الى الجنود فى اذاعة الجيش وقلت لهم « ان الفريق مرتجى القائد المصرى قد أذاع على جنوده أن لعالم كله ينتظـر منهم استعادة أرض فلسطين السليبة » وقلت أيضا « ياجنود اسرائيل نحن لا نهدف الى الغزو ، وانما نريد الدفاع عن أراضينا التى تحـاول مصر الاعتداء عليها ، والدفاع عن مياهنا التى أغلقتها مصر فى وجوهنا . وقد طلبت مصر المساعدة من سوريا والاردن والعراق وعبأت قواتهـم تحت قيادتها . وطلبت أيضا امدادات وصلت اليها وحدات من الكويت الى الجزائر . انهم أكثر منا عددا ، ولكننا سنتغلب عليهم ، فنحن أمة صغيرة لكنها قوية ، تحب السلام ، ومستعدة للقتال دفاعا عن حياتنـا وعن بلادنا . بقواتنا فى الجـو والارض والبحر ، ان آمالنا وأمتنا أمانة بين أيديكم . »

ودخلت سوريا والاردن المعركة فى الساعة ١١٫٤٥ صـباحا ، اذ فتح الاردنيون نيران مدفعيتهم على الحى اليهودى فى القدس ، على طول خط ايقاف اطلاق النار . وبعد نصف ساعة بدأت سوريا بهجوم جوى قصفت فيه مدينتى طبرية ومجيدو . وآثار الهجــــوم الاردنى ثلاثة

أسئلة الاول يتعلق بالقدس التى كان يتمركز فيها لواء من احتياطى : ما هو العمل الذى يجب اتخاذه ومتى ؟ . السؤال الثانى أننا اضطررنا الى تعبئة كل قواتنا فى الجبهة المصرية لتحقيق نصر محقق وسريع، فمن اين اذن نستطيع أن ناتى بالجنود الى الجبهه الشرقية ؟ وكان السؤال الثالث كيف نحمى المدنين من نيران الاردنيين ، فالجبهة الاردنية ليست كالمصرية بل هى ملتصقة بتجمعاتنا السكانية . وكانت المشكلةالتى أثارها دخول سوريا المعركة ، هى هل نرد بحرب شاملة أم بعمليات محدودة فى قصف وهجوم جوى . وكانت وجهة نظرى أنه يكفينا جبهتين ، ويجب ان نتجنب فتح جبهة ثالثة . علاوة على أنه ليس هناك أهداف حيوية لنا فى سوريا كشرم الشيخ أو القدس والضفة الغربية التى تعتبر جزءا من لحم وعظام بل وروح اسرائيل .

وبعد عدة مشاورات فى حجرة العمليات مع رئيس الاركان وضباطه أصدرت الاوامر التالية :

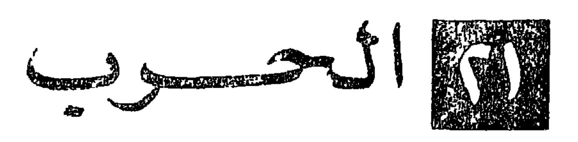
□ تبدأ قواتنا الجوية العمل ضد أى دولة تهاجمنا طائراتها .

□ فى القدس ترد قواتنا على نيران الاعداء ولكنها لا تقصف المدينة القديمة .

□ تعد القوات لعمل حاسم فى الاردن سواء فى القدس بواسطة اللواء العاشر أو فى الشمال بواسطة قوات القيادة الشمالية .

وفى الساعة الثانية عشرة والنصف كانت هناك مشاورات مع رئيس الوزراء وافق فيها على رأيى بأن يحتل اللواء العاشر جبل المكبر وأن تتعامل القوات الجوية مع الاهداف الحيوية فى الاردن وسوريا ، وأن تحتل قوات القيادة الشمالية منطقة جنين لابعاد قاعدتنا الجنوبية فى رامات دافيد عن مرمى المدفعية الاردنية .

وسألنى رئيس الاركان هل يمكن خلال عملية جنين احتلال « ياعباد » التى تقع على بعد أميال الى الغرب من جنين ، فوافقت ولقرية « ياعباد » خلفية تاريخية ، فهناك بيع يوسف منذ ٣٥٠٠ سنة الى تجار مدين ، وهناك أيضا أيام الانتداب باعت امرأة عربية عز الدين القسام ورفاقه الذين كانوا مختبئين فى كهف للقوات البريطانية . ويضم الكتاب المقدس نهاية سعيدة لحلم يوسف ، كما أن القسام وعصابته أعدموا ، اذا فالى العصر الحديث .



خلال السنوات العشر التى أعقبت حمله سيناء عام ١٩٥٦ قام المصريون بنقل قوات كبيرة الى سيناء ، وبناء استحكامات قوية لخـدمة غرضى الهجوم والدفاع • وكانت منطقـــة النقب الاسرائيلية المجاورة للحدود ، مكاناً ملائماً للمصريين للاعداد اما لغزو اسرائيل أو للتصدى لاى هجوم اسرائيلى على سيناء • كما تمت اقامة مراكز قوية فى الداخـل فى أعماق سيناء ، لتغذية الجبهة الشمالية بالامدادات ، ولتأمين خطوط دفاعية خلفية اذا ما سقطت الخطوط الامامية •

وكانت أقوى الاستحكامات الشرقية ، تلك التى تتحكم فى الطرق الموصلة الى اسرائيل والتى يمكن استخدامها فى الغزو المصرى ، والتى تقف فى نفس الوقت عقبة اضافية أمام أى محـــاولة اسرائيلية لعبور سيناء ، وكانت الطريق الوحيدة التى يمكن استخدامها فى سيناء لعبور السيارات العسكرية الثقيلة هى تلك الطرق التى تقع فى شمال شبه الجزيرة ، لانها متسعة ومسطحة • ويختلف الامر تمـــاما فى المثلث الجنوبى الجبلى الذى يحده خليج السويس من الغرب وخليج العقبة من الشرق وعند قمة المثلث تقع شرم الشيخ • ولا يمكن الوصول اليها الا عن الطريق الساحلى الممتد من خليج الســـويس • ولذا كانت عملية

اختراق الطريق الساحلي لخليج العقبة ، التي قام بها اللواء التاسع عام ١٩٥٦ ، مفاجئة ضخمة للمصريين ٠

ومع ذلك فان الطرق الرئيسية في شمال سيناء كانت عبارة عن طريقين ٠ الشمالي والاوسط وطريق جنوبي فرعي ٠ وكانت هذه الطرق متصلة بطرق أخرى فرعية وممرات الى الطريق الساحلي الشمالي الذي يتجه الى القنطرة على ضفة قناة السويس ٠ وقام المصريون بانشاء ممر الى رفح في الركن الشمالي الشرقي من سيناء ، يقع في طرف غزة الجنوبي ٠ ويمكن لهذا الطريق أيضا أن يكون نقطة انطلاق للقوات المصرية على الساحل الجنوبي لاسرائيل ٠ وفي عام ١٩٤٨ استخدم المصريون رفح وقطاع غزة كنقطة للهجوم على دولة اسرائيل الجديدة ٠

وأنشأ المصريون عدة ممرات للدفاع عن حامية أبو عجيلة وأم كتف وبذلك كان في استطاعة المصريين استخدام أبو عجيلة كقاعدة هجوم على اسرائيل وتهديد بير سبع ٠ وكذلك أنشأوا ممرات الى القسيمة ، والكونتلا ، توصل الى الطريق الجنوبي الرئيسي حتى بور توفيق ٠ كما أن طرق القسيمة والكونتلا تخدم الهجوم المصرى على ايلات ٠

وكانت استحكامات خط الدفاع المصرى على الجبهة تصل الى عمق ٢٠ ميلا مزودة بالمدفعية والمدافع المضادة للدبابات ، كما أن بها دشما للدبابات ومواقع للمراقبة ٠ والحراسة ، والآن ، وفي العملية التي أسميت فيما بعد بحرب الايام الستة ، لم تكن هناك فقط تلك الاستحكامات القوية ، بل أيضا تلك التشكيلات الضخمة من المدرعات والمشاة التي دخلت الى سيناء خلال الاسابيع الثلاثة الماضية ٠

كانت خطة اسرائيل الهجومية تقضي بأن يبدأ الهجوم على رفح التي تمثل أقوى الاستحكامات في القطاع الشمالي ، وأبو عجيلة التي تمثل أقوى الاستحكامات في القطاع الاوسط ، وأن يبدأ الهجوم من اتجاه غير متوقع ومن طرق غير متوقعة ثم نتقدم من خلال الثغرات ، وقد نتسابق نحو قناة السويس ، ونحتل أو نعزل قواعد العدو التي في طريقنا ، ونشتبك مع مدرعات العدو ، ونوقع قوات العدو في سيناء في فخ أثناء محاولتها الفرار ، ونؤمن الطريق البرى الى شرم الشيخ ٠ وقام بالهجوم على المصريين في سيناء ثلاثة تشكيلات بقيادة الجنرالات اسرائيل طال واريك شارون وافراهام يوفي تحت قيادة قائد الجبهة الجنوبية يشعياهو جافيش ٠

وفى أثناء قيام الطائرات بضربتها الجوية صباح يوم الاثنين ٥ يونيو (حزيران) قام تشكيل بالهجوم فى قطاع شمالى متجهـا الى رفح يتقدمه لواء شاميل المدرع ، وفتح الطريق الساحلى الشمالى واحتل قيادة التشكيل المصرى الى أن وصل الى مشارف العريش مع حلول الظلام • وقد استغرق احتلال رفح يوما كاملا من القتال • ولقى هذا التشكيل مساعدة من الجنوب بواسطة لواء المظلات بقيادة رافول ايتان . وكان هناك قتال عنيف فى ذلك اليوم على الطريق الغربى قرب العريش وسقطت العريش فى اليوم التالى ، وكذلك مطارها الذى بدأت قواتنا الجوية فى استخدامه فورا وانطلقت وحدة استطلاع ووحدة مظلات فى سيارات نصف مجنزرة متجهة غربا نحو قناة السويس •وفى هذه الاثناء اتجهت الوحدات المدرعة للهجوم على العدو فى قلب سيناء والالتحام مع قواتنا التى تقدمت فى القطاع الاوسط •

وقاد الهجوم على القطاع الاوسط اريك شـارون فى عملية معقدة راعى فيها التوقيت والتنسيق بين المدرعات والمشاة وقوات المظلات • وقد بدأ شارون هجومه على أم كتف ليسيطر على مفترق الطرق الى أبو عجيلة • ونزلت قوات المظلات خلف خطوط الاعداء ودمرت مواقع المدفعية التى كانت تقصف قوات شارون المتقدمة نحو أم كتف • وتقدم لواء مشاة تحت وابل من النيران وهاجم الاستحكامات وطهرها فى اشـتباك رجل لرجل • واشتبك اللواء المدرع مع الدبابات فى أم كتف ، بينما تقدمت كتيبة مدرعة غربا ثم قامت بحركة التفاف دائرية لاقتحام أبو عجيلة • وقبل أن تنتهى المعركة انضـــم لواء مدرع من قوات يوفى للاشتراك فى هذه المعركة فى تنسيق كامل مع شارون • بتحرك اللواء المدرع على خطوط شارون وضغط على الناحية الغربية وفى نفس الوقت وصل لواء آخر من قوات يوفى ، وتحركت دباباته بين القطاع الشمالى والاوسط • واستغرق اختراق هذا المحور يومين • ولم يكن الهجوم على هذا المحور مفاجأة للمصريين ، بل كانوا مستعدين للدفاع بكل أسلحتهم • لكن المصريين هزموا بسبب المفاجأة التى ظهرت من قدراتنـــا القتالية الهائلة فى مجالين ، أولهما تصميمنا ــ مهما كانت الخسائر ــ على التقدم واحتلال الاهداف رغم كل الصعوبات • وثانيهمـــا أن المصريين كانت تنقصهم الخبرة التى لا بد منها للمحترفين ، مثل التعـاون بين مختلف الاسلحة والتقدم السريع فى الخطط لمواجهة تغيرات الموقف ، والمهارة القتالية التى بدت من خلال عمل تشكيلاتنا الثلاثة •

وفى نهاية اليوم التالى بدأ المصريون فى المواقع المتقدمة فى الانسحاب بعد أن تلقوا أمرا بذلك من القاهرة • وعندما علمنا أن العدو أخذ يخلى

دوانه من شرم الشيخ ، صممنا بسرعة على تقديم موعد تقدمنا الى شرم الشيخ . وقررت اسقاط وحدة مظلات فورا دون انتظار وصول قواتنا البرية اليها . وفى الساعة الواحدة بعد ظهر يوم ٧ يونيه (حزيران) وصلت طائرات الهليوكوبتر محملة بجنود المظلات الى شرم الشيخ . فوجدت زورقى طوربيد اسرائيليين فى الميناء . وكانت قوة بحرية بقيادة الكولونيل بوتزر قد وصلت فى الحادية عشرة والنصف صباحا ووجدت شرم الشيخ خالية . وبعد ثلاثة أرباع الساعة رفع العلم الاسرائيلى على سطح المستشفى التى أنشأتها قوات الطوارئ الدولية قبل مغادرتها بناء على أمر عبد الناصر . ووقع أول فوج من الاسرى المصريين فى المنطقة فى أيدى القوات البحرية الاسرائيلية ، وكانوا ٣٣ من قوات الكوماندور يحتلون جزيرة تيران . وقد قبض عليهم بكامل أسلحتهم عندما كانوا يحاولون الهرب الى مصر فى قاربى صيد . وهكذا تم ، بالحظ وبدون دراما ، رفع العلم الاسرائيلى مرة أخرى على شرم الشيخ . وانتهى اغلاق المضايق ، وتحقق أهم أهداف حملتنا .

وفى مساء نفس اليوم ٧ يونيو (حزيران) علمنا ان مجلس الامن سيجتمع صباح اليوم التالى وهناك احتمال – تحت ضغط الاتحاد السوفيتى بأن يصدر قرارا فوريا بايقاف اطلاق النار . وتمت مشاورات سريعة ، أصدر رئيس الاركان بعدها أوامر فورية فى العاشرة مساء لتسكيلين بالتقدم فورا نحو القناة ونحو رأس سدر فى خليج السويس وكانت على قوات طال أن تمنع القوات المصرية المنسحبة من عبور قناة السويس وتأمين اتصال خط القتال مع قواتنا فى شرم الشيخ .

وتقدمت احدى وحدات طال ، الى مسافة عشرة أميال من قناة السويس وتبع ذلك اسقاط لواء مظلات . وبعد معركة عنيفة مع الكوماندوز المصريين ، وصلت قواتنا الى قناة السويس وقامت باحتلال القنطرة شرق ، ثم تقدمت جنوبا مع أول ضوء . وفى السابعة والنصف صباحا يوم ٩ يونيو (حزيران) وصلت الى مفترق طريق الاسماعيلية عند كوبرى الفردان . وبوصولنا الى كوبرى الفردان تم اغلاق المعبر الرئيسى للقوات المصرية المنسحبة .

وفى نفس الوقت قام لواء من قوات يوفى بعملية التفاف ناحية الجنوب الغربى وقطع طريق الانسحاب على المصريين من ممر متلا ، الذى سدته بالسيارات المحترقة التى هوجمت بالطائرات . وعندما وصلت قواتنا كانت مئات الدبابات والسيارات المدرعة الخفيفة ، وسيارات النقل التابعة للعدو متجهة فى قوافل نحو ممر متلا للهرب . واخترقت احدى

وحداتنا (٩ دبابات) طريقا محصورا لقطع الطريق الى الممر أمام القوات المنسحبة . وتم تدعيم هذه الوحدة بعشرة دبابات اضافية فى صباح اليوم التالى . وأحالت الطائرات الممر الى مقبرة للمعدات المصرية المنسحبة .

وقامت قوات يوفى باحتلال ممرى متلا والجدى ، وتقدمت الى القناة بعد أن خاضت معركة عنيفة ضد دبابات مصرية أحسن انتشارها بهدف اتاحة الفرصة للقوات المنسحبة للمرور . ثم توجه أحد ألوية يوفى بعد ذلك جنوبا على الساحل الشرقى لقناة السويس وقامت قوات اريك شارون - بعد معارك الاختراق التى تمت بالاتجاه جنوبا وجنوب غرب لتحطيم القوات المدرعة للعدو أثناء انسحابها . وبعد أن نصب كمينا ضخما لدبابات العدو فى نخل ، اتجه الى متلا .

وكان قطاع غزة قد هوجم فى اليوم الاول ، رغم أننى كنت أعارض هذا الهجوم ، لان تصورى أن القطاع سيسقط ويستسلم بدون معركة اذا تم احتلال رفح والعريش . ولكن المدفعية فى غزة بدأت تقصف مستعمرات الحدود ، مما اضطر قائد الجبهة الجنوبية الى طلب اصدار الاوامر باحتلال القطاع فورا . واستغرق القتال أكثر من يومين لاحتلاله . وقد كان من الممكن تجنب معركة غزة .

واستكملت عمليه الاستيلاء على سيناء مساء يوم ١٠ يونية (حزيران)، بالاستيلاء على أبو زنيمة ، وهى قرية صيد صغيرة على الساحل الشرقى للقناة . فتحركت قوات من رأس سدر الى الجنوب وتحركت قوات المظلات من شرم الشيخ الى الشمال ، حيث احتلت فى طريقها الطور ومنطقة آبار البترول الغنية فى أبو رديس . وتأخرت عملية التحام القوات المتجهة الى أبو زنيمة جنوبا وشمالا ٤٤ ساعة وعندما وصلت اليها كنت غاضبا ولكننى وجدت أبو زنيمة مسترخية فهنا ومنذ ٣٥٠٠ سنة رست المراكب لتأخذ الرخام والفيروز لبناء قصور فراعنة مصر .

وبعد معارك دموية استمرت أربعة أيام ، وبعد الفشل والصدمه التى وجهها عبد الناصر وجنوده ورفاقه السياسيين والعسكريين . قبل عبد الناصر وقف اطلاق النار يوم الخميس ٨ يونيو (حزيران) .وقد فشل قادته العسكريين فى فهم رد فعل اسرائيل ازاء اغلاق المضايق البحرية ، رغم أن المؤشرات كانت واضحة أمامهم ، وخاصة بعد تشكيل حكومة الوحدة القومية فى اسرائيل ، اذ بات واضحا أن اسرائيل تنوى كسر اغلاق المضايق ، ولا بد أن يبدأ ذلك بمعركة فى قلب سيناء .ومع

ذلك فقد أقنع المصريون أنفسهم بأن اسرائيل لن تجرؤ على القيام باى عمل • وقد سمع عبد الناصر بأذنيه أن الحرب بدأت وسمع انفجارات فى مطار غرب القاهرة أما قائد الجيش عبد الحكيم عامر فقد رأى بعينيه قيام الحرب عندما شاهد أعمدة الدخان ترتفع من مطار أبو صوير وقد فشل عبد الناصر وقادته فى تطويق خطة العمليات الاسرائيلية بعد بداية المعارك ، وفشلوا أيضا فى تقدير سير المعارك على الوجه الصحيح، الا عندما أصبح الوقت متأخرا لعمل مضاد • وأخيرا فانهم فشلوا فى الرد السريع على ضربتنا الجوية الاولى ، وكان تأثير الصدمة نفسيا أكثر منه قتاليا فى بداية الحرب ، لان اسرائيل سيطرت على السماء ولم تقصف المدن المصرية وكان فى وسع القوات المدرعة المصرية فى الجبهة أن تخوض معارك حتى بدون غطاء جوى •

وفى الساعة ٩٫٣٥ مساء يوم ٨ يونيو أخطر يوثانت سكرتير عام الامم المتحدة مجلس الامن أن ممثل مصر قد أبلغه بموافقة مصر غير المشروطة على ايقاف اطلاق النار • وكان ذلك يعنى موقفا عكسيا كاملا من جانب مصر • فقبل ذلك بسبعة دقائق ، كان المندوب السوفيتى فى مجلس الامن قد قدم مشروعا بانسحاب كامل لاسرائيل حتى حدود عام ١٩٤٩ • وقبل ذلك بأربع وعشرين ساعة كان عبد الناصر قد أبلغ رؤساء الجزائر والعراق وسوريا والملك حسين ، أن مصر لن توقف القتال ما دام هناك جندى اسرائيلى واحد على تراب مصر • وقد قال عبد الناصر ذلك بعد أن أصدر مجلس الامن قرارا بايقاف اطلاق النار اعتبارا من العاشرة مساء يوم ٧ يونيو (حزيران) • ولم يكن عبد الناصر يطلق شعارات فارغة ، بل كان — يريده — ويعتقد أن فى امكانه عمل ذلك • وفى نفس المساء أصدرت القيادة العامة المصرية أمرا بالقيام بهجوم مضاد وحاولت احدى الوحدات المصرية ذلك فعلا • وعلم عبد الناصر بحقيقة الموقف ليلة ٨ يونيو (حزيران) عندما سمع أن القنطرة شرق قد سقطت ، وانه ليس هناك أمل فى اقامة خط دفاعى • وعندئذ أرسل تعليمات لممثل مصر فى الامم المتحدة بقبول وقف اطلاق النار •

وكانت قواتنا قد أصبحت بالفعل على قناة السويس عندما قبلت مصر وقف اطلاق النار • وبدأت أفكر فى انشاء خط يبعد عن القناة بمسافة ١٢٫٥ ميلا ، بحيث يسمح لمصر بالحفاظ على الحياة الطبيعية فى منطقة القناة ، وبعد مشاورات عاجلة مع رئيس الوزراء ورئيس الاركان وجدنا أن مصر ، بالرغم ، من قبولها وقف اطلاق النار ، فان القوات المتبقية ، يمكنها أن تستمر فى محاولة دفع قواتنا الى الوراء ، وأن الولايات المتحدة على وشك تقديم اقتراح لمجلس الامن بأن تسحب

كل من مصر واسرائيل قواتها لمسافة ستة أميال من القناة • وعلى ذلك تقرر الغاء الامر القديم ، على أن ينفذ بعد أن تنتهى الحرب •

وبعد أن بدأت ضربتنا الجوية على مصر يوم ٥ يونيو (حزيران) أرسلنا رسالة الى الملك حسين ، عن طريق قائد هيئة مراقبة الهدنة الجنرال النرويجى أود بول ، وأخبرناه فى هذه الرسالة أنه اذا ظل بعيدا عن القتال الدائر فلن يصيبه أى أذى • وأرسل حسين رده الساعة الحادية عشرة حيث قال اننا ما دمنا قد هاجمنا مصر فاننا سنتلقى الاجابة الاردنية من الجو • وبعد ذلك بقليل بدأت القوات الاردنية فى مهاجمة اسرائيل • ثم اتبعته بقصف عنيف على الحى اليهودى بالقدس وعدة مراكز اسرائيلية أخرى وأيضا على مطارنا الدولى فى اللد • وفى الساعة ١٫٥٥ بعد الظهر تلقينا رسالة من الجنرال أود بول تقول أن مبنى قيادته خارج القدس ، والذى يقع بين الخطوط الاسرائيلية والاردنية ، قد احتله الاردنيون •

ولم يعد أمامنا الآن الا أن نشتبك مع الاردن على نطاق واسع رغم أننا لم نكن نود أن نستدعى قوات من سيناء • وبدأ الطيران الاسرائيلى مهمته وفى خلال ساعات ، كان الطيران الاردنى كله قد انتهى • وتلقى الجنرال عوزى ناركيس قائد الجبهة الوسطى ، الامر بأن يسترد مبنى هيئة الامم المتحدة ، وأن يمضى لاحتلال قرية عربية تقع بين بيت لحم والخليل ، وبعد ذلك اقتحمت وحدات من القوات الشمالية الحدود الشمالية ودخلت سماريا ، واحتلت عدة مواقع أردنية متقدمة • وكان لا بد علينا أن نستمر فى المعركة على هذه الجبهة بكل قوتنا • وكانت اهم نقطة جغرافيا وسياسيا بالنسبة لنا هى القدس ، التى قسمت منذ عام ١٩٤٨ الى نصفين ، فأصبحت المدينة القديمة تحت سيطرة العرب• وكان هناك لواء احتياطى بقيادة الكولونيل يورى بن آرى على مسافة عشرة أميال غرب القدس ، كما كان هناك لواء مظلات احتياطى بقيادة الكولنيل موتا جور يستعد للاقلاع لعملية فى سيناء ، فتلقى أمرا بالتوجه الى القدس •

وبينما كانت هذه الوحدات تتحرك كنت انا ايضا فى طريقى الى القدس لاداء واجب دستورى اذ كان تعيينى ، وزيرا للدفاع منذ أربعة أيام يتطلب موافقة الكنيست • عندما وصلت الى الكنيست كانت الاجزاء اليهودية من القدس تتعرض لقصف أردنى وكان الجميع فى المخبأ ، فعدت الى القيادة ، وفى مساء نفس اليوم أبلغت أن الكنيست قد وافق على التعيينات الوزارية الجديدة ، ويمكننى أداء القسم فى أى وقت بعد

الحرب وكان ممثلو الحزب الشيوعى الاربعة هم الوحيدون الذين عارضوا تعييني . وقال أحدهم ، وهو عربي (توفيق طوبي) أن ذلك معناه أن أربعة يؤيدون السلام ويدينون الحرب .

وابان اجتماع الكنيست ، كان لواء بن آرى يخترق المواقع الاردنية على التل الواقع غربي القدس ، واستمر في تقدمه طوال الليل مشتبكا في معارك عنيفة ليصل الى القدس من الشمال بالقرب من جبل المكبر الذى يطل على كل المدينة القديمة ظهر اليوم التالى ٦ يونيو (حزيران) . وهناك التقى مع كتيبة المظلات التى قاتلت قتالا عنيفا لفتح طريق الى جبل المكبر وتعرضت لخسائر كبيرة . وبدأت قوات موتا جور عملياتها في الساعة ٢٫٣٠ صباح يوم ٦ يونيو (حزيران) بدون أية عمليات استطلاع نظرا لتغيير المهمة التى كلفت بها . وكان أول عمل لها أن تفتح طريقا الى جبل المكبر وجبل الزيتون . ولكى يتم ذلك كان لا بد من اقتحام منطقة متقدمة تحتلها مدرسة البوليس الاردنية . وخلال الاقتحام تكبدت قواتنا خسائر كبيرة الى أن احتلت هذا المركز . واستمر اندفاع القوات نحو التل الذى يقع خلفه ، حيث دمرت كل المواقع في طريقها . وكانت الدماء تراق بغزارة فى كل خطوة تتقدمها القوات . وتم احتلال آخر نقطة للعدو فى الساعة ٦٫١٥ صباح يوم ٦ يونيو (حزيران) . وكانت معركة التل من أعنف المعارك خلال الاشتباك مع القوات الاردنية ، اشترك فيها خيرة رجال جيش الدفاع الاسرائيلي . وقد كلفتنا هذه المعارك ثمنا عاليا للوصول الى الاهداف اذ قتل ٢١ وجرح أكثر من نصف الضباط والقوات التى اشتركت فيها .

وعندما وصلت الى جبل المكبر بعد ذلك ، اخبرني ناركيس أن قوات المظلات ستقوم بعد الظهر باحتلال مبنى أوجستا فيكتوريا الذى يقع بين جبل المكبر وجبل الزيتون ، حتى يمكن عزل القدس من الشرق . غير أن الخسائر الكبيرة التى تعرضنا لها حتمت ارجاء العملية لليوم التالى ، وباحتلالنا مبنى أوجستا فيكتوريا صباح يوم الاربعاء ٧ يونيو (حزيران) ، وسيطرتنا على الطريق الرئيسى الى أريحا ، كانت عملية حصار القدس قد تمت . ومن نقطة المراقبة أمام فندق انتركونتننتال فى جبل الزيتون ، أصدر موتا أوامره لقادة الكتائب بالتقدم الى بوابة الاسود ودخول المدينة القديمة . فدخلوا من البوابة ثم استداروا غربا من ناحية جبل المعبد ثم اتجهوا الى الحائط الغربى . وفى نفس الوقت كان لواء القدس بقيادة اليزر آفتياى يستعد لدخول المدينة من الجنوب، وبعد ساعة ونصف كان قد استولى على كل المواقع العربية وطهر المنطقة

الواقعة عند جبل صهيون من حقول الالغام • وبعد ذلك مباشرة دخلت القدس المحررة واتجهت الى الحائط الغربي •

وقام لواء يورى بن آرى المدرع باحتلال الرملة وأريحا التى تركزت فيها قوات ضخمه من الدبابات وسـيارات النقل ، تنتظر دورها فى الانسحاب لعبور نهر الاردن ، تم عبرت بعض الوحدات النهر الى الضفة الشرقية ، ونتيجة لذلك نسلمنا رسالة عاجلة من السفير الامريكى • فقد كان الملك حسين قد اتصل بالسفير الامريكى فى عمان وأخبره أن القوات الاسرائيلية عبرت نهر الاردن متجهة الى عمان والسلط • وعلى الفور امرت بأن تعود القوات الاسرائيلية الى الضفة الغربية وأن نقوم بنسف الجسور دليلا على نيتنا فى عزل أنفسنا عن الضفة الشرقية • وهـكذا وصلنا الى الحد الشرقى من حدود القتال • وكانت مدينة أريحـا أو مدينة النخيل كما تقول عنها التوراة هى أقدم مدينة فى العالم ، وهنا جرت أحداث التاريخ اليهودى القديم ، وما زال أحد آبار المياه يحمل اسما يهوديا قديما •

ودارت معركة أخرى بالدبابات بعد ظهر نفس اليوم الاربعاء ٧ يونيو (حزيران) ، وهى معركة احتلال نابلس قرب موقع مدينة سكيم فى التوراة وواجه ملازم بأربعة دبابات طابورا من دبابات باتون القوية دمر سبعا منها علاوة على بعض المعدات الاخرى •

وقبيل ظهر يوم الخميس أبلغت القيادة الوسطى القيادة العامة أن لواء القدس قد اتجه جنوبا والتحم مع قوات القيادة الجنوبية ، واستولوا على بيت لحم والخليل وتوجهت الى القدس وصحبت معى ناركيس ، حيث عبرنا الحدود القديمة بين القدس وبيت لحم ومن هناك حتى الخليل اختفى كل أثر للحرب ، وفيما عدا السيارات العسكرية فقد كانت الحياة تمضى كالمعتاد •• والحقول عامرة بالكروم والزيتون والتين •

ثم عرضا على منطقة عصيون التى دمر العرب المستعمرات الاربعة التى كانت موجودة فيها حتى عام ١٩٤٨ • وسرحت خواطرى مع الرواد الاوائل الذين بنوا هذه المستعمرات ، وقلت لنفسى أنه لا بد من اعادة انشاء هذه المستعمرات • وذلك بالفعل ما حدث بعد عدة أشهر اذ عاد اولاد هؤلاد الرواد ليبنوها من جديد ويجعلوا منها مقرا دائما لحيـاة أطفالهم وأحفادهم •

وبعد ذلك ذهبنا الى الخليل حيث زرنا المسجد الابراهيمى ودخلنا الى مقبرة (مكفيلا) التى دفن فيها أنبياء اليهود كابراهيم واسحق ويعقوب

وزوجاتهم واهتزت مشاعري عندما أحسست بأن اليهود سوف يعودون الى زيادة هذه الاماكن المقدسة بعد أن حرموا منها طويلا وقررت أن أسمح لليهود والمسلمين بزيارة هذا المكان والصلاة فيه ٠

وفي خلال هذه الجولة أعطيت قائد القوات الجنوبية توجيهاتي بانشاء مستعمرات دائمة في منطقة جبل الخليل ومنطقة القدس ، وبعد ذلك تستكمل الحلقة في الشمال بانشاء المستعمرات والمعسكرات في جنين ونابلس ورام الله لنتمكن من السيطرة على نهر الاردن بأقل قوات ممكنة

وحتى هذه اللحظة كانت كل من اسرائيل والاردن قد أعلنتا استعدادهما لايقاف القتال ، في حين رفضت مصر وسوريا الانصياع لقرار مجلس الامن ٠ وطلبنا عقد اجتماع مع ممثلي لبنان اذ بدا الوقت مناسبا لاجراء محادثات من أجل عقد اتفاقية سلام بيننا أو التوصل الى اتفاقية أخرى قد تكون مفيدة ، ولكنهم رفضوا الاتصال بنا قائلين انه على الصعيد الرسمي فان لبنان ما زالت في حالة حرب مع اسرائيل ٠

وكان لخروج الاردن السريع من الحملة اثران هامان ، اولهما عسكري ، هو أنه أصبح بمقدورنا نقل قواتنا من الجبهة الاردنية الى الجبهة السورية ٠ وثانيهما سياسي ، وهو أن الفلسطينيين لم يشتركوا في هذه الحرب ، ولم يتعرضوا لاية خسائر ، وكان ذلك كفيلا بالمساعدة على وضع أسس جديدة لعلاقاتنا مع الفلسطينيين الموجودين في الضفة الغربية ٠

وفي اليوم الاول من الحرب كانت مصر قد طلبت من سوريا أن تبدأ هجوما شاملا علينا ، ولكن الرد السوري كان مجرد عدة عمليات تافهة كقصف بعض القرى ٠ وعندما قامت قواتنا بضرب القواعد الجوية السورية وحطمت ٥٣ طائرة سورية ، أصدرت الحكومة قرارا هاما كان له تأثيره البالغ على الحرب ٠ وكان القرار بالغاء (عملية عبد الناصر) وبأن تبدأ (عملية جهاد) ٠ وفي ضوء الخطة الجديدة قام السوريون يوم ٦ يونيو (حزيران) بهجومين فاشلين في القطاع الشمالي على بعض المستعمرات والمواقع العسكرية ٠

وفي الساعة ١١ر٣٠ صباح الجمعة ٩ يونيو (حزيران) ، بعد أن خرجت الاردن ومصر من المعركة ، قامت قواتنا بالهجوم على سوريا وبدأت بالمواقع الامامية ، وبعدها بيوم ونصف سرى مفعول وقف اطلاق النار ٠ واستمرت عملية الاختراق سبع ساعات ، ولكنها كانت ساعات

عنيفة وأثناء الليل لم يبق الا موقع واحد سـوري ظل يحارب ، وبعد اختراقنا النقط الامامية اهتز النظام العسكري السوري بأكمله . وفى ظهر نفس اليوم عندما اكتشف القادة السوريون أن مرتفعات الجولان أصبحت مهددة ، زادوا من نشاطهم فى محورين : الاول من أجل الوصـول الى ايقاف اطلاق النار ، والثانى على الصعيد العسكرى حيث قاموا بالانسحاب من الجولان القوية لعمل خط دفاعى لحماية دمشق .

وتحولت معركة الجولان لتصبح معركة من مرحلة واحدة هى عملية الاختراق فقط ، وتم ذلك بعد عدة معارك عنيفة تعرضنا فيها لخسائر كبيرة ، وقد بدأت العملية بلواء البرت المدرع ولواء الجولان بقيادة يونا بينما قام اللواء المدرع ولواء المشاة باختراق الحدود وعبورها وعندما بدأت عملية الجولان ارتكبت كتيبة المقدمة خطأ فادحا فبدلا من أن تهاجم زاعورة ثم تتجه الى كالا ، اتجهت مباشرة الى كالا التى تغطيها حقـول الالغام والمدافع المضادة للمدرعات . واكتشف قائد المقدمة خطأه فقرر أن يهاجم من وضعه الخاطىء من الجنوب بدلا من الشمال . وكانت معركة رهيبة تعرضت خلالها قواتنا للقصف ولحقول الالغام وللمدافع المضادة للدبابات وارتفعت الخسائر بمعدل عال ، وجرح قائد الكتيبة وقتل نائبه بعد عشر دقائق ، وتولى القيادة ضابط صغير . ولم يبق معه سـوى دبابتين وقتل ١٣ رجلا وجرح ٣٣ ، وعندئذ تدخلت القوات الجوية لتدفع الدبابات السوفيتية الى الانسحاب ، وانتهت عملية احتلال كالا فى الساعة ٦٫٣٠ مساء وسرعان ما سقطت زاعورة بعد قتال عنيد .

وقامت كتيبة مشاة ميكانيكية باحتلال الموقع الثالث على الجولان وهو تل فخر . وكانت تساند الكتيبة جماعة دبابات وبينما كانوا فى طريقهم الى هدفهم ، وقعوا تحت نيران المواقع السورية المتمركزة فوقهم ، وأصيب ٦ سيارات نصف مجنزرة ، وتحطمت أربع دبابات ، وسـدت الطريق . وبعد عدة دقائق نسفت السيارة نصف المجنزرة التى تحمل المورتار . وانقسمت المجموعة ـ على الاقدام ـ الى جماعتين فى كل منهما ١٣ فردا ، ولكنهم لم ينجحوا اذ لم يبق منهم على قيد الحياة الا فردان . ولم يتسن احتلال تل فخر الا بعد وصول امدادات ومعدات قادها نائب لواء الجولان .

وفى صباح اليوم التالى ، السبت ١٠ يونيو (حزيران) ، وجدت قواتنا كل المواقع السورية خالية بعد أن اخلاها العدو اثناء الليل ، تاركين خلفهم مدافع مضادة للدبابات ومدافع أوتوماتيكية خفيفة وثقيلة . وقد تسببت هزيمة اليوم السابق وقصف الطائرات الاسرائيلية فى تحطيم

روحهم المعنوية ، كذلك فقد ساهم فى تحطيم معنوياتهم ما أذاعه راديو دمشق من اننا احتللنا مدينة القنيطرة • وقد أذاعت الحكومة السورية هذا الاعلان فى الساعة الثامنة والنصف صباحا لتدفع مجلس الامن الى اصدار قرار بايقاف اطلاق النار والحقيقة أنه - حتى تلك اللحظة - لم يكن هناك جندى اسرائيلى واحد فى مرمى النظر من مدينة القنيطرة • وما أن سمع الجنود السوريون هذا الاعلان حتى هجروا مواقعهم وأخلدوا الى الفرار وعندما دخلنا القنيطرة ، ظهرا ، كآخر هدف فى غزو الجولان وجدناها خالية • وكان خط ايقاف النار يمتد ما بين مسعدة شرقا مارا بالقنيطرة • ثم رافد غربا • وكان هذا هو الخط الذى حددته لكى تقف عنده قواتنا فى الجبهة السورية • لم تكن هناك قناة السويس أو نهر الاردن ، ولذا كان لا بد أن تقام حدود بيننا وبين السوريين تعكس وضعنا عسكريا وموقفا سياسيا • وكان هذا الخط من الناحية الجغرافية ممتازا فى الدفاع ، اذ كان يبعد ١٥ ميلا من نهر الاردن . الامر الذى يعنى أن مستعمراتنا فى شمال الجليل ستكون بعيدة عن مرمى نيران المدفعية السورية وكان على السوريين أن يروا أن موقفنا الحال خطير وليس فقط بسبب اننا احتللنا جزءا من أراضيهم ، وانما لاننا الآن فوق مرتفعات الجولان ونبعد عن دمشق مسافة ٤٠ ميلا فقط . ولا يوجد أى عائق يمكن أن يوقف تقدمنا نحوها • عندما يحلو لنا •

وقد حدث ذلك بالفعل اذ تخيل السوريون اننا فى طريقنا لاحتلال دمشق ، واتصلوا بالسوفييت ، الذين اتصلوا بدورهم بالرئيس الامريكى محذرين من أنه ما لم يوقف التقدم الاسرائيلى فانهم سيتدخلون لمساعدة السوريين واتصل دين راسك بأبا ايبان وبسفيرنا فى واشنطن وأخبروهما اننا اذا لم نتمتل بقرار مجلس الامن بايقاف اطلاق النار ، فان موقفنا سيكون سيئا • وأخبرناهم بدورنا أننا لا نهتم باحتلال دمشق ، وانما نحن نريد فقط أن نبعد مستعمراتنا على الحدود الشمالية عن مرمى نيران المدفعية السورية ، ولهذا فنحن مستعدون لقبول وقف اطلاق النار المتبادل ، ولم أعرف ما الذى قاله الامريكيون للروس على لساننا ، لكن سفيرنا فى موسكو تسلم مذكرة شديدة اللهجة تتضمن تهديدات وابلاغا بأن الاتحاد السوفيتى قطع علاقاته الدبلوماسية معنا •

وفى نفس الوقت كانت هناك أحداث تجرى فى مصر • ففى الساعة الرابعة بعد الظهر يوم ٩ يونيو (حزيران) أعلن راديو القاهرة أن الرئيس عبد الناصر قد قبل استقالة قادة الجيش والطيران والبحرية • وبعد ذلك بساعتين • أى فى حوالى السادسة والنصف مساء ، أعلن انه

هو نفسه قد استقال · وفى الساعة ١٠ر١١ من صباح اليوم التالىأعلن الراديو أن الاستقالة قد سحبت ·

وبعد أربعة أيام ، فى يوم ١٣ يونيو (حزيران) قدمت لزملائى فى مجلس الوزراء تقريرا عن الحرب ، وكان معى رئيس الاركان ، وقلت لهم اننى سأتحدث بصراحة · وقلت أنه فى فترة ما قبل الحرب وقعت الحكومة والجيش فى ثلاثة أخطاء الاول اننا عالجنا موضوع رد الفعل بالنسبة لعمليتنا ضد سوريا ببساطة ، وكنا نعتقد أن مصر غارقة فى حربها فى اليمن ولن تهب لمساعدة سوريا · وتمسكنا بتحذير عبد الناصر لسوريا بعدم الحرب مع اسرائيل من أجل عمليات بسيطة مثل القصف البسيط · وكان هذا أيضا تقديرنا بالنسبة لرد الفعل على عملية الاردن ، وكان تقديرنا أن مصر لن تقدم مساعدة فورية للاردن وستظل تسمح بمرور سفننا فى مضايق تيران ·

وكان الخطأ الثانى فى التقدير عندما نظرنا الى وصـــول القوات المسلحة المصرية الى سيناء على اعتبار أنها مجرد استعراض · أو مظاهرة عسكرية · وقد أخطأنا التقدير لان تحرك الجيش المصرى فى سيناء لم يكن بتلك البساطة ، وكان خطؤنا الثالث عندما تصورنا أن عبد الناصر لا يستطيع أن يأمر بانسحاب قوات الطوارىء الدولية من شرم الشيخ· وتصورنا أنه لن يستطيع أن يفعل ذلك بمثل هذه السهولة · وكان درسا قاسيا لنا ، اذ وضح لنا مدى السهولة التى يمكن بها التخلص من هذه الاداة الدولية المسماة بقوات طوارىء الامم المتحدة ·

ومضيت أقول أن سياستنا الســـابقة قبل المعركة كانت خاطئة أيضا بسبب فشل اسرائيل فى الرد الفورى على اغلاق المضايق · ولذا فقد ظهرت قضية من الذى يطلق النار أولا ، وأخذت هذه القضية قيمة كبيرة · وفى الحقيقة ففى تصورى أن المصريين هم الذين أطلقوا الطلقة الاولى ، لان اغلاقهم المضايق يعد عملا من أعمال الحرب يعطينا الحق الشرعى فى عمل عسكرى مضاد · يضاف الى ذلك أن الولايات المتحدة لم تكن مستعدة لتعقيد علاقاتها مع مصر من أجل ضمان حرية الملاحة فى المضايق لنا · حتى اذا كانت مشكلة المضايق قد حلت ، فسوف تبقى القوة العسكرية المصرية التى دخلت سيناء مشكلة على حدودنا ·

ومع أن المصريين أغلقوا المضايق فأطلقوا بذلك الطلقة الاولى ، فان الطلقة الاولى كانت من جانبنا نحن وكانت طلقة ناجحة ، ففى اليوم الاول دمرنا ٧٠٪ من طائرات الدول العربية · والجدير بالذكر أن قضية من

اطلق الطلقة الاولى يجب أن تنسحب أيضا على الاردن وسوريا ، مهما اللذين بدأتا بالطلقة الاولى بالقصف الجوى والمدفعى فى اليوم الاول من القتال ٠

وكان الوضع الوحيد المعقد هو وضع سوريا ٠ فالاعمال التى قامت بها سوريا خلال اسبوع لم تكن تستحق أن نشن عليها حربا شاملة ٠ وكان مجلس الوزراء قد وافق على أن تكون الجبهه السوريه هى آخر جبهة نتعامل معها ٠ وكنت أنا شخصيا أعارض بشدة أى عمل واسع ضد سوريا ، فكل ما كنا نريده ، هو تأمين مستعمراتنا من القصف أما الحرب الشاملة واحتلال مرتفعات الجولان فلم تكن فى تخطيطنا ، ولكن الظروف تغيرت ٠٠ ففى منتصف تلك الليلة ، كنت فى القيادة العامة ، عندما علمت أن مصر قبلت وقف اطلاق النار ، وفى الثـــالثة صباحا أعلنت سوريا أنها هى الاخرى قد قبلت وقف اطلاق النار ٠ وجاء تقرير من المخابرات يفيد أن القنيطرة خالية ٠ وازاء كل هذه المعلومات والتقارير فقد غيرت رأيى ، وأمرت فى الســـاعة السابعة صباحا بالهجوم على سوريا ٠

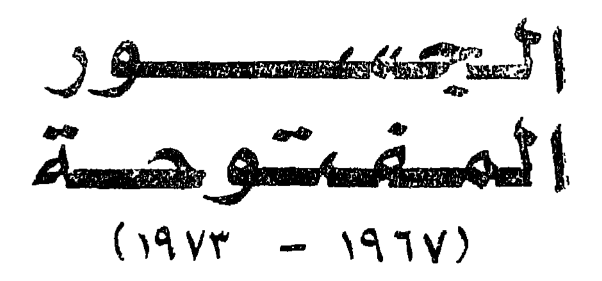
وكان ضباط رئاسة الاركان فى صف الهجوم ، لديهم خطه معدة ولكنها محدودة المدى لا تتضمن احتلال مرتفعات الجولان ٠ ولكنها على أية حال كانت تصلح لفتح المحور ٠ وتم توسيع الخطة النهائية لتهدف الى دفع السوريين الى الوراء ١٢٫٥ ميلا لتأمين بعد مستعمراتنا عن مرمى المدفعية ومعنى ذلك احتلال القنيطرة ورافد ٠

وها قد أنهينا حرب الايام الستة وقد وصلت خطوطنا الى أقصاها على كل الجبهات ٠

واخيرا قلت لزملائى الوزراء اننى قد طلبت من رئيس الاركان أن يعد تقريرا عن الوضع فى المستقبل ، والوقت الذى ستستغرقه الدول العربية فى اعادة بناء جيوشها ٠ ونظرا لخســـائر العرب ولانهم لن يستطيعوا اعادة بناء جيوشهم فى وقت قصير ، فانهم سيركزون جهودهم الآن فى التحرك السياسى الدولى والاحتمال الثانى الاتحاد الســـوفيتى وامكانيات اشتراكه فى الحرب ضدنا ٠

وأعتقد أن ذلك الاجتمـــاع كان مفيدا ، لكننى لم أكن ســـعيدا عندما غادرته ، كنت أحس ببرودة الجو تجاهى وخاصة من قبل رئيس الوزراء ووزراء المباى ٠ وكنت أعرف أن ذلك على الدوام كان شعورهم بالنسبة لى ، وانهم لم ينسوا اننى عينت وزيرا للدفاع رغما عنهم ، وانهم سوف يتصيدون لى الاخطاء فى كل ما أفعله ٠

الباب السادس



فى هذا الباب وعن غير قصد فضح موشى ديان قومه وأبان عن نواياهم العدوانية ، وأقحم الدين كمبرر لارتكابهم أبشع الجرائم بحجة تمكين اليهود المساكين والمضطهدين أبدا من تأدية شعائرهم الدينية ، فى محاولة لتغطية وجه الخيانة البشع بقناع من الشرعية ، وبدعوى تصحيح أوضاع قديمة وتنفيذ ماجاءت به التوراة .. وهو بالطبع يكذب ويعرف جيدا أنه كاذب .

٢٢ العصر الجديد

بانتهاء القتال ، أصدرت أوامرى بنزع كل العلامات التى كانت تحدد خط تقسيم القدس · وعادت القدس الشرقية والغربية مرة أخرى لتصبحا مدينة واحدة · كما أصدرت الاوامر بازالة كل الاسوار والاسلاك الشـــائكة وتطهير حقول الالغام · وكنت أريد أن تصبح وحدة القدس كاملة وبأسرع ما يمكن وأن يتقارب المجتمعان العربى واليهودى ·

وما أن أصدرت هذه الاوامر حتى أرتفعت أصـوات المعارضـــة من بعض الرسميين الذين حاولوا أتهامى بالتسرع · وكان هناك رجاء عاجل من وزارة الداخلية ومن تيدى كوليك عمدة القدس اليهودية ، والذى اصبح مجلسه البلدى الآن مسئولا عن معالجة شـــئون القدس العربية أيضا · وقد طلب منى كوليك أن أؤجل هذه الاوامر قليلا ، ولكن قرارى بقى كما هو ، ان العلامات يجب أن تمحى ، الآن · وقد وافقت على عقد اجتماع معهم قبل تنفيذ أوامرى ، وطلب منى العمدة وممثل وزارة الداخلية وقف تنفيذ قرارى ، لان اليهود الذين ســـيحاولون المرور فى حوارى المدينة سوف يذبحون على أيدى العرب ، وسينتقم اليهود من أى عربى يعثر عليه فى المدينة الجديدة ·

وبعد أن استمعت اليهم قلت أننى لا أجد سببا لتغيير الاوامر ٠ ومن خلال قراءتى للحالة النفسية للعرب واليهود ، فاننى لا أتوقع أية أحداث ، وأن حرية الحركة بين الجزئين ستؤدى الى مزيد من التقارب بين العرب واليهود دون نقاط تفتيش أو تصاريح خاصة ٠ وعلينا أن نتحرك على الفور فى ضوء الواقع ، ونتعامل فيما بعد مع أية مشاكل قد تحدث٠

ونفذت الاوامر وعادت القدس مدينة واحدة ، ولم يحدث قتل أو صدام أو اضطرابات أو أى شيء ٠٠ وكان العرب يتزاحمون فى ميدان صهيون فى قلب المدينة الجديدة ، واليهود يملأون المحال فى أسواق المدينة القديمة ٠ وكانت المشكلة أمام البوليس هى تنظيم المرور ٠

وكان على الحكومة بعد ذلك أن تحل مشكلة الاماكن المقدسة لليهود والمسلمين والمسيحيين ٠ وأقترحت أن ترفع كل القيود والحواجز التى فرضها الاردنيون ، وأن نسمح لكل المسلمين والمسيحيين سواء من الضفة الغربية أو قطاع غزة أو مواطنين اسرائيليين بزيارة وممارسة عباداتهم فى قبة الصخرة والمسجد الاقصى وكنيسة القيامة ٠

وقد ظل العرب لسنوات طويلة مضت يمنعون اليهود من زيارة أقدس أماكنهم المقدسة وهى الحائط الغربى (حائط المبكى) ومقبرة الانبياء فى الخليل ٠ والآن ، وقد أصبح كل شيء تحت سيطرتنا ، فقد أخذت على عاتقى مسئولية مخاطر الامن التى قد تترتب على هذه السياسة٠

وكانت الاماكن المقدسة اليهودية التى أثارت المشاكل هى جبل المعبد فى المدينة القديمة ، وكان جزءا من معبد الملك سليمان بناه فى القرن العاشر قبل الميلاد ، وأعيد بناؤه فى القرن السادس ثم دمره الرومان مرة أخرى سنة ٧٠ ق٠م ٠ والمكان الثانى هو مقبرة الانبياء فى الخليل ٠ وعندما حدث الفتح الاسلامى فى القرن السابع الميلادى ، بنى المسلمون مسجدين فوق جبل المعبد هما مسجد القبة (الصخرة) والمسجد الاقصى ٠ وهكذا أصبحت هناك أماكن مقدسة للمسلمين واليهود ٠

وبدا لى ضروريا أن نزيل القيود المصطنعة التى فرضها المسلمون وسلطات الانتداب حول زيارة اليهود للاماكن المقدسة ، دون أن نؤذى شعور المسلمين ٠ ويجب من ناحية أخرى أن نتأكد أن هذه المسألة الحساسة لن تخلق جوا يلهب العواطف ويتسبب فى حدوث مظاهرات ويثير موقفا دوليا ضدنا وخاصة من الدول الاسلامية ٠ وفى يوم السبت

التالى للحرب زرت المسجد الاقصى مارا بالحائط الغربى الذى حرمنا من زيارته لمدة ١٩ عاما ووجدت جماهير غفيرة من اليهود تتعبد عند السور ومررت من بوابة المغربى حيث وصلت الى منطقة المسجد الاقصى ووجدت مجموعة من المسئولين المسلمين يكسو وجوههم مزيج من الحزن لانتصارنا والخوف مما قد أفعله • وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد السايح رئيس قضاة المسلمين ومعه مفتى القدس والوصى على جبل المسجد •

وقبل دخولى المسجد ، طلبت من الضباط الاسرائيليين الذين كانوا يصاحبوننى أن يخلعوا أحذيتهم ويتركوا أسلحتهم • وطلبت من المسلمين أن يتكلموا عن المستقبل ، لكنهم رفضوا فى بادىء الامر • ولكننى عندما جلست على السجادة بالطريقة الاسلامية ، فعلوا مثلى ثم بدأ الحديث • كانت المياه والكهرباء قد انقطعت عنهم نتيجة لمعركة القدس فوعدتهم بأنه سيتم أصلاح هذا الامر خلال ٤٨ ساعة • ودخلت مباشرة فى الموضوع الرئيسى وقلت أن الحرب قد أنتهت الآن ويجب أن تعود الحياة الطبيعية الى مجراها • وطلبت منهم أن يقيموا الشعائر الدينية فى المسجد يوم الجمعة القادم وقلت لهم أننى لا أرغب أن أفعل مثلما كان الاردنيون يفعلون ، من حيث فرض الرقابة على خطبة الجمعة قبل اذاعتها • وأضفت أننى آمل أن لا يستخدم المسلمون هذه الحرية فى خطب قد تعكر صفو الامن • وأنه اذا حدث ذلك فاننا بالطبع سوف نتخذ الاجراء الملائم •

وقلت لهم أن القوات الاسرائيلية ستبتعد عن منطقة المسجد ، وأن السلطات الاسرائيلية هى المسئولة عن الامن ، ولكننا لن نتدخل فى شئون المسلمين الخاصة بمقدساتهم • وكان هؤلاء الناس يعلمون أننى أمرت عندما أحتللنا مسجد الصخرة بأنزال العلم الاسرائيلى من فوق المئذنة . وأضفت أن الامر الجديد هو السماح للزوار اليهود بدخول الحرم الشريف بدون أذن أو دفع رسوم • وهذا المكان كما يعلم أولئك الناس هو معبد الجبل الذى كان فيه المعبد فى الازمنة القديمة ، ولم يكن معقولا ألا يسمح لليهود بدخول هذا المكان المقدس والقدس كلها تحت سيطرتنا •

ولم يرتح مضيفى لملاحظتى الاخيرة ، لكنه لم تكن لهم القدرة على تغيير قرارى ••

وانفجرت مشكلة حادة يوم ١٦ أغسطس (آب) يوم ذكرى تحطيم المعبد • فقد قرر الحاخام شلولوجورين رئيس حاخامات الجيش هو

وبعض رجال الدين أن يؤدوا الصلاة هذا اليوم فى مكان معبد الجبل ، أى فى الحرم الشريف · واحضروا معهم التوراة وسماره وبوقا · وقد عنمت بذلك عندما فشل الماجور دافيد فارحى ضابط الاتصال مع العرب فى منع الحاخام والذين معه من الصلاة · وبحثت الحكومة المسألة ، ولم يجرؤ أى وزير على أن ينخذ موقفا يحسب عليه فيما بعد فى أنه منع اليهود من الصلاة فى أماكنهم المقدسة ، وانما تقرر بناء (السياسة الحالية على ما هى عليه) ، أى منع اليهود من الصلاة هناك · وكان رأيى أنه ما دامت الامور فى يدنا فلنتخذ موقفا مثاليا فى التسامح ، لم تشهده النظم التى تعاقبت عبر القرون ، وهو أن نترك العرب يمارسون شعائرهم فى جبل المعبد الذى توجد فيه الآن مقدسات اسلامية . وان كان فى الاساس جبلا مقدسا لدى اليهود ·

أما فيما يتعلق بمقبرة الانبياء فى الخليل ، فقد اختلفت الترتيبات فيها عن القدس ، فلم يكن هناك تقسيم للسلطة والحقوق وانما الهدف هو التعايش بين اليهود والمسلمين · ويمثل هذا الكهف اقدم المدافن اليهودية فقد دفن فيه أبراهيم وأبنه اسحاق وحفيده يعقوب وكذلك زوجاتهم ساره وربيكا وليا وراشيل زوجه يعقوب المفضله · وكان المسلمون أيضا يحترمون أبراهيم ، لانه كان صديقهم وأبا اسماعيل · ولذا فان الكهف كان يمثل أيضا بالنسبة لهم شيئا ذا هيبة ·

وخلال أربعمائة عام حكم فيها العثمانيون ، وثلاثين سنة من الانتداب البريطانى ظل المسلمون يمنعون اليهود من دخول الكهف أو المبنى المقام فيه ، والذى كان قد تحول الى كنيسة ثم الى مسجد · وكان يسمح لليهود بصعود سبع درجات فقط من السلم الامامى · وها نحن الآن فى موقف يسمح لنا بازالة هذا العار ، لكننى كنت أيضا لا اريد تعريض مشاعر المسلمين للاذى ، الذى عرضونا لمثله لعدة قرون · وكان كل ما أريده هو أن يسمح لليهود بالزيارة دون أن يزعجوا المسلمين فى صلواتهم ·

وكان مفتاح الحل فى تقسيم المكان جغرافيا بسهولة ، لان الكهف يقع فى الجانب الغربى بينما تقع ساحة المسجد فى الجانب الشرقى ، أما الصعوبة فكانت فى وضع جدول مواقيت للزيارة والصلاة لا يتعارض مع مواعيد المسلمين · فالصلاة عند المسلمين خمس مرات يوميا ، أما فى شهر رمضان فالمسجد ماهول طول اليوم · أما بالنسبة لليهود فصلواتهم ثلاثة مرات يوميا عدا أيام السبت والاعياد وأيام الصيام حيث تطول فترة الصلاة ·· وكنت من أنصار أن يقصر الكهف على الزيارة والحج

والصلوات غير الرسمية ، أما ان بدأت الصلاة تمارس فيه فلن أستطيع منعها بعد ذلك ، وأثناء البحث عن حل ، أقترح أحدهم أن ندخل من باب آخر – كان موجودا من قديم – أسفل الجامع يقودنا الى الكهف مباشرة • ولكن البحث عن هذا الباب لم يسفر عن نتيجة • ويهمنى هنا أن أشير الى أن النظر الى داخل الكهف ممكن من خلال فتحة فى أرضية المسجد •

وقد وجدت أنا المخرج لهذه المشكلة فى اجتماعى مع ممثلى المسلمين يوم أول أغسطس (آب) فى الخليل • وكانت الخليل منذ سقطت تحت أيدينا منذ ستة أسابيع تموج بالحجاج اليهود كل يوم لزيارة الاماكن المقدسة • وكنت قبل اجتماعى بالشخصيات الاسلامية ، قد اجتمعت باللجنة الوزارية للاماكن المقدسة وطرحت اقتراحاتى وتمت الموافقه عليها • وكانت المشكلة التى بقيت معلقه هى هل نطلب من اليهود أن يخلعوا أحذيتهم قبل دخول المسجد ؟ وأستغرق ذلك منا مناقشات عديدة، ثم تركت الحكومة المسالة لقرارى • وكنت أرى ألا يخلع اليهود أحذيتهم وأن يتجنبوا منطقة صلاة المسلمين •

وحضر الاجتماع معى بعض الضباط ورفائيل ليفى المستشار فى الشئون العربية ، وهو نفسه من أبناء الخليل ويجيد لغتهم • ويعرف كل تقاليدهم ، ويعرف معظمهم • وكان ممثلو المسلمين برئاسة عمدة الخليل والمفتى وأمام المسجد • وبعد مناقشة وصلنا الى الاتفاق التالى .

● رفع حظر التجول حتى يستطيع المسلمون الصلاة فى الساعة الثالثة صباحا •

● يسمح لغير المسلمين بدخول المعبد فى الاوقات ما بين ٣٠ر٧ صباحا الى ١١ صباحا وبين ٢٠ر١ ظهرا والخامسة مساء •

● يسمح للمؤذن بدعوة المسلمين للصلاة خمس مرات يوميا •

● بين الساعة ٣٠ر١ بعد الظهر ٥ مساء يسمح للمسلمين بالصلاة، على أن يدخلوا من باب منفصل •

● الزوار غير المسلمين ، لابد أن يرتدوا ملابس متحشمة ، ولا يسمح بالتدخين وبيع الشموع أو المشروبات الروحية •

ووقع الاتفاقية عن المسلمين رئيس المجلس الاسلامى ، وعن اليهود أنا وروفائيل ليفى • ولم تكن هذه هذه الاتفاقية هى الاجابة الحاسمة

على كل المشاكل لكنها كانت طريقا للوصول الى أضافات أخرى بعد ذلك مثلما حدث عندما تزايد عدد الزوار والمصـــلين فى الفترة ما بين رأس السنة اليهودى (ويوم الغفران) يوم كيبور • وحللنا المشكلة عن طريق استخدام (الساحة الغربية للمســـجد فى الصلاة) • وقد قضيت وقتا طويلا فى حل مشكلة الاماكن المقدسة فى الخليل وفى القدس بصـــفة خاصة • فقد كنت أعتبر أن حل هذه المشكلة يخلق جسرا يتم من خلاله وضع أسس التقارب بين العرب واليهود فى القدس الموحدة •

وسرعان ما اندمج المجتمعان العربى واليهودى فى القدس ، ففى المحلات التجارية ، وفى كل الاعمال ، وفى وسائل المواصلات كنت ترى العرب واليهود سويا • وبالنسبة للتعليم ، كان أطفال العرب يذهبون الى مدارســـهم الخاصة ليتعلموا لغتهم وتاريخهم وعقيدتهم وكنت أرى ضرورة أن يحترم كل طرف آمال ومطامح الطرف الآخر •

وكان من أهم ما قمت به فى الاسبوع التالى للحرب زيارة القـــرى العربية فى الضفة الغربية والاجتماع بالعمد • وقد تم رفع حظر التجول الذى كان مفروضا أثناء الحرب ، وعادت الحياة الى طبيعتها ، ولم يبق من آثار الحرب سوى دبابة محترقة هنا أو سيارة مدمرة هناك • وكان ما أصطلح على تسميته بالضفة الغربية ، ويعرف فى كتبنا المقدسة باسم يهوديا وسامرا ، وكان هذا الجزء يمثل لى ذكريات طفولتى عندما كنت فى ناحلال فى الثلاثينيات وهى مازالت مستعمرة فقيرة وكنا ننتهز الفترة بين الحصاد والبذر أنا وزملائى للقيام برحلات فى أنحاء البلاد سيرا على الاقدام •

وكان من أسباب انجذابى الى هذه المنطقة أنها قد ذكرت كثيرا فى التوراة ، ففيها مثلا سيلوه حيث تجمعت قبائل الاسرائيليين قبل نزول التوراة ، وتيكوه مسقط رأس النبى عاموسى ، وبيت ايل حيث تجمع أبراهام مع يعقوب ، وحيث أعد شـــاؤل قواته لمحاربة الفلسطينيين • ورغم أن الآثار قد اندثرت ، فان أسماء هذه الاماكن بقيت لنا كما هى لم تتغير • بل أن السنين والمعارك والامم التى تعاقبت لم تستطع أن تغير مصدر هذه الاسماء •

وها أنا الآن أمر على القرى التى يسكنها العرب فى يهوديا وسامرا • وكانت علاقتى على الدوام جيـــدة مع العرب ، وبرغم المعارك والحروب فاننى لم أكن أضمر لهم أى عداء شـــخصى • صحيح أن هذه العلاقات

كانت تحطمها الحرب ، لكنها كانت تعود مرة أخرى الى طبيعتها بعد أن نضع الحرب أوزارها ٠

وكانت هناك ثلاثة أقاليم قد أصـــابها دمار كبير خلال الحرب ، أولها أقليم اللاطرون ، الذى دار فيه قتال عنيف عندما هاجم الاردنيون اسرائيل بالمدفعية منه وكذلك منطقة قليقلية التى تعرض ثلث مبانيها للنســـف والتدمير بالديناميت ٠ وأخبرنى الحاج حســـين على ، عمدة قليقلية ، أن هناك ٨٠٠ مسكن لم تعد صالحة للسكنى ، وأن عدد السكان الذين تركوا المدينة وصل الى ١٢ ألف شخص ، يقيم بعضهم مع أقاربه الآن فى مدينة نابلس والبعض الآخـــر يعيش فى بيـــارات الزيتون ٠ وذهبت لزيارتهم فى البيارات فالتفوا حولنا وأمطرونى بالاسئلة وطلبوا فقط أن نعودوا الى منازلهم وأن نمدهم بمعـــدات ميكانيكية لازالة آثار التدمير ٠

وقد منحتهم الاذن بالعودة فورا ووعدت بمساعدتهم فى تحقيق كل طلباتهم ٠ ولكن لم أرد على ما لم يقولوه ، وان كان قد بقى معلقا فوق الرؤوس ، وهو ماذا نريد منهم ؟ وكنت أعلم جيدا أنه اذا تحققت آمالهم وانتصر العرب فانهم ما كانوا سيكتفون بتدمير منازلنا وقرانا ومدننا . بل كانوا سيذبحوننا ٠ وكانوا هم أيضا يعلمون ذلك ، ولذا كانوا يقبلون تدمير منازلهم نتيجة لهزيمتهم ٠ ولم يكن باستطاعتى أن أقول لهم أننى كوزير للدفاع أعتذر عما فعله الجنود من تدمير لمنازلهم ، لكننى وعدتهم بمساعدة الحـــــكومة لهم ٠ وفى المنطقة الثالثـــــة فى القرى الواقعة غرب الخليل ووعدت الاهالى بأن الحكومة ستمدهم بالاسمنت والحديد لاصلاح منازلهم ، ولم يكونوا بحاجة الى الاحجار لان المنطقة كانت مليئة بهـــا ٠

٢٣ التعايش !!

كان من أول الاعمال التى قمت بهـــا بعد الحرب ، عندما توليت ادارة الاراضى المحتلة ، أن أصدرت أوامرى بأن تكون لاى عربى سواء من سكان الضفة الغربية او من لاجئى غزة ، حرية الحركة فى كل مكان وبدون أذن • وكان صدى هذه الاوامر ممتازا عند العرب ، فما يكونوا يتوقعون ذلك من ادارة الاحتـــلال • وان كان كثير من الاسرائيليين قد أبدوا عدم ارتياحهم ، وكانت حجتهم أن السماح للارهابيين بحرية الحركة سيعرض الامن الاسرائيلى للخطر •

ودفعنى لاصـــــدار هذه الاوامر ما حدث خلال الايام الاولى للدولة عندما أمرت بضرورة حصول العرب على تصاريح للتنقل داخل البـــلاد وتذكرت صور الطوابير الطويلة للحصول على تصاريح ونقط المراجعـة والتفتيش والمراجعـــة الطويلة للوثائق ، حيث أدى كل ذلك الى تعميق الشعور العدائى لدى العرب • ولم أكن مستعدا لسلوك نفس الطريق • وقد وقع حادث شـــــاهدته بنفسى جعلنى أسرع فى اتخاذ هذه الخطوة حينما استوقف الجنود فى احدى نقاط التفتيش سيارة تحمل سمكا فى طريقها الى الخليل • وقد عبأ الصيادون الســـمك فى صناديق وصفوها

بعناية فائقة بين قطع الثلج وغطوها بالحشائش · ونتيجة للتفتيش نبعثر كل هذا الجهد على الارض · وقررت أن أتجنب تكرار هذا المنظر مرة أخرى وحتى ولو كان على حساب مخاطر الامن ·

ولا شك أن أهم تطور قدمناه فى علاقاتنا مع العرب هو سياسة الجسور المفتوحة ، وهو تشجيع حرية حركة الناس والبضائع عبر نهر الاردن · وكان العبور من جسر اللنبى يصل الى القدس وبيت لحم والخليل وغزة ، أما جسر داميا فيخدم نابلس · وجنين · وكان الهدف من هذه السياسة عدم عزل العرب عن اخوانهم فى العالم العربى · وقد سمحت هذه السياسة لابناء العرب أن يلتحقوا بالجامعات المصرية والسورية واللبنانية ، وسمحت لنوابهم بدخول البرلمان فى عمان ، ولممثليهم أن يعقدوا لقاءات علنية مع زعماء الدول العربية وممثلى منظمات التخريب الفلسطينية ، كما سمحت بتبادل الزيارات مع عائلاتهم من شمال أفريقيا حتى السعودية ·

وكنت أرى أن سياسة الجسور المفتوحة يمكن لها أن تؤدى فى المستقبل الى اتصال مع الدول العربية · صحيح أن هذه الدول لا تسمح لاى اسرائيلى بزيارتها ، ولكننا نستطيع السماح لمواطنيها بزيارتنا · ولم أكن أعتقد أنهم عندما يشاهدون اسرائيل للمرة الاولى سيحبوننا ويعجبون بنا ، ولكنهم سيكتشفون امكانية التعايش معنا كمجتمع مفتوح يعتبر كل الناس سواء · ونحن أيضا أمة مفتوحة متقدمة ، صحيح أننا لم نصل الى المستوى التكنولوجى للولايات المتحدة ، لكنهم سيجدون أن مستوانا جدير بالاهتمام فى مجالات مثل الزراعة والصناعة والدواء والصحة العامة وغيرها ·· وعندما علمت بعد الحرب أن عملية عبور التجارة عبر نهر الاردن مستمرة ، رحبت بذلك وأمرت كل القوات بالانسحاب من القرى العربية وأن ينقلوا مواقعهم على التلال ، لان وظيفتهم هى حماية الامن الاسرائيلى وليس ادارة الحياة فى القرى العربية ·

وفى يوم ٢ أغسطس (آب) قمت وبصحبتى قائد الجبهة الشمالية ناركيس بزيارة منطقة العبور عند جسر داميا ، التى أسماها جنودنا (سوق الخضار) ، حيث تعبرها السيارات محملة بالخضروات والبضائع المختلفة · فسيارات النقل الثقيلة والخفيفة ، حتى العربات الخفيفة ، تتدفق على النهر · وكان معدل العبور يوميا لا يقل عن مائة سيارة محملة بالخضروات والفاكهة وزيت الزيتون والبضائع الاخرى مثل منتجات البلاستيك من بيت لحم وأحجار البناء من الرملة · وخلال الزيارة تجمع حولى الناس وطلبوا منى وثيقة أعلن فيها السماح للذين خرجوا بالعودة ·

وكان هناك حوالى ٢٠٠ ألف شخص قد هربوا أثناء الحرب نصفهم من اللاجئين والنصف الآخر من سكان الضفة الغربية • وقد وافق مجلس الوزراء على عودتهم فى جلسة تالية ، وأعلن أن كل من يريد العودة سيسمح له بذلك حتى يوم ١٠ أغسطس (آب) ، ولكن القليلين هم الذين عادوا •

وعندما اقترب الشتاء ، ولتسهيل مهمة قوافل النقل ، أرسلت حمدى كنعان عمدة نابلس الى عمان ليقدم اقتراحا باعادة بناء الجسور • وقبلت عمان على أن تقوم هى بعملية البناء • ولم أعترض وتم بناء جسرين فى نفس أماكن جسر اللنبى وجسر داميا •

وكان استمرار سياسة الجسور المفتوحة مرهونا بموافقة الطرفين وبالنسبة لاسرائيل فنحن لم نكن نرغب فيها فحسب ، بل نحن الذين بدأناها ، أما بالنسبة للاردن فقد كان قبولهم قبولا للامر الواقع • وكانت الضفة الغربية خلال الحكم الاردنى فى التسعة عشر عاما الماضية قد نزعت لمحاولات كثيرة لتضييق علاقاتها مع الضفة الشرقية ، غير أن عمد المدن كانوا يذهبون للملك حسين وللحكومة الاردنية ويرجونهم فك هذه القيود • وكانت هناك عائلات كبيرة يقيم أفرادها فى مختلف مدن الضفتين ، ولم يكن من الممكن الفصل بينهم ، مثل عائلات طوقان والمصرى والجبرى •

وعلى العموم فان العلاقة بين العرب فى الاراضى المحتلة وبين الادارة العسكرية ، كانت طبيعية •• وكذلك كانت بينهم وبين اليهود • ومن ناحية أخرى فقد ارتفع مستوى معيشة العرب ، واتسعت فرص العمل امامهم ، وانفتحت سوق العمل اليهودى أمامهم كأعمال الميكانيكا والبناء ووظائف الفنادق • وارتفعت أسعار منتجاتهم الزراعية التى كانت دائما موضع طلب فى اسرائيل •

أما فى مخيمات اللاجئين فى قطاع غزة ، فقد حدثت تغييرات اقتصادية ثورية • اذ أن اللاجئين الذين ظلوا طوال التسعة عشر عاما الماضية يقضون وقتهم خارج خيامهم فى لعب الطاولة ، بدأوا الآن يجدون عملا يكسبون منه أموالا كثيرة ، بينما استمروا يحصلون على قوتهم والخدمات الصحية والتعليمية المجانية من هيئة الاغاثة التابعة للامم المتحدة • وأصبحوا قادرين على تغيير مستوى وطريقة معيشتهم والحصول على ملابس جديدة وأثاث ومعدات للمطابخ ، وهجر الكثير منهم مخيمات اللاجئين الى المساكن الجديدة التى بدأ بناؤها وظهرت هوائيات (ايريالات)

التليفزيون على كثير من الاسطح ، كما كان لدى الكثير منهم ثلاجات (برادات) كهربائية • وتم التوصل الى صيغة مؤداها أن العملا يقدمون أى مساعدة للاعمال التخريبية ضدنا ، وأن أولئك الذين يعارضون احتلالنا لهم الحرية فى التعبير السياسى والنقد من خلال القول أو الكتابة على أن لا يسمح بأى عمل خارج على القانون •

وبشكل عام ، فان الخطوط الرئيسية لهذه الصيغة جرى اتباعها والالتزام بها فيما عدا بعض أعمال التخريب والعنف التى كان يقوم بها متسللون من الاردن وسوريا ولبنان • وكان هؤلاء يجدون مخابىء لهم فى بيوت أقربائهم وفى قراهم السابقة • وكان لا بد لنا من موقف حازم • فكنا بعد أن نجلى السكان ، ننسف المنازل التى نعرف أنها وفرت الحماية للمخربين أو التى كنا نعثر فيها على أسلحة ومتفجرات • وأثبت هذا الاسلوب فعاليته وجدواه • أما الاسلوب الآخر فهو نفى الزعامات التى تشجع الاعمال التخريبية أو تحرض عليها • وكان أول من نفى من العمد روحى الخطيب عمدة القدس السابق وتلاه قاض سابق ثم عمدة البيرة • وأثبت أسلوب النفى فعاليته ، وان كان قد أثار غضبا شعبيا •

وكان شهر سبتمبر (أيلول) وأكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٧ هما أصعب الشهور فى الضفة الغربية ، حيث قادت نابلس عملية اضراب كانت تهدف من ورائها أن يشمل الاضراب الضفة الغربية كلها •

وبدأ الاضراب باغلاق المدارس والاسواق والمتاجر • وبدأت المرحلة الثانية فى ١٩ سبتمبر (أيلول) بداية دورة الامم المتحدة • واستمر الاضراب عدة أسابيع أغلقت فيها المحلات وتوقفت كل وسائل المواصلات • وأخيرا اكتشفوا أن الضفة الغربية لم تشاركهم الاضراب ، بل أن سائقى جنيزه عملوا بدلا منهم فى حمل المنتجات الخاصة بالتصدير ونقلها • وأخيرا اكتشف القادة أن هذا الاضراب لم يحقق أى نتيجة وفى أول نوفمبر (تشرين الثانى) عادت الحياة الى طبيعتها • وقد تسبب اضراب نابلس ومظاهرات رام الله وأعمال العنف فى غزة فى خلق التوتر بين قادة العرب والحكومة العسكرية • وبالرغم من قيام بعض المخربين باطلاق النار على زملائهم العرب أثناء توجههم للعمل فى المصانع الاسرائيلية ، فان العلاقات بين العرب والحكومة كانت تسير بخطوات واسعة نحو التقدم • ولم تؤد هذه الاحداث الى نشوب صدامات بين العرب واليهود ، حتى عندما نسف المخربون دارا للسينما فى تل أبيب نسفوا سيارة فى السوق فى القدس ، فان اليهود أثارهم مشاهدة منظر القتلى والجرحى ولم ينتقموا من العرب الموجودين فى وسطهم • وقد أدت

سياسة الجسور المفتوحة فى النهاية الى اقتناع الطرفين بامكانية التعايش سويا ٠

وكانت حلقة الصلة بين المواطنين العرب وبين السلطات الاسرائيليه هى العمد ٠ وكان أكبر ثلاثتهم محمد على الجعبرى عمدة الخليل ، وهو أقواهم لانه كان يتجاهل كل ما يأتى من عمان ويقرر كل شئ على أساس فهمه هو للحقائق والاثنان الآخران هما حمدى كنعان عمـــدة نابلس ، الذى لم يكن مستندا أى قوة لان النفوذ كله كان فى يد عائلتى المصرى وطوقان ٠ والثالث هو رشاد الشوا عمدة غزة ، وكان تائها بين السلطة الاسرائيلية وبين خوفه من المخربين الذين كان يقابل زعماءهم خـــلال رحلاته الى بيروت ٠ وأتذكر أنه فى آخر يوم صيام للمسلمين فى رمضان ١٩٧١ طلبنى الجنرال بونديك حاكم غزة العسكرى تليفونيا ، وأخبرنى أن رشاد الشوا أبلغه الآن أن زياد الحسينى قائد المخربين فى القطاع قد انتحر فى منزله وأنه يرغب فى مقابلتى ٠ وطلبت من المحافظ أن يرسله بمفرده ٠

عندما وصل بعد ساعة كان ممتقعا ، وكانت الاسباب توجب ذلك ٠ وكان رشاد الشوا قد سبق أن طلب منى أن أســـاعد زياد الحسينى ومجموعته على الهرب الى لبنان لانهم فشلوا فى عملهم فى القطاع ولكنى رفضـــت ذلك ، وقلت أنهم لابد أن يقدموا للمحـــاكمة ٠ ولما علم زياد الحسينى أن كل الطرق سدت فى وجهه ، انتحر بعد أن ترك خطابين ٠ أحدهما (لضيفه) العمدة يشكره على أنه ســـاعده باخفائه فى منزله ، والثانى وصيتة تتضمن أسماء الخونة المتعاونين مع اليهود ، ومنهم رشاد الشوا نفسه باعتباره عميلا صهيونيا ٠ وكانت مشكلة رشاد عويصة ، ولذا عرضتها على جولدا مايير وموشى ســـابيرو وزير العدل الذى قال لى أنه تحت ظل الحكم العسكرى ، فالامر متروك للحاكم العسكرى ، فاما أن يرسل الشوا ٠٠ للمحـــاكمة بتهمة التعاون مع المخربين أو يكتفى بانذاره وبقائه عمدة ٠ وتركت جولدا القرار لى ٠

وقد قررت أن يظل الشوا فى عمله ٠ وكان ذلك من أجل أن يفهم قادة العرب أننا ندرك مشاكلهم ونقدرها ولم تكن قواتنا العسكرية فى حاجة الى مســـاعدة من جانب القادة العرب ضد التخريب ، لكننا من موضع القوة نتجاهل موقف رشاد الشوا ٠ وقد أكدنا على عائلة زياد الحســـينى أن يدفن بدون مراسم ولا مظاهرات ولا خطب على القبر ، ونفذوا كل ذلك ٠ وقد اتخذت هذا الاجراء عن عمد لانى كنت أفكر فى المستقبل ، وفى وجوب ازالة كل حقول الالغام من طريقنا لاقرار الهدوء والحياة الطبيعية فى الاراضى المحتلة ٠

وفى علاقاتى الشخصية مع العرب كنت قريبا جدا من بدو جنوب غزة • وقد أصبح لهم الآن أرضهم الدائمة بدلا من التجوال فى الصحراء• وساعدهم ذلك على زراعتها بحيث أصبحت جزيرة خضراء فى وسط رمال الصحراء • وأصبحت هذه المزارع الآن تنتج البرتقال الشموطى ذى النكهة الخاصة ، وتنتج الخضروات كالخيار والطماطم والباذنجان والفلفل فى الصيف ، أما فى الشتاء تنتج الكرنب والقرنبيط • وقد تولى خبراء زراعيــون من اسرائيل تعليم هؤلاء البــدو كل ما يتعلق بالزراعة • واستبدلوا التقاوى المحلية بنوعية ممتازة ، وأصبحت سوق التصدير ترحب بانتاجهم من الشمام والبطيخ والفراولة التى أصبحت شهيرة فى زيورخ ولندن •

وكان هناك بدويان أحب أن أزورهما دائما هما الحاج محمــد أبو سليم وحامد • وكان الحاج محمد رئيس قبيلة كبيرة فى دير البلح فى قطاع غزة وكانت كلمته بمثابة قانون لافراد القبيلة • ويتوســط الفيلا الفخمة التى يسكنها غابة من النخيل تمتد فى لون أخضر جميل الى أن تتصل بزرقة البحر الابيض • وكان الحاج أبو سليم بدويا فى كل شىء ، لكنه كان يدرك الى أين يتجه العالم ، ولذا فقد أرسل ابنه فرحان ليدرس الطب فى المانيا . بل قام بعمل غير مألوف للبدو اذ سمح لبنــاته أن يدرسن فى الخارج • وعنــدما قابلته لاول مرة كان مريضا جدا • فعندما أنسحبنا من سيناء بعد سنة ١٩٥٦ قبض المصريون على كل من استبه فى أنهم على علاقة معنا ، وكان من بينهم الحاج أبو سليم بالرغم أننا لم نكن قد اتصلنا به فى ذلك الوقت • وقضى فى السجن سنوات طويلة الى أن احتللنا قطاع غزة عام ١٩٦٧ وقد حاولنا علاجــــه بقدر الامكان وفى عام ١٩٧٠ مات فى مستشفى تل هاشومير فى اسرائيل •

أما الشخص الآخر الذى كنت أفضله فهو حامد • ولم يكن يملك فيلا او غنيا ، بل كان يقيم فى خيمة من جلود الماعز ويعمل قصاص أثر • ولكننى فى كلا المكانين ، وعند كلا الرجلين ، كنت أشعر بالراحة وبكرم الضيافه والادب • وكنت أتمنى أن أتعلم من حامد مهــارته الفائقة فى متابعة الآثار على الرمال • وكان حامد قد عثر على كمية من الآثار موجودة تحت أرض مزرعه ترى يدعى أبو ملاك • فأثناء حفر الارض لاعدادها للزراعة التقطت عينا حامد الماهرتين آثارا قادت الى تابوت أحد ضباط الفرعون رمسيس الثانى الذى دفن فى هذا المكان فى القرن الثالث عشر ق•م • وبجانبه كالعادة متعلقاته الشخصية وقلائده وأساوره الذهبية•

وكان كل اتصالاتى بقادة العرب هى عملى الاساسى خلال الحكم العســكرى • وكان على رأس هؤلاء القادة محمد على الجعبرى عمدة

الخليل . اذ عقدت عدة اجتماعات تحدثنا فيها كثيرا بصراحة • ولكنى كنت أعرف أن هذا غير كاف لتحقيق الهدف الذى أرمى اليه • صحيح ن كل هذه الاتصالات قد تساعد على حل المشاكل ، ولكنهم كانوا دائما يسطرون لى كوزير الدفاع وعلى أنى الاجنبى الذى هزمهم والحاكم الجديد الذى حول بلادهم المستقلة الى جزء من اسرائيل • وعلى أية حال فاننى أعتقد أن المحادثات وجها لوجه مع بعض الكتاب والمفكرين العرب ستجعلنا أكثر قربا من بعضنا البعض • قد نظل على اختلاف فى وجهات نظرنا ، ولكننا على الاقل سنفهم بعضنا •

وسمعت عن شاعرة فى نابلس تدعى فدوى طوقان • وطلبت أن أراها • وقبلت زيارتى فى منزلى وحضرت هى وخالها الدكتور قدرى طوقان ومحافظ نابلس حمدى كنعان يوم ١٢ أكتوبر (ت ١) سنة ١٩٦٨ . وكان معى دافيد فرحى ودافيد زكريا المتخصصان فى الشئون العربية • وكانت فدوى أقل الموجودين كلاما ، لكنها كانت أكثرهم صراحة • كان خالها يتحدث باسمها أحيانا ، وكان كنعان يتحدث عندما تفتح موضوعات سياسية • وقال خالها أنه أغلق على نفسه باب داره منذ بداية الاحتلال لان قلبه لا يسمح لعينيه بأن ننظرا الى أرضه متجدها محتلة • وكان يصر على أن نظرة العرب لاسرائيل قد تغيرت الآن ، وانه اذا انسحبنا من الاراضى التى احتللناها وسمحنا للاجئين العرب منذ عام ١٩٤٨ بالعودة ، فان العرب سيعترفون باسرائيل ونعيش فى سلام سويا •

وكانت فدوى مهتمة بالمنزل وبالآثار الموجودة فى الحديث ، وسألت ابنتى يائيل عدة أسئلة عن طفولتها وعن ناحلال حيث ولدت • وأعتقد أنها كشاعرة تستطيع التعبير بالكتابة أكثر من الكلام وخاصة مع الاغراب ، أما شعرها القوى الدموى فيخرج من روحها مباشرة وكأن هذه الروح تصرخ ولكن دون أن تسمع • وفى نهاية الزيارة قلت للدكتور قدرى أنه اذا كان يرى فرصا للسلام فليته يذهب الى عبد الناصر ويرى مدى استعداده للدخول معنا فى مباحثات حول هذا الموضوع • وسكت الدكتور قدرى ، ولكن فدوى قالت له (قدرى اذهب الى جمال) وحاول الدكتور قدرى تجنب الموضوع وضحك قائلا من جمال ؟ ولكن فدوى أصرت وقالت قدرى أذهب الى جمال وأطلب منه أن يبدأ محادثات مع اسرائيل حول السلام — قدرى أذهب الى جمال) وكانت نغمة صوتها مزيجا من الرجاء • والامر وبدا للحظة أن الدموع ستنفجر من عينيها •

وبعد شهرين تقابلت مع فدوى فى فندق الملك داوود بالقدس وكانت قد زارت مصر • وأخبرتنى أنها قابلت عبد الناصر وأنه أخبرها

آن دين راسك سجعه على عمل ترتيبات مع اسرائيل مقابل الانســحاب الكامل من سيناء • ولكن عبد الناصر رفض لان الاتفاق لا يشمل الضفة الغربية • وقالت أنها أخبرته عن مقابلتها لى ولكنه لامها ووبخهــــا • وقالت أن الشخص الوحيد الذى قابلها فى مصر وشجعها على الاستمرار فى الاتصال بى كان محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام السابق وصديق عبد الناصر الحميم • وقد عادت دون أى أنباء ايجابية ، لا فى مصر فقط بل فى الاردن أيضا • اذا فالطريق الى السلام مسدود • كذلك فان فتح ـ كما قلت ـ تعارض أى اتفاق ، وقالت لى أنهــا تعتقــد أن كل الناس فى الضفة الغربية يريدون السلام والحل الســلمى للمشــكلة الفلســطينية ولكن قادتهم جبناء حتى خالها قدرى أيضا يخشى تعريض نفسه ومركزه السياسى للخطر •

وقلت لها أننى قد تحدثت قريبا مع أحد أعضاء منظمة فتح كان قد سلم نفسه لقواتنا واقترحت الافراج عنه على أن يذهب الى أبو عمار ، أى ياسر عرفات ، ويخبره أننى أريد أن أقابله ، ولكن الاســير رفض وفضل السجن • وقالت فدوى (أنا امرأة ولكنى لست جبانة ، أنا أرغب فى السلام ، وعبد الناصر لا يريد السلام معكم ، ولكنى عندما أذهب الى بيروت سأقابل أبو عمار وأقترح عليه أن يقابلك ، ويجب أن نعمل من اجل السلام) •

وبلا جدال فان فدوى امرأة شجاعة ولست أعرف اذا ما كانت قد قابلت أبو عمار أو لم تقابله ، اذ لم أسمع عنها ثانية بعد ذلك •

٢٤ حادث بين الآثار

فى الوقت الذى وجدنا فيه أننا نستطيع العيش فى وئام مع العرب داخل حدودنا ، بدأت عمليات التخريب من الدول المجاورة ، وأخذت عمليات تسلل المخربين تتزايد خلال السنوات الثلاث التالية لحرب الايام الستة ـ وكانت معظم هذه العمليات تأتى من الاردن ، رغم أن الملك حسين فضل اختيار الطريق السياسى ولم يرفع كغيره شعار (ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة) • وقد أرتبطت الاردن بالمواطنين بالضفة الغربية ونشأت مصالح بينهما يمكن لاى حرب أن تدمرها •

وبالرغم من هذا فان معظم عمليات العنف كانت تأتى من قطاع الاردن ، بسبب تنظيمات المخربين • ومع أنهم أعلنوا بعد الحرب بعشرة أيام أنهم نقلوا قيادتهم من الاردن الى الارض المحتلة ، فان ياسر عرفات بعد أن أمضى وقتا قصيرا فى الضفة الغربية لتنظيم العمل داخل الارض المحتلة ، فشل فغادرها الى الاردن فى سبتمبر (أيلول) ، وتبعه بقية القادة المحليين للمخربين فى قطاع غزة والضفة الغربية• وتوزع المخربون ما بين الاردن ولبنان • وأنطلق المخربون عبر الحدود مع الاردن ليضعوا الالغام فى الطرق الرئيسية ، وقصفوا المستعمرات القريبة من الحدود فى منطقة شيعان • وبالرغم من أن الجيش الاردنى لم يقم بأى عمل ضد

أسرائيل ، فان وحداته على الحدود كانت تساعد المخربين فى عبور نهر الاردن ، وتغطى أنسحابهم باطلاق النيران ٠

وأنهت ثلاث سنوات مستمرة من عمل المخربين ورد الفعل الاسرائيلى فى خريف ١٩٧٠ فى سبتمبر (أيلول) الاسود ٠ ويتضح من الاحصائيات عن تلك السنوات أن ٥٨٤٠ عملية قام بها المخربون من الحدود الاردنية ، وأن خسائرنا فى هذه العمليات بلغت ١٤١ قتيلا و ٨٠٠ جريح ، وتعرضت مستعمرة كفار روبين على الحدود الاردنية للقصف ٥٨ مرة ومستعمرة بيت شيعان ٤٠ مرة ٠ وقد بدأت أول عملية للمخربين بعد ٩ أيام من ايقاف اطلاق النار فى ١٩ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، حيث أنفجرت عبوة ناسفة قرب مستعمرة حيشر فى وادى نهر الاردن ٠ وبعد ستة أسابيع أطلقت النار من كمين نصبه المخربون على جرار زراعى فى الطريق بين مستعمرتى معاز حاييم وكفار روبين ٠ وفى أول أكتوبر (تشرين الاول) أطلق كمين آخر للمخربين النار على أحد أعضاء مستعمرة هاماديا فقتلوه ونسفوا أحد مبانى المستعمرة ٠

وتوجهت فى ٢ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٧ الى زماخ لحضور اجتماع مع ممثلى كل المستعمرات والمدن فى وادى الاردن ٠ ثم قمت بعد ذلك بجولة تفتيشية على الحدود ٠ وشكا ممثلو المستعمرات من تعرضهم لعمليات التخريب ونقص الاسلحة لديهم ٠ وكانوا محقين فى شكواهم ، لان عمليات التخريب حولت مستعمرات وادى الاردن الى خط أمامى ، وكان لابد علينا أن نعد أنفسنا فى هذا القطاع لاسلوب جديد للمواجهة ٠

وعدت بعد أسبوعين الى المنطقة ومعى لواء مدرع ، وقررت أن تتمركز الدبابات والمدفعية فى هذه المنطقة للرد الفورى على أى عملية ٠ وقد رفضت بحزم أن يكون رد فعلنا على أى عملية ، أن نطلق النار على المزارعين الذين يعملون فى حقولهم داخل الضفة الشرقية ٠ وأننا اذا فعلنا ذلك لهربوا على الفور ، ونحن لا نريد منهم الهرب ، بل يجب ان نتبع سياسة تشجع المزارعين على العمل فى مزارعهم القريبة من الحدود كما نفعل نحن ٠

ودخلت فى المناقشة بعد عدة أسابيع عندما زرت مستعمرتى معاز حاييم وكفار روبين ، وكانتا قد تعرضتا للقصف منذ قليل ٠ وقال لى سكان المستعمرتين أننا لو أجبرنا المزارعين على ترك مزارعهم فى الضفة الشرقية ، لفكر المخربون مرتين قبل أن يقوموا بأى عملية قصف ٠ ٠ وقلت لهم أن هذه العمليات موجودة من قبل ومع ذلك فانها لم توقف

العمل التخريبى ، وأن قصف الفلاحين لن يجعل الوضع على الحدود هادئاً • وقلت أن نشاط المخربين يتزايد لان الملك حسين فشل فى وقف نشاطهم ، ولذا فان الخطة الصحيحة هى أن نهاجم وحدات الجيش الاردنى التى تتعاون مع المخربين •

وعدت الى مستعمرات معاز حاييم وكفار روبين وجيشر ليلة ١٥ فبراير (شباط) ١٩٦٨ عندما تعرضت للقصف وتحطمت بعض مبانيها• أما كفار روبين فقد تعرض مكان مبيت الاطفال لضربة مباشرة وكان الاطفال لحسن الحظ فى المخبأ ، وبينما كنت فى جيشر تجدد القصف مرة أخرى ثقيلا ، وعلى الفور أمرت رئيس الاركان بأن يستخدم القوات الجوية والمدفعية • فى ضربة قوية ضد مواقع المدفعية الاردنية وكل المواقع العسكرية على الحدود • وكانت تلك هى المرة الاولى التى تشترك فيها قواتنا الجوية فى عملية منذ الحرب •

وفى ١٨ مارس (آذار) ١٩٦٨ كانت احدى سيارات الاتوبيس تحمل أطفالا من مدرسة هرزيليا فى تل أبيب فى رحلة الى النقب ، ومرت السيارة فوق لغم فى منطقة بير أورح على مسافة ٢٥ ميلا شمالى ايلات• وقد قتل طفلان وجرح ٢٧ طفلا • وللرد على هذا العمل وغيره قام الجيش الاسرائيلى بعمليتين هجوميتين على قواعد المخربين داخل الضفة الشرقية للنهر ، الاولى فى الكرامة شرقى النهر ، والثانية فى زافى جنوب البحر الميت •

وتحولت معركة الكرامة الى غير ما توقعنا ، اذ أن قواتنا – وخاصة المدرعة منها – لم تلتزم بالبقاء فى الكرامة بل ارتقت الجبال ، وهناك اشتبكت مع الدبابات الاردنية • وأستمرت المعركة طوال اليوم حتى حلول الظلام • وكانت خسائرنا فيها ٢٩ قتيلا ، وما يزيد عن ٩٠ جريحا، وتركنا فى ميدان المعركة أربع دبابات محطمة وأربع سيارات مدرعة • أما خسائر الاردنيين والمخربين الفلسطينيين فقد كانت ٢٣٢ قتيلا و ٣٠ دبابة وأستسلم ١٣٢ مخرباً ، أخذوا أسرى • ولم تتمكن قوات المظليين من النزول فى الوقت المناسب على التلال المحيطة بالكرامة ، بسبب الضباب واستطاع المخربون الهرب ، ومن بينهم ياسر عرفات الذى هرب مع مجموعة من رجاله الى عمان بسيارة •

ولم أستطع مراقبة عملية الكرامة عن كثب لاننى كنت فىالمستشفى لاعالج من أصابات حدثت لى فى اليوم السابق نتيجة حادث • فبينما كنت أقوم بفحص بعض الحفريات فى منطقة آزور قرب تل أبيب ، اذ بى

اجد نفسى تحت الرمال والاحجار نتيجة أنهار ترابى . وكانت تلك هى المرة الثانية التى ظننت فيها أن حياتى أنتهت . وكانت المرة الاولى أثناء الحادث الذى وقع لى فى سوريا عام ١٩٤١ . وفقدت فيه عينى . وكنت قد أشتركت يوم ١٩ مارس (آذار) فى القيادة العامة فى وضع خطة الكرامة التى كان المفروض أن تنفذ بعد ٣٦ ساعة وانتهزت الفرصة لاذهب الى أزور للقيام ببعض الحفريات ووقع لى الحادث .

وكان يشاركنى فى الحفريات صديقى منذ الصغر أريبه روزبوم الذى أصيب مثلى بمرض الآثار ، واصبح بمرور الوقت خبيرا بكل الآثار الموجودة فى آزور . وكان يتصل بى عندما يجد شيئا يظن أنه يهمنى . وكانت أزور مدينة معروفة فى القرن الثامن قبل الميلاد ، بنى فيها الاشوريون مدينتهم بعد ألفى سنة . وقد عثرت أنا شخصيا فى آخر حفرياتى على بعض الآثار التى يرجع تاريخها الى خمسة آلاف عام . وأخبرنى آريبه هذا المساء أن بعض البلدوزرات ستعمل فى الصباح ، وقد تعثر على شىء جديد . وعندما صعدت على تل من الرمال ، معد للنقل شاهدت بعض الآثار تظهر من بين الرمال ، وعرفت بالفحص أنها بعض أجزاء من الاوعية التى كانت تستخدم فى العصر البرونزى (٣١٥٠ — ٢٢٠٠ ق.م.) وكانوا فى هذا العصر لا يستخدمون هذا النوع من الاوعية التى كانت تصنع باليد .

وقمت بالحفر بيدى بحثا عن الكهف فوجدته ومدليب بنصفى فى الحفرة التى حفرتها ، فوجدت نفسى فى كهف كان يقطنه أناس منذ أكثر من خمسة آلاف عام . ولم أعثر على شىء . وفجأة انهارت الرمال فوقى ، وأيقنت أن نهايتى حلت فلم أكن قادرا على التنفس أو الحركة . وكان آريبه خلفى ولم يصب ، فاستنجد بالناس ، فاسرع شقيقان بمكان ورشة ، وأستطاعا اخراجى بعد أن حفرا حولى . وكنت قد شعرت بأن الموت يدنو منى ، ولكننى عندما أحسست بالهواء الرطب ووجدت نفسى ممددا على الارض ، شعرت بأننى قد بعثت من جديد .

ونقلت بسرعة الى مستشفى تل هاشمور ، خارج تل أبيب ، واعيا ولكنى لا أستطيع الكلام . وبعد الفحص قرر الاطباء أننى قد أصبت فى عامودى الفقرى وانقطع أحد الاحبال الصوتية . وتم وضعى داخل قميص من الجبس وأتوا لى بطبيب أخصائى فى الحنجرة . وكان أول سؤال لى عندما شعرت بالتحسن هو متى أستطيع الخروج . ولم يكن ذلك مستطاعا قبل ٢٥ يوما أى فى يوم ١٤ ابريل . وقد خرجت فعلا فى ذلك اليوم وتوجهت الى مكتبى . وتذكرت أثناء وجودى بالمستشفى ذلك

الموقف المســـــابه ، عندما فقدت عيني وظننت أنني لن أقاتل بعدها ٠ ولكنني في هذه المرة قررت أن أعود الى عملي مباشرة بعد الخروج وكأن سيئا لم يحدث ٠

وظل جسمي لعدة شهور ملفوفا بالبلاستر ، لكي تعود عظام الظهر الى مكانها الصحيح ، ولكنني كنت قادرا ، بمساعدة كرسي خاص ، على الحركة والعمل ٠ وتم تدريبي على الحديث مستعملا حبلا صوتيا واحدا لكي أعوض الحبل الذي انقطع ٠ ومازلت حتى الآن أشعر بالارهاق كلما تحدثت لفترة طويلة ٠ وكنت قد طلبت من رئيس الاركان أن يحـــل محلي ، كما لو كنت غائبا ، وأن يتلقى التعليمـات من رئيس الوزراء ، وقد أخبرت رئيس الوزراء بذلك عندما حضر لزيارتي ٠

وكان من بين الزوار عمد ووجهاء مدن الضفة الغربية ، وقد تأثرت جدا بزيارة محافظ قليقلية الذي أحضر معه بعض البرتقــال الطازج ٠ وكانت العلاقة بيني وبينه قد نمت منذ أن شـــــاهدته في المرة الاولى ووعدته باعادة بناء المدينة ، وشاركنا سويا في هذا الامر ولم تعد علاقة عمدة تحت الاحتلال بوزير دفاع ، بل أصبحت علاقة أصدقاء يشتركون في عمل واحد هو رعاية الناس وكانت راحيل نأتي لزيارتي بعد أطفاء الانوار وانصراف كل الزوار ٠ وكنت أؤكد لها دائما أنني سأســـترد لياقتي ٠ غير أن هـــــذا التأكيد كانت تنفيه الاربطة التي تلف وجهي والجبس حول جســمي ٠

وكان أبني أودي (ايجود) أكثر الناس حرقة لانه صـــحبني من المستشفى الى المنزل ، وشعر بضعفي عندما نزلت من السيارة وأستندت عليه كالكسيح أو المشلول ٠ وعندما حضر بن جوريون لرؤيتي صدم هو الآخر ، وخاصة ازاء اللون الازرق الذي يكسو جسدي ٠ ولم أستطع أبدا أن أصرف ذهني عن الالم والعذاب اللذين أحس بهما في ظهري ٠ وأنذرني الطبيب بأنني ان لم أتوقف عن تعاطي الحبوب المهدئة فانني سأدمنها وسألته متى تظن أنني يجب أن أتوقف عنها ٠ أجاب : بأسرع ما يمكن ، فجمعت كل ما لدى من مهدئات وسلمته له ٠ وعندما شـعرت بقدرتي على الحركة توجهت الى آزور لابحث عن الآثار التي كنت أريدها ، وشاهدتني امرأة فصاحت قائلة لصديقها أنظر موشى ديان يبحث عن نفسه مرة أخرى تحت الارض ٠

واستمرت عمليات التخريب والاصطدامات عبر الحدود وتســببت في جعل الحياة غير محتملة لسكان الوادي شرق نهر الاردن ، وخاصة

بعد أن دمرت حقولهم ومنازلهم وأخيرا اضطروا الى الرحيل وترك أرضهم وهكذا أصبح العرب الابرياء ضحايا مباشرين للارهاب العربى · أما فى الضـــفة الغربية ، فقد كان المزارعون اليهـــود يعملون فى حقولهم ومستعمراتهم ، وكيفوا أمورهم مع حالة الحرب فبنوا المخابىء والطرق الداخلية وقاموا بالحراسة المشددة ووضعوا أنوارا كاشفة وأسوارا حول المستعمرات · ولم يهجر السكان قرية واحدة ولم يخلوا هتكارا واحدا من الارض ·

وذات يوم أثناء زيارتى لبيت شـيعان لمراجعة خطة الامن مع ممثلى المنطقة ، وضعت المبادىء الاربعة الرئيسية تحكم هجومنا المضاد للمخربين الذين يتسللون من الاردن :

● أن مخربى فتح لا يســتطيعون الاحتماء بايقاف النـــار من ناحيتنا ، فهذا جزء من مسئولية الاردن واذا اســـتمروا فى عملياتهم فسنشن الحرب عليهم ·

● تحركنا لن يأخذ شكل العقاب ، بل سيأخذ حملة عســكرية كاملة بكل معانيها ·

وخلال اطار العمل هذا ـ وكان ذلك هو الهـــدف الرئيسى من الاجتماع ـ فتتحول كل قرانا على الحدود الى وحدات مقاتلة تستطيع الدفاع عن نفسها ، ويعتبر جزءا من نظام الامن ، مع استمرارها فى العمل العادى ·

وأثناء الحديث قال أحد أعضاء المستعمرة أنه لن يكون هنـــاك محصول فى احدى المناطق التى تتعرض للقصف المســتمر · فقلت له أن العمل يجب أن يستمر ، وأن يكون هناك محصول فى كل المناطق·

وقلت له أيضا : أننى سوف أطلب متطوعين للحضور والاشتراك فى زراعة الارض وحمايتها ، وتم ذلك بالفعل ·

ثم قررت أن أنضم الى عملية كمين على الحدود مع كتيبة المظلات التى يقودها دان شامرون · وكانت هذه الكتيبة هى خليفة الكتيبة ٨٩ التى أنشأتها منذ عشرين عاما · ولبست خوذة وأمسكت بمدفع رشاش عوزى وقلت لهم اننى جئت لاشـــاهد عمليتهم وقدرات الرجال الجدد الذين انضموا الى الجيش بعد حرب الايام الســـتة · وبدأنا العملية

ووصلنا الى طرف منطقة الكمين بعد أن قطعنا المسافة من المعسكر سيرا على الاقدام وانتشرنا فى مجموعات صغيرة • وانضممت أنا وماتى مساعدى ، لمجموعة من أربعة رجال بقيادة عريف ورقدت فى حفرة ، وكان مستوى نظرى على حافة الحفرة • وفى لحظات حل الظلام • وبعد ربع ساعة سمعنا أصوات أقدام تقترب منا وبعد دقائق ميزنا شباح أربعة أشخاص ، وعندما أصبحوا على مسافة ٥٠ ياردة فتحت مجموعتنا النيران ، ثم انطلقوا الى الوادى الذى اختفوا فيه ، فى ممر يصل نهر الاردن بجبال الضفة الغربية • وعثرنا على جثث ثلاثة شباب وهرب الباقون • ولم يحدث شيء يذكر بقية الليلة ، وعند الفجر شكرت الرجال وعدت الى القدس •

وخلال عام ١٩٦٨ وبداية عام ١٩٦٩ استمر العمل التخريبى وكان علينا أن نقوى دفاعنا على الحدود وأساليب هجومنا المضاد ، ومع دعم خط الدفاع على الحدود بنقط قوية ، وخاصة عند الممرات التي يستخدمها المخربون فى عبور نهر الاردن الى الضفة الغربية • وعندما كانت تحدث عمليات تسلل من تلك الممرات ، كانت المطاردة تبدأ فورا على الاقدام وبالهليوكوبتر • دفعنا ثمنا غاليا من أجل تأمين سلامة البلاد • وتم إختيار مجموعة لقيادة عمليات الهجوم المضاد والمطاردة من بين أحسن ضباطنا فكانوا أول من يتعرض للنيران • وفى احدى العمليات قتل اثنان من ضباطنا الكولونيل أريك ريجيف قائد لواء المظلات فى القطاع ، وكابتن جاد مانيلا ضابط عملياته وكنت أقدر ريجيف كواحد من خيرة ضباط الجيش الاسرائيلى ، وعندما زرت أرملته ذكرتنى بالمناقشة التى دارت بينى وبينه بعد فتح القدس ، كما رواها لها ، اذ قال أنه يرجو الغاء قرارى الخاص بنزع علامات الحدود فى القدس لتوحيد الجزئين ، ولكننى قلت له (أيها الشاب ليس مهما ما قلته ، ولكن المهم أن لديك الشجاعة لقوله) •

وخلال العشرين سنة منذ انشاء دولة اسرائيل ، لم تتوقف الحرب فترة : حرب الاستقلال — عمليات الرد — حملة سيناء — حوادث الحدود — حرب الايام الستة — والآن الحملة ضد المخربين ، حربا بعد حرب ، ومعركة بعد معركة • ولكننا كنا دائما قادرين على الصمود من أجل تحقيق أهدافنا ، بفضل رجال مثل ريجيف •

وأنتهى الهجوم التخريبى الذى استمر ثلاثة أعوام ضد اسرائيل من الحدود الاردنية • فبفضل الاعمال التى كانت تقوم بها اسرائيل ضدهم ، وبفضل سلوك المخربين داخل الاردن ، اضطر الملك حسين

لاتخاذ موقفه من المخربين • وفى فبراير (شباط) ١٩٧٠ أصـــــدرت الحكومة الاردنية اجراءات لتقييد حركتهم داخل الاردن • ولـكن القرار انتهى قبل أن يبدأ تنفيذه بضغط من مصر والعراق اللتين كانتا تؤيدان حرية الحركة لهم حتى يستطيعوا القيام بعمليات التخريب • وفى ٢٦ يوليو (تموز) قبل الملك حسين مشروع روجرز الخاص بالسـلام • وحاول المخربون نسف هذا القرار بتكثيف عملياتهم داخل اسرائيل من الحدود الاردنية ، واضعين في حسابهم ما سيترتب عليها من أضرار للاردن • وأصبحت حكومة الملك حسين فى وضـــــع تحتم فيه عليها أن تحدد الجهة التى تحكم البلاد •

وبدأ الصدام وشيكا بين الملك حسين وبين ياسر عرفات وجورج حبش ، زعيمى الارهابيين . وجاء الانفجار فى سبتمبر (ايلول) .

٢٥ سبتمبر
أيلول الأسود

فى أوائل سبتمبر « أيلول » ١٩٧٠ حاول الارهابيون اغتيال الملك حسين ، وتبع ذلك صدام من الجيش الاردنى . وفى ٦ سبتمبر «أيلول» قاموا بخطف ٤ طائرات مدنية من أوربا ، وفشلت محاولة لخطف طائرة اسرائيلية ، حيث استطاع طاقمها التغلب على الارهابيين بجرح أحد المختطفين والقبض على زميلته ليلى خالد وتسليمها للبوليس الانجليزى ونجح الارهابيون فى الاستيلاء على الطائرات الثلاث الأخرى وتتبع شركة بان أمريكان والخطوط الجوية العالمية وسويس اير .. وأجبرت طائرة البان أمريكان الجامبو على الهبوط فى مطار القاهرة حيث نسفها الارهابيون بعد اخلائها من الركاب . وأجبرت الطائرتان الاخريان على الهبوط فى الاردن فى منطقة قريبة من الزرقا واحتفظ بالركاب كرهائن داخل الطائرات .

واعلنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسئوليتها عن الحادث ثم أعلنت بعد ذلك عن عدة طلبات من حكومات سويسرا والمانيا الغربية وبريطانيا والولايات المتحدة واسرائيل ، وذلك حتى يمكن اطلاق سراح الركاب وهددت بأنه مالم تجب تلك الطلبات ، أو اذا حاول الجيش الاردنى التدخل للسيطرة على الطائرات ، فانهم سينسفونها بركابها وحتى يؤكدوا تهديدهم وضعوا شحنات الديناميت حول الطائرتين ، وطلب الارهابيون من سويسرا الافراج عن ثلاثة من زملائهم حكم عليهم

بالسجن ١٢ عاما بعد هجومهم على احدى طائرات العال فى مطار زيورخ - فى فبراير « شباط » ١٩٦٩ . وطلبوا من المانيا الغربيـــة الافراج عن ثلاثة آخرين كانوا قد هاجموا ركاب طائرة العال فى مطـــار ميونخ . وطلبوا من بريطانيا الافراج عن ليلى خالد ، ومن الولايات المتحـــدة الافراج عن سرحان بشارة سرحان المتهم بقتل روبرت كيندى . وطلبوا من اسرائيل الافراج عن قائمة طويلة من المسجونين . وفى اليوم الثالث أضيفت طائرة جـديدة الى الطائرتين المحتجزتين فى الزرقا ، وكانت طائرة الخطوط الجوية البريطانية التى خطفت اثناء رحلتها من البحرين الى لندن . وقال متحدث باسم الجبهة الشعبية أن هذا العمل تم من أجل الاسراع بالافراج عن ليلى خالد .

وكانت حكومات سويسرا والمانيا الغربية وبريطانيـــا قد قررت الاستجابة لمطالب الارهابيين ، غير أنهم بعـــد مقابلة مع روجرز وزير الخارجية الامريكى ، قرروا عدم القيام بتصرف منفرد وأعلنوا أنهم لـــن يستجيبوا لمطالب الارهابيين قبل الافراج عن ركاب الطائرات بما فيهم الاسرائيليون واليهود .

واجتمع مجلس الامن فى جلسة عاجلة وطالب الارهابيين بالاجماع بالافراج عن الركاب وأطقم الطـــائرات ، وحاول قائد الجيش الاردنى اقناع الارهابيين بالافراج عن النساء والاطفـــال والشيوخ ومواطنى الهند وباكستان ولكنهم اشترطوا ابقاء الاطفال والنساء اليهود وحاولت حكومة العراق أيضا اقناعهم بالافراج عن الركاب والطائرات دون جدوى وبعد ستة أيام طلب الارهابيون من الركاب مغادرة الطائرات تم نسفوها يوم ١٢ سبتمبر « أيلول » فى الساعة الثالثة بعد الظهر . وسمح لـــ ٢٨٠ راكبا وأطقم الطائرات بالذهاب الى عمـــان . ولكن الارهابيين احتفظوا بأربعين راكبا « كأسرى حرب » ونقلوهم الى احـد معسكرات اللاجئين . وأفرج عنهم بعد ذلك عندما احتلت احدى وحدات الجيش الاردنى المعسكر .

باحضار الطائرات المختطفة الى الاردن ، وتحـــدى السلطات الاردنية ، وصلت المسألة بين الارهابيين والجيش الاردنى الى صـــدام مباشر ، وانفجر القتال فى منطقة عمان . ورغم الهـــدنة المتكررة التى أعلنها الطرفان ، فقد استمرت المعارك . وقامت بعض وحدات الجيش بالهجوم على قواعد الارهابيين على الحدود السورية ، رغم ان ذلك كان ضد أوامر رئيس الاركان الاردنى . وتزايدت الاصطدامات لتصـــبح معارك عنيفة تغطى كل أنحاء المملكة . وشكا الارهابيون من ان الدبابات الاردنية هاجمت قواعدهم فى شمال وادى الاردن وطالب زعماؤهم الملك حسين بتغيير الوزارة ورئيس الوزراء زيد الرفاعى الذى كان مشهورا بمعاداته للفلسطينيين .

وفى محاولة من الملك حسين لانقاذ عرشه ومملكته ، اقال الحكومة المدنية وشكل وزارة طوارىء عسكرية من اثنى عشر جنرالا برئاســـة

محمد داود الذى كان أسيرا فى حرب ٦٧ ثم أفرج عنه .. ثم انفجرت الحرب الاهلية . وفى عمان وضواحيها قتل الارهابيون الذين لم يستطيعوا الهرب وتم القبض على الآخرين وأرسلت الحكومات العربية رجاء عاجلا للملك حسين لايقاف هذه العمليات ضد الارهابيين ولكنه تمسك بموقفه بحزم ، ودفع السوريون ببعض قواتهم لمساعدة الارهابيين ، عبرت الحدود فى ١٨ سبتمبر « أيلول » واحتلت نقطة للبوليس وفى اليوم التالى دخلت وحدات اضافية من الدبابات السورية ، ومعها أيضا وحدات عراقية وبدأت تقدمها نحو العاصمة عمان ، طلب الملك حسين المساعدة من الولايات المتحده ، فوافقت واشنطن ووضعت الفرقة الجوية الثانية والثمانين على أهبة الاستعداد وأرسلت فى الوقت نفسه انذارا الى سوريا . وتحركت وحدة اسرائيلية مدرعة نحو الحدود الشمالية المتاخمة لمنطقة المعركة . واكتشف السوريون هذا التحرك ، وكان ذلك مقصودا .

وهاجم الجيش الاردنى قوات الغزو السورى وأحدث بها خسائر فادحة . مما اضطرها الى الانسحاب الى سوريا . وسافر رئيس الاركان المصرى الى الاردن ، وعرض على حسين وعرفات طلبا من حكام مصر وليبيا والسودان لايقاف اطلاق النار . وعندما بدا واضحا لحسين أنه اصبح صاحب اليد العليا ، قبل دعوه عبد الناصر وطار الى القاهرة يوم ٢٧ سبتمبر ، وقابل ياسر عرفات وتوصل معه الى اتفاق ، على الاقل على الورق وفى اليوم التالى ٢٨ سبتمبر (أيلول) توفى عبد الناصر على أثر أزمة قلبية .

ولم تتوقف الاصطدامات بين الارهابيين والجيش الاردنى . ففى بداية يناير « كانون الثانى » ١٩٧١ ، اقتحمت بعض وحدات الجيش مخيم اللاجئين الفلسطينيين بالقرب من عمان وطردت الارهابيين وطاردتهم وفى نفس الوقت طهرت وحدات أخرى قواعد الارهابيين فى جرش والسلط . وفى ٦ ابريل (نيسان) وجه الملك حسين تحذيرا الى قادة الارهابيين مطالبا اياهم فيه بتسليم أسلحتهم . وبعد يومين بدأ الجيش فى مطارده الارهابيين والبحث عنهم حول جرش وعجلون مدعما بوحدات الدبابات والمدفعية . وبعد معركة دامت ثلاثة أيام لم يبق ارهابى واحد فى الاردن ، وهرب أولئك الذين لم يقتلوا ولم يؤسروا ، ومنهم مجموعة تقدر بحوالى مائة شخص عبروا الى اسرائيل وسلموا انفسهم بأسلحتهم .

وهكذا انتهى الصراع بين الملك حسين والارهابيين ، وانتهى نشاطهم فى الاردن ، وتوقف بالنسبة لنا . ولكن الارهابيين استمروا يعدون العدة لاغتيال رئيس الوزراء الجديد وصفى التل ، الذى اغتيل فى القاهرة بمساعدة المصريين . وكان وصفى التل قد وصل الى القاهرة لحضور اجتماعات مجلس الدفاع العربى فى ٢٧ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧١ . وقتل فى اليوم التالى عند مدخل فندق

شيراتون الذى يقيم فيه وقبض على القتلة ، الذين أفرج عنهم بعد قليل .

وبتصفية منظمات الارهابيين داخل الاردن ، بدأت الحياة تعود الى طبيعتها . وعاد السكان الهاربون من وادى الاردن الى أرضهم ثانية . وساعدتهم الحكومة الاردنية فى اعادة بناء مساكنهم ، كما احضرت لهم معدات لرفع المياه من نهر اليرموك . وكان لخروج المخربين من الاردن أثره الضخم على المزارعين عندنا ، الذين استعادوا حياتهم الطبيعية فى الحقول وخاصة فى وادى الاردن وبيت شيعان وتحسنت العلاقات بين أسرائيل والاردن ، وكان ممكنا أن تضيع كل انجازات التعايش التى تحققت منذ حرب الايام الستة لو لم تقع أحداث سبتمبر (أيلول) الاسود .

واستمر النشاط الارهابى بقدر طفيف . فبدأت منظمات الارهابيين العمل من مخيمات اللاجئين فى لبنان التى أصبحت تعرف باسم أرض فتح ، ولكنهم كانوا يلقون عونا ضئيلا للغاية من العرب المقيمين فى الاراضى المحتلة .. وكان نظام العقاب والثواب قد وصل الى نتائج جيدة ، فمن يمتنع عن التعاون مع الارهابيين ، يحق له التمتع بالميزات المتاحة والتى لم يسبق أن تمتعوا بها تحت أى حكم سابق ، أما القلة التى كانت تشترك مع الارهابيين فى عملياتهم ، فكانوا يقتلون أو يقبض عليهم .

وكانت الاردن هى الدولة الوحيدة ، من بين الدول التى خاضت ضدنا حرب الايام الستة ، التى ترى أنه يمكن حل المشاكل بينها وبين اسرائيل بطرق هادئة فيما يتعلق بالامور اليومية العادية ، ولكن ليس فيما يتعلق بقضية السلام الدائم . فقد أصرت الاردن على عودة كل الاراضى التى فقدتها خلال حرب الايام الستة . كما كانت على استعداد لعقد اتفاقية خاصة بالقدس واعتبارها مدينة مفتوحة يسمح فيها بحرية التنقل مع عودة الجزء الشرقى اليها .

ووافقت الاردن على نزع سلاح الضفة الغربية ، مع عدم احداث تغييرات رئيسية فى الحدود . أما بالنسبة للمستعمرات التى أنشئت بالضفة الغربية ووادى الاردن بعد حرب الايام الستة فقد طلبت الاردن اخلاءها ، وقد كانت هذه الاتصالات مفيدة لكل من اسرائيل والاردن ، لذا عرفنا مواقف كل منهما ، وأدى هذا الى تجنب الكثير من سوء التفاهم الذى قد يظهر فى المواقف الحساسة مثلما حدث فى حرب يوم كيبور الاخيرة ، اذ اننا لم نفاجأ عندما ارسل الاردنيون بعض وحداتهم لمساعدة السوريين .

والرجل الذى يقود الاردن الآن هو الملك حسين مثل جده عبد الله ، لديه الكثير من الشجاعة . فهو يستطيع أن يتحرك وسط الجماهير ، أو

أن يزور وحدات الجيش بدون حراسة وبدون خوف على حياته . ولا شك أنه يعرف تأثيره المحدود فى العالم العربى ، وان ما يريد أن يتبعه من اتجاهات قد يكون غير مقبول لدى الرأى فى العالم العربى . غير أنه عندما يتحدث عن تسوية المشكلة يتجاهل حقيقة أنه أنكر حق اليهود فى العبادة عند حائط المبكى لمدة عشرين عاما ، وانه انضم سنة ١٩٦٧ الى عبد الناصر فى حربه ضـــدنا رغم أنه لم يطلب منه ذلك ، ورغم أن رئيس الوزراء أشكول حذره من ذلك ، فهو لا يستطيع أن يتجاهل أن بعض وحدات جيشه أشتركت مع المخربين فى عملياتهم ضد اسرائيل .

ولكن حسين — رغم هذه الحقائق — ما زال يعتقد أن أسرائيـــل يمكن أن تعود الى حدود ما قبل ١٩٦٧ ، وأن تفتح فصـــلا جديدا فى علاقاتها مع الاردن . وقد اعلن أن المواقف التى أتخذها ضد اسرائيل فى السابق هى « أخطاء » لن نتكرر ، وأن العـــالم العربى سيسلك سلوكا مختلفا مع اسرائيل يتميز بالمحبة والوئام أذا عادت اسرائيـــل لحدودها القديمة ، وان المنطقة سيسودها الســلام والاستقرار . ولكنه أنكر حقوق اسرائيل ، وأدعى أنها فشلت فى استيعاب حقيقة أن عصرا جديدا قد يظهر فى الشرق الاوسط ، وأنها ستفقد فرصتها التاريخية برفضها الانســحاب الى حدود ١٩٤٨ . ولا أعرف ما اذا كان الــوزراء الذين يحيطون به كرئيس وزرائه زيد الرفاعى ينظرون للامور بنفس المنظـــار الوردى . ولعل حسين يعتقد اعتقادا مخلصـــا فيما أعلنه .

٢٦ وزير الدفاع أثناء العمل

لم تكن هنـاك حجره خاصة لوزير الدفاع فى الوزارة ، لان سلفى اشكول كان يمارس عمله كوزير للدفاع من مكتبـه فى رئاسة الوزارة . وأخـذت مكتب موشى كاشتى ، مدير عام الوزارة ، وكانت غرفة متسعة فقمت بتقسيمها الى حجرتين احداهمـا لى والاخرى للاجتماعات وغيرت الديكور فأستبدلت البـار بمكتبة ، وأصبحت أقدم لزوارى الشاى والفاكهة . واستبدلت الصـور المعلقة فوق مكتبى بصور لاربعة أماكن تمثل تاريخ اسرائيل القديم منهـا صورة خاصة للقدس التقطت من الجو .

ومع ان العمل فى وزارة الدفاع كان بعيدا عن الروتين ، فقد كانت هناك مواعيد محددة ، مثل اجتمـاع مجلس الوزراء صباح كل أحد واجتماع رئاسة الاركان يوم الاتنين ، وهنـاك جزء من يوم الخميس للنقاش فى حزب العمل ، وفى يوم الجمعة أقابل رئيس الاركان وكبار الضباط فى الوزارة . أما بقية الايام فأقوم فيهـا بالتفتيش على وحدات الجيش ، وادارة الاراضى المحتلة حيث أتحدث مع المواطنين العرب ، علاوة على حضـورى جلسات الكنيست للاجابة على الاسئلة الخاصة بأمور الدفاع ، ومع مقابلات رئيس الوزراء فى حالة الضرورة .. وكنت أذهب الى مكتبى فى السـاعة ٧ر٣٠ صباحا واغادره فى وقت متأخر فى المساء .. ولم آخذ أجازة قط . وقد عودت نفسى على

النوم « أو على الاقل الاغفاء فى سيارة أو هليكوبتر فى خلال رحلاتى المنصلة ، وكنت دائما احتفظ ببطانية ووسادة » .

وكان الباب بين مكتبى وغرفة السكرتارية مفتوحا دائما . وكان فى استطاعة زفى سور مساعدى ، أو رئيس أركانى ، أو مدير عام الوزاره ، الدخول مباشرة الى حجرتى لإيضاح نقطة خاصة بقرار أو احضار معلومات سريعة وعاجلة . وأعترف أننى قليل الصبر ، أهتم بالاحاديث القصيره . وفى جولاتى للوحدات لم أكن أقدر على اجراء حوار مرح مع الجنود ، وانما كنت أدير حوارا عبر ساعات معهم عن أحوالهم وارائهم وأفكارهم . وكان هذا السلوك يشجع الرجال دائما على الحرية والصراحة فى الحديث . وكانت زيارتى لوحـــدات الجيش بدون احتفالات رسمية وبدون تحية من حرس الشرف وعندما أصدرت أوامرى بالغاء هذاالاسلوب ، قيل لى أن ذلك خطر على النظام فى الجيش، ولا بد من تحية حرس الشرف للقادة الكبار فى الجيش ، وعلى أى حال فقد طبقت هذا الامر على نفسى فقط . ورغم أننى لم اكن حريصا على أن تكون ملابسي مكوية ، فاننى كنت أهتم دائما بالذقن حليقة والحذاء لامعا . وقد تعلمت تلميع الحذاء أثناء عملى فى الشرطة الانجليزية منذ ٤٠ عاما . واعتقد أن اهتمامى بتلميع الحذاء يعود الى رغبتى فى أن اخلو لنفسى عده دقائق .. وهو أمر صعب فى مركزى .

وتنقســـم وزاره الدفاع الى ثلاثة أفرع ، خـــــدمات الجيش ، والمعدات ، واداره الاراضى المختلفة . ورئيس الاركان هو القمة فى هذا التقسيم ، وتعيينه الحكومة . بنـــاء على توصـــية وزير الدفاع . ولم يحدث أى خلاف من قبل لان وزارة الدفاع كانت دائمـــا مقترنة برئاسة الوزارة . وعندما أصبحت وزيرا للدفاع بات واضحا لى أننى لن أستطيع اقتــــراح اسم شخص لا يقبله رئيس الوزراء ومعظم الوزراء . ولذا فانه عنـــدما انتهت مدة حاييم بارليف ، اضطررت لقبول قرار رئيس الوزراء بالرغم من أننى كنت قد اقترحت اسما آخر . وبالنسبة لقطـــاع امدادات الجيش والتنظيم . فقـد كنت أصـــدر القرارات وأترك تنفيذها لتسور ، الذى انجز أعماله بكفـــاءة بعد أن منحته كل السلطات اللازمة فيما عدا المسئولية البرلمانية .

وخلال فترة الســنوات الست من ١٩٦٧ الى ١٩٧٣ قررنا تغيير نظام تسليح الجيش بعد الحظر الفعلى على توريد الســلاح الينا من الدول الغربية كالطـــائرات ومختلف الاسلحة . وقد بذلنـــا جهود ضخمة لانشاء صناعة الاسلحة . وحتى عام ١٩٧٣ كانت كل الاسلحة القيمة الجديدة قد وضعت فى خدمة القتال . وشمل التصنيع المحــلى للســلاح الطائرة الهجـــومية « كافير » ، والمدافع المتوسطة ، والبنادق بعيدة المدى ، وصــواريخ شافرير جو / جو ، وصواريخ جو / أرض ، وصـــواريخ الزوارق رشيف ، وصـــواريخ جبـــرييل بحر/ بحر ، بالاضـــافة الى أنماط كثيرة من أجهزة التحكم والسيطرة .. ولم أكن أعتقـــد أن اسرائيـــل تســـتطيع الاستغناء عن استيراد

السلاح ، لكنها على الاقل قادرة على انتاج بعض الاسلحة وتوفير احتياجاتها منها . وكانت الاحتياجات لنفقات التسليح وتصنيعه تتطلب ميزانية ضخمة للدفاع . وأرتفعت الميزانية تدريجيا الى أن وصلت ضعف ما كانت عليه ١٩٦٧ . وقد زيدت النسبة المخصصة فى الميزانية للطيران والمدرعات على حساب المشاة . ففى ميزانية ٧٣ - ٧٤ ، التى ووفق عليها قبل حرب يوم كيبور ، كانت النسبة المخصصة للطيران ٥٠٪ وللمدرعات ٣٠٪ . وتم انفاق الكثير فى بناء الطرق والاستحكامات الامامية فى الجولان وسيناء ووادى الاردن .

واذا كان خط بارليف وخط الدفاع الثانى قد فشلا فى الصمود فى حرب يوم كيبور ، فان ذلك يرجع الى اسلوب الرجال وليس الى قوة الخط نفسه . ولعل الخطأ الذى حدث فى هذه الحرب يرجع الى النظام الذى كان يجب أن يحكم تلك الاستحكامات مع قواعدنا المتقدمة فى سيناء ، وان نبقى متمسكين بهذه التحصينات ما دامت قادرة على اداء وظيفتها ، فاذا تغيرت الاحوال اخليناها .

ولم يكن عمل وزارة الدفاع فقط هو الذى يستغرق وقتى ، بل كان هناك أيضا العمل السياسى . ففى ١٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٧ قرر حزب رافى أن نتحالف وندخل فى وحدة مع حزب الماباى وحزب احدوت هاعفودا ، لنشكل حزب العمل ، وقد ووفق على القرار بالاغلبية ، رغم معارضة بن جوريون وهجومه على نظام الماباى الفاسد . وكنت أعتقد أنه حتى لو بقى حزب رافى مستقلا فان بن جوريون لابد وان يعتزل العمل السياسى . وبعد ستة أسابيع أنضم تسعة من الاعضاء العشرة فى حزب رافى الى حزب العمل ، وبقى بن جوريون - العضو العاشر - وحيدا فى الكنيست .

وكان بن جوريون صاحب تأثير ضخم بسبب قوة شخصيته ، وكان الناس دائما يشعرون بأن القرارات التى يتخذها نابعة منهم . ومن هنا كانت قوة بن جوريون ، اذ أن ما يفعله أو يقرره كان يلقى قبول الشعب فورا لانهم كانوا يثقون فيه .

وتذكرت منذ سنوات تلك الخطبة التى عدد فيها الاشخاص الستة الذين يعتبرهم أكبر من ساهم فى تنفيذ الفكرة الصهيونية ومبادئها . وكان الاعتقاد أنه سيذكر هرتزل ووايزمان ، ولكنه بدلا من ذلك ذكر قائمة من ثلاثة من اليهود الفرنسيين وثلاثة من اليهود الاسرائيليين . وكان الثلاثة الفرنسيون هم أدولف كريميه الذى ألغى الرقيق فى المستعمرات الفرنسية وخلص يهود الجزائر من عبوديتهم وأنقذ أيضا يهود دمشق من عمليات العنف التى كانت تمارس ضدهم خلال الفترة الدموية فى دمشق عام ١٨٤٠ . والثانى هو شارلز نيتر الذى أنشأ أول مدرسة زراعية يهودية فى فلسطين عام ١٨٧٠ ، والثالث أدموند دى روتشيلد الذى رصد الاستثمارات لانشاء أول

مستعمرة زراعية فى فلسطين فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . أما الثلاثة الآخرون من يهود فلسطين . فهم جوشوا ستامبر وهو من أصل مجرى ، ودافيد مائير جوتمان وموسى سولومون من مواليد القدس ، وقد انشأوا فى عام ١٨٧٨ أول قرية يهودية فى فلسطين وهى بتاح تيكفا .

ولا شك أن بن جوريون كان شبيها بهؤلاء الستة ، فهو ممن قرنوا الفكرة بالعمل على تحقيقها ، ولا أظن أن هرتزل أو وايزمان يتساويان مع بن جوريون ، فقد كان هو قادراً على ربط بين الرؤيا وبين وضعها موضع التنفيذ .

وكان بن جوريون يصر دائما على أن يتولى مسئولية الدفاع ، وكان يردد دائما اننا نستطيع أن نهزم العرب مائة مرة دون أن نحل مشاكلنا ، ولكنهم لو هزمونا مرة واحدة لكان فى ذلك نهايتنا . وكانت فكرتا الامن والدفاع تسيطرا على كل تفكيره ، ولذا احتفظ دائما بوزارة الدفاع ايمانا منه بأهمية اصدار الامر النهائى بشأنها . وكان يمقت الخطب والكلمات ، مؤمنا بأن الله فقط هو الذى يخلق بكلمة منه ، أما الافراد فيخلقون بأفعالهم .

وقابلت بن جوريون لآخر مرة فى فندق الملك داوود بالقدس ، ودخل معى فى مناقشة حول أمور الدفاع وقال لى أن ما يهمنا الآن فى مجال الدفاع أن نحصل على أحسن المهاجرين نوعية لا عددا ، وخاصة المهاجرين من الدول الغربية . ورغم بعده عن الميدان ، فقد كان حديثه حول أهم أمور الدفاع ــ بالرجال ــ لا بالسلاح .. كان يتحدث بطريقة بن جوريون التى تتميز ببعد النظر .

وفى يوم ٢٦ فبراير (شباط) ١٩٦٩ مات ليفى أشكول ، ورشح حزب العمل جولدا مائير خلفا له ، ووافق الكنيست . بناء على طلبها ، بقيت وزيرا للدفاع . وقد سبق لى أن عملت مع جولدا مائير عندما كنت وزيرا للزراعة وهى وزيرة للخارجية ، اذ كنا نتعاون فى مسألة الخبراء الذين يذهبون لافريقيا وآسيا وبرامج المعونة الخارجية وقد امتنعت عن التصويت عند ترشيحها ، لاننى لم أكن أعتقد أنها ستضيف آفاقا جديدة لزعامة الحزب ، غير أن ذلك لم يؤثر فى علاقاتنا . وكنا نهتم بالحاضر والمستقبل ، وكانت مناقشاتنا تنتهى دائما بقرار واضح . والمهم أنها لم تكن محاطة بسكرتارية صحفية تقوم لها بدعاية صحفية ، وكان لها أصدقاؤها المقربون ، الذين لم أكن بينهم . ولكن المهم انه لم تكن بيننا اية حواجز عندما تصل الامور الى ميدان اختصاصى وهو الدفاع .

٢٧ حرب الاستنزاف

بعد انتهاء حرب الايام السنة بستة أشهر ، بدا واضحا أن السلام بعيد المنال . وبالرغم من ان الولايات المتحدة أبلغت الرئيس عبد الناصر انها ستعمل على انسحاب اسرائيل الى الحدود الدولية في اطار معاهدة سلام مع مصر وسوريا ، فقد ظل متمسكا بموقفه المتشدد ضد أسرائيل .

وبمجرد أن افاق من هزيمته العسكرية بدأ في اعادة بناء القوات المسلحة وفي توحيد العرب من أجل نضال سياسي ضد أسرائيل .
وفي ٢٩ اغسطس (آب) ١٩٦٧ عقد مؤتمر للقمة في الخرطوم ، حضره قادة احدى عشرة دولة عربية هي مصروالعراق والاردن ولبنان والسعودية والكويت وليبيا والسودان وتونس والمغرب والجزائر ، ولم تحضر سوريا ، ومثل ياسر عرفات منظمة التحرير الفلسطينية .

وبناء على اقتراح الرئيس المصري ، اصدار المؤتمر النقاط الأربع الرئيسية التي تبنى عليها الدول العربية سياستها وهي : لا سلام مع اسرائيل ، ولا اعتراف بها ، ولا مفاوضات معها ، ولا تفريط في حقوق الشعب الفلسطيني ..

وكذلك قررت دول البترول رصد مساعدات مالية لمصر تعويضا عن اغلاق قناة السويس ، فوعدت السعودية بـ ١٢٠ مليون دولار

سنويا ، والكويت بـ ١٣٢ مليـــون دولار ، وليبيا بـــ ٧٢ مليون دولار . وقد زادت أيضا المساعدات العسكرية التى يقدمهــا الاتحاد السوفييتى من معدات وخبراء لاعادة بناء الجيشين المصرى والســورى .. وفى يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، وبعد انتهــاء حرب الايام الستة بعدة أيام ، وصلت الى مصر بعثة عسكرية على مستوى عال تضم ٩١ من كبار الضـــباط برئاسة المارشـــال زخاروف رئيس هيئة اركان الحرب ، للتحرى عما حدث . وفى النهاية ابلغ زخاروف عبد الناصر أنه لو كل دبابة من الدبابات المتمركزة فى ســـيناء أطلقت عشر دانات فقط ، لكسب العرب الحرب . والحقيقه التى قالها ان معظم الدبابات لم تطلق طلقة واحـــدة ، وأضــــاف أن الروس « ســـيعلمون المصريين كيف يقاتلون » ..

وبعد أسبوع من انتهاء الحرب بدأ الروس فى أرسال امدادات الى مصر ، بحـرا وجوا ، وفى خلال ١٨ شهرا لم يكتف الروس بتعويض مصر عما فقدته فى الحرب بل جعلوا الجيش المصرى أقوى ممـــا كان عليه عشية الحرب . وقام الاتحاد السوفييتى بنفس العمـــــل مع ســـوريا . وفى اغسطس (آب) ١٩٦٧ دعا وزير الدفاع السوفييتى وزير الدفاع السورى الجنرال حافظ الاســـد لزيارة موسكو . وأبلغ السوفييت الاسد بأنهم لن يزودوا ســـوريا بالاسلحة الا اذا كانت الوحدات السورية تحت سيطرة الخبراء السوفييت . واجاب الاسد ان ســـوريا ستنفذ ذلك . وطار آلاف الخبـــــراء والمستشارين السوفييت الى سوريا لتدريب وادارة الجيش السورى ، تماما كما يفعل زملاؤهم فى مصر .

وفى ٢١ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٧ ، أى بعد أربعة أشهر من انتهاء حرب الايام الستة ، وقع أول حادث خطير . اذ اصاب صاروخ روسى اطلقه زورق طوربيد من طراز كومار السفينة الاسرائيلية ايلات على مسافة ١٣٫٥ ميل من بورســــعيد خارج المياه الاقليمية المصرية . وقد انطلق صاروخان أصـــاب أولهما ماكينات الســـفينة وأوقفها ، وتسبب الثانى فى غرقها . وكانت خسائرنا ٤٧ قتيلا . . ورددنا على الفور بقصف مصفاة البترول على ســـاحل مدينة السويس وأشـــعلنا الحرائق الضخمة فى المستودعات . ورد علينا المصريون وتبادلنا نيران المدفعية على طول الجبهة . وتم اخلاء مدن الســـويس والاسماعيلية والقنطرة من السكان .

وطرت الى منطقة القناة وكانت النيران ما زالت مشتعلة وشاهدتها من نقطة فى خطوطنا الامامية . وبينما كنت هناك ، وصلت أنباء بأن المصريين جددوا القصف فى قطاع آخـــر . وكان معى قائد الجبهة الجنوبية فطلبت منه أن يبقى الاشـــتباكات محليـــة . وبعـــد ذلك الاشتباكات ظلت الجبهه شبه هادئة لمدة عام . وخلال هـــذه الفترة قام المصريون تحت أشراف الخبراء الســـوفييت بتنظيم انفسهم ،

وأقاموا عدة نقاط متقدمة حصينة في الضفة الغربية من القنـــاة • وفى ابريل (نيسان) ١٩٦٨ قال عبد النـاصر لشعبه اننا « وصلنا الآن الى مرحلة الصمود » وبعد خمسة أشهر أعلن وزير الدفاع المصرى أن مرحلة الصـــمود قد انتهت ، وأن الجيش المصرى بدأ مرحلة أخـــرى هى « الردع النشيط » ، أخذت شكل القصف المدفعى وأطلاق نيران الاسلحة الخفيفة على الجبهة الاسرائيلية الامامية . ووقعت لدينا بعض الخســـائر ، ولكن المصريين لم يعلنوا عن شن هجوم شامل لاستعادة الاراضى التى احتللناها •

وازدادت الحوادث عنفا في سبتمبر (أيلول) عندما فتح المصريون نيرانهم فى القطاع الشمالى على قواتنـــا وقتلوا عشرة من رجالنا وأصابوا ١٨ . وبعد أسبوعين قام المصريون بضرب كل النقاط المتقـدمة بالمدفعية على طول الجبهة لمدة تسع ساعات متصلة ، وكانت خســائرنا كبيرة اذ قتل ١٥ وجرح ٣٤ وتحت ستار الظلام أرســل المصريون قوات الكوماندوز الذين حاولوا دخول أحد مواقعنا القوية ، واشتبكوا مع أحدى دورياتنا ثم انسحبوا بعد أن أستمر القتال الى ما قبـــل الفجر بقليل .. وطرت فى اليوم التـــالى الى الجنوب فى منطقة الاستحكامات « الكوبرا » حيث سقطت معظم دانات المصريين • وكانت المنطقة تبدو وكأن أعصارا مر بها . وقد سقطت دانة ١٦٠ مم على سطح أحد الاستحكامات وأنفجرت بداخله فأصابت الجنود العشرة الذين كانوا بالداخل ، ودمرت كل المنشآت التى على ســـطح الارض ، ولكن بدون خسائر .

أما الاشتباكات بين دوريتنا والخمسة عشر فردا من الـكوماندوز المصريين ، فقد وقع على مسافة ميل ونصف جنوب هذه الاستحكامات .. وقد دمرت سيارة نصف مجنزرة فى هذا الاشتباك . ونزلت من سيارة القيادة وتتبعت على قدمى الممر الذى سلكته قوة الكوماندوز ، وشاهدت على الطريق جنديا مصريا مات من اثر جروحه . واقتربت الى حافة القناة زحفا ، ونظرت الى الجانب الآخر ، فوجدته هادئا ، ولم يحاول أحد أن يطلق علينا النار • وفى عودتنا شـــاهدنا دبابتين اسرائيليتين محروقتين بعد ان اصطدمتا ببعضهما وكنت قد شاهدت بالمنظار المكبر مدينة السويس وقد دمر الصف الامامى من المنازل .

وكانت مشكلتى العـــاجلة الآن هى تقوية مواقع خطوطنا الامامية وأصلاح الطرق ، وخاصة طريق متلا ، وهذا يعنى أننى أحتـــاج ، وبسرعة ، الى خمســـة ملايين دولار • ولم أكن قد علقت على خطة قدمت لى تقضى بتلغيم خط القناة كمـــا حدث فى القطاع الاردنى . لكننى كنت مقتنعا بأن سياستى لابد وأن تجعل العرب يشعرون بأن اتفاقيـة سلام معنا ، أو على الاقل ترتيبات لوقف أطلاق النار ، هى أجدى لهم من الاستمرار فى الحرب التى قد تكلفهم الكثير . وازاء هذا الموقف قررنا أن نقوم بضربات مضادة . وقام طيراننا بنسف عدة جسور

على النيــــل ، كما قامت فرقة مظـــلات بتدمير محطة كهرباء نجـــع حمادي . وكانت خطتنا مفاجئة للمصريين والسوفييت الذين اكتشفوا ضعف حماية العمق المصرى . وبدأت مشـــاورات عاجلة فى القاهـــرة تقرر بعدها تنظيم حراسات مدنية وعسكرية على الاهداف المماثلة على النيل .

وخلال الاربعة شهور التالية ، كانت الجبهة على القناة هادئة . وتم تنظيـــم الجيش وتقوية الجبهة الامامية . وكان رئيس الاركان هو حاييم بارليف الذى عين فى ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٧ خلفـــا لاسحاق رابين الذى أصبح سفيرا لاسرائيل فى واشنطن . ودارت مشاورات ومناقشات فى رئاسة الاركان حول أمرين : هل نعيد خطنـــا الامامى الى الوراء ليكون بعيدا عن مرمى المدفعية . ونكتفى بدوريات مستمرة على قناة السويس للسيطرة عليها . أو نقيم خط استحكامات قوى من قلاع صغيرة ، تحكم الشاطىء ، ويكون بين كل موقع والآخر وحدات متنقلة من الدبابات . تليها فى العمق وحدات دبابات تتدخل بسرعة من الخلف لنجدة ومساعدة أى موقع يتعرض للهجوم . وكان الامر الاخير هو اقتراح بارليف الذى تبنيناه وتمت الموافقة عليه .

وقد تم بناء خط قوى على طول القناة يضم قلاعا صغيرة مزودة بدبابات خلف السور الحجرى الممتد حول النقاط . وقام المهنـــدسون بانشاء طرق تربط هذه النقاط على طول الخط . واقيم ســـاتر ترابى ضخم على الماء لتغطية هذه الاســـتحكامات حتى لا يستطيع المصريون رؤية أى شىء داخلها وخصص لكل نقطة ١٥ رجلا . عملهم الرئيسي المراقبة والعمـــل كعيون وآذان فى القطاع ، ليستدعوا عند الحاجة المدفعية والدبابات والطيران .

وقبل أن ينتهى بناء هذا الخط بقليل استأنف المصريون « حرب الاستنزاف » . وبينما كنا نحن نعمل تحت ستار الظلام . استمر القتال والقصف طوال الليل مرة بعد أخرى . وفى فترة اربعة أسهر تكبدنا ٢٩ قتيلا و ١٢٠ جريحـــا . وحصلت على موافقة اللجنة الوزارية للدفاع على اصدار أوامرى للطيران بمهاجمة المواقع الامامية ومواقع المدفعية وبطاريات صواريخ ســـام ٢ فى القطاع الشـــمالى من القناة . وبعد اربعة ايام هاجم طيراننا على مدى خمس ســـاعات وقذف كل الاهداف العسكرية من القنطرة حتى بور ســـعيد . ودارت معركة جوية اسقطت فيها خمس طائرات للعدو وسقطت طائرتان من جانبنا . وفى نهاية يوليو (تموز) دارت معركة جوية أخرى أسقطت خلالها ١٢ طائرة مصرية ، تم على أثرها فصل قائد الطيران المصرى .

وبعـــد ذلك بوقت قصير حدث نفس الشىء مع رئيس الاركان المصرى وقائد البحرية ، بعد أن قامت قواتنا بعبور خليج السويس وتدمير منطقـــة مراقبـــة ومعسكر ومحطة رادار وبعض الســـيارات

المدرعه على الطريق . ولم يعلم عبد الناصر بالعملية الا بعد حدوثها ، وبعد عودة قواتنا الى مواقعها . وطلب رئيس الاركان تليفونيا ، الذى لم يكن يعلم شيئا ، والذى طمأنه بعد ذلك انها محاولة اسرائيلية صغيرة وان الاسرائيليين تكبدوا خسائر فادحة . ولم يكن عبد الناصر قد عرف شيئا عن زورقى الطوربيد اللذين تم أغراقهما فى الليلة السابقة وعن المائة جندى مصرى الذين قتلوا . وعندما عرف الحقيقة كاملة بعد ذلك صدم لنجاح عمليتنا من جهة ، ولان قادته كانوا لايعلمون شيئا عنها ، أو اذا كانوا يعلمون فقد اخفوا المعلومات الحقيقية عنه .

وحتى نضغط على المصريين لنجبرهم على تنفيذ وقف اطلاق النار ، فقد اقترحت على اللجنة الوزارية للدفاع ان تسن هجوما جويا على القواعد العسكرية فى أعماق مصر ، وقد تم قصف حوالى ٢٠ هدفا خلال الاشهر من يناير (كانون الثانى) حتى مارس (آذار) عام ١٩٧٠ . وقد اكتشف عبد الناصر أن جيشه عاجز عن منع تلك العمليات الجوية ، لكنه فى نفس الوقت لم يكن مستعدا لاعلان ايقاف اطلاق النار والدخول فى مباحثات سلام مع اسرائيل . وفى اول يناير (كانون الثانى) طار عبد الناصر الى موسكو وطلب من القادة السوفييت أن يرسلوا له بعض القوات السوفيتية ، ووافق الاتحاد السوفييتى . ومع بداية عام ١٩٧٠ بدأت تصل وحدات الصواريخ الروسية مع رجالها .

وفى أول أبريل (نيسان) وصلت ثلاث فرق من الطيران بأطقمها . وكلف الطيارون السوفييت بحماية سماء الاسكندرية والقاهرة وأسوان .. وتولى السوفييت قيادة بطاريات صواريخ سام ٣ ونظام الدفاع الجوى كله فى مصر . وفى يوليو حدث ما لابد منه اذ هاجمت ٨ طائرات ميج ٢١ سوفيتية دورية جوية لنا . وقد اسقطنا خمس طائرات سوفييتية وعادت كل طائراتنا سالمة الى قواعدها . وقد سقط الطيارون الخمسة فى الجانب المصرى واستغرق البحث عنهم يوما كاملا وأخيرا عثر عليهم : اثنان منهم قتلى ، واثنان جرحى ، وواحد فقط لم يصب بشىء . وقال طيارونا بعد عودتهم أن الطيارين السوفييت يحاربون وفق ما تعلموه فقط وتنقصهم الخبرة والمرونة .

وقد هنأت طيارينا وشكرتهم ، وقلت لهم ان هذا الاشتباك سيؤثر كثيرا على الصعيد السياسى ، فقد كانت الولايات المتحدة تخشى نشوب حرب واشتراك السوفييت فيها ، وكنا نحن أيضا نؤيد ذلك واضفت قائلا أننا على أية حال لسنا تشيكوسلوفاكيا ولسنا جيل « الماسادا » الذين ظلوا يدافعون عن مواقعهم ضد الرومان ثم انتحروا ، بل أن جيلنا سيقاتل ويحيا . ولكننا فى نفس الوقت ، بعد تبادل التعليقات المرحة ، كنا ندرك مدى خطورة الموقف : فلم يعد السؤال هو أى الطيارين أحسن ، وانما كيف نقوم بعملياتنا ونتجنب الاشتباك مع الروس وقررنا عدم أصدار بيان بما حدث ، ولم يتمن لا المصريون

ولا الروس الى ما حدث وفى نفس اليوم – ٣٠ يوليو (تموز) – وصل الى القاهرة قائد الطيران السوفييتى ، وقائد الدفاع الجوى السوفييتى . فقد اصبحت سماء مصر – بالنسبة للروس – جزءا من سمائهم .

وتذكرت ما قاله تولستوى مره ، أن الكتاب الذى لا يستحق أن يقرأ مرتين لا يستحق أن يقرأ مرة واحده . وكان خطاب تشرشل للرئيس الامريكى ايزنهاور بعد حمله سيناء يستحق ان يقرأ مرتين ، اذ كان يتصل مباشرة بما يحدث الآن . فقد كان تشرشل يخشى أن يؤدى الضغط الامريكى على بريطانيا وفرنسا الى تسلل النفوذ السوفييتى الى المنطقة والسيطرة عليها . وجاء فى هذه الرسالة : « لم يعد لى شىء أفعله فى هذا العالم ، ولم أكن أملك الرغبة ولا القوة لدفع نفسى فى الحقل السياسى الحالى . ولكننى فعلت ذلك لاننى أعتقد أن التحالف الانجليزى الامريكى أكثر أهمية اليوم من أى وقت مضى وقد أشتركنا سويا فى دفع هذا التحالف الى الموضع الذى ظل قائما فيه حتى الآن » وبدو لى أن هناك سوء تفاهم على جانبى الاطلنطى . واذا سمحنا له بالتفاقم فان السماء ستظلم وسيركب الاتحاد السوفيتى العاصفة . ولنترك للتاريخ أن يحكم على الخطأ والصواب الذى حدث خلال السنوات الماضية . وما يجب ان نواجهه الآن هو تلك الاحداث وما خلفته من اوضاع فى الشرق الاوسط ، فالاتحاد السوفييتى يتحرك الآن فى اتجاه خطر ، ومما لا شك فيه أن أى نصر لعبد الناصر سيكون نصرا لهم .

« فلنقرر سويا ما سيجب عمله لمنعهم من الوصول الى اهدافهم . واذا لم نتخذ عملا منسقا سريعا فسترى كل منطقة الشرق الاوسط وشمال أفريقيا تحت النفوذ السوفييتى ، وتصبح أوروبا الغربية تحت رحمة الروس . اننا ان فشلنا فى تحمل مسئوليتنا بايجابية وبدون خوف ، لكنا غير جديرين بالقيادة التى نتولاها الآن . وقد كتبت لك هذا الخطاب لاننى أعرف جيدا أين تتجه عواطفك الآن . ولانك الشخص الوحيد الذى يستطيع الآن أن يمارس نفوذا على الاحداث سواء فى الامم المتحدة أو فى العالم الحر . وهذه مسئولية تقبلة وليس هناك من يؤمن بقدرتك على تحملها ، ورغبتك فى العمل ، أكثر من صديقك العجوز » .

« ونستون تشرشل »

وعندما أعدت قراءة هذا الخطاب وجدت أن مخاوف تشرشل حينذاك أصبحت الآن أكثر خطورة عما كانت عليه فى الفترة التى كتبه فيها .

وأخيرا ، وبعد ثلاث سنوات من القتال المستمر ، وافقت مصر على وقف اطلاق النار ابتداء من ٨ أغسطس « آب » ١٩٧٠ ، بناء على مبادرة

من ويليام روجرز قبلها بشـــهر ونصف ، وكان منطقيا أن نفترض أن مبادرة روجرز جاءت نتيجة طلب من عبد النـــاصر ، الذى كان قد وعد شعبه والعالم أن « ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة » . وقد حاولت مصر من خلال معركة فاشلة أن تهزم اسرائيل وتجبرها على الانسحاب ، وكان آخرها حرب الاستنزاف . ولـكن الحرب لم توصل مصر الا الى تحطيم مســـــودعات البترول ، وأصبحت مدن القنـــاة مدن أشباح ، وتعرضت القواعد العسكرية فى عمق مصر للقصف الجوى وقد طرد عبد الناصر القادة العسكريين والمدنيين . بالاضافة الى أنه خيب آمال حلفائه العرب ، الاردن وسوريا ، باعتماده الكلى على الاتحاد السوفيتى . وقد جعلته كل هذه الحقائق يتجه مرة أخرى للولايات المتحدة .

وفى أوائل ديسمبر « كانون الثانى » سافرت الى الولايات المتحدة الامريكية لمقابلة الرئيس نيكسون ، والدكتور كيسنجر مستشاره للامن القومى ، وروجرز وزير الخارجية ، وملفين ليرد وزير الدفاع . وكانت أهم ثلاث مسائل ناقشـــناها هى التدخل الروسى فى الحرب ، وتجديد شحنات السلاح لاسرائيل ، وتجديد المباحثات مع مبعوث الامم المتحدة يارنج . وقد حثونى على العـــودة للمباحثات مع يارنج . وكانوا مهتمين بما أسموه « سفينة الحرب المصرية ــ نسبة الى السوفيت » . ولاحظت أن الاتجاه الواضـــــح لديهم هو أنه اذا زاد التـدخل الســـوفيتى فان الامريكيين لا يجب أن يظهروا أى ضعف . وكنا فى نفس الوضع فقـــد كان لا بد لنا أن نواجه الاعتداء السوفيتى بعنف . وعند هذه النقطة اتفقنا جميعا . ولم يوجه لنا أى نقد لاسقاط الطائرات السوفيتية .

وعنـــدما ناقشنا المسائل الدولية ، وخاصـــة نوايا السوفييت وسلوكهم فى الشرق الاوسط ، ركز نيكسون على مسئولية بلاده ، كقوة عظمى ، تجاه اصدقائها ، وأنهـا لن تتخلى عنهم . واستطعت ان احصل على موقف الولايات المتحدة بصراحة ويتلخص فى « لو أنهم جاءوا ، فلن نقف بعيدا » ، وقد تولى ترتيب مقابلتى مع نيكسون ، روبرت اندرسون وزير الخزانة فى عهد ايزنهاور . وكنت أعرفه معرفة وثيقة منذ زياراته السرية لاسرائيل مبعوثا من ايزنهاور للوساطة بين بن جوريون وعبـــد الناصر . وكانت علاقته جيدة بمعظم القادة العرب . وكان صريحا الى درجة قد تضايقنى أحيانا . وحتى فى هذه المناسبة فأن ما قاله لى قـد سبب لى بعض الضيق ، اذ كان رأيه أن ننسحب الى حدود ما قبل حرب الايام الستة والا فان موقفنا سيسوء .

وفى حديثى مع الرئيس نيكسون كان أهم موضـــوع بيننا هـــو احتياجات الامن . ولقد حدث موقف غريب عنـــدما شكوت له من أن الولايات المتحدة قد وعدت مصر بأيقاف مد اسرائيل بالاسلحة خلال فترة المباحثات مع روجرز حول الســـلام . وقال نيكسون أنه لم يسمع عن ذلك الوعد . فأخبرته عن المؤتمر الصحفى الذى عقده فى واشنطن منذ عدة

أيام وأعلن ذلك فيه محمود رياض وزير الخارجية المصرى . وأتجه الرئيس الى ملفين وسأله عن حقيقة الامر فأكد له ذلك .

ولم تكن المحادثات حول أمدادات الطائرات مدعاة للسرور ، وأنتهت بشعورى بأن الولايات المتحدة لن تجدد أمداداتنا بالطائرات ، واننا لن نستأنف محادثاتنا مع يارنج . لكننى كنت مخطئا ، فبعد أن غادرت واشنطن الى نيويورك تلقيت مكالمة تليفونية من جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية أخبرنى فيها أن الولايات المتحدة قررت الاستجابة الى طلبى ومدنا بالطائرات وعندما عدت الى اسرائيل وجدت أن السفير الامريكى فى اسرائيل قد قابل جولدا مائير واخبرها بأن الولايات المتحدة ستجدد امدادها لاسرائيل بالاسلحة . وهكذا أصبح الطريق مفتوحا لاستئناف المباحثات مع يارنج .

وبعد مباحثات طويلة استطاع يارنج فى ٨ فبراير « شباط » أن يضع أمام مصر واسرائيل وثيقة ، طلب منهما قبولها اولا والتوقيع عليها ، تتضمن ان مصر تتعهد بعقد اتفاقية سلام وأن اسرائيل تتعهد بالانسحاب الى الحدود الدولية . ورفضت مصر واسرائيل توقيع الوثيقة التى قدمها يارنج . ولكن مصر أبدت استعدادها لاعلان انهاء الحرب تماما دون التوقيع على اتفاقية سلام ، على أن تحل اسرائيل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، مع الانسحاب الكامل من كل الاقاليم المصرية وقطاع غزه وبقية الاراضى العربية المحتلة ، الى حدود ما قبل الحرب . وأجابت اسرائيل أنها من ناحيتها مستعدة للدخول مع مصر فى مباحثات سلام بدون شروط مسبقة . مع تأكيد موقفها المعلن انها تنسحب الى حدود ٤ يونيو « حزيران » . وكان موقف كل من البلدين يوحى بأنه ليست هناك نقاط التقاء ، واستمر يارنج بعض الوقت ، ثم انتهت مهمته ، ولم يعين السكرتير العام للامم المتحدة وسيطا آخر مكانه .

وكان أهم حدث فى حياتى الخاصة . هو زواجى من راحيل فى ٢٦ يونيو (حزيران)١٩٧٣ بعد معرفة استمرت قرابة ١٨ عاما . وكان هذا هو الزواج الثانى لكل منا . وكنت قد طلقت روث بناء على طلبها عام ١٩٧١ بعد ان تصدعت حياتنا أثر زواج دام ٣٥ عاما انجبنا خلاله ثلاثة أولاد ولم يخلق ذلك أى تعقيدات أو صعوبات اذ كان أولادنا قد تزوجوا ولم تكن هناك أى مشاكل مادية . بل انها رفضت عرضى بأن تبقى فى منزلنا مؤكدة أنها تريد بناء حياتها من جديد .

وتزوجت راحيل بعد ذلك بعام ونصف ، وكانت قد طلقت من زوجها عام ١٩٥٨ وكنت قد قابلت راحيل – بالصدفة – على الطائرة عندما كنت رئيسنا للاركان ، خلال عودتى من أوروبا بناء على استدعاء رئيس الوزراء . ولا أدرى اذا كان هذا ما يسمونه الحب من أول نظرة ، ولكنى أعرف راحيل هى الانسانة التى أرغب فى أن أقضى معها بقية حياتى .

باب السابع

حرب يوم الغفران
" يوم كيبور "
(١٩٧٣)

في السادس من أكتوبر كانت المفاجأة التى أذهلت العدو .. واستعادت الامة العربية شرفها السليب .. لقد تم تصحيح الاوضاع المقلوبة .

وباعتراف « ديان » بالهزيمة تحطمت الاسطورة جيش اسرائيل الذى لا يقهر ، وبتفصيل أكثر يعترف « ديان » بأن هول المفاجأة أفقدهم صوابهم وأوقعهم فى حرج لم يألفوه ، ولاول مرة احس « ديان » وأحست اسرائيل بحجمها الحقيقى الذى ضخمته دعايتهم الكاذبة ، لقد صدقوا هذه الاكاذيب من كثرة ماردودها .

لقد استطاعت الجيوش العربية أن توقظ اسرائيل من احلامها الوردية ، وأن تضع أمامها الحقيقة المفزعة التى غابت عنهم طويلا .

٢٨ المفاجأة

فى الساعه الرابعه من صباح السبت يوم ٦ أكتوبر « تشرين الاول » ١٩٧٣ ، افقت من نومى على رنين التليفون الاحمر بجوار فراشى . ولم يكن هذا أمرا غير عادى ، اذ لا نمر ليلة بدون رنين هذا التليفون مرة أو مرات . ولكن المكالمة فى هذا اليوم كانت غير عادية ، فقد وصلت معلومات حالا بأن مصر وسوريا تعدان لهجوم قبل غروب شمس نفس اليوم وبعد أن تأكدت أن نفس المعلومات قد ابلغت لرئيسة الوزراء جولدا مائير ، اتصلت برئيس الاركان ليقابلنى فى مكتبى فى الساعة السادسة صباحا .

وكان امامنا عمل كثير خلال هاتين الساعتين ، قبل اللقاء . وطلبت من مساعدى أن يبلغ كل القادة للحضور الى مكتبى .

تم ركبت سيارتى الى مكتبى ، وسط جو هادىء للغاية ، فالسماء من ناحية الشرق يختلط فيها اللونان الاحمر والذهبى والنسمة الباردة تهب من الغرب والشوارع خالية ليس فيها أحد ، كان اليوم هو يوم الغفران « يوم كيبور » وهو أقدس أيام السنة اليهودية .

ولم تكن هذه المعلومات نتيجة تقرير عن نشاط القوات العربية فى الميدان ، ولكنها كانت رسالة من المخابرات حول قرار العرب بالحرب . وكنا قد تلقينا مثل هذه التحليلات من قبل ، ولكن الهجوم المتوقع لم

يكن يقع . وكانت الدلائل تشير حينذاك الى أن الرئيس أنور الســادات قد غير رأيه فى آخر لحظة عندما اكتشف أننا عرفنا بالامر ، وفقد بذلك عنصر المفاجأة فيلغى الهجوم أو يؤجله على الاقل . ومن ناحيــة اخرى كانت هنــاك تقارير للمخابرات عن عملية اجلاء الاسر السوفيتية من كل من مصر وسوريا . ومن كل ذلك كان علينا أن نتصرف على أســاس افتراض أن مصر وسوريا ستشنان **الحرب بالفعل** .

وكان واجبــا ان يصدر القرار الرئيسى فى اجتمــاع مع رئيس الوزراء .. وقد تقرر عقــد هذا الاجتماع فى الثامنة صباحا . وبحثت مع ضباط الاركان فى الخطوات الواجب اتخاذها . وكان أمامنا أربعــة موضوعات رئيسية : تعبئة الاحتياطى وتدعيم الجبهات ، واعداد ضربة جوية رادعة وقائية ، واجلاء الاطفال والنساء من مستعمراتنا فى هضبة الجولان ، واصدار تحذير الى كل من ســوريا ومصر . وبحثنا أوجه الانذار ، وأن يكون دعوة للبلدين لصرف النظر عن المعركة ، وأن تعرف الولايات المتحدة من البادىء باشعالها فنضمن مساعدتها لنا .

وخلال المشاورات الاولية أبلغت رئيس الاركان موافقتى عــلى التعبئة الفورية للاحتياطى بأوسع قدر يراه ، لكنى كنت مصمما على بحث موضوع الضربة الجوية الرادعة مع رئيسة الوزراء وكان من بين تقاليــد الجيش الاسرائيلى أن يطلب رئيس الاركان اتخــاذ الاجراءات العسكرية الواسعة ، وذلك ما أثبتته لجنة (آجرانات) التى أجرت التحقيق حول الحرب ، وكانت الضربة الجــوية التى اقترحها رئيس الاركان ، عقب مداولاته مع قائد القوات الجوية ، موجهة الى سوريا فقط ، وفى القواعد الجوية فى عمق سوريا نفسها . ولم تكن هنــاك اى امكانية أن تتم هذه الضربة قبل الثانية عشرة ظهرا . ولو أن هذه الضربة تمت لما استطاعت أن تغير مجرى الحرب . وقد عارضت فكرة الضربة الجوية وتعبئة المزيد من قوات الاحتياط . وكنت أخشى أن تفسد هذه الامور ما كنا نأمل فيه من عون شامل من الولايات المتحدة .

وخلال المناقشة مع رئيسة الوزراء ، تحددت كل الامور ، وتقرر ــ فى ضوء قرارها ــ تعبئة ما بين مائة ألف ومائة وعشرين الفا بالاضافة الى الجيش ، واجلاء الاطفال والنســاء من الجولان ، وصرف النظر عن الضربة الجوية ، وانذار سوريا ومصر عن طريق الولايات المتحدة . وقد نقلت رغبتنا هذه الى الولايات المتحدة من خلال سفيرنا فى واشنطن ومن خلال مقابلة رئيسة الوزراء للسفير الامريكى فى تل أبيب . وكانت وجهة نظرها أنه اذا اشتعلت الحرب واقتنعت الولايات المتحدة بأننــا لسنا السبب فيها ، فانها ستمدنا بكل الدعم اللازم .

وتم اتخاذ القرارات ، وكنت راضيا عنها ، والمهم الآن الا يضيع الوقت . فاذا كان العرب جادين فعلا ، **فيجب أن تكون** قراراتنا صائبه وملائمة الان فى الهجوم فقد كان علينا أولا ان نتأكد من اننــا وضعنا كل

دبابة وكل جندى فى الجبهة فى الوضع المناسب . ولم نكن قد بدأنا من الصفر ، فالقوات الجوية بأكملها معبئة ، وكان لدينا على الجبهة السورية ١٨٠ دبابة و ١١ بطارية مدفعية و ٥٠٠ آلاف جندى ، وعلى الجبهة المصرية ٢٧٥ دبابة و ١٢ بطارية مدفعية صاروخية و ٨٥٠٠ جندى . وتم وضع الجيش فى أقصى حالات التأهب ، وأعلنت حالة الطوارىء فى الجيش وأعدت خطتان للهجوم والدفاع سبق التدريب عليهما . صحيح ان الانذار جاء متأخرا ، لكن الوقت لم يكن قد فات .

وفى الساعة الحادية عشرة ، توجهت الى حجرة العمليات فى كرم وامام الخرائط كان كل شيء هادئا ، لكننى لاحظت أن الضباط يدخنون أكثر من المعتاد ، أو هكذا تخيلت . وقبل أن أصل ، كان هناك اجتماع قد عقده القادة مع رئيس الاركان بحثت فيه كل التفاصيل التى سنناقش خلال هذا الاجتماع . وكانت الخطة التى نتوقعها من المصريين هى أن يحاولوا عبور القناة فى مناطق معينة على طول المجرى المائى ، فى زوارق مطاطية ، وأن يلحقوا بها قوات الصاعقة المحمولة بالهليكوبتر لاقامة رءوس جسور .. وفى نفس الوقت تجرى محاولة احتلال حقول البترول فى أبو رديس والاستيلاء على شرم الشيخ التى تحكم مدخل خليج العقبة .

ولم أكن قلقا على أبو رديس وشرم الشيخ فقد علمت أنه قبل غروب الشمس ستكون فى أبو رديس ١٣ دبابة وفى شرم الشيخ ٤٠ دبابة ، وكان فى تصورى أن المصريين يمكن أن يقوموا فى تلك المنطقتين بعمليات تخريب فقط ، ولن يقوموا أو يفكروا فى احتلالهما . وكانت عملية عبور القناة تثير العديد من التعقيدات ، فلن تستطيع طائراتنا العمل ضدها نظرا لحلول الظلام ولفاعلية قواعد الصواريخ سام ٦ المنتشرة بالقرب من القناة الجانب المصرى . وهكذا كان يمكن للقوات البرية أن تقوم بعمل حاسم ليلا ضد عملية عبور القناة ، فى حين أن قواتنا الجوية لن تستطيع العمل قبل الصباح .

وعلى الجبهة السورية كان الافتراض أن القوات السورية ستحاول دفع قوات من خلال قصف مركز بالمدفعية الثقيلة تقتحم بعده الدبابات العوائق لتمهيد الطرق أمام المشاة وكل ذلك أيضا لن تتم مواجهته قبل الصباح ، ولهذا وضعنا خطتنا بالنسبة لسوريا على أساس أن نظام صواريخ الدفاع السورى الكثيف ، والظلام ، وسوء الاحوال الجوية ، تحتم علينا أن نبدأ ضربتنا الجوية فى الصباح بهدف تحطيم القوات السورية وشل فعاليتها واخراجها من المعركة .

وكانت عمليات التعبئة تسير بسرعة ، وخلال فترة المشاورات كان قد تم استدعاء عشرات الآلاف من الجنود وتمت تعبئتهم ولكن وصولهم الى الجبهة كان يحتاج الى ٢٤ ساعة أخرى ، فعلى الجبهة الشمالية كان يمكن ارسال بضع مئات من الدبابات مساء يوم الاحد ٧ اكتوبر

« تشرين الاول » ، اما بالنسبة للجنوب ، فقد كان يمكن ارسال بضع مئات من الدبابات أيضا يوم الاحد وبضع مئات أخرى مساء الاثنين .

ولم تكن ذلك هو كل ما يحتويه الجراب ، لكن تلك كانت هى تقديراتنا العامة للموقف .. أما الامر المؤكد فهو ان هذه الليلة سوف تكون أقسى الليالى . وكنت آمل أن يتأخر العدو أيضا فى حشد كافة قواته ليعطى لقواتنا فرصة الوصول الى المواقع وتدعيمها . كما كنت آمل أن تسبب نشاطاتنا على الجبهه فى احداث فوضى وتأخير فى صفوف العدو .

ومضينا فى مناقشة الاستعدادات الخاصة بالدفاع المدنى واجلاء الاطفال والنساء من الجولان . تم ناقشنا خطة هجومنا وكانت الخطة تعتمد على تحطيم قوة الاعداء العسكرية وعدم احتلال أى جزء من الارض . وحتى لو اضطررنا لاحتلال بعض الاجزاء ، فاننا لاسباب سياسية لن نبقى فيها طويلا ورغم شعورنا بالثقة ، فقد كان القلق يملا قلوبنا . فنحن غير معتادين على أن نخوض حربا لا تكون المبادأة فيها لنا كذلك فان الوضع بأكمله مناقض لطبيعة الجيش الاسرائيلى الذى يعتمد على تعبئة الاحتياطى واحضار الجنود من وراء مكاتبهم ومن حقولهم ونقلهم الى الميدان .

وتوجهت عقب ذلك الاجتماع لاجتماع مجلس الوزراء فى تل أبيب الذى عقد على عجل ، وقد وافقت الحكومة على ما اتخذ من قرارات فى اجتماعى الصباحى مع رئيسة الوزراء وأخطر المجلس ايضا بأن الولايات المتحدة قد اتصلت بكل من مصر مباشرة وسوريا عن طريق الروس وأبلغتهما بما نقلته اليها اسرائيل وطلبت منهما توضيحات . وقد طلبت الولايات المتحدة من اسرائيل عدم القيام باى هجوم على مصر وسوريا لانها علمت اننا سوف نهجم خلال ست ساعات . ولم تتلق أمريكا ردا ، أما الروس فقد كان لديهم ابلاغ بنوايا مصر وسوريا ، ومع ذلك قاموا بدور ملاك السلام دون أن يهتز لهم جفن .

وفى الساعة الثانية وخمس دقائق استدعيت على عجل الى غرفة العمليات . لقد بدأت مصر وسوريا التحرك وقد قامت الطائرات السورية بعبور مجالنا الجوى ، وقامت القوات المصرية بعبور القناة كما تعرضت بعض قواعدنا العسكرية فى غرب سيناء وشرم الشيخ للقصف . لقد بدأت الحرب .

٢٩ عشية الحرب

لقد جاء الهجوم المصرى السورى مفاجأة لنا ، لكنه لم يكن أمرا غير متوقع . لقد جاء يوم كيبور (الغفران) وقوات اسرائيل غير معبأة ولا موزعة كما يجب ، لكن ذلك لا يعنى انها لم تكن مستعدة لمواجهة الهجوم العربى . وأنا شخصيا ، لم أكن أتوقع أن يقبل المصريون تخندقنا على طول قناة السويس ، ولا أن يرضى السوريون باحتلالنا لمرتفعات الجولان وكنت أشعر أن وجودنا هناك معناه تجدد الحرب أن آجلا أو عاجلا . ولم يكن هذا هو نفس شعورى حيال غزة ويهودا وسامرا .

وكنت أرى ان المفتاح لمنع قيام حرب هو عقد اتفاق — ولو جزئى — مع مصر ، اذ لم يكن ذلك كفيلا بتخفيف دوافع مصر للقتال فقط ، بل انه كان قمينا بأن يجعل سوريا تتردد فى قرار الحرب لعلمها أنها ستحارب بمفردها . وقد اقترحت بمجرد ايقاف حرب الاستنزاف فى عام ١٩٧٠ أن ننسحب قليلا من قناة السويس حتى نعطى الفرصة لمصر لاعادة الحياة الطبيعية الى مدن القنال واستئناف الملاحة ، وكان اعتقادى أن ذلك سيضعف رغبتهم فى القتال مرة اخرى . ولكننا لم نصل الى اى اتفاق جزئى ، وبدا واضحا ان دوافع مصر وسورية لاستئناف الاعمال الحربية قد بقيت كما هى وأصبح السؤال هو متى يحدث ذلك .

وتوقفت الاجابة على هذا السؤال على طبيعة وسياسة القيادة المصرية وعلى لياقة الجيش المصرى ، بالاضافة الى الاتحاد السوفيتى الذى استمر ، برغم تذبذب العلاقات ، يدرب قوات مصر وسوريا ويزودها بالعتاد بشكل واسع وخاصة خلال عام ١٩٧٣ . وتم تزويد البلدين ببطاريات الصواريخ سام ٦ ، وصواريخ فروج ارض ـ ارض ، والدبابات (ت ٦٢) وصواريخ ساجر المضادة للدبابات .

وكانت « سنة الحسم » ١٩٧١ ، التى أعلنها السادات قد مرت دون اية احداث . لكنه بدا منذ منتصف ١٩٧٣ ان مصر وسوريا عازمتان على الحرب . وقد وضعنا خططا تقضى بان نحتل القوات السورية مرتفعات الجولان وان تعبر القوات المصرية القناة ، ثم تتجه شرقا لتحتل ممرات متلا والجدى ، ثم جنوبا للاستيلاء على ابو ردبس وشرم الشيخ وفى اجتماع فى رئاسة الاركان يوم ٢١ مايو « ايار » ١٩٧٣ طلبت من رئيس الاركان اعداد القوات المسلحة لمواجهة هجوم مصرى وسورى شامل .

وبالفعل تم اعداد الخطة وعرضت على وعلى رئيسة الوزراء . ودعت الخطة الى الاسراع فى الحصول على الاسلحة والدبابات والمدرعات بشكل خاص ، وقدرت التكاليف بـ ١٧ مليون دولار . وتم كذلك ارسال تفاصيل الخطة الى قيادتى الجبهتين الشمالية والجنوبية متضمنة التعزيزات وتعبئة القوات وتوزيعها . وعند ظهر يوم كيبور كانت قواتنا فى الجبهة الجنوبية موزعة طبقا لهذه الخطة ، اما بالنسبة للجبهة الشمالية فقد كان الموقف أقوى منها .

وكنا قد وضعنا ١٧٧ دبابة فى الجبهة الشمالية ، و ٣٠٠ دبابه فى الجبهة الجنوبية مهمتها أن تحتوى الهجوم على الجبهتين فى حالة وقوعه بمساعدة السلاح الجوى ، لحين وصول بقية الامدادات . وكانت الخطط قد وضعت على **أساس أن الانذار المبكر يجب أن يصلنا قبل ٢٤** ساعه ، حتى نتمكن من تعبئة قوات الاحتياط وارسالها الى الجبهات وقت اندلاع الحرب . ويجب على ان اضيف هنا ان قوات العدو شنت هجومها بكفاءة أكبر مما وضعناه لها فى حسابنا عند وضع هذه الخطط .

وكانت القوات التى تم ارسالها للجبهة بسرعة ، هى ذلك الجزء من القوات الذى تم تعبئته خلال الخمسة عشر يوما السابقة ، بعد ملاحظة النشاط العسكرى المتزايد . ومع ذلك فان كلا من المخابرات الامريكية ومخابراتنا توصلتا الى أن مصر وسوريا لا تعدان للحرب ، وفسرتا التحركات العسكرية الواسعة على الجبهة المصرية على انها « مناورات للجيش » وليست استعدادات لغزو . ومع ذلك فلم نكن مرتاحين ، وخاصة فيما يتعلق بالجبهة السورية .

وكانت قد وقعت معركة جوية ضخمة يوم ١٣ سبتمبر « ايلول » حينما كانت طائرتان فانتوم وأربع طائرات ميراج فى مهمة تصوير

استطلاعية فوق الاراضى السورية ، فتعرضت لها ثمانى طائرات ميج وكانت النتيجة اننا دمرنا الطائرات الميج ، وفقدنا طائرة ميراج هبط قائدها فى البحر على بعد ثلاثة أميال من الشاطىء وأرسلنا له طائرة هليوكوبتر لانقاذه ، تحت حماية بعض الطائرات لكن أحد الزوارق السورية السريعة كان قد سارع لمحاولة التقاطه تحت حماية أربع طائرات ميج اخرى . ووقعت معركة جديدة سقطت فيها الطائرات الميج وهبط أحد قادتها فى البحر ، وتمكنت الطائرة الهليوكبتر من انتشاله هو والطيار الاسرائيلى . وفى الماضى كان السوريون ، فى حالات أقل خطورة من هذه الحالة ، يقومون برد فعل مضاد ، ولكنهم لم يفعلوا شيئا هذه المرة ومرت أيام بدون أى رد فعل مما دفع الشك الى نفسى بأن هناك تحركا كبيرا يتم تدبيره . وتأكدت شكوكى فى اجتماع عقد يوم ٢٤ سبتمبر « ايلول » فى رئاسة الاركان حيث أبلغنى قائد الجبهة الشمالية اعتقاده القوى بأننا قد نقع ضحية هجوم مفاجىء فى الجولان .

وبات واضحا لى أن هذا الامر يمثل بالفعل احتمالا خطيرا . ولم تكن الاحوال فى الجبهة المصرية مثالية ، لكنها على الجبهة السورية كانت فى غير صالحنا ، ففى الوقت الذى دعمت فيه القوات العربية نفسها على كل الجبهات ، كنا نحن على الجانب الآخر نواجهها بقوات صغيرة . ولكن لم نكن نستطيع تعبئة قواتنا لفترات طويلة ، والا أضر ذلك بالدولة . وذلك فى حد ذاته يمثل واحدا من أوجه مشكلتنا الرئيسية ؛ فنحن دولة صغيرة يقل تعدادها عن الثلاثة ملايين من اليهود نحيط بهم عشرات الملايين من العرب .

ولو اننا أخذنا بهجوم على الجبهة المصرية بل واضطررنا للتراجع الى الخط الثانى ، فان ذلك لم يكن ليشكل لنا كارثة ؛ فالامر لا يعدو كونه انسحابا الى خط آخر فى صحراء واسعة أما بالنسبة للجبهة الشمالية ، فالوضع مختلف ، فان أى انسحاب هناك قد يؤدى الى الحاق ضرر بليغ بمستعمراتنا فى الجولان . وقد تنتقل الجبهة الى مناطقنا السكنية فى الجليل الاعلى والحولة ووادى الاردن . ولم يكن هناك فاصل طوبوغرافى على الجانب السورى فقط بل ايضا على الجانب الاسرائيلى فى هضبة ولم يكن فيها — على العكس من قناة السويس فى الجبهة الجنوبية — أية عوائق طوبوغرافية ، أو موانع . هذا بالاضافة الى شبكة الصواريخ المضاده للطائرات التى بلغت حدا من الكثافة والتعقيد الى درجة انها كانت تغطى كل الجانب الاسرائيلى فى مرتفعات الجولان .

وقد أخبرت ضباط رئاسة الاركان بقلقى هذا فى اجتماع يوم ٢٤ سبتمبر (أيلول) وقلت لهم اذا كان السوريون يدبرون لهجوم شامل ، فان الامر خطير ، ولا بد أن يحسبوا حسابه من الآن . ذلك أن السوريين لو استطاعوا تحطيم خطوطنا فى الجولان لانزلوا بنا هزيمة منكرة ؛ ولم

يكن ممكنا أن نترك الامور على ما هى عليه ونذهب للاحتفال برأس السنة التى بقى على حلولها ثلاثة أيام (تحل قبل يوم كيبور بعشرة ايام) .
وبعد ذلك بثلاثة أيام عقدت اجتماعا حضره رئيس الاركان « دافيد البعازر » ، وكبار ضباطه ، وقائد الجبهة الشمالية ، وابلغنى رئيس الاركان أنه قد تقرر زيادة عدد الدبابات على الجبهة الى مائة بدلا من سبعين دبابة ، وكذلك المدفعيه وبقية الوحدات . أما القوات الجوية فقد وضعت فى حالة الانذار القصوى ولم تكن مهمة القوات الجوية كما حدث فى حرب الايام الستة حين كانت سوريا لا تملك صاروخا واحدا ، أما الان فلديها ١٥ بطارية صواريخ سام ٦ و ١٠ بطاريات سام ٢ و ٣ على خط الجبهة فقط . وقررت القيام برحلة للجبهة الشمالية لتفقد الاحوال والتحدث الى سكان المستعمرات هناك . ولو أن رئيس الاركان أعرب عن رأيه فى أن مثل هذه الزيارة قد تسبب القلق لسكان المستعمرات . وقد تمت الزيارة ليلا والتقيت بممثلى المستعمرات ولاننا كنا فى ليلة رأس السنة فقد أبلغتهم اننى جئت حاملا اليهم التهانى بهذه المناسبة ، ولكن ذلك لم ينطل على أحد . وقررنا عقب هذه الزيارة تدعيم عدة الجبهة أكثر مما هو قائم . وبالفعل صدرت الاوامر برفع درجة الاستعداد فيها وتعزيزها بحيث تصبح ١١١ دبابة و ٣٠ بطارية مدفعية وانسحبت نفس الاوامر على الجبهة الجنوبية فاصبح عدد دباباتها ٣٠٠ دبابة .

وفى اليوم التالى ٢ اكتوبر « تشرين الاول » ناقشت الموقف مع رئيس الاركان ، فأبلغنى انه راجع مرة اخرى مع المخابرات دلائل النشاط العسكرى المتزايد على الجبهة الجنوبية وتأكد له بشكل قاطع انها مجرد تدريبات أما بالنسبة لسوريا فقد كانت المظاهر لا تدل على شىء لكن تقارير المخابرات كانت تشير الى أن هناك اعدادا لشىء ما .
ولذلك طلبت من رئيس الاركان اعداد تقرير مفصل عن تطور توزيع القوات السورية ، وما يرد حوله من معلومات . وكذلك قررت ان الامر عاجل جدا ، وينبغى أن يناقش على مستوى الحكومة .

وكانت رئيسة الوزراء فى زيارة رسمية للنمسا . ولكنها كانت على وشك العودة . واتصلت باسرائيل جاليلى وزير الدولة ، وطلبت منه تحديد موعد عاجل مع جولدا مائير بمجرد عودتها . واخبرته باننى غير راض عن الموقف فى مرتفعات الجولان ويهمنى ان اشترك معها فى المسئولية . واننى ساصطحب معى فى الاجتماع رئيس المخابرات ورئيس الاركان وقائد القوات الجوية . وان التقارير التى تلقيناها تفيد بأن السوريين لديهم ٦٥٠ دبابة فى الخط الاول ، وخط صواريخ يغطى مواقعنا ، ويمكنها ضرب طائراتنا وهى ما زالت فى سمائنا . ولديها أيضا ٥٠٠ وحدة مدرعات .

وفى اليوم التالى ٣ اكتوبر « تشرين الاول » عقد الاجتماع مع رئيسة الوزراء ، وشرحت الوضع على الجبهتين السورية والمصرية

وبينت ان هنـــاك تعزيزات وامدادات جديدة فيهما . وشرح رئيس الاركان وقائد السلاح الجـــوى ونائب مدير المخابرات الوضع على كل من الجبهتين . وقال رجل المخابرات انه يعتقد ان ما يجرى على الجبهة المصرية هـــو مجرد مناورات سنوية وأوضح رئيس الاركان كميـــات التعزيزات التى زودت بها الجبهة الشمالية وكان كل ما توصل اليـــه الاجتماع فى مكتب رئيسة الوزراء أن كواهلنا المثقلة بالمسئولية ازدادت اعباؤها دون أن يؤدى ذلك الى تحسين الموقف .

وفى اليوم التالى ٤ أكتوبر (تشرين الاول) اجتمعت مرة أخـرى مع رئيس الاركان وقائد الجبهة الشـــمالية ونائبه ومدير المخابرات ، وانتهينا الى اننا اذا تلقينا الانذار قبل ٢٤ ساعة من الحرب فسوف يكون الموقف مختلفا . والتقيت بعد الظهر مع مدير مصلحة المياه وسألته عن امكانيات حفر قنوات رى لاغراق الجبهة السورية لاعاقة أى هجوم ، فأجابنى بأن ذلك ممكن . وفى المساء تلقينا تقارير تؤكد احتمـــال قيام سوريا ومصر بالهجوم ، وكانت أهم هذه المعلومات أن الروس أصدروا تعليماتهم لعائلات المستشارين الروس بمغادرة سوريا .

وفى الاجتماع الاسبوعى لرئاسة الاركان يوم الجمعة ٥ أكتـوبر « تشرين الاول » أصدرنا قرارا برفع حالة الطوارىء القصـــوى ، فى الجيش والطيران ، وأصدرت تعليماتى للقادة بأن يقضوا يوم كيبور فى منازلهم . وفى الســاعة العاشرة الا ربعا اجتمعت برئيســـة الوزراء ، وعرضنا عليها تطورات الامور . وعقد اجتمـــاع عاجل لمجلس الوزراء ضم الوزراء الموجودين فى تل أبيب اذ كان بقية الوزراء قد ســافروا الى بيوتهم فى كل أنحاء البـــلاد وشرحنا تطورات الامور للمجلس ، وأكد رئيس المخابرات ايلى زاعيرا أن الهجـــوم ليس واردا ، وذلك ما وافق عليه رئيس الاركان دافيد اليعـــازر . وكان تقييم الولايات المتحدة للموقف أنه لا مصر ولا سوريا تفكران فى هجوم قريب . ولكننى قلت من وجهة نظرى ان كلا من مصر وسوريا فى وضع يمكنهما من القيـــام بهجوم خلال ساعات . ولذا طلبنا من المجلس أن يخول رئيســـة الوزراء سلطة اســـتدعاء الاحتياطى اذا طلبنا منها ذلك خلال اليوم التالى (يوم كيبور) ووافقت وأخبرتنا مائير أنها ستقضى يوم كيبور فى تل أبيب حتى يمكنها دعوة مجلس الوزراء الى اجتماع كامل لا الى اجتماع مصـغر كالذى كان منعقدا بوجود خمسة وزراء فقط .

ومع اننا لم نكن غافلين عن احتمال نشوب الحرب ، فان حرب يوم كيبور اشتعلت فى اليوم الوحيد الذى لم نكن نتوقعها فيه . وجاءت فى يوم الغفران ، وهو اليوم الوحيد الذى يقضيه كل اليهود فى كل أنحاء العالم فى الصوم والعبادة . وفى اسرائيل كان العمل متوقفا والشـوارع خالية لا سيارة فيها ولا مشاة . ان هذا اليوم هو يوم جاد لدى الشعب اليهودى وازدادت جديته بنشوب الحرب فيه .

٣٠ الغـــزو

كان اليوم الاول للقتال ، يوم كيبور نفسه ، يوما شاقا علينا ٠ فقد خسرنا كثيرا من الرجـــال ، وفقدنا أراضى ومواقع غالية القيمـة ٠ وبالرغم من ذلك ، فان تقرير رئيس الاركان الذى قدمه فى العاشرة مساء الى الحكومة كان يتسم بالتفاؤل ٠ وكان واضحا أن كلا من مصر وسوريا حققتا فى الهجوم ميزتين على أقصى جانب من الاهمية : الاولى هى المبادرة فى بدء القتال ، والثانية هى التفوق الهائل فى القوى ٠ وكان السبب وراء تفاؤل رئيس الاركان راجعا الى ادراك أن هاتين الميزتين لن تبقيـــا فى يد العدو طويلا ، وذلك بمجرد أن تصل قوات الاحتياط الاسرائيلية الى الجبهات فيما بين ٢٤ الى ٤٨ ساعة ، لتستعيد ميزان القوى وتمكننا من استرداد عنصر المبادرة ٠

وقد بدأت المعركة ، فى نفس الوقت ، على كلا الجبهتين فى الساعة الثانية ظهرا ٠ فبدأ كلا الجيشين بقصف أرضى وجوى لمعســـــكرات ومنشآت الجيش الاسرائيلى ٠ وفى الجنوب تابع المصريون القصف مباشرة بعبور القناة على طولها ٠ فأقاموا الجسور واســـــتخدموا الزوارق المطاطية ، بل أن بعضهم عبر القناة سباحة ٠ وفى الشمال ، وتحت ستار قصف مدفعى ثقيل ، بدأت القوات المدرعة السورية هجومها ٠

وحتى منتصف الليل كان المصريون قد نقلوا الى الضفة الشرقية للقناة ٣٠٠ دبابة من مجموع ٢٢٠٠ دبابة نقلوها الى هناك ، وكان لديهم ١٨٤٨ مدفع ميدان نغطى المنطقة كلها • وخصصوا لكل ميل من الارض ٥٠ مدفعا مضادا للدروع • وكان مجموع ما لدينا على هذه الجبهة ٢٧٦ دبابة و٤٨ مدفع ميدان • وفى الجولان ، كان لدينا ١٧٧ دبابة و ٤٤ مدفع ميدان تواجهها ٥٠٠ دبابة سورية فى أول موجة هجوم ، ووصل مجموع دباباتهم فى هذه الجبهة ١٧٠٠ دبابة و١٣٠٠ بطارية مدافع •

وقد بدأ العدو هجومه بقوة من المشاة تصل نسبتها الى ١٠ الى ١ مقارنة مع رجالنا • وبلغ عدد قوات المصريين مائة ألف رجل ضد ٨٥٠٠ من رجالنا ، فى حين كان لنا على الجبهة الشمالية خمسة آلاف رجل يواجهون ٤٥ ألف سورى المهم فى الموضوع ، أن مشاة العدو — على عكس ما كانوا عليه سابقا — كانوا مزودين باعداد هائلة من الاسلحة المضادة للدروع ، ويحملون الصاروخ السوفيتى استريلا الذى يستخدمه الفرد ضد الطائرات • وقد عانينا أيضا من نقص عددى فى الطيران اذ كان لدى مصر ٦٠٠ طائرة ولدى سوريا ٣٥٠ طائرة •

وبرغم هذا التفاوت الرهيب فى المدرعات والمدفعية والمشـــــاة والطائرات فان تقديرات القيادتين الشمالية والجنوبية فى الليل أنهمـا قد استطاعتا احتواء الهجوم وتقدم العدو . وقال رئيس الاركان اليعازر فى تقريره أن هجمات السوريين فى الشمال قد تم ايقافها ولم تحقق أي نجاح ، وأكد أن الاتصال ما زال مستمرا مع مواقعنا الحصينة فى جبل الشيخ برغم أن تقارير سابقة كانت قد أشــارت الى انقطاع هــذه الاتصالات واستيلاء السوريين عليها • أما فى الجبهة الجنوبية ، وفقا لرأى رئيس الاركان ، فقد عبر المصريون القناة من عدة نقاط واستولوا على أحد مواقعنا الحصينة وأسروا ثمانية من رجالنا ، لكنه يرى أن الموقف قابل للاحتواء هناك •

وبات واضحا أن الموقف على الجبهة الجنوبية ليس مرضيا كما هو الحال بالنسبة للجولان • فقد نجح المصريون فى عبــور عائق القناة ، لكن السوريين لم يخترقوا خطوطنا بعد • علاوة على ذلك فان التعزيزات سوف تصل الى الجولان فى أثناء الليل الامر الذى يجعل فيهـــا المئات من الدبابات عند ظهر اليوم التالى ٧ أكتوبر (ت ١) • أمـا الجبهــة الجنوبية فقد يستطيع الجنرال ابراهام دان الوصول اليها ظهر اليوم التالى بعدة عشرات فقط من الدبابات • أما التعزيزات القوية فلن تصل هذه الجبهـــة الا بعد يومين ، أى فى صـــباح يوم ٨ أكتوبر (ت ١) ، ومعنى ذلك أن أمامنا ٣٠ ساعة صعبة •

وطبقا لهذه الظروف قمنا بتغيير الخطة التى كانت تقضى بقيام طائراتنا بضرب الصواريخ السورية ، لنقوم فى صباح اليوم التالى بضرب الجبهة المصرية لمساعدة القيادة الجنوبية • وأحسست بالقلق يملأ نفسى • اذ لم أكن أشارك رئيس الاركان وقائد القيادة الجنوبية تفاؤلهما• لقد حقق المصريون مكاسب هائلة وتعرضنا لضربة موجعة • فقد عبر المصريون القناة وأقاموا جسورا نقلوا عليها المدرعات والمشاة ، ولم نكن قد فشلنا فقط فى منعهم ، بل اننا لم نسبب لهم الا خسائر طفيفة فى الافراد والمعدات •

وبالاضافة الى القلق الذى كان يساورنى حول الموقف العسكرى . فقد كان هناك سؤال يسيطر على كل تفكيرى • ما الذى حدث ؟ وهل أخطأنا فى تخطيطنا أم التنفيذ ؟ ما الذى حدث لثلاثة من العناصر الاساسية فى عملنا وهى : المدرعات ، والقوات الجوية ، والموانع الحصينة على القناة ، والتى كانت كفيلة باعاقة العدو من العبور واصابته بخسائر بالغة ؟!

وأصبح العبور الآن حقيقة واقعة ، ولم تعد مواقعنا الحصينة سوى فخاخ للموجودين فيها ان لم نستطع رد المصريين الى الضفة الغربية ، وذلك ما لم أكن أشترك مع رئيس الاركان وقائد الجبهة الجنوبية فى افتراض امكانية حدوثه • وعقد اجتماع للوزارة فى العاشرة من مساء أول يوم للاطلاع على مجريات الحوادث ، وكان على رئيس الاركان أن يقدم هذا التقرير دون حاجة منى الى أن أتحدث • لكنى طلبت الحديث لكى أطلع الوزراء على الموقف بكل قسوته وتقييمى لما قدمه رئيس الاركان •

وقلت أننا نواجه ثلاثة عوامل بالغة الصعوبة • أولها حجم قوات العدو المجهزة بأسلحة تراكمت عبر السنوات الست الماضية . فالجيش المصرى والسورى ليسا هما الجيشان اللذان عرفناهما عام ١٩٦٧ ، بل هى قوات جيدة تم تجهيزها ويملؤها التصميم والاصرار • وثانيهما هو سلاح الصواريخ ، بعد تدعيمه بالصواريخ سام ٦ وما لم تستطع قواتنا الجوية قهر هذا السلاح فلن يمكنها تقديم يد العون لدباباتنا وتدمير مدرعات العدو •

أما العامل الثالث فهو حاجتنا الى المحافظة على الجبهات مع وجود قوات قليلة فيها الى أن يتم استدعاء قوات الاحتياطى ووصولها الى الجبهات •

وقلت أن المعركة الحرجة هى فى منطقة القناة . فسوف يواجه طيراننا فى صباح اليوم التالى تحديات خطيرة تتمثل فى سلاح الطيران المصرى وسلاح الصواريخ ، وسوف نحتاج الى قدر كبير من الحظ فى هذا اليوم . أما فى اليومين الثالث والرابع (٨ و ٩ أكتوبر تشرين أ) فستكون مدرعاتنا قد وصلت بالكامل الى هذه الجبهة وسوف تكون احتمالات تحقيق النجاح جيدة .

ولذا بدا لى أنه يجب علينا أن ننسحب الى الخط الثانى ، لنحارب المصريين فى مسافة ١٢ ميلا من القناة . أما فى الجبهة الشمالية فقد كانت توقعاتى أننا سنوقف الهجوم السورى . وقلت لهم ان العزاء الوحيد هو أن المعركة فى الجبهة الجنوبية مثلا تجرى فى صحراء سيناء بعيدا عن أرض اسرائيل التاريخية ومدنها المأهولة بالسكان .

وقد أبديت ملاحظاتى وبينت رأيى ، لكننى لم أكن أشعر بالراحة، ولا الوزراء الحاضرون أيضا . كنت قلقا ومرهقا ، وشعرت بفجوة بينى وبين زملائى فى الوزارة . فلم يعجبهم ما ذكرته عن نجاح المصريين ولا عن انسحابنا الى الخط الثانى . كانوا يريدون من الجيش أن يرد المصريين عبر القناة فورا . وهكذا لم نكن نستخدم فى حديثنا موجة واحدة . كانت تسيطر عليهم روح التفاؤل التى أبداها رئيس الاركان ، والتى التقت مع الامنيات الطيبة التى كانت تسود أفكارهم . وعند منتصف الليل تم ابلاغ ممثلنا فى الولايات المتحدة لاخطارها بأننا فى غضون أيام سوف نطرد المصريين من الضفة الشرقية ، وأن الموقف برغم النجاح المرحلى للاعداء يدعو للرضى .

وأذاعت الاذاعة المصرية ، ووكالة تاس السوفيتية ، الاحداث التى وقعت فى اليوم الاول على اعتبار اننا نحن الذين بدأنا الحرب . فأذاع راديو القاهرة أن السلاح الجوى الاسرائيلى هاجم فى الساعة الواحدة والنصف ميناء الزعفرانة المصرى على خليج السويس وأن (القوات المصرية ترد العدو) . وأذاعت تاس وراديو دمشق نقلا عن المتحدث العسكرى السورى أن اسرائيل هاجمت مواقع سورية متقدمة وأن القتال مستمر .

وكان بيان الولايات المتحدة مدعاة لقلق أكثر ، اذ علق متحدث باسم البيت الابيض على اندلاع المعارك بقوله : (أن الرئيس نيكسون يتابع الموقف عن كثب منذ الساعات الاولى من الصباح) • وكان الصباح في الولايات المتحدة يوافق بعد الظهيرة في الشرق الاوسط • وقد صدر البيان بعد ثلاث ساعات من الهجوم المصرى السورى دون أدنى اشارة الى أن العرب هم الذين بدأوا الحرب • وعندما أبلغ ممثلنا الولايات المتحدة أن العرب هم الذين بدأوا الحرب ، قيل له أن العرب يدعون اننا نحن الذين بدأناها •

٣١ جبهات القتال

بدأ السوريون هجومهم فى مرتفعات الجولان الساعة الثانية بعد الظهر يوم ٦ اكتوبر فى نفس الوقت الذى بدأ فيه المصريون فى سيناء وهاجموا بقوات ضخمة على طول الجبهة بأكملها ، مركزين على نقطتى شمال وجنوب القنيطرة ، وصدهم صمودنا وقتالنا الدموى الذى قاده اللواء السابع المدرع بقيادة الكولونيل افيجدور فى شمال القنيطرة . ولواء باراك المدرع بقيادة الكولونيل بن شوهام فى جنوب القنيطره . وقبل أن تصلهم الامدادات ، المقرر وصولها ، فى صباح اليوم التالى ، تحتم على اللواءين أن يصدا قوات الغزو ، ونجحا بالفعل فى ايقاف الغزو فى هذا اليوم المرير . ولكن السوريين استطاعوا اختراق القطاع الجنوبى خلال الليل ، وأصبح الموقف خطيرا للغاية . ولقد كنا نتوقع دائما أن أى هجوم سورى يحدث سيأتى من الشمال . ولذا زودت و‌ب أفيجدوا فى الشمال بدبابات كافية ، أما الآن فقد تحتم على القطاع الجنوبى بدباباته القليلة أن يصد الغزو السورى .

وبخلاف ما حدث على قناة السويس ، فان المهاجمين واجهتهم نيران شديدة وقد تم مد كل المواقع ، فيما عدا جبل الشيخ ، بامدادات جديدة،

إنهم نريب مدفعيتنا بحيث نغطى المواقع الامامية ٠٠ وقد تقدم السوريون بـ ٥٠٠ دبابة وأضافوا لها في الليل ٣٠٠ دبابة أخرى ، في مواجهة ١٧٧ دبابة فى قيادتنا الشمالية وكان كل ما وصل الى القيادة الشمالية من الاحتياطى هو ١٢ دبابة ٠

وفى الليلة الاولى ، وقبل اختراق السوريين للقطاع الجنوبى ، تركت اجتماع مجلس الوزراء وذهبت الى القيادة العامه الخاصة بالطوارىء ، فوجدتها كخلية النحل ، ولكن بدون عمل . كان العمل ، من الناحية الفنية ، يسير سيرا حسنا ومنظما ، فهم يتلقون التقارير من جبهات القتال ويضعون العلامات على الخرائط ، اما من ناحية السيطرة والقيادة والتفكير الهادىء المتوازن ، فان الموقف لم يكن مرضيا بالمرة داخل حجرة العمليات ، فان الوقت لم يكن مرض .

كانت تطورات الحرب فى أيدى قادة الجبهات ، وكان همهم ان يدافعوا عن خطوطهم ويمنعوا أى اختراق للعدو الى ان تصلهم الامدادات وفى مثل هذه الاحوال ، فان القيادة العامه لا يكون فى وسعها أن تفعل الكثير ، وكانوا بين الحينة والاخرى يتصلون بالمواقع ويتخذون القرارات اللازمة بعد التشاور مع قادة هذه المواقع ٠

وذهبت الى غرفه عمليات الطيران حيث أبلغنى القائد عن خطته لليوم التالى ، وهى ان يهاجم اهدافا فى الجبهة الجنوبية فى صباح اليوم التالى وخاصة قواعد الصواريخ والمطارات حتى تتاح له الحرية فى القيام بعمليات بعد ذلك على ضفتى القناة ضد القوات المصرية ٠ وكان رئيس الاركان يرى أنه لا مانع أيضا من ضرب المعابر قبل إسكات بطاريات الصواريخ وقلت لهم ان لدى وجهة نظر أخرى فقد كان أمام المصريين ليلتان ويوم لادخال قوات مدرعة هائلة الى سيناء ، ولذا فقد كنت ارى أن نبدأ بمنع هذه القوات من التقدم حتى لو خسرنا طائرات ، اذ ان الطائرات لو فشلت فى تدمير قواعد الصواريخ ، فسيعنى ذلك أننا فقدنا كل شىء ، فستصبح حركة طيراننا محدودة ونكون قد سمحنا لقوات ضخمة من الدبابات بالعبور ودخول سيناء ٠

وكانت لوزير الدفاع سلطات سياسية ، ومن هنا فإن القرار العسكرى يكون فى يد رئيس الاركان وقائد الطيران ، وهكذا بقى قرار ضرب الطيران لقواعد الصواريخ ساريا وكان الوقت حينذاك الثانية صباحا أى بعد ١٢ ساعة من بدء الحرب ، فعدت الى مكتبى للراحة ، وأيقظونى بعد ساعتين ، لان الموقف فى الشمال أصبح خطيرا ، فقد

اخترقت القوات السورية خطوطنا في الحسنيه جنوبي القنيطرة بثمانية أميال ، وبدأت تتقدم نحو الطرق التي تربط مرتفعات الجولان ببحر الجليل • وكانت الدبابات الاحتياطية التي أرسلت على عجل قد وصلت الى سفوح المرتفعات لاغلاق الطريق • وأصدر الجنرال اسحاق يوفي أوامره باجلاء كل السكان والمدنيين في المستعمرات ، وتم اجلاء النساء والاطفال في يوم الغفران •

وغادرت مكتبي على الفور متجها بالطائره الى الجبهة الشمالية • وكنت أسمع صوت الانفجارات ، ونحن نطير فوق تل أبيب ، فلم يكن عمق مرتفعات الجولان يبعد أكثر من ١٥ ميلا • واذا ما وصل السوريون الى نهر الاردن ، فيصبح من الصعب ردهم ، خاصة وهم يستخدمون مثل هذه الكميات من الاسلحة والقوة البشريه واننا نقاتل المصريين على الجبهة الاخرى • ولذا كان لا بد من ايقاف اختراق السوريين ولو اضطررنا لاستغلال كل القوات المتاحة لدينا • ووصلت الى مقر قيادة المنطقة الشمالية قبل السادسة صباحا بقليل • وأبلغني القائد أن كل دفاعاتنا في القطاع الجنوبي قد انهارت ، وأن السوريين قد تغلبوا على لواء باراك وتحركوا الى القطاع الجنوبي ، وهم الآن في منتصف الطريق الى نهر الاردن • أما قواتنا المدرعة التي تمت تعبئتها فلن تستطيع مواجهة العدو قبل منتصف النهار •

واكتشفت أن الطيران هو القوة التي تستطيع الآن ايقاف تقدم العدو ، وانه لا يجب اضاعه دقيقة واحده وأخبرني قائد القطاع أن دباباتنا مشتبكه مع العدو في معركه ، وأن الطائرات قد تقصف بعض دباباتنا • وقلت له أن يصدر أوامر لاطقم الدبابات اما يتركوا دباباتهم أو يغلقوا الابراج • وكان على طائراتنا أن تهاجم قوات العدو المدرعه دون أن تحاول — حسب المعتاد — اسكات قواعد الصواريخ أولا • وطلبت الجنرال بني بيليد قائد الطيران على التليفون وطلبت اليه أن يرسل طائراته فورا في عملية مستمرة ضد الدبابات السورية التي اخترقت الخطوط ، فذلك هو التصرف الوحيد الذي يمكننا من ايقافهم الى أن تصل امدادات أخرى من المدرعات بعد الظهر • وكان موردخاي هود قائد الطيران السابق ، والذي يعمل الآن كضابط اتصال في القيادة الشمالية يقف بجانبي • وقال لي : قل له أن يرسل التشكيلات واحدا بعد الآخر من أربع طائرات في حركة مستمرة حتى تشل فاعلية المدرعات السوريه ، وتصبح أطقم الدبابات غير قادرة ، على رفع رؤوسها • وكانت تلك هي المرة الاولى التي أتحدث فيها مع قائد الطيران في مثل هذه الامور وبهذا الاسلوب ، لانه يتلقى أوامره عادة من رئيس الاركان ، كان الطلب

اكثر من أمر ، ولذا كان الرد ايجابيا · وبالرغم من كثافة نظام الدفاع الصاروخي الجوي السوري ، فان الطائرات ظلت تهاجم المدرعات السورية بدون توقف ، الامر الذي أحدث تأثيرا ضخما على الموقف ·

وخلال صباح يوم ٧ اكتوبر (تشرين الاول) بدأت القيادة الشمالية تدعم لواءاتها التي تعتنت خلال القتال ، وتكلف بعض الضباط الكبار بالاشراف على قطاعاتها ، فوضعت مسئولية القطاع الجنوبي على عاتق الجنرال دان لانر ، والقطاع الشمالي على الجنرال رافويل ايتان · وكان هناك تشكيل ثالث سيصل الجولان في المساء وعند الساعه الواحده ظهرا ، ظهرت فجاة الدبابات السوريه حول معسكر نافح على مسافه ١ اميال فقط من جسر يصل الى الاردن ويوصلهم ايضا الى تل مستعمرات في الجليل الشمالي · وخاض الكولونيل بن شوهام معركه عنيفه لايقاف تقدمهم الى أن تصله امدادات قويه ، ثم قتل خلال هـــــذه المعركه هو ونائبه · وما أن حل المساء حتى كان السوريون يتقهقرون وانتهت خطر الازمه الثانيه التي واجهتنا خلال الاربع والعشرين ســـاعه · وكانت عمليات الطيران سببا في القضاء على خطوره التقدم السوري · أما في المعركه الثانيه فقد كانت هناك مجموعة من الدبابات متجهه من قواعدها في الجليل في مجموعات صغيرة الى الجبهة ، وعندما شاهدت التقدم السوري نحو نهر الاردن قفلت الطريق وحولته الى عنق زجاجة ، ثم نجحوا في دفعهم الى الوراء ·

وفي اليوم الثالث للقتال حدثت الازمة الثالثه مع اللواء السابع في القطاع الشمالي والذي ظل يقاتل ثلاثة أيام وليال بلا توقف وضعفت مقاومته بعد عدة هجمات قوية طوال تلك الايام وها هو الآن يواجه أقوى هجوم عليه بعد أن أصيبت معظم دباباته ونفذت تقريبا ذخيرة بقيـــة الدبابات · واتصل الكولونيل أفيجدور بقـــائد اللواء الجنرال رافويل ايتان ، وأبلغه أنه لم يعد بمقدوره ايقاف تقدم العدو أكثر من ذلك · ولكن ، في نفس اللحظة ، أفاد الكولونيل يوسي بأن وحدته استطاعت احتلال مفرق الطرق عند نقطة تدعى بوستر شمال غرب القنيطرة ، وأن الدبابات السورية بدأت في الانسحاب ·

وعلى الفور اتصل ايتان بافيجدور وأبلغه بهذه الاشـــــارة ، وطلب اليه الصمود لعدة دقائق فقط ، وبالفعل صمد اللواء السابع وبدأت دبابات المقدمة السورية في الانسحاب ·

وعندما توجهت الى القيادة الشمالية مساء يوم ٩ أكتوبر (تشرين الاول) وجدت أن الحالة قد تغيرت رغم القتال العنيف والخســـائر

الفادحة ، وخاصة بين الضباط • وكان الجميع يشعرون بأن الهجوم السورى قد انكسر • وكانت قوات العدو قد خسرت حوالى ٩٠٠ دبابة • وقد دهشت عندما علمت أن يوسى قد اشترك فى المعركة ، لاننى كنت قد سألت عنه منذ يومين وعلمت أنه خارج اسرائيل يقضى شهر العسل فى الهيملايا • وعلمت أنه عرف بنشوب الحرب وهو فى نيبال فبادر بالعودة الى اسرائيل عن طريق أثينا ، حيث التحق بالقيادة الشمالية وقاد ١١ دبابة الى تل بوستر • استطاع أن يحتله رغم أنه واجه ٦٠ دبابة سورية • وحرصت على رؤيته لكنه كان قد أصيب اصابة بالغة فى معركة أخرى فى تل شمس ، ولم أره الا فى مستشفى حيفا بعد ذلك بثلاثة أيام •

وقامت قواتنا بعد ذلك بسد الاختراق السورى ودفعوا العدو خلف خطوطنا الى داخل سوريا ، ووصلوا الى تل شمس على طريق دمشق • وهناك واجه يوسى خطوطا دفاعيـــة قوية وهجمـــات مكثفة من الطيران السورى ورغم أن ثمانى دبابات فقط هى التى بقيت لدى يوسى ، فقد حاول بها احتلال تل شمس فى اختراق سريع ، لكنه سرعان ما اكتشف خطاه ، اذ وجد المنشاة السوريين فى مواجهته ، وأسفرت المعركة عن فقد الدبابات وعن فقده لساقه اليسرى ولم ينقذه الا زفيكا قائد دبابته الذى نجا باعجوبة •

وفى نهاية الاسبوع الاول من الحرب على الجبهة الشمالية ، كان السوريون فى موقف الدفاع ، وارتدت الحملة الى أراضـــيهم شرقى الخطوط التى اخترقوها منذ ستة أيام •

***

وبعد كانت قواتنا – كما رأينا – على الجبهة السورية متمركزة ومستعدة لمقابلة السوريين عندما نشبت حرب يوم كيبور أما على قناة السويس ، فقد كان الوضع مختلفا تماما • وكان أول من قاسى من عنف المعركة على هذه الجبهة ، هو خط استحكاماتنا الاول الذى كان على قناة السويس مباشرة ، ويضم ١٦ من الاســـتحكامات القوية ، والذى عرف باسم خط بارليف • وكانت المعارك قوية وعنيفة ، وعندما هاجم المصريون هذه الاهداف • وقد حاربت كل نقطة من نقاطنا معركتها مســـتقلة ، وكأنها جزيرة منعزلة ، ولكنها قاتلت بعنف وبسالة لانها كانت معـركة حياة أو موت ، معركة استسلام أو حرية •

وكانت هذه الاستحكامات عبارة عن نقط أمامية صغيرة ، تضم كل نقطة بين ٢٠ و ٣٠ جنديا ، تمتد على حافة مياه القناة ، وتبعد كل منهى عن الاخرى خمسة أميال • وقد تعرضت كلها الى قصف شديد ومركز عندما بدأ المصريون هجومهم • وقد تبع هذا القصف هجوم شامل بالدبابات والمشاة • وفيما عدا الموقع الذى كان يدعى بودابست ويتميز بوضع طوبوغرافى خاص ، فقد سقطت كل النقاط ، بعضها تم اخلاؤه ، والبعض الآخر اقتحمه المصريون •

ولم يحدث هذا فى الحال ، فعلى الرغم من أن المصريين عبروا القناة مع أول دانة تم اطلاقها فلم تسقط أى نقطة خلال الاربع والعشرين ساعة الاولى ، ولا حتى تلك التى نجح المصريون فى التسلل اليها عند بدء المعركة • ومن ناحية أخرى ، لم تنجح أى نقطة فى ايقاف تقدم المصريين فى قطاعها • ونجحت بعض النقط فى اغراق زوارق المصريين أثناء العبور ، قام بعضها بتوجيه المدفعية والطيران الى الضرب الفعال للجسور وتجمعات القوات وتسببت فى احداث خسائر فادحة لها لكن ذلك كله لم يؤثر فى حركة نقل مدرعات المصريين ومشاتهم الى الضفة الشرقية وعندما كان يخفق المصريون فى احتلال أى نقطة ، فانهم كانوا يمرون عليها ويواصلون تقدمهم ، فيما عدا نقطة بودابست التى رغم أنها تعرضت لهجوم عنيف ، فقد ردت المصريين وأجبرتهم على العودة الى بور سعيد •

وانعزلت بقية النقاط عن قواتنا • وقاتلت قواتها بشجاعة وتصميم • وفى معظم هذه النقاط قتل كثير من الضباط وتلقت بعض النقط الاوامر بالجلاء أو الاستسلام ، ولكنها رفضت ذلك ولكنهم فى النهاية حوصروا بواسطة الاعداء وانقطعت اتصالاتهم بكل القوات ، ولم يعد لهم القدرة على التمسك بنقاطهم • وكانت آخر نقطة تسقط ويؤخذ رجالها أسرى ، هى ماسريك التى تحكم المدخل الجنوبى لقناة السويس • وكان بعض تلك النقاط قد تلقى الانذار بالهجوم المصرى قبل حدوثه بوقت قصير ، وتلقاه بعضها ساعة وقوع الهجوم • ولكن ذلك على أية حال لا يعنى أنه لو كانت هذه النقاط قد تلقت الانذار قبل بدء القتال بوقت كاف فلم يكن بامكانها أن تغير فى الامر شيئا ، لانها لم تكن مستعدة لمواجهة مثل هذا الهجوم الضخم المكثف • وكان أقوى ما فى هذه الاستحكامات هو الجزء الذى يقع تحت الارض ويضم حجرة العمليات ومضاجع الجنود • أما مراكز اطلاق النار وخنادق المواصلات فكان من الضرورى أن تكون على سطح الارض • وسقطت هذه المواقع

المكشوفة عندما تعرضت لقصف المدفعية المصرية ثم لنيران الدبابات التي حاصرتها ، وقتل رجالها أو أجبروا على مغادرتها ٠

وعلاوة على ذلك ، فلم يكن الاعداد الفنى والتنظيمى لهذه الجبهة متقنا ، ففصائل الدبابات التي كانت يجب أن تتمركز بين النقاط الحصينة لربطها ببعضها وتقديم العون لها ، كانت على بعد ٦ أميال الى الخلف ٠ وعندما حاولت هذه الدبابات التقدم للامام وجدت المصريين قد سبقوها الى هناك ، وتعرضت لنيران عنيفة من ضفتي القناة ٠ وتم تدمير معظم هذه الدبابات وشل فاعليتها ٠ وفى داخل الاستحكامات ، كانت حالة السلم قد أدت الى أن أصبحت معظم المعدات غير معدة للعمل مثل أجهزة الاشارة والاسلحة ، فقد كانت جميعها فى مستوى أقل من المستوى المقبول ؛ كما أن حالة الرجال أنفسهم لم تكن مهيأة للحرب ٠ وفوق كل هذا فان هذه الاستحكامات لم يختر لها الرجال جيدا ولم تلق امدادات وتعزيزات تمكنها من الحفاظ على أصعب خطوط الجبهة أكثرها تقدما وهو خط القناة ، وكانت معظم قواتها من جنود الاحتياطى القدامى الذين مر عليهم عامان دون أن يتلقوا أى تدريب ٠

ولا يمكننى الحكم بأى مقياس على مدى مساهمة هذه الاستحكامات فى اعاقة التقدم المصرى الى الامام ٠ وعلى أية حال فان المصريين لم يتقدموا خلال اليومين الاولين أكثر من بضعة أميال وكان هذا الوقت كافيا لكى نعبىء كل الاحتياطى ، وتصل الامدادات الى ميدان القتال ٠ وكما يحدث دائما فى كل معاركنا فقد كانت خسائرنا الفادحة فى الضباط وقادة المواقع ونوابهم »

وبالرغم من أن الهجوم بدأ بصدمة القصف المدفعى العنيف ، وفى الوقت الذى كانت القوارب فيه تعبر القناة فقد أصبح مفهوما أن الحرب الحادة قد بدأت ٠ غير أن الضغط الرئيسى عسكريا ونفسيا جاء عندما تدفق آلاف الجنود ومعهم الدبابات ، واقتحموا الاستحكامات واخترقوا حقول الالغام والبوابات ٠ وتصدى المدافعون للمهاجمين وعندما كانت مواقع اطلاق النار تسقط أو تخلى ، كان رجالنا ينتقلون الى مواقع أخرى وهم مستمرون فى قتال الاعداء ٠ وبمرور الساعات أصبح واضحا للجنود أن موقفهم يزداد صعوبة ، وأن احتمال وصول امدادات لهم أصبح سرابا ، فقد سدت الطرق أمام وصول الدبابات المهم واحترقت الدبابات التى حاولت ذلك ، وبدأ الرجال يطالبون باخراجهم مما هم فيه ٠

كانت هنـــاك تقـديرات خاطئة على كل المستويات بدءا من قادة الاستحكامات الى قادة الالوية الى رئيس الاركان ، بل وحتى على مستوى الحكومة • فقد كان الجميع يعلقون الآمال عـلى أن نسـتطيع اعادة المصريين الى الضفة الغربية أو على الاقل أن نخترق صفوفهم ونتصـل بالاستحكامات ، ولقد كانت هناك ، فى الليلة الاولى للحرب ، احتمـالات بأن ننقذ كل الرجال على خط الاستحكامات ، لكن قيادة الجبهة الجنوبية فضلت ألا تفعل ذلك لانها تصورت أن الايام القادمة فى الحرب ان تكون أصعب من اليوم الاول • وقد حاولت بعض وحدات الدبابات انقاذ نقاط الاستحكامات ولكننا فقدنا الكثير من أطقم الدبابات فى هذه المحاولات• وفى حالات أخرى حاول رجالنا اختراق صـفوف الاعداء وهم يخلون مواقعهم ، ونجح بعضهم ولكن معظمهم فشل فى ذلك • وقد صمد موقع واحد حتى النهاية ، بينما استسلمت المواقع الاخرى بعد أن يئست من وصول التعزيزات ونفدت ذخيرتها وقتل رجالها •

كان خط بارليف قد اكتسب شهرة ملحوظة ، ولذا فان اقتحامه اعتبر بمثابة نصر كبير للمصريين رد لهم كبرياءهم • لكن النقط القوية التى تتكون منها هذا الخط ، لم يكن متوقعا منها أن توفر قوة لهم تزود بها ، ولا أن تؤدى وظائف لم تنشأ من أجلها أصلا • فلم يكن مطلوبا منها ولا مخططا لها أن تمنع ــ بمفردها مستقلة ومعتمدة على عـدد أفرادها وقوة نيرانها ــ قوات كبيرة العدد من عبور القناة • وكانت نسبة المصريين الذين عبروا الى المدافعين ٢٠٠ الى واحد • ولم يكن متوقعا لهـا أن تصمد ساعات طويلة فيما لو حوصرت وقطعت عنها الخطوط ، لانها لم تكن تشكل نظاما عسكريا مستقلا • لقد كان خط بارليف والنقاط الحصينة جزءا لا يتجزأ من التنظيم العسكرى الشامل فى سيناء ، وكان مخططا لها أن تنفذ واجباتها فيما لو كانت القوات الاخـرى كالمدرعات والمشاة موجودة معها أو بالقرب منها • وهكذا ، فان نجاح خط بارليف لم يكن يعتمد على النقاط الحصينة وقدرتها على الصمود ، بل على حسن توزيع الوحدات المدرعة حسب الخطة وضمان الطرق المؤدية الى هـذه النقاط من الخلف • وطالما لم يتم تأمين هذه الشروط فقد كان واجبا اخلاء هذه النقاط وسحب رجالها للخلف والقيام بهجوم مضاد من الخلف بواسطة المدرعات والمشاة •

وفى الساعات الاربع والعشرين الاولى من نشوب الحرب ، أصبحنا لا نملك سوى قوة ضئيلة من المدرعات على الجبهة المصرية • وما أن انهار خط الدفاع الاول حتى تدفق المصريون على سيناء بقوات ضخمة وبقوة هائلة من الاسلحة • وقاتل لواء دبابات الجنرال البرت ماندلر

بسسالة لايقاف تقدم المصريين • ولم يكن هذا اللواء منتشرا وفق خطة الطوارىء فى موقعه عندما بدأت الحرب ، ولذا فانه ، ما أن تقدم نحو القتال حتى تعرض لنيران عنيفة من الدبابات المصرية بالضفة الشرقية• ودارت معركة عنيفة ووحشية طوال بعد ظهر هذا اليوم ، وازداد الموقف سوءا أثناء الليل • وعند الفجر ، وصلت موجات جديدة من المدرعات والمشاة المصريين •• وكانت قواتنا قد تكبدت خسائر فادحة فىالرجال والمدرعات خلال هذه المعركة المستمرة ولم يبق ســـوى عدد قليل من دباباتنا قادرا على الاستمرار فى القتال وقد نجحوا فى وقف قوة اندفاع تقدم المصريين ، لكنهم فشلوا فى اعادتهم مرة أخرى عبر القناة •

وفى اليوم التالى بدأت امدادات الاحتياطى فى تشكيلات الجنرالين ابراهام آدان واريك شارون فى الوصول • وفى الصباح وقبل وصول هذه الامدادات طرت الى القيادة المتقدمة فى الجبهة الجنوبية ، حيث شربت كمية كبيرة من القهوة مع قائد الجبهة الجنرال شـموبل جونين وضباطه ، ولكنها لم تفلح فى تنشيط حواسى أثناء مراجعة الموقف فى الجبهة وعندما طرت من الجبهة عائدا الى تل أبيب تذكرت اننى لم أمر بلحظة قلق تشابه هذه اللحظات فى حياتى من قبل • وقد كان الامر أسهل لو اننى كنت أتعرض للخطر شخصيا ، أما هذه المرة فالشـعور مختلف ، لأن اسرائيل هى التى تتعرض للخطر ، وســـتكون النتائج خطيرة اذا لم نقدر الموقف ونفهمه فى هذا الوقت ، واذا لم نســـتجب لاحتياجات الحرب الجديدة •

وبعد أن أخبرت دافيد اليعازر رئيس الاركان بما انتويت أن أقوله لجولدا مائير ، طلبت حضوره لعرض وجهات نظره على رئيسة الوزراء • وحضر الاجتماع أيضا اثنان من الوزراء وكانت النقاط الرئيســـية التى اقترحتها هى أن نخلى خط القناة وأن ننسحب الى خط جديد ، نتمسك به مهما كان الثمن وكانت مشكلتنا الرئيسية هى التفوق العربى فى الافراد والسلاح • وكان العرب يحاربون بتصميم وبأسلحة روسيـــة ممتازة من بينها الآربىجيه المضادة للدبابات وصواريخ ساجر وبمساعدة الروس وبعض الدول العربية الاخرى مثل ليبيا فان العرب قادرون على الاستمرار فى الحرب مهما كانت خسائرهم ، أما نحن فقد كنا نخشى أن نفقد قوتنا قبل أن تصل الينا الامدادات السريعة • واقترحت أن نطلب دبابات وطائرات من الولايات المتحدة ومن بعض الدول الاوروبية وقد صدمت رئيسة الوزراء والوزراء الآخرون ، خاصة عندما قلت انني لا أظن أن فى مقدورنا فى الوقت الحاضر أن نلقى بالمصريين مرة أخرى الى الضفة الغربية ، والسبب فى ذلك أن رئيس الاركان قد أبلغ مجلس

الوزراء فى اجتماع صباح نفس اليـــوم ، ولم أحضره ، أن ذلك فى مقدورنا • وبدا واضحا من أسئلتهم واستجواباتهم بعد هذه الملاحظـات القاسية ، ان الضعف ليس ناتجا عن الموقف العسكرى الحالى ، وانما من شخصيتى أنا • واننى قد فقدت الثقة وأن تقديرى للموقف ليس صحيحا واننى متشائم للغاية •

ووافق رئيس الاركان على وجهة نظرى بالنسبة للموقف ، وأبدى استعداده لاقامة خط دفاع ثان ، ولكنه كان يرغب فى القيام بهجوم مضاد فى هذا المساء يستخدم فيه تشكيلات شارون وبرن وسألنى على مسمع من الجميع عما اذا كانت لديه سلطة اتخاذ القرار . فأجبته بالايجاب ولكننى تشككت فى أن التشكيلتين فى وضع الاستعداد لمثل هذا الهجوم وأبلغته أنه يمكنه أيضا أن يعد العدة للهجوم على المصريين فى الضفة الشرقية • وعندئذ فقط تنفس الوزراء الصعداء ، فما كان يدور بخلدهم أبدا اننا لا نستطيع القاء المصريين حيث كانوا منذ ٣٩ ساعة •

وخيل لى أن جذور الاختلاف بينى وبين بقية الوزراء تكمن فى أنهم لم يكونوا مستعدين مثلى لمواجهة الحقائق واقعيا وعلى سبيل المثال فانهم اعتقدوا عندما علموا أن طائراتنا قد قذفت الجسور ، أن القوات المصرية قد انعزلت • وحاولت افهامهم أن هذه الجسور هى عوامات وليست جسورا دائمة ويمكن اصلاحها أثناء الليل • وبالنسبة لطائراتنا فقد كنا متفوقين فى الاشتباكات الجوية ، ولهذا فان المصريين تحاشوا ارســال طائراتهم فى الجو فوق ميدان القتال ، وكانوا يســـتخدمون بطاريات صواريخهم المضادة للطائرات • وقد أسقطنا فى اليوم الاول ٤٠ طائرة عربية وفقدنا نحن ٣٥ طائرة بسبب الصواريخ • وكانت هــذه هى الحقيقة المؤلمة •

وكانت مؤشرات الحقيقة تقول انه اذا استمرت خسائرنا فى القتال على هذا المعدل ، فاننا سنجد أنفسنا فى منتصف الحملة بدون قوات فعالة ، بينما العرب بأسلحتهم الضـــخمة وترساناتهم يســـتطيعون الاستمرار • وكانت مصر وسوريا تعدادن ٨٠ مليون نسمة ، بينما نحن مجرد ثلاثة ملايين • وكان تعداد قواتهم المسلحة مليون فرد ، تمدهم روسيا بالسلاح كلما احتاجوا •• ويستطيعون أيضا أن يحصلوا على مساعدات مالية من مصادر مختلفة • وكان العرب يشاركون فى المعركة بارسال تشكيلاتهم العسكرية أما نحن فقد طالبنا الولايات المتحدة بصفة عاجلة بامدادنا بالطائرات والدبابات ، ولكن من يعرف ما اذا كنـــا سنحصل عليها ومتى ؟ ونحن فى النهاية اذا لم نحارب معركتنا ، فلن

تحارب لنا أحد . كان هذا هو تقديري للموقف الذي دفعني لمطالبة باخلاء خط القناة والانتقال الى خط الدفاع الثاني . وســـافر رئيس الاركان الى سيناء وطلبني تليفونيا من هناك ليخبرني أنهم قرروا القيام بهجوم مضاد صباح الاثنين ٨ أكتوبر ، وعاد في منتصف الليل حيث توجهنا الى حجرة العمليات لنسمع التفاصيل في اجتمـــاع مجموعة العمليات . ومع أننا كنا بعيدين عن أرض المعركة الا أن غرفة العمليات كانت تسيطر عليها روح المعركة المقبلة .

وكانت الروح المعنوية لرئيس الاركان عالية ، وكان يقول للضباط انه اذا نفذ الهجوم المضاد جيدا في اليوم التالي فانه سيكون نقطة تحول في الحرب . وكان المصريون قد نقلوا الجيش الثاني الى القطاع الشمالي والجيش الثالث الى القطاع الجنوبي ، وكنا قد أرسلنا بضع مئات من الدبابات لتدعيم القطاع الجنوبي حيث ستأخذ دورها في المعركة . وسيكون اليوم التالي يوم صدام المدرعات ، وفعلا حدث الصدام في اليوم التالي بين المدرعات ، وكانت المعركة عنيفـــة للغـــاية ، وحارب رجالنا ببسالة ، ولكن اليوم في مجموعه كان فاشـــلا . وكان السر في فشـــل الهجوم المضاد ، ان ما دار لم يكن في حقيقته هجوما مضادا . اذ كان هناك عدم وضوح رؤية على أعلى مستوى فيما يتعلق بخطة القتال ،وكان قائد الجبهة الجنوبية يجهل ما يدور في ميدان القتال طوال اليوم .ولم تكن هناك ورقة مكتوبة عن المشاورات التي أجراها رئيس الاركان مـــع قائد الجبهة الجنوبية ومع شارون وبرن قائدي التشكيلين الفرعيين . كانت الخطة تقضي بأن يقوم تشكيل برن بالهجوم على الجيش الثاني المصري في القطاع الشمالي شمال القنطرة بعدها يتجه جنوبا في اتجاه البحيرات المرة ، بينما يقف تشكيلا اريك والبرت في الخلف مستعدين لتقديم الدعم لتشكيل برن . وبعد نجاح هجوم برن يقوم تشكيل اريك بالهجوم على الجيش الثالث في القطاع الجنوبي ويقـــوم برن والبرت باحتواء الاعداء . ولم تتضمن الخطة عبور القناة كهدف لهذا اليوم .ولكن رئيس الاركان قال انه قد تكون هناك امكانية ، بعـــد تحطيم رؤوس الجسور ، أن تعبر قواتنا مستخدمة الجسور المصرية . وتقرر أن تجرى المعركة على بعد ميل ونصف ميل من خط المياه لتجنب الصواريخ المضادة للدبابات المنتشرة على شاطىء القناة .

واتضح أن أريك شارون عندما التقى مع رئيس الاركان قبل عودته لتل أبيب ، كان قد اقترح عليه أن تقوم القوات مباشرة باختراق خط الاستحكامات وانقاذ الرجال ، وأن خطوتنا العاجلة يجب أن تستهدف ايجاد موطىء قدم لنا على القناة ، وعبورها ، وبذلك نربك الاعداء .وشرح

اريك اقتراحه لجونين والبرت وبرن بعد أن سافر رئيس الاركان ، ونتيجة لذلك فهم برن أن هناك فرصة اضافية بأن يهجم اريك على الاستحكامات عند الفجر ، بينما يقف برن مستعدا لدعمه . وفهم أريك نفس الشيء . وفي الساعة ١٥ر٦ صباح يوم الاثنين ٨ أكتوبر (تشرين الاول) أخطر قائد الجبهة الجنوبية أريك أن عليه ألا يهاجم في اتجاه الاستحكامات بل يهاجم في القطاع الجنوبي وفي مكان ليس بعيدا عن خليج السويس واذا كان ذلك ممكنا فليحتل جسرا مصريا ويعبر عليه ، وكان عليه أن يهاجم عند الظهر معتمدا على تقدم برن . وقبل ذلك بقليل كان جونين قد أخذ موافقة رئيس الاركان على أن يقوم برن بالهجوم في الساعة الثامنة صباحا لفتح طريق لعبور لواء على أحد الجسور المصرية في منتصف القناة .

وقد بدأت قوات برن تحركها وفق الخطة من الشمال للجنوب بمحاذاة القناة ، ولكن بعيدا عن مرمى صواريخ المشاة . وفي التاسعة صباحا شعر قائد الجبهة الجنوبية أن كل شيء يسير على ما يرام على حسب الخطة المرسومة ووافق جونين على اقتراح برن بأن يتوجه غربا لانقاذ أحد استحكاماتنا التي كانت تتعرض لضغط شديد . وكانت هذه النقطة قريبة جدا من أحد الجسور المصرية . وما أن تحولت هذه الوحدات غربا حتى تعرضت لنيران صواريخ المشاة المتخندقين وصواريخ الاربيجيه المضادة للدبابات . وسار كل شيء على طريق خاطيء ولكن قائد الجبهة الجنوبية كان بعيدا عن كل ذلك ، واعتقادا منه بأن تشكيل برن في وضع جيد حصل على موافقة رئيس الاركان على أن يبدأ اريك هجومه ليصل الى أهدافه قبل حلول الظلام .وبدأ تشكيل اريك يتحرك . واتضح أخيرا أن تحريك قوات اريك قبل أن يتقرر مصير هجوم برن ، كان هو العامل الفيصل في فشل الهجوم المضاد في هذا اليوم وعلم قائد الجبهة الجنوبية بعد الظهر أن المصريين يعدون هجوما مضادا على طول الجبهة . وفي الساعة ١٥ر٢ بعد الظهر طلب قائد الجبهة من اريك أن يعود الى الشمال مرة أخرى وبالفعل استدار عائدا الا أنه تحتم عليه الآن أن يقاتل خلال الطريق في المنطقة التي كانت خالية أثناء توجهه الى الجنوب . وانتهى اليوم بتقهقر خطوطنا الى الوراء لمسافات أكثر مما كانت عليه في الصباح .

وفي هذه الليلة ، وبعد اجتماع طاريء لمجلس الوزراء ، طرت الى الجبهة الجنوبية لحضور اجتماع طلبت عقده ، ضم رئيس الاركان وقائد الجبهة الجنوبية والضباط الكبار وقادة التشكيلات اريك وبرن والبرت وبدأ الاجتماع وأنا أشعر فعلا بما تقوله التوراة عن (الغضب حتى

على الموت) فبعد كل ماحدث خلال هذه الايام الثلاثة ، وبعد فشلنا في اخلاء المواقع وانقاذ الرجال ، وبعد أن دفعنا بالامدادات الى الجبهة الجنوبيـة ، بعد كل هذا الذى فعلناه ·· ضاع كل شيء هباء ولم نحقق شـيئا · ووجدت اريك وبرن وقد استبد بهما الارهاق الشديد بعد أن انتهت الايام الماضية ، والتى كان مفروضا أن ننتقل فيها من الدفاع الى الهجوم ، الى مجرد اليأس والخسائر والتراجع ·

وكان اريك يدرك جيدا ما يدور الآن فى جبهة القتال ، ولذا فقد جاء بالحل الصحيح وهو عبور القناة وتحطيم قواعد الصواريخ المصرية ، والوصول الى مؤخرة الجيشين الثانى والثالث · ولكنه حذر من الاعتماد على المعجزات ، فاننا لن نستطيع احتلال أى جسر مصرى سليم ، ولذا فنحن فى حاجة الى جسور وقوارب خاصة بنا · ولم تكن تلك قد وصلت بعد الى حافة القناة · وعرض رئيس الاركان خطة اليوم التالى وهى أن يعد اريك الترتيبات لعبور القناة ، بينما تأخذ التشكيلات الاخرى وضع الدفاع ، وأن يمنح المقاتلون الفرصـة للراحة والنوم واعادة تنظيم أنفسهم ·

وعقدت اجتماعا مع رئيس الاركان بعد عودتنا من الجبهة الجنوبية · وكانت المشكلة الاولى التى أثرتها هى قيادة الجبهة الجنوبيـة ، وكان تقديرى أن المعركة المصرية على سيناء أكبر من طاقة جونين ، ولذا لا بد من تعيين قائد جديد للجبهة المصرية ، ورشحت اثنين هما اريك شارون وحاييم بارليف أحد رؤساء الاركان السابقين ووزير التجارة والصناعة حاليا · ثم دخلت الى الموضوع الرئيسى وهو الصورة العامة للحرب · فنحن فى موقف نواجه فيه صعوبات كبيرة · ولكن دولا قوية كثيرة مثل بريطانيا وفرنسا وروسيا وجدت نفسها فى نفس الموقف خلال الحـرب · وفى هذه اللحظة يجب علينا أن نقـرر كل شيء وأن نقرر الخطوات السليمة التى يجب على الامة والجيش أن يتخذاها · وستكون صدمة قوية لشعبنا اذا قلنا لهم اننا حتى الان لم نستطع أن نلقى بالمصريين مرة أخرى عبر القناة وأن خطوط استحكاماتنا على طول خط بارليف قد سقطت · ولكن لا مفر من الحقيقة · ويجب أن نقول الصدق لشعبنا حتى يعرف الموقف على حقيقته · ونحن بحاجة الى الرجال ولا بد أن نعبىء بعض الكبار الذين لم نكن نستدعيهم فيما قبل ، وندرس امكانية استدعاء من هم فى سن السابعة عشرة للتدريب · وأيضا فنحن فى حاجة عاجلة الى السلاح ويجب أن نحاول ذلك مع الولايات المتحدة ·

وبالنسـبة للجبهة الجنوبية ، فانه يجب علينا أن نوجه أعدادا أكبر من الرجال للحرب وأن نعيد تنظيم أنفسنا قبل أى محاولة لدفع

المصريين للانسحاب ، أما فى الجولان ، فيجب أن نصدر أمرا للقيـــادة الشمالية يقول (لا انسحاب) ، ويجب أن نحارب الى آخر رجل وألا نتراجع بوصة واحدة ولنفقد كل دباباتنا فى الشمال ، ولكن يجب أيضا فى المقابل أن نمحو القوات السورية ويجب أن نعطى للجبهة الشمالية كل الدعم الجوى اللازم • واذا أنهينا القتال على هذه الجبهة فيمكننا أن نحول كل قواتنا هناك للجبهـــة المصرية • وقلت لرئيس الاركان أنه بالنسبة لكل هذه المسائل ، فلا بد من موافقة رئيسة الوزراء •

وبعد ثلاث ساعات فى الساعة ٢٠ر٧ صباحا قابلتها ، وكانت جولدا كما هى دائما ــ برغم الارهاق الواضح ــ نشطة متيقظة تواجه كل الامور بشجاعة وأخبرتها بأوامرى للجبهة الشمالية واننا لن ننسحب مهما كان الثمن وأن ذلك يعنى أننا سنتكبد خسائر فادحة • ووافقت جولدا على أوامرى وقلت لها أنه لا يمكن السكوت على اطلاق سوريا لصواريخ فروج أرض/ أرض على مستعمراتنا المدنية لمدة ثلاثة أيام وطلبت الموافقة على قصف مواقع عسكرية فى دمشق من الجو ، ووافقت • كما وافقت أيضا على تعيين بارليف قائدا للجبهة الجنوبية • وأثرت موضوع طلب السلاح من أمريكا ، وطرحت جولدا عدة اقتراحات منها أن تسافر لمباحثات سرية فى واشنطن مع الرئيس الامريكى • وكانت تثق فى أهمية المباحثـات المباشرة مع الرئيس لنشرح موقفنا وابلاغه عن الاسلحة الســــوفيتية المتطورة فى أيدى العرب وتفوقهم العددى الرهيب ، وماذا يحدث فى الجبهات ولم يكن السلاح فقط هو ما نريده بل يجب أن يعرف الرئيس نيكسون ما الذى حدث فى هذه الحرب ولماذا وقد أيدت رحلتهـــــا الى واشنطن ، وفعلا لم نكن نحتاج للسلاح فقط من الولايات المتحدة بل أن تتفهم الوضع وأن نحصل على تأييدها ودعمها لنا ، ولم يكن هناك شخص غير جولدا يستطيع أن يفعل ذلك •

٣٢ جرد المخازن

وفى يوم ١٠ اكتوبر (تشرين الاول) ، اليوم الخامس للقتــــال ، راودنى القلق لاول مرة حول قدرة قواتنـــــا الان على ايقاف الاختراق العربى لاراضينا ، وفى سيناء والجولان تكبد العدو خسائر فادحة فى المعدات والرجال ، وتراجع الى الخلف . وقد تمركزت قواتنـــــا فى مواقع قوية ، وتعلموا كيف يتجنبون الصواريخ المضادة للدبابات ، أما الجيوش العربية فانها بعد أن نفذت خطط عبور القنــــاة واقتحام الجولان ، لم تعد قادرة على القيـــام بالخطوة التالية ، التى كانت تتطلب تخطيطا تحت ظروف غير متوقعة . وكنا قد وصلنا الى المرحلة التى تمكننا من الاقتحام والسيطرة ، ولم تصبح مشكلتنا ماذا نفعل : وانمـــا أصبحت بأى القوات نفعل ذلك .

أصبح القرار النهائى الآن فى يد رئيس الاركان وقادة الجبهات ، فاذا قالوا أنه لا توجد قوات كافية لهذه العملية ، أو أنها ستفشـــــل ، فانه يؤخـــذ برايهم . وفى دولة ديموقراطية مثل دولتنا فان القوات المسلحة تكون تحت السلطة الكاملة للحكومة المدنية من خلال وزير الدفاع لكن هذه السلطة محددة فى اطار اتخاذ القرارات السياسية ولا تمتد الى القرارات الخاصة بالعمليات . فللحكومة مثلا — من خلال وزير الدفاع — أن تأمر الجيش بعبور أو عدم عبور الحدود اللبنانية على سبيل المثـال . وهنا اصدر الاوامر للجيش بأن يضرب قواعد العدو فى قواعده القريبة

من دمشق وان يبتعد عن الاهداف المدنية ، لكننى لا ابلغ الجيش كيف ينفذ ذلك ، وأن لم يكن هناك مايمنع من أن ابدى آرائى .

وهكذا نجد أن الوزير قد يكون لديه بعض الموظفين لكنه لا يملك أركان حرب . أما المسئولية الحقيقية فى الجيش فتقع على عاتق رئيس الاركان الذى يخطط ويزيد ويرفض ويعارض أية آراء تتعلق بالعمليات أو يضعها موضع التنفيذ .

وليس معنى ذلك اننى قبعت وراء مكتبى مكتفيا باتخاذ القرارات السياسية اثناء القتال ، وانما كنت ازور على الاقل احدى الجبهتين يوميا . وكان الانتقال من جبهة لاخرى لا يستغرق أكثر من ساعة أو ساعتين ولم يكن ممكنا أن احكم على ما يدور فى ميادين القتال من خلال تقارير رئيس الاركان ، ولا حتى من تقارير قادة الجبهة . وكان الاسلوب الافضل فى نظرى هو الوصول الى الجبهات نفسها والاجتماع مع قادة التشكيلات الفرعيه وسماع الحقيقة منهم ورؤية الواقع مباشره فى ميدان القتال وبقيت اتبع هذا الاسلوب حتى آخر أيام الحرب .

لم أكن أذهب الى منزلى رغم قربه من القيادة والوزارة ، وكان أولادى الثلاثة قد عبئوا : فيائيل تعمل فى مستشفى تل هاشومير وابنى اودى يخدم فى وحدة كوماندوز بحرية ، وابنى الصغير عساف يخدم كقاذف مورتار مع وحدة مظلات . أما زوجتى راحيل فهى فى عملها نهارا ، وفى المساء تنتظر فى المنزل مكالماتى التليفونية وكنت خلال زياراتى للجبهة ارتدى زيا عسكريا بدون رتب عسكرية .

هذا عن الامور الخارجية ، أما حياتى من الداخل فقد سيطرت عليها بشكل كامل حرب يوم الغفران . وكانت حياتى مزيجا من القلق الشديد والحزن والمجهود الضخم الذى كنت أبذله لتركيز افكارى . وكانت هى الحرب الرابعة التى أخوضها . الاولى ، حرب الاستقلال عام ١٩٤٨ كان عمرى خمسة وعشرين عاما ، وكان العمل سهلا وناجحا ، وضحكت كثيرا . كذلك فانمعركة سيناء عام ١٩٥٦ وحرب الايام الستة ١٩٦٧ ، لم تكونا بالحروب الصعبة . أما حرب يوم كيبور فقد اختلفت تماما ، فلم تكن حربا صعبة فحسب ، بل كان جو الحرب نفسه صعبا .

فقد كان علينا أن نواجه حشودا كبيرة من القوات ، مسلحة بكميات ضخمة من الاسلحة المختلفة والقوية .. وعندما كنا ننجح فى تحطيم مئات الدبابات ، لم نكن نفرح اما عندما كان خط استحكاماتنا يسقط ، او عندما نفقد ٣٠ دبابة فى عملية واحدة ، فان الامة كلها كانت تصاب بالذهول والحزن وقتل الكثير من خيرة ضباطنا الطيارين وقادة المدرعات وضباط المظلات . وكان كل يوم يمر يحمل انباء سيئة

عن ازواج او ابناء أو اقارب او جيران قتلوا فى المعركة وكان شعبنا حتى بعد ان هزمنا المصريين والسوريين يمر بحالة قلق حول الرجال الاسرى والجرحى .

وقد عشت أنا فى هذا الجو أيضا . ولم أكن أقلع ولو للحظة واحده عن التفكير فى مستقبل الحرب . أسئلة كثيرة كانت تتسابق الى ذهنى ماذا افعل الان ؟ كيف ستتطور الامور ؟ ماذا يحتمل ان يفعل الاتحاد السوفييتى ؟ كيف ستتصرف الولايات المتحده ؟ هل ستفتح الاردن جبهة ثالثة ؟ هل ستصل الى العرب امدادات جديدة ؟ ماذا نقدر ان نعمل فى الجبهتين الشمالية والجنوبية ؟ وكان ذلك هو مجال تفكيرى خلال الليل والنهار .

وكانت تواجهنا ثلاث مشاكل . أولاها : فنية ، تتعلق بمواجهه الصواريخ السوفيتيه المضادة للطائرات والدبابات ، والثانية تتعلق بمستقبل علاقاتنا مع الدول العربية المجاورة ، وهل نصمم على أن نحتل اجزاء اخرى من مصر وسوريا . والثالثة هى موقف القوى الكبرى مما يحدث وخاصة احتمال تدخل السوفييت ازاء تهديد قواتنا باحتلال دمشق . وكان الاختلاف بين هذه الحرب والحروب السابقة لها ، ان العرب اصبحوا أكبر وأقوى مما كانوا عليه . ورفع هذا من خسائرنا ، واحتاج الامر الى تصميم من رجالنا . كانت قوة العرب فى الرجال والعتاد أكثر ثلاث مرات مما كانت عليه فى حرب الايام الستة . وكانت المقارنة بالنسبة لعام ١٩٦٧ مليون رجل مقابل ٣٠٠ الف . ٥٠٠٠ دبابة مقابل ١٧٠٠ ، ألف طائرة مقابل ٣٥٠ و ٤٨٠٠ مدفع ميدان مقابل ١٣٥٠ . وصاحب الارتفاع فى العدد ايضا ارتفاع فى النوعية والمستوى التكنولوجى للاسلحة . هذا بالاضافة الى الصواريخ المضاده للطائرات والدبابات . وخاصة الدبابة السوفيتية الحديثة ت ٦٢ .

ومما لاشك فيه نوعية المقاتل أيضا قد تطورت . فهو فى هذه الحرب يعرف كيفية استخدام سلاحه . ولعل ذلك بسبب الجهد الذى بذله الخبراء السوفييت فى تعليم المصريين القتال الحديث . وقد زود السوفييت مصر وسوريا بصواريخ أرض/ أرض من طرازين الاول فروج مداه ٥٠ ميلا وقوته التفجيرية ١١٠٠ رطل ، والثانى سكاد ومداه يتراوح بين ٢٠٠ و ٢٥٠ ميلا وقوته التفجيرية ٢٠٠٠ رطل ، وكذلك الصاروخ كيلت جو/أرض ومداه ١٢٥ ميلا ويحمل ١١٠٠ رطل من المتفجرات وبهذه الصواريخ أصبح فى مقدور العرب ضرب مدننا ومراكزنا الصناعية من الجبهتين الشمالية والجنوبية .

ومع عدم وجود حل لهذه المشكلة التكنولوجية . كانت الاجابة من خلال محور التكتيك ، وأصبح المفتاح فى يد المقاتل لا السلاح . وفى ميزان الاسبوع الاول من الحرب ، فقد اطلقت عدة صواريخ

أرض / أرض ، ولكنها لم تحدث أى أثر على تقـــدم الحرب . فقد أطلق السوريون عدة صواريخ فروج على القـــاعدة الجوية فى رامات دافيـــــد وعلى مدينه كريات شمونا فى الشمال ، ولكن تأثيرها كان محدودا للغاية . وأطلق المصريون عده صــــواريخ كيلت من الطائرات توبوليف ١٦ على تل أبيب وعلى عدة أهداف عسكرية فى ســـيناء من بينها شرم الشيخ . ولم يطلق المصريون صواريخ أرض /أرض سكاد الا يوم ٢٢ اكتـــوبر (تشرين أول) على مناطق الجسور فى قنـــــاة السويس وكان ذلك قبل وقف اطلاق النار الاول .

وكانت الاسلحة المضادة للدبابات (الآر بى جيه) وصـــواريخ ساجر ، مؤثرة جدا ٠٠ وفى بداية المعركة كبدتنا هذه الاسلحة خسائر فادحة وخاصة فى الجبهة الجنوبية . ولكن بعد فتره تعلم رجالنا كيف يتعاملون معها ٠ فمدى الاربى جيه ٣٢٥ ياردة والســـــاجر ميلين ٠٠ وكانت أخطر الاسلحة التى نواجهها هى بطاريات صواريخ سام المضادة للطائرات . ولا أعتقـــد ان الطائرات تستطيع التغلب بصفة كاملة على بطاريات هذه الصواريخ . ولهذا فان دعم القوات الجوية للقوات البرية فى منطقة قريبة من هذه البطاريات ، لا يمكن أن يكون مؤثرا ، وتلك هى الحقيقة التى يجب أن نؤمن بها . والحقيقة اننى بدأت أشك فى قدرة الطيران على التغلب على هــــذه الصواريخ فى اغسطس (آب) ١٩٧٠ قبل انتهاء حرب الاستنزاف ، عندما أصيبت لنا طائرتا فانتوم بالقرب من البحيرات المرة ٠٠ ومرت ثلاث سنوات على هذا الحادث ٠٠ ولـــكن فى المواجهة بين الطائرات والصـــواريخ لم تكن الطائرات هى الاحسن وهذا لا يعنى أن قيمة الطيران انتهت ولكن تتطلب تغييرا فى نظريات العمليات .

ومنذ ستة أعوام ، فى حرب الايام الستة ، دمرت اسرائيل الطيران المصرى فى بداية الحرب ، وكذلك كل البطاريات المضادة للطائرات فى سيناء . أما فى هذه الحرب فقد أصبحت حـــركة الطيران الاسرائيلى مقيدة ومحدودة . وقد أبرزت هذه الفترة ثلاثة مؤشرات رئيسية :

● حققت القوات الجوية سيطرة كاملة ، وبهذا لم تمنع العدو من قذف الاهداف المدنية ، بل استطاعت ايضا أن تحقق لقوافل الامدادات والتموين للجبهة السلامة الكاملة .

● بخلاف بورسعيد : لم تستطع قواتنا الجوية تطهير جبهـــــات القتال من بطاريات الصواريخ . حتى فى يوم ٧ أكتوبر (تشرين الاول) عندما عطلت معظم بطاريات الصواريخ فى الجولان ، فانها عادت للعمل فى اليوم التالى .

● اما ان تتقدم القوات بدون غطاء جوى قريب ، او ان تصاحبها الطائرات فتتعرض للاصابة بالصواريخ ، وذلك هو ما حدث خـــلال الاسبوع الاول .

اما معارك الدبابات فى الاسبوع الاول ، فقد خضعت للاختلاف بين الجبهتين الشمالية والجنوبية .. ففى الجبهة الجنوبية صحراء وقناة السويس وجبهة طولها ٩٥ ميلا .. أما الجبهة الشمالية فقد كانت ضيقه وصخرية وجبلية مما يجعل مراقبتها والسيطرة عليها سهلة . وهكذا اختلفت نتائج المعارك فى الجبهتين فى ثلاثة أمور :

● فى الشمال ، وباستثناء جبل الشيخ ، دفعنا السوريين الى الوراء من كل أقاليمنا بينما احتل المصريون الشاطىء الشرقى للقناة .

● فقد السوريون ٩٠٠ دبابة بينما فقد المصريون حتى الاسبوع الاول ٣٠٠ دبابه .

● وفى الجبهة الجنوبية سقطت كل استحكاماتنا عدا واحد ، وفى الشمال لم يسقط سوى جبل الشيخ .

نستخلص من ذلك أن كل العمليات حدثت مع سوريا من خلال الهجوم والحركة وبينما كانت الدبابات السوريه تهاجم وتتحرك كانت دباباتنا متمركزة فى مواقع دفاعية وكان هذا الوضع ملائما لدباباتنا ولمدرعاتنا لضرب الدبابات السورية . ولم تكن الصواريخ السورية ساجر ذات تأثير فعال فى سير المعركة . ولم تكن تلك هى الحالة فى الجبهة الجنوبية . ففى اليومين كانت دباباتنا فى حالة هجوميه وهى تسرع ناحية القناة ، بينما كان المشاة المصريون المزودون بصواريخ مضاده للدبابات متمركزين فى مواقع دفاعية . ولهذا فان كل خسائرنا من الدبابات فى الجنوب كانت بسبب حسن انتشار المواقع الدفاعية المصرية ، وعندما عبر المصريون القناه عملوا على نقل دفاعاتهم المضادة الدبابات وقواتهم المدرعة تحت مظلة الحماية المضادة للطائرات وحرامهم القوى المضاد للدبابات فى حين كان هدف الهجوم السورى المباشرة احتلال الجولان كلها .

ويؤسفنى ، ألا أعزو تقدم المصريين وفشل السوريين الى الاختلاف فى طبيعة الجبهتين فقط ، ولا الى طريقة حرب الجيشين . فالحقيقة أن قواتنا فى الجبهة الشمالية خاضت الحرب جيدا ولم تفعل ذلك فى الجنوب ، وفى الساعات القليلة بين الانذار ونشوب الحرب ، لم يتم فى الجنوب عمل ما كان يجب عمله فلم تتمركز الدبابات فى مواقعها القتالية ، ولم تكن هجومها على القوات المصريه التى عبرت القناة منظما او محققا للهدف . وكانت تلك هى الحالة قبل وصول الاحتياطى ، وحتى عندما وصل الاحتياطى بتشكيلاته الثلاثة بقيادة البرت وبرن واريك ليقودوا الهجوم المضاد . فان ذلك ايضا لم يتحقق .

أما بالنسبة لمستوى قتال الجنود العرب فاننى استطيع أن أقرر ذلك فى جملة واحدة أنهم لم يهربوا كما كانوا يفعلون فى الماضى . وفى

الماضي كان الهروب هو أحد الملامح العـــــامة فى شخصية الجيوش العربية .. ليس فى كل الجيوش ، وليس الهرب فى الجال ، وانما ذلك بصفة عامة ، كانوا عنـدما يشعرون بأنهم قد ضربوا ، أو أن جبهتهم انهارت ، فانهم كانوا يجرون ، أما فى هذه المرة ، فى حرب يوم كيبور ، فانهم حتى عندما تكبدوا خســــائر فادحة واكتشفوا أنهم خسروا الحرب ، لم يجروا وانما انسحبوا . وعلاوة على ذلك فان المســتوى القتالى للجنـــــدى العربى احرز تقدما كبيرا . وقـد حاربت بعض الوحدات بمرارة حتى النهاية ، واظهرت بعض الوحدات أعلى درجات السيطرة والقيادة فى العمليات مستخدمة احدث الاجهزة التكنولوجيه المتطورة . وتأكدت اننا لن نستطيع أن نحيق بالعرب الانهيار الكامل

وكان على المرء أن يضع فى حسابه العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة . وكانت الولايات المتحدة متعاطفة معنا الى آخر مدى ، وقـد ساعدتنا الحكومة الامريكية بامدادات السلاح والمساعدات الاقتصـادية والدعم السياسى . وكنت أكره مجرد التفكير فيما كان يمكن أن يحدث لو أن الولايات المتحدة اوقفت مساعداتها لنا ، أو ماذا كنا نفعـــل لو أنها ادارت لنا ظهرها فى هذه الايام . وكانت منطقة تعاملنا مع الولايات المتحدة تشمل الرئاسة ووزارة الخارجية والبنتاجون وعندما نشبت حرب يوم كيبور بدأت واشنطون تسأل عمن بدأ الحـــرب ؟ هل هى خطيرة ؟ ربما تبالغ اسرائيل فى الامر ؟ وكانت فى نفس الوقت تفترض — بناء على معلومات امرنا ممثلنا فى واشنطون بنقلها — اننا سوف نهزم العرب خلال عدة أيام . وفى ضوء هذا الموقف تصرف الامريكيون ببرود بالنسبة لطلباتنا العاجلة الحصول بسرعة على كمية كبيرة من امدادات السلاح . حتى وزارة الخارجية التى كانت تدرك مدى احتياجاتنا ، قالت أننا نستطيع الان الحصول على كمية محـــدودة من المعدات ، ورفضت اعطاءنا طائرات اضافية أثناء اســتمرار المعارك . ولم نكن نحن ، من ناحية أخرى ، نستطيع التراخى فى طلبـــاتنا . كنا نحتاج الى طائرات ودبابات واسلحة مضادة للدبابات وصواريخ هوك المضادة للطائرات وهليكوبتر ومدافع ذاتية الحركة .

وظللنا نرسل البرقيات حول احتياجاتنا السريعة للفانتوم . واخيرا تلقينا ردا ايجابيا يوم الثلاثاء ٩ اكتوبر (تشرين الاول) بعد ثلاثة ايام من القتال ، يفيد اننا سنتلقى طائرتى فانتوم من الحصة المخصصة لنا .. وكان هذا الموقف الامريكى نتيجة للمعلومات التى وصلت اليها من اننا بدأنا الحرب ولضغط الدول العربية المصدرة للبترول لعدم تزويد اسرائيل بالاسلحة وعلمنا اننا سنحصل على السلاح فى حالة واحدة ، اذا ما ساء موقفنا للغاية . أما الدبابات فمن غير المستطاع أن تصـــل قبل عدة اسابيع .

وفى يوم الاربعاء علمنا ان الرئيس الامريكى قد وافق على أن يمدنا بأحدث المعدات الالكترونية وبطائرات اضـــافية . وانه سيتم تعويض

بل خسائرنا فى الحرب وقيل لنا بصفة خاصة أنه كان لابد من ازالة عدة عوائق قبل أن يتم التوصل الى هذا القرار • وكانت المشكلة الآن هى كيف سنحصل الينا هذه الاسلحه . ولم يكن للعرب هذه المشكلة ، ففى خلال يومى ٩ ، ١٠ اكتوبر وصلت الى المطارات السورية ٢٠ طائره نقل انتينوف سوفيتيه ضخمة ولم تكن حكومه الولايات المتحدة ببعيدة عن هذا الامر ، وكنت اظن انها ستراقب هذا الامر باهتمام ، وانها ستقوم بالاسراع فى ارسال امداداتها • وفعلا بدأت الولايات المتحده فى النقل بجسر جوى استمر بين ١٤ اكتوبر (تشرين الاول) و ١٤ نوفمبر (تشرين الثانى) لمدة شهر ، لكننا فى النهاية لم نتلق التعويضات الكاملة عن خسائرنا ، وتلقينا أقل من نصف الفانتوم التى طلبناها وخمس الدبابات ولم نتلق سياره واحدة نصف مجنزرة ، وبضعة طائرات هليوكبتر . وكنا قد طلبنا كمية صغيرة من مدافع الميدان فتلقينا ثلث ما طلبناه . أما الصواريخ المضادة للطائرات فقد تلقينا ربعها .

كان هذا النقص فى امدادات السلاح مثار انزعاج لنا لكن حكومة نيكسون على أى حال ، كانت أفضل من حكومة ايزنهاور التى رفضت ان تمدنا بالسلاح خلال معركة سيناء • بل وافضل من حكومتى كنيدى وترومان . وبالرغم من أن ترومان كان صديقا مخلصا لاسرائيل ، الا أنه فى عام ١٩٤٨ وأثناء لحظاتنا الحرجة خلال حرب الاستقلال ، لم يرحب بمساعدتنا بالاسلحة . والان فى عام ١٩٧٣ لا نجد دولة واحدة تحاول مساعدتنا بالاسلحة غير الولايات المتحدة • حتى ألمانيا الغربية التى يراسها المستشار فيلى برانت ، وهو صديق مخلص لرئيسة الوزراء ، رفضت ان تقوم الولايات المتحدة بنقل أسلحة الينا من القاعدة الامريكية هناك . ورفضت كثير من الدول الاوربية حتى مجرد السماح للطائرات التى تحمل لنا السلاح بالهبوط فى مطاراتها للتزود بالوقود • وأوقفت بريطانيا صفقة الدبابات التى كانت متعاقدة عليها معنا .

وفى يوم ١٠ اكتوبر (تشرين الاول) زرت الجنرال يشاياهو جافيتش الذى كان يتولى قياده الجزء الجنوبى من سيناء وبصحبتى قائد الطيران وفى الساعة الثانية والنصف بعد الظهر زرت قيادة الجبهة الجنوبية لاستمع الى تقارير الموقف وتحدثت حول نقطتين هما : احتمال تقدم المصريين ناحية الجنوب على الساحل الشرقى لخليج السويس ، والاخرى هى امكانيه عبورنا القناة للضفة الغربية •

وكان اول موقع طبوغرافى بعد رأس سدر يصلح للاغلاق بحيث يجبر القوات المتقدمة على التوقف ، يقع شمال ابو رديس ، حيث تلامس سلسلة جبال وسط سيناء الشاطىء ، فهناك احسن مكان لاقامة خط دفاعى ولزرع الالغام وحفر الخنادق للاسلحة المضادة للدبابات وانشاء تحصينات قوية للمشاة . ولكن مع ضرورة عدم

حدث اي انسحاب لقواتنا من مواقعها الحالية . وكان احد الالوية الميكانيكية من الفرقة السادسة قد حاول خلال الليلة السابقة ان يحرك ناحية الجنوب . وعندما وصل الى عيون موسى التى تقع على مسافة عشرة أميال جنوب السويس ، اشتبك مع أحد وحدات المظلات المدعمة بعشرين دبابة وبالطيران ٠ وقد تكبد العدو خسائر فادحة واضطر الى الانسحاب . كان فى وسع طيراننا ان يقوم بعمليات بحرية فى هذه المنطقة لبعدها عن مدى الصواريخ المصرية المضادة للطائرات . وكانت معظم الخسائر الى حدث للواء المصرى نتيجة القصف الجوى ، وبعد هذا الفشل من المصريين أصبحت أعتقد أنهم لن يحاولوا التقدم جنوبا ، وان المظليين والمدرعات والطيران يستطيعون ان يمنعوا اى تقدم مصرى فى الجنوب . وطالما فشل المصريون فى تحريك بطاريات صواريخ سام الى الضفة الشرقية . فان هذه المنطقة ستكون تحت سيطرة طيراننا وكانت المنطقة ما بين خليج السويس وشرم الشيخ هدفا للقصف المصرى . وبعد خمس دقائق من بدء الحرب قصف المصريون المواقع العسكرية فى الجنوب واشعلوا النيران فى خزانات البترول فى أبورديس حيث اشتعلت النيران فى ثلاثة خزانات . وقتل سبعة من جنودنا وجرح عدد اخر . وكان اكبر نشاط قام به المصريون فى هذه المنطقة هو ارسال ثلاثة كتائب كوماندوز بالقوارب والهليكوبتر يتراوح عددهم بين ٧٠٠ و ٨٠٠ رجل فى المنطقة بين راس سدر وابو زنيمة . وقد فشلت هذه العملية تماما .

وكانت تحصيناتنا العسكرية فى هذا المثلث الجنوبى قوية ومحصنة واى محاولة لاقتحامها ستكون صعبة اما شرم الشيخ فقد قمنا بتحصينها تماما بعد الاستيلاء عليها فى ١٩٦٧ ٠ وكنت مؤمنا أن المصريين لن يستطيعوا الاستيلاء عليها وامل الا تتخلى حكومة اسرائيل عنها مطلقا .

وكانت هناك اهداف اخرى على خليج السويس قد تجذب العدو لتخريبها او احتلالها ، مثل ابو ردیس التى قام المصريون باشعال الحرائق فى خزانات البترول فيها . والان ، وبعد اسبوع من الحرب ، فان تواجد لواء المظلات الاسرائيلى مدعما بالمدرعات قد غير الموقف تماما فى هذا القطاع . وكان ولدى الاصغر عساف يخدم على مدفع مورتار ثقيل مع قوات المظلات فى هذه المنطقة وحكى لى عن الاشتباكات مع قوات العدو ومطاردة الكوماندوز المصرية واخبرنى ايضا عن ضباطه فقد كان قائده الذى استدعى من الاحتياط من أنشط اعضاء احد الاحزاب اليمينية المعروفة عنها عداتها الشديد الدول العربية ، اما نائبه فقد كان يساريا متطرفا يحبذ التنازل عن الاراضى للعرب ورغم اختلافهما السياسى فقد كانا متفاهمين فى الامور العسكرية وخاصة فيما يتعلق بمطاردة الكوماندوز المصريين وضرورة القضاء عليهم تماما .

ولم يعد السؤال الآن فى الجبهة الجنوبية دفع المصريين الى الوراء ، وانما وماذا بعد ؟ .

وكنت احاول البحث عن امكانية احتلال جزء فى الضفة الغربية أو غرب خليج السويس ، اذ كان ايقاف اطلاق النار محتملا فى أى لحظة .
وبالنسبة للجبهة الشمالية فقد دفعنا السوريين الى ما خلف خطوط ١٩٦٧ ، وكبدناهم خسائر فادحة . اما فى الجبهة الجنوبية ، فقد احتل المصريون شريطا بطول الضفة الشرقية لقناة السويس ، واذا لم يكن بمقدورنا دفعهم مره ثانية الى الضفة الغربية فى الحال ، فلا بأس من محاولة احتلال جزء من ارضهم فى غرب القناة : وعندئذ يمكن أن يكون لدينا شىء نساوم به .

ورفض بارليف أن يوافق على هذا التقدير للموقف فأكدت له أنه يمكن نقل قوات من الجبهة الشمالية الى الجنوبية ، عندها وافق بارليف .

وبدأنا نستعرض الاماكن الصالحة . واقترحت الحافة الجنوبية لخليج السويس ، لكن العقبة كانت فى حتمية اعتمادنا على الامداد البحرى . وطلبت التفكير فى موقع يمكن احتلاله مع أقامة جسر برى يصلنا بقواتنا فى المؤخرة . وعلى أية حال فان الخط الرئيسى لحركتنا القادمة أصبح واضحا الان فسواء فى الجولان أو سيناء ، كان لابد وأن نبدأ الهجوم . وفى اجتماعى مع رئيسة الوزراء فى نفس الليلة اقترحت ان نقوم قواتنا بهجوم على الجبهة السورية وتتقدم نحو دمشق . ولم يكن لدينا الرغبة فى احتلال دمشق أو قصفها ، وانما مجرد الحصول على أرض أخرى خلف خطوط ١٩٦٧ ، وأن نجعلهم يشعرون أن دمشق فى خطر ، وكانت الخطة تقضى بأن نبدأ هجومنا يوم ١١ أكتوبر (تشرين الاول) صباحا ، وأن نقوم بضربة جوية نحطم خلالها المطارات وبطاريات الصواريخ حتى تصبح السماء خالية أمامنا .

وكنت قبل اجتماع الليلة مع رئيسة الوزراء قد عقدت اجتماعا مع رئيس الاركان لفحص مشاوراته مع ضباطه ، قبل ذلك ، بدون حضورى .. وحضر هذا الاجتماع مع رئيسة الوزراء وزيران دعتهما ، ورئيس الاركان ونائبه الجنرال طال ورئيس المخابرات وقائد الطيران . ولم تكن هذه الاجتماعات طويلة فقط ولكنها كانت شاقة . فقد وصلنا الى مرحلة نعلم فيها ما الذى نريده فى الخطوة القادمة ، وماذا يجب أن نفعل وكيف فى كلا الجبهتين . وما الحل ، اذا قرر مجلس الامن ايقاف اطلاق النار ؟ وماذا نفعل لمنع تدخل الاردن والعراق اذا حدث ؟ وهل نستطيع الاستمرار فى القتال اذا طال ؟ وكان السؤال الرئيسى كيف نستغل جهودنا المتفوقة ؟ وهل هناك امكانية توجيه ضربة قوية لاى الجبهتين ؟

كان الجيش السورى الآن فى وضع سىء فقد دمرنا ثلث قوته الهجومية وتشكيلاته الاقتحامية ، وكان التوتر على المسرح الدولى قد بلغ مداه ، وخاصة بين روسيا والولايات المتحدة اللتين كانتا تزودان

المحاربين بالاسلحة . وأبلغنا ممثلنا فى واشنطن ان الامور تسير نحو صدور قرار من مجلس الامن ، بعد تصاعد الضغط الدولى ، بوقف اطلاق النار بدون شروط ، وكان ذلك نصرا للعرب ، اذ يتم تجميد المكاسب التى حققوها .

وكنا نحتاج لعدة أيام أخرى لتغيير الموقف على الجبهات لصالحنا وكان علينا ان نحقق نتائج سريعة قبل ايقاف اطلاق النار الذى نتوقع ان يتم فورا . اما الاردن فقد انتهى الاراء الى انها بعد ان رات ما حدث لسوريا فلن تدخل الحرب ولن تفتح جبهة جديدة ، الا ان قواتها الموجوده على الجبهة السورية سوف تحارب فى صف القوات السورية .

وعندما عدت من الجبهة الجنوبية فى يوم ١٠ اكتوبر « تشرين الاول » وجدت رئيس الاركان عائدا من الشمال فى حالة سيئة ، فقد فشلت تشكيلات دان ورافول فى التقدم ، اذ كان خط الدفاع السورى أقوى مما كان قبل الحرب . صحيح ان لدينا ثلاثة تشكيلات مدرعة فى الشمال لكنها كانت اقل من المصرى الجيد . وكان من المحتمل أن يتم اصلاح اكثر مدرعاتنا خلال الليل ، الا ان قواتنا كانت منهكة وكان رجالنا يسقطون نائمين كلما توقفوا فى اى مكان الى ان يتم ايقاظهم لتلقى الاوامر الجديدة . وكان يجب ان ندخل فى حساباتنا خط الدفاع الخاص بنا فى الشمال . فاو اننا تقدمنا لخمسة او عشره اميال لتعرضنا للخطر . وبرغم كل هذه العوامل ، فقد استقر الراى فى هذا الاجتماع مع رئيسة الوزراء على توجيه ضربة موجعة للسوريين قبل وقف اطلاق النار .

ووصف نائب رئيس الاركان ، الجنرال طال ، الموقف على الجبهة المصرية ، واقترح أن نركز نشاطنا على الجبهة المصرية التى ما زالت قادرة على العمل مع تجميد الجبهة السورية التى لم تعد فى استطاعتها التحرك . صحيح اننا لم نكن سنتمكن من نقل قوات من جهة لاخرى ، غير أننا بتحركات تكتيكية كنا نستطيع شن هجوم ساحق على المصريين وتحقيق تغيير جذرى فى مسار الحرب . وكنت اكثر الموجودين تفاؤلا بالنسبة للجبهة الجنوبية وان المصريين ان يستطيعوا التقدم نحو الجنوب ، ويجب علينا اعداد قواتنا لهجوم الهدف منه احتلال منطقة غرب القناة . وكان تقديرى اننا سوف نفعل ذلك . وفى كل الاحوال فان المرحلة الحالية تتطلب الهجوم الفورى على الجبهة الشمالية . وكنت اشعر بانه لا يجب صدور قرار بوقف اطلاق النار الآن ، فالحرب لا يمكن ان تقف عند هذه الخطوط العسكرية .

٣٢ التقدم فى الجولان

وفى الساعة الحادية عشرة صــــباح ١١ أكتوبر « تشرين الاول » وفقا للخطه ، بدأت قواتنا هجوما فى الجولان ، مدعمة بالطيران ، على القوات السورية المدعمة بالقوات المدرعة العراقية والاردنية والمغربية . وبدأت قواتنا فى التقدم طوال اليــــوم التالى وجزءا من اليوم الذى يليه وقضت يوم ١٣ اكتوبر (تشرين الاول » فى تحسين مواقعها فى المنطقــــة التى احتلنها أخيرا وأقمنا خط دفاعنا على مسافه عشرة أميال بعــــد خطوط ١٩٦٧ . وخلال سير الهجوم كنت دائم الزيارة للمواقع الامامية فى نشكيل رافويل عيثان ودان لاندر • وكنت أشــــجعهم على الافتراب بقدر الامكان من دمشق لتصبح فى مدى مدفعيتنا ، وحتى تكون أوضاعنا جيدة عند صدور قرار ايقاف اطلاق النــــار ولاننا لم تكن نهدف الى احتلال دمشق ، فقد كنا راضين عما حققنا الآن ، لانه كان ملائما للدفاع ضـــــد أى هجوم مضاد . وكانت لهجة الروس قد بدأت تشــــتد مع استمرار السوريين فى الانسحاب ، وكان واجبــــا علينا الحرص حتى لا ينطلق الدب من الغابة . فقد وصلتنا معلومات أكيدة أن الروس يعبئون ثلاثة تشكيلات لمساعدة العرب . وعلى أية حال ، فانه يجب علينا الآن أن نركز على الجبهة المصرية ، وأن ننقل قوات من الشمال الى الجنوب ، بالرغم من ان تقارير المخابرات تقول ان هنـــاك ٩٠٠ دبابة ما زالت بين خط دفاعنا وبين دمشق من بينها دبابات عراقية وادرنية ومغربية .

وبعـــد نجاح هجومنا المضاد على الجبهة السورية فى ١٣ اكتوبر (تشرين الاول) انتقل التركيز العسكرى الى الجبهة الجنوبية . ومع وجود القوات المصرية على الضفة الشرقية ، كان لا بد من تغيير الموقف حتى نؤكد للمصريين انهم لم يحققوا اهدافهم من شن الحرب علينا .

وبعـــد مناقشات طويلة قررنا عبور القناة والتمركز على الضفة الغربية منها ، والوقوف على الطريق الى القاهرة وكنا نتوقع أن يشـــن المصريون علينا هجوما مكثفا فى الضـــفة الشرقية ، ولذا قررنا انه من الحكمة ان ننتظر عدة أيام للاشتباك معهم هنا أولا ثم عبور القنـــاة ، وهجم المصريون بالفعل يومى ١٣ ، ١٤ وفقدوا مائتى دبابة .

وفى يوم ١٤ اكتوبر (تشرين الاول) أصـــدرت قيادة الجبهـــة الجنوبية أمرا بالاستعداد للعبور ، وحددت الساعة السابعة مساء اليوم التالى لتنفيذه . وحددت نقطة العبور بمنطقة الدفرسوار شمال البحيرات المرة الكبرى ، بحيث تعبر تشكيلات اريك شارون ، ويقـــوم تشكيلان آخران باحتواء قوات الاعداء على الضفة الشرقية . وكان على تشـــكيل اريك أن يفتح ممرا عرضه ميلان ونصف باحتلال طريق رئيسى هنـــاك يدعى المزرعة الصينية . ويقـــوم لواء مظلات مدعما بالدبابات بقيادة الجنرال دانى مات باحتلال رأس جسر فى الضفة الغربية قبل الصباح . ويتم اقامة جسرين : ويعبر أولا تشـــكيل اريك ويطهر المنطقة ويحمى رؤوس الجسور على الجانبين . ثم يعبر تشكيل برن ويتقدم جنوبا فى اتجاه خليج السويس .

وباقرار الخطة شعرت أن هذا التحرك العسكرى صحيح ، وبرغم ادراكى للصـــعوبات فاننى كنت أثق تماما فى أن اريك سينجح . وكنت أعرف اريك شارون منذ خمسة وعشرين عاما عندما كنت قائدا للجبهة الشمالية عام ١٩٥٢ ، كان يعمـــل معى رئيسا لمخابراتى . وكان بن جوريون يكن اعجابا يصل الى حد العبادة لثلاثة من الجنرالات هم حاييم لاسكوف وعساف سمحونى واريك . وكان يرى فيهم تجســـيدا لحلم اسرائيل اليهودى ، فهم يمثلون اليهودى الذى يحارب من أجل ارضه بشجاعة وثقة . ولم يكن بن جوريون يعجب الا بفترة المعبد الاول « من القرن العاشر حتى السادس قبل الميلاد » ، فأيامها كان هناك اليهـــود الذين عاشوا فى الارض وزرعوها وحاربوا من أجلها .

ولم اكن أعرف قائدا ميدانيا قديرا مثل اريك ، وان لم يكن ذلك يعنى اننى لم أكن انتقده . وعندما عينته قائدا لوحدة المظـــلات ١٠١ اخبرته أنه ليس عليه فقط ان يعرف كيف يهزم العرب ، بل عليه ايضا ان يعرف كيف يتعايش مع اليهود ، فلطالما تشاجرنا ســـويا . وعندما كنت أشعر بأننى سوف أقتله ، فقد كنت على الاقل أشعر بأنه يستحق القتل .

وكان عبور القناة هو ثالث صـــدام خطر مع المصريين ، الاول ، عندما عبر المصريون القناة وبدأوا هجومهم فى وقت لم نكن فيه قواتنا متمركزة فى مراكز قتالية جيــدة • والثانى ، خلال الهجوم المضاد يوم ٨ اكتوبر ، حيث لم نكن خططنا جيـــدة ولم يدر القتال كما كان يجب أن يدور • وفى هذه المرة كان بارليف واريك وبرن على أهبة الاستعداد للقيام بالعملية بأسلوب مثالى • ولم يكن ميزان القوى فى صالحنا ، فالمصريون لديهم ٧٥٠ دبابة فى الضفة الغربية و ٦٥٠ دبابة فى الضفة الشرقية و ٥٠٠ طائرة حربية . وفى يوم ١٥ اكتوبر طرت الى الجنوب لاكون مع الوحدات ساعة بدء العملية فى السابعه مساء . وبدأ اريك هجومه بهدف اختراق الخطوط المصرية والاستيلاء على الدفرسوار وسبق العملية قصف جوى وبرى ووصلت المظلات بقيادة دان ، الى القناة وعبرتها فى زوارق مطاطة على أن تتبعها الدبابات .

وبعد ساعة ونصف من بداية الهجوم ، طلبت اريك تليفونيا وطلبت منه ان يرسل لى سيارة جيب للحضور اليه ، فأخبرنى أن الطريق مغلق واتفقنا على انه سيرسل لى السيارة بمجرد ان نكون هناك امكانية لذلك واخذ يصف لى الموقع الذى يمر به الان فى محاولة لاخفاء توتره . وعند منتصف الليل وصلت أنباء جيدة وأنباء سيئة كانت الانباء الجيدة هى التى أرسلها اريك من أنه قد احتل الجزء المتاخم للقنـــاة والمعد للعبور اما الانباء السيئة فهى أن الطريق اليه قد أغلق ، وان معدات الجسور لا تستطيع الوصول الى حافة القناة ، بالاضافة الى أعطال فنية فى المعدات تحتاج على الاقل لساعة لاصلاحها . وكانت وجهـــة نظرى انا وبارليف ان نستمر فى العبور حتى ولو لم تصل الجسور .

وفى الساعة ١٫٢٠ صـــباح يوم ١٦ اكتوبر « تشرين الاول) جاءت الاشارة (قوات دان على حافة المياه) وبعد دقائق جاءت الاشارة الثانية « قوات المظليين فى الضفة الغربية » ولم أستطع أن أمنع قلبى من الاسراع فى دقاته .

وفى الساعة ٦٫١٥ صباحا اتصلت بنا رئيسة الوزراء وبدات ابلاغها بالاخبار السيئة : فالجسور لم تركب بعــد والطريق مغلق بالوحدات المصرية ، لعزل رأس الجسر الذى أقمناه ونحن نأمل فى دفعهم الى الوراء واحضار الكبارى ناحية مياه القنــــاة واقامتها خلال هذا اليوم . ولكن قوات المظلات الان على الضفة الغربية على القناة ونحن لن نستعبدها الى الوراء مرة اخرى ، حتى لو تأخرت الجسور وكانت رئيسة الوزراء تخشى عزل هذه القـــوات ، وتلك نقطة دارت حولها مناقشات كثيرة فى اجتماع مجلس الوزراء .

وعند الفجر كانت هنـــاك عدة قوارب فى الماء تحمل بعض الدبابات للضفة الغربية . وعلى الناحية المضادة أصبح واضحا ان اغلاق المصريين الطريق أصبح يشكل خطورة فى الموقف . وفى السـاعة الثامنة صباحا عاد رئيس الاركان الى تل أبيب ، بينما قررت أنا البقاء فى الجنوب .

وزرت برن ، وكانت تحت قيادته ثلاثة ألوية · ولو أن تشكيلاته دخلت فى العملية من الليلة الماضية كما كان مخططا لكانت الان فى غرب القناة . ومنذ اغلاق الطريق تم تكليفهم بمهمة اخرى ، وهى فتح طريق آخر لاحضار معدات الكبارى وجعلها تتقدم الى حافة القناة · وفى هـذه الاثناء كانت تدور ثلاث معارك كتيبة دانى ومعها ٢٨ دبابة من تشكيل أريك تخوض معركة غرب القناة تحتل وتفتح الطرق وتؤمن رأس الجسر هناك . وبقية تشكيل اريك كان يخوض معركة عند خط الميـاه على الضفة الشرقية ، وكانت تلك هى أكثر المعارك عنفا ، لانها كانت عند نقطة العبور · ولم يكن المصريون قد فهموا ما الذى تفعله قواتنا على الضفة الغربية فقد كانوا يظنونها مجرد غاره .

أما المعركة الثالثة فكان يسمها « برن » بالضغط من ثلاثة اتجاهات أولها على الجيش الثانى فى الشمال محاولا الالتفاف حوله ، وفى اتجـاه الجنوب للضغط على الجيش الثالث ومنع أى امدادات ناحيـة منطقة الجسور ، وفى الغرب فى اتجاه المزرعة الصينيـة لتوسيع الممر الى رأس الجسر والاتصال بقوات « اريك » . وكانت المعركة فى جبهة القناه تتميز بكثافة النيران وانها معركة محترفين · ولم يكن المصريون فيها هم القوات الخائفة كما كانت منذ سبع سنوات ، وكانت قيادة « برن » المتقـدمة عبارة عن سيارتى نصف جنزير وعدة سـيارات جيب متجمعة على تل رملى يشرف على منطقة القناه على مسافة سبعة أميال . وكانت الدبابات التى تحاول ان تتقدم ناحية القناة تشتعل أو تضرب أو يهجرها أطقمها متجهين نحونا على أقدامهم بحثا عن مخرج تحت قصف مركز من مدفعية الاعداء .

وحاول « بيرن » أن يتقدم بلواءاته من ناحية الاجنحة ، ولكنه فشل فقد تمركز المصريون فى مواقع دفاعية ممتازة وخاصة فى المزرعة الصينية وكانوا يطلقون موجات قوية من القذائف المضادة للدروع كلما حاولت أى قوات مدرعة الاقتراب منهم . وبدأت اعـداد الدبابات المصابة تتزايد وقرب المساء عرف برن أن القوات أصبحت عاجزة عن طرد المصريين ، وبالتالى عن فتح الطريق . وبعد مشاورات مع القيادة الامامية قررنا أن تهاجم المزرعة الصينية أثناء الليل بقوات المشـاة بواسطة لواء المظلات بقوده « عوزى من القطاع الجنوبى . وتركت برن فى قيادته المتقدمة لاعود الى تل أبيب .

وعندما اتصلت تليفونيا بياريف صباح اليوم التالى سمعت نغمـة منتشية فى صوته وقال لى « لقد فتحنا الطـريق .. عوزى وبرن قاما بعمل جيد هذه الليلة ، وقد دفع برن بقواربه الى الامام ، والمقـدمة فى الماء الآن » .

وقد سمعت بعد ذلك فى القيادة الجنوبية أن معركة الليلة كانت من أصعب المعارك الوحشية وان لواء المظلات بقيادة عوزى قد تكبد خسائر

فادحة وقد تم سحبه من المزرعة الصينية فى الصباح بواسطة المدرعات وعندما خططنا للعملية ، كان هـــناك اعتقاد بأن هناك عدة فصائل من صائدى الدبابات فى منطقة المزرعة الصينية وأنهم قد يجدون مخابىء فى الدشم الكثيرة الموجودة بهذه المنطقة . وفى الحقيقة فان النظام الدفاعى الممـــتاز ، المزود بالاسلحة المضادة للدبابات والمورتار ، كان من أكثر العوامل فاعلية فى قتال المصريين فى هـــذه المعركة فعندما وصلت كتيبة المظلات الى منطقة المعركة فى العاشرة مساء ، بعد رحلة من جنوب سيناء دخلوا الى العمل مباشرة بعد منتصف الليل .

وفى الساعة الثانية والنصف صباحا ، التقـوا مع المراكز الدفاعية المصرية وفى خلال لحظات كانت المنطقة مغطاة بنيران مكثفة من خلال قصف مدفعى مركز . وبسرعة تبين ان هذه النيران المركزة تأتى من عدة فصائل من صـــائدى الدبابات ، ولكنها كانت منتشرة ومتماسكة وغير قابلـــة للاختراق . وقد قتل على الفور قائدان من قادة المجمـــوعات وجرح الثالث .واصبحت نيران العدو أكثر قوة وارتفعت خسائرنا ، ورغم هذا اندفع رجالنا فى اقتحام المواقع . ولكن نظام دفاع العـدو كان ممتازا ، فاذا سقط الخط الاول يستمر الثانى فى العمل ، وفى تشديد القصف على قوات المظلات . واضطرت الكتيبة الاسرائيلية ازاء هـذا الموقف الصعب الى ان تطلب مساعدة المدفعية والمزيد من الدبابات .

وقبل الفجر بقليل ، فى الساعة الرابعة والنصف صباحا ، تلقت احدى كتائب المدرعات الاوامر لتوجه فورا لقوات المظلات واخلائها . لم يكن هناك وقت لتضييعه ، فتقدمت الكتيبـة فورا من أقصر طريق ، بعد ان طلبت من المظليين اظهار أماكنهم بقنابل الدخان . وقام المظليون بتقسيم أنفســـم الى مجموعات صغيرة بين ١٥و٢٠ رجلا للاختباء فى منطقة تبعـــد ٥٠ ياردة عن مئات الجنـــود المصريين المزويدين ب « ر . ب . ج » « الكلاشنكوف » ، وعنـــدما اقتربت المدرعات خرجت المدرعات المصرية لمقابلتها وجـــرى تبادل عنيف فى اطلاق النيران . وانسحبت دبابات العدو . بينما ظلت نيران المشاة المصريين فى تزايد .

وقتل الطبيب ومساعداه الذين حضروا مع الكتيبـة المدرعـة ، وتقدمت الدبابات واقتحمت مواقع مشاة العدو ، وأخذت حاملات الجنود المدرعة فى سحب الجرحى الى الوراء تحت غطاء نيران مدفعيـة الدبابات وأصيبت خمس دبابات وحاملتان للجنود ، وقرر قائد كتيبـة المدرعات الانسحاب قبل ان يخسر بقية القوة . وفى حوالى الساعة الخامسة والنصف صباحا انسحبت المدرعات ، ولكن اتضح أن هناك دبابات لم تهرب فنائب القائد الذى اصيبت مجموعة دباباته ، ظل فى الميدان ومعه سبعة جنود اختبأوا بين دبابتين مضروبتين ثم جرت بعـد ذلك معركة انقاذ آخـــر الجرحى وقادتها مجموعة من لواء «ناتكى» ومجموعة من لواء (أمير) ، واستمرت عدة ســاعات . ومع أن (عوزى) قد ابلغ انه لم ينجح فى دفع المصريين الى الوراء ، وانه اضطر الى سحب

قواته من ميدان القتال ، الا انه نجح فى الحقيقة فى مهمته ، بينما كان المصريون مشتبكون فى هذه المعركة ، فانهم توقفوا عن التدخل فى الحركة على الطريق الاحتياطى . وهذا ما ساعد برن على تحريك قواته الى الامام وفى الساعة السادسة صباحا وصل الى خط المياه عند رأس الجسر ، واتصل بقوات اريك .

طلبت من اريك ان يلحق بى فى قيادة برن ، فى الساعة الثانية عشرة والنصف بعد الظهر وبعد نصف ساعة وصل رئيس الاركان وتوجهنا الى حفره مجاورة ، وهناك بين الرمال الساخنة نصف جالسين ونصف مستقلين ، عقدنا مجلس حرب يضمني واليعازر رئيس الاركان وبارليف واريك وبرن وناقشنا الخسائر الفادحة والضغوط المستمرة علينا من القذف والقصف الذى كان يجعلنا حتى فى هذه اللحظات نرفع أصواتنا . بالاضافة الى ان العلاقات بين بارليف واليعازار من جانب آخر لم تكن جيدة . كان تقدير اريك للموقف يختلف تماما عن تقدير تلك الرتب الكبيرة وأسوأ ما فى الامر هو انعدام الثقة المتبادل فيما بينهم . فقد كان اريك يؤمن بأنهم يتآمرون ضده وأنهم كانوا لايثقون فى تقاريره عن المعركة وفى تفوق ضباطه . وكانوا يتهمونه بعدم تنفيذه لاوامرهم ، وان دوافعه الشخصية هى التى تسيطر على كل نشاطه ، وانه يكسر حدود النظام ، من افريقيا ، كما كان يسميها ، بعد العبور مباشرة ، وكان يتكلم تلفونيا مع اصدقائه .

وعندما وصل اريك الى اجتماعنا كانت رأسه مربوطة فقد أصيب جبهته بشظية دانة . وكان وجهه يحمل علامات المعركة . والواقع أنه هو وتشكيله قد قاتلا بشجاعة نادرة متكبدا خسائر رهيبة ولكنهم لم يتراجعوا اطلاقا عن تحقيق هدفهم . وقد احتل رجاله رأس الجسر المصرى فى الضفة الشرقية خلال معركة مدرعة وحشية ، وفى هذه المعركة قتل أكثر من مائتى رجل فى لواء أمنون ، كما قتل جميع قادة المجموعات مرتين ، فبعد أن قتل القادة الاصليون ، قتل أيضا بعد ذلك القادة الذين حلوا محلهم ، فأصبح القادة الحاليون هم الصف الثالث . وقد ضربت معظم الدبابات واحترقت أو دمرت ، وتركت محترقة عند الاستحكامات القوية والمزرعة الصينية .

وكان السؤال الاول فى هذا الاجتماع هو هل يتقدم برن بتشكيله لعبور القناة بمجرد اقامة الجسر ؟ وكنت أنا شخصيا فى صف ذلك لانى كنت أتصور أن الجسر فور اقامته سيتعرض للضرب باستمرار والسقوط ، وكان رأى بارليف أن هناك جزءا من قوات برن يخوض الان معركه ، ولابد أن يأخذ قسطا من الراحة قبل أى عملية جديدة . وفى نفس الوقت بدأ العدو بقصف مكثف على رأس الجسر . وأبلغنا مهندسونا أن الجسر سيصبح معدا للاستخدام بعد الظهر بدلا من الساعة الحادية عشرة صباحا ، وسيسمح ذلك بأن ينهى برن معركته قبل هذا الوقت ويستعد للعبور .

ولم يوافق اريك على هذا . وطبقا لما قاله فان هنـاك قوة مصرية يتم تنظيمها على مسافة ستة أميال من المعبر ، ولهذا فلا بد من العبور باسرع ما يمكن . قبل ان يحكم المصريون الحلقة حول رأس الجسر الغربي. وبالنسبة للثلاثين دبابة التابعة لاريك التي عبرت ، فقد أصيبت ثلاثة منها ، ولكنه ظل يحتفظ بدبابات اضافية على الضفة الشرقيـة ، وأراد أن ينقلها الى الضفة الغربية على القوارب . ولكن قيـــادة الجبهـــة الجنوبية اعترضت على هذه الفكرة ووافق بارليف على نقـــل دبابات اضافية قبل اقامة الجسر ، على أن تكمل القوة في الضفة الغربيـــة الى مستوى اللواء . أما بقية الدبابات فتتحرك بعـــد اقامة الجسر مباشرة وظل اريك يطالب بتحريك فوري للدبابات على القوارب حتى يمكـن أن يكون لنا أربعة لواءات قبل منتصف الليل على الضفة الغربية وأيد رئيس الاركان بارليف في وجهة نظره الخاصة بنقل دبابات بالقـــوارب لزيادة القوة على الضفة الغربية الى مستوى اللواء فقط ونقل البـاقي عندما يقام الجسر . وكان برن متشوقا لعبور القنـــاه بسرعة ووعـد بانهاء المعركة في أسرع وقت ، وأن يكون على الجانب المصري في المساء فانتهى الاجتماع في الثانية بعد الظهر ، وتوجهت مع اريك الى نقطـــة العبور .

وكان الموقع تحت أنظار المصريين الذين بدأوا في القصف المركز ، وبالرغم من ذلك فقد استمرت قواتنا في العمل ، فالرجال الذين أصيبوا تم اخلاؤهم . والقـــوارب التي أصيبت استبـــدلت بغيرها ، وبنات البلدوزرات تعمل لاقامة الجسر وعبرت مع ايريك للضفة الغربية التي تختلف تماما عن الضفة الشرقية بكثـــره المزارع فيها ، وهنا « في أفريقيـا » أراد اريك أن نتسلق سطح احدى المدرعات ، ولكنني فضلت السير على الاقدام غربا في عمق أراضي العدو وأخبرني اريك انه ترك مع « داني مات » سبع دبابات للدفاع عن رأس الجسر ، بينما الباقيـة ، وهي تزيد عن عشرين موجوده في النقطة الامامية . وأخبرني انه فيالیوم السابق تم تدمير أكثر من عشرين دبابة وبطاريتي صواريخ على الضفة الغربيـــة .

وعندما عدت للضفة الشرقية ، كان الجسر معـــدا ، والعوامات متصلة ببعضها بين الضفتين وكانت الساعة الرابعة عنـــدما عدت من الجبهة الجنوبية الى تل أبيب ، وأوفى برن بوعده ، حيث أنهى معركتـه بسرعة وقد أصابت قواته خمسين دبابة من قوات العدو ولم تفقـــد ولا دبابة . وفي الساعة العاشرة مساء بدأ تشكيله في عبور القنـــاة ، وفي السادسة صباحا كان قد تقدم لمسافة ستة أميال ، وتقـــدمت القوات على طريقين احدها غربي في أعماق مصر والثاني بمحازاة القناة جنـوبا في اتجاه قاعدة فايد الجوية ، وسألت بارليف هل كل شيء يسير على ما يرام ؟ وأجاب بنعم .. ولكنه أضاف بحرص بارليف المعـــروف .. كل شيء سيتضح خلال ٤٨ ساعة .

وحرصت على زيارة المزرعة الصينية ، فوجدت فيها مشهدا لا يمكن أن أنساه ، بل لم أره فى حياتى من قبل ولا حتى فى أفلام السينما فها هى آثار المذبحة التى حدثت ،وما زال الدخان يتصاعد من بقاياها ، كدليل حى على المعركة الرهيبة التى دارت رحاها فى هذا المكان .

وفى الايام التالية للعبور جرت معارك قاسية على كلتا الضفتين ولكن فى كل ساعة تمر كنا نزيد من قواتنا فى الضفة الغربية ، لان المصريين ما زال لديهم ألف دبابة ، منها خمسمائة على كل جانب ، ولكنها تمركزت للدفاع ، واستطاع رأس جسرنا على الضفة الشرقية أن يقطع الاتصال بين قوات الجيشين الثانى والثالث . وفيما يشبه الدائرة على الضفة الغربية ، انتشرت القوات المصرية من القنطرة الغربية شمالا حتى خليج السويس جنوبا . ولكن الاهم من ذلك كله أن مفتاح التغيير فى مجريات الحرب أصبح الان بيدنا نحن .

وقد أثر هذا التغيير العسكرى على المسرح الدولى . ففى ١٩ أكتوبر « تشرين الاول » أخبرنا سفيرنا فى واشنطن أن هناك مباحثات محمومة بين الامريكيين والروس للاشتراك فى العمل على ايقاف اطلاق النار عن طريق مجلس الامن واصبح واضحا انه لم يبق سوى عدة أيام على نهاية الحرب . وطلبت رئيس الاركان والضباط الكبار لاجتماع فى هذا الصباح . وقررنا فى هذا الاجتماع ضرورة احتلال موقع جبل « الشيخ » فى الجولان ، وتحسين خطوطنا فى الجبهة المصرية . قبل الموافقة على ايقاف اطلاق النار . واجتمعت مع رئيسة الوزراء ، وعرضت عليها الخطوط النهائية التى يجب أن نصلها قبل ايقاف اطلاق النار .

وعندما توجهت الى الجنوب لمقابلة اريك كانت الساعة الحادية عشرة والنصف صباح ١٩ أكتوبر (تشرين الاول) . وحاولت الوصول الى مقر قيادة اريك بالضفة الغربية بالهليكوبتر التى فشلت فى العثور لها على مكان صالح للهبوط ، فعدت مرة أخرى الى الضفة الشرقية ، وطلبت من قائد الطائرة الهبوط شمال البحيرات المرة شرق القناة . وأخذت سيارة لاعبر بها الجسر وقبل أن أصل الى رأس الجسر وقعنا تحت نيران المدفعية الثقيلة . وكان من المستحيل الاستمرار لان الطريق مغلق بالسيارات المحترقة . وانتظرنا بعض الوقت لنتحين فرصة ، ولكن الطائرات المصرية بدأت تقصف القافلة التى تمر على الجسر . واشتد القصف عنفا واقترح على مساعدى العودة الى تل أبيب . ونجح فى اصطياد عربة قيادة مرت بأعجوبة من خلال القذائف والعربات والمدرعات المحترقة .

كنت أكثر حظا فى اليوم التالى السبت ٢٠ أكتوبر (تشرين الاول) فى زيارة الضفة الغربية . وفى احدى القيادات المتقدمة التقيت ببرن

واريك والجنرال كالمان ماجن الذى حل محل الجنرال البرت ماندلر الذى قتل فى اليوم الثامن من الحرب ، وكان واحدا من أفضل جنود اسرائيل وخلال الزيارة حرصت على حث اريك وبرن وماجن على تحقيق الاهداف المطلوب بأسرع ما يمكن لان ايقاف اطلاق النار سيحدث خلال يوم أو يومين وأخبرتهم عن رحلة كيسنجر لموسكو ، وأن الروس يحاولون دفع الامريكيين الى الموافقة على ايقاف اطلاق النار مع عودتنا الى حدود ما قبل الحرب • وفى نفس الوقت فان عدة دول بدأت ترسل الى مصر كميات هائلة من الدبابات والصواريخ لتعزيز قواتها فى الحرب • وفى زيارة أخرى للضفة الغربية يوم ٢١ أكتوبر (تشرين الاول) ، طلبت مقابلة الكولونيل عوزى يائيرى الذى خاض معركة المزرعة الصينية بلواء المظلات • وتكلمنا عن معركته •• قال له بارليف انه تكبد خسائر فادحة ولكنه فى النهاية فتح الطريق ولكن عوزى قال ان الطريق فتحته المدرعات ، وكنت أود أن أقول ان وحدتى فعلت ذلك • لكننا خسرنا سبعين رجلا لاننا دخلنا المعركة بسرعة بدون معلومات عن العدو •

وفى الساعة السابعة من مساء نفس اليوم تقابلت مع رئيسة الوزراء لاقدم لها تقريرا عن التطورات ، ثم توجهت الى مكتبى • وبعد ساعتين طلبتنى بسرعه ، وعندما وصلت مكتبها قالت (هذا هو ايقاف اطلاق النار) • ففى الساعة الثالثة صباح اليوم سيجتمع مجلس الامن لمناقشة مشروع القرار المقدم من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بايقاف اطلاق النار بعد اثنتى عشرة ساعة من صدور القرار ، وقد أوصانا الرئيس نيكسون بقبوله واجتمع مجلس الوزراء فى منتصف الليل وقرر الاستجابة لطلب الرئيس نيكسون •

وكانت عملية احتلال جبل هرمون قد بدأت مع غروب نفس اليوم واستمرت خلال الليل وانتهت قبل ظهر ٢٢ أكتوبر (تشرين الاول) • وطلبت من بارليف الاسراع فى احتلال جبل عتاقة غرب خليج السويس، فذلك سيجعل موقفنا قويا فى المنطقة الواقعة من الاسماعيلية حتى خليج السويس ، بحيث نعزل الجيش الثالث ، ومدينة السويس •• وفى الساعة الثانية والنصف بعد ظهر نفس اليوم أعلن راديو القاهرة أن الرئيس أنور السادات قبل وقف اطلاق النار الذى يبدأ تنفيذه فى الساعة ٦ر٥٨ بعد ظهر نفس اليوم • وقد ركز الطيران المصرى هجماته خلال هذا اليوم واليوم التالى على قواتنا شرق القناة واستمرت الوحدات المصرية فى القتال العنيف • ويبدو أن السبب فى ذلك أن سوريا رفضت ايقاف اطلاق النار • وقد أصدر القادة المصريون الاوامر لوحداتهم باحتلال المراكز الاسرائيلية وحاولوا ذلك فعلا •

وفى الساعة ١٥ر٦ صباح اليوم التالى ٢٣ أكتوبر (تشرين الاول) أعلنت سوريا قبولها لقرار مجلس الامن بايقاف اطلاق النار بشرط ان تنسحب القوات الاسرائيلية الى مواقعها قبل حرب ١٩٦٧ ..

واستمر المصريون يحاربون فى الارض والجو ، وحاولت قواتهم التقدم فى مختلف القطاعات . وفى هذه الحالة اسرائيل أصبحت غير ملتزمة بقرار ايقاف اطلاق النار ، واستمرت وحداتنا أيضا فى القتال. واشتبكت طائراتنا مع طائرات الاعداء ، واحتلت احدى الوحدات جبل عتاقة .

وباحتلالنا الادبية انضمت قوات البحرية لقواتنا البرية .وحاصرت القوات البحرية مدينة السويس ومنعت الامدادات عن الجيش الثالث .

وقد قامت بحريتنا بعمل عظيم فى هذه الحرب . ولم تكن اسرائيل فى معاركها السابقة فى حاجة الى الهجوم على سوريا ومصر من البحر المتوسط أو خليج السويس . ولكن قوارب الصواريخ البحرية السريعة هاجمت قوات العدو البحرية واقتحمتها فى براعة ، واشتبكت مع السفن الحربية المزودة بالصواريخ السوفيتية . وكانت هذه القوارب تقترب بسرعة من السفن وتضربها قبل أن تعد هى صواريخها للاطلاق .

وفى مساء يوم ٢٣ أكتوبر حاصرت قوات برن مدينة السويس والجيش الثالث . وبعد منتصف الليل يوم ٢٣ أكتوبر (تشرين الاول) جاءنى قائد المراقبين فى قوات الامم المتحدة الجنرال سيلاسفو ، الذى كان فى القاهرة ، وأبلغنى أنه يريد ، بناء على تعليمات نيويورك ، فى ارسال مراقبين للجبهة المصرية لمراقبة وقف اطلاق النار . وقلت له أنه يجب أولا أن يكون هناك وقف اطلاق نار حقيقى . ومن جانبنا ، فنحن نقبل ذلك . واقترحت أن يتم ذلك فى السابعة من صباح اليوم التالى ٢٤ أكتوبر (تشرين الاول) على أن نتلقى كلمة من المصريين أنهم يقبلون ذلك أيضا . وبعد أن قمنا بكل استعداداتنا لوقف اطلاق النار فى السابعة صباحا ، لم نتلق كلمة من المصريين . ولكن جنرال سيلاسفو عاد مرة أخرى الى مكتبى ، فأعطيته خرائط بمواقعنا بما فيها جبل عتاقة وميناء الادبية ، وطلبت منه رد المصريين . وعاد سيلاسفو الى القاهرة وفى الساعة ٤٥ر٨ صباحا طلبنى نائبه المقيم فى القدس تليفونيا وأخبرنى أنه تلقى اشارة بالراديو الآن من القاهرة تقول (موافقون . موافقون . موافقون) وسألته اذا كان المصريون قد رددوا كلمة الموافقة ثلاث مرات ، أجاب بل اربعة .

وكنت فى يوم ٢٢ أكتوبر (تشرين الاول) عندما طرت لزيارة برن ، فد تلقيت من رئيسة الوزراء طلبا بأن أعود الساعة ١٫٤٥ للغداء مع كيسنجر • وبعد هذه الزيارة التى تعرضنا فيها لقصف مركز عدت الى تل أبيب فى وقت مناسب للغداء مع كيسنجر • وكنا نعرف بعضنا من وقت طويل • ومنذ عشرين عاما ، وقبل وبعد تعييني وزيرا للدفاع كنت أراه خلال زياراتى للولايات المتحدة • وكنت متأثرا جدا — بحكمته وسعة اطلاعه وذكائه وطاقته الهائلة فى العمل •

لقد حقق الكثير عندما فتح فصـــلا جديدا فى العلاقات الامريكية الصينية • لكن تفرده بين سابقيه من وزراء الخارجية الامريكية يكمن فى مقدرته على المواءمة بين ذكائه الشخصى وبين القوة العظمى التى تمثلها أمريكا بكل قوتها .

وخلال الغداء دار الحديث حول ايقاف اطـــلاق النار والعلاقات الامريكية الاسرائيلية وفوق ذلك امدادات السلاح . بالنسبة لايقـــاف اطلاق النار ، كان شرطنا الرئيسى تبادل الاسرى • ولم يرحب كيسنجر بعنف الصيغة التى طرحناها (اذا لم يكن هناك تبادل أسرى فليس هناك وقف اطلاق نار) ، ولكنه وعد بطلب مساعدة الروس فى هذا الامر ••
وكان الانطباع الذى تكون لدينا أن أمريكا تحاول التصرف بحكمة ، فلو كنا نحن قد بدأنا القتال مثلا ، لما حصلنا على مسمار واحد من الولايات المتحدة ، وأن القادة الامريكيين لو خيروا بين مســـاعدتنا والمقـــاطعة البترولية فى ذلك الوقت ، لعقدوا اتفاقا مع العرب ، ولو على حسابنا ، وعلاوة على ذلك ، فقد وافقت الولايات المتحدة على وقف اطلاق النار ، حتى لا تستمر الحرب وتسقط النظم العربية المعتدلة لتحل محلها نظم متطرفة ، وحتى لا تتدخل روسيا لمنع انهيار حلفائها • وكان رأينا أن العرب قد أدركوا أن الولايات المتحدة هى الوحيدة القادرة على تحقيق حل سياسى للازمة اما من حيث موضوع الاسلحة لاسرائيل ، فانه لا بد للقادة اليهود فى أمريكا أن يعبروا عن التقدير لا أن ينتقدوا الموقف الامريكى كما يفعلون الآن •

وغادرت الغداء بأحاســـيس مختلطة ، لكننى كنت واثقا من أن كيسنجر سوف يبذل جهدا نشطا فى المحادثات مع العرب ، وان كنت أعتقد أن محاولة أمريكا للاحتفاظ بالعلاقات العربية سوف تتم على حساب اسرائيل عن طريق مزاولة الضغط عليها •

وفى المساء انعقد مجلس الوزراء لمناقشة الموقف بعد وقف اطلاق النار • وتقرر أنه ما لم يمتثل المصريون لوقف اطلاق النار ، فان الجيش الاسرائيلى (سيطرد العدو من البوابة) •• وهو تعبير مأخوذ من التوراة ، ولكن البوابة هنا تعنى جبل عتاقة •

الباب الثامن

ما بعد الحرب

(١٩٧٣ - ١٩٧٥)

عجيب أمر هذا الرجل فهو يكذب وباصرار ، ولكنه نسى أن يطبق المثل القائل : « اذا كنت كذوبا ، فكن ذكورا » .. فبالرغم من اعترافه صراحة بالهزيمة التى منى بها جيش اسرائيل والتى زلزلت كيانهم فى السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣ .. نراه هنا يتصور خيالات واوهام لم يكن لها وجود سوى فى خياله المريض .. فلم يكن فى استطاعته كما يدعى أن ينال من الجيش الثالث مهما لفق من حكايات وأكاذيب . وهو يعلم ان جميع المعلقين العسكريين كان لهم رأى آخر .. وهو أن وضع الجيش الثالث لم يكن سيئا بالصورة التى صورها كذبا موشى ديان » فى مذكراته .. بل العكس هو الصحيح فقد كانت القوات الاسرائيلية فى غرب القناة تحت رحمة الجيش المصرى وكان يمكنه القضاء عليها تماما فى أى لحظة وكلها أمور يعلمها « ديان » جيدا .

٣٤ ضغوط دبلوماسية

بعد موقفنا الاخير جاءت الازمة •

وانضح أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى قد نسـفنا كل الامور بينهما ، وتحولت الازمة لتصبح بين اسرائيل والولايات المتحدة ، وقد بدأت حينما اتضح للولايات المتحدة أن الاتحاد السـوفيتى يفكر جديا فى ارسال بعض قواته النظامية لتحرير الجيش الثالث • وفهمت أن الخطة قد وضعت بحيث تصل هذه القوات الى القاهرة ، ثم نتحرك لمهاجمة قواتنا • وفسرت الولايات المتحدة احتمال التدخل السوفيتى على أنه تحول خطير ، ووضعت الولايات المتحدة يوم ٢٥ أكتوبر (تشرين أول) قواتها على أهبة الاستعداد • ولم أكن أعلم على وجه التأكيد هل ألغى الاتحاد السوفيتى هذه العملية بعـد رد الفعل الامريكى ، أم أن الانذار السوفيتى كان من البداية انذارا زائفا • وعلى العموم ، فان الخط الساخن بين موسـكو وواشنطون أثبت فعاليته ، وانتهت الازمة بين القوتين الكبيرتين •

وفى اليوم التالى ، ٢٦ أكتوبر (تشرين أول) ، ردت الكرة الينا• فقد أبلغنا الامريكيون أن لديهم معلومات بأننا سنهاجم الجيش الثالث

وقالوا أن ذلك يعد خرقا لاتفاقية وقف اطلاق النار • ولم نفهم ... الخطوات الخطيرة المحتمل أن تتخذها الولايات المتحدة ضدنا •• وبعد نصف ساعة من قيامنا بارسال انكار سديد حول هذا الهجوم ، بلغت سفارتنا في واشنطن تصحيحا يقول ان الامريكيين قد اكتشفوا أن المصريين ــ لا نحن ــ هم الذين يواصلون العمليات العسكرية ، ولكنهم أضافوا أن المشكلة الرئيسية في الوقت نفسه هي وضع الجيش الثالث ، وأن الامريكيين لا يسمحون بتدمير هذا الجيش أو بتركه يموت جوعا أو عطشا ، أو بأسر أفراده • واذا لم يتلق الجيش الثالث امدادات بأي طريق فان السوفيت سيتولون ارسال هذه الامدادات • وقالوا أن هذا التحرك لو حدث يعد تدخلا عسكريا ، ويدفع الامريكيين الى مواجهة جديدة مع الاتحاد السوفيتي •

وبدأت اتصالات تليفونية لا نهاية لها بين واشنطون والقدس • وبينما كان مجلس الوزراء الاسرائيلي منعقدا ، قدم الامريكيون طلباتهم في شكل انذار ، مما دفعنا الى السماح لقافلة تتضمن مائة سيارة نقل مصرية بالعبور خلال خطوطنا تحمل الامدادات غير العسكرية الى الجيش الثالث ، تجنبا لحدوث أزمة بيننا وبين الولايات المتحدة • وكانت تلك بداية حصار الجيش الثالث الذي استمر من ٢٣ حتى ٢٦ أكتوبر (تشرين أول) • وبعد ذلك بعدة أيام طلب الرئيس نيكسون شخصيا السماح بمرور خمسين سيارة أخرى من الامدادات ، ثم جاء طلبه الثالث أن من الافضل خلال الوقت الذي يجري فيه كيسنجر محادثاته في القاهرة ، أن تصل الامدادات بانتظام للجيش الثالث ، وقال الرئيس أنه اذا لم يحدث ذلك فانه يشعر أنه لن يكون هناك أي تأثير على القاهرة لاجراء محادثات حول مسائل أهم بكثير من الجيش الثالث • وقد صاغ الرئيس الامريكي طلباته وفق العلاقات (الخاصة جدا) بين اسرائيل وأمريكا ، وهو الوصف الذي كان أبا ايبان يطلقه على هذه العلاقات عندما كان سفيرا في واشنطون ••

وكان موقف الجيش الثالث السيء يوم ٢٦ أكتوبر هو الذي أوصل الحرب الى نهايتها • وكانت أول خطوة هي قرار مجلس الامن بانشاء قوات دولية للطوارىء ، على أن يقدم السكرتير العام للامم المتحدة تقريرا عن التطورات خلال ٢٤ ساعة • ووافقت مصر واسرائيل • وأبلغنا الامريكيون أنهم قد اتفقوا مع الروس على عدم اشتراكهم هم والروس في قوات الطوارىء • وكانت الخطوة الثانية هي اتفاق مصر واسرائيل على اجتماع ضباطهما الكبار • وكان الغرض كما ذكره المصريون هو أول مناقشة الجوانب العسكرية لتنفيذ قراري مجلس الامن ٣٣٨ و ٣٣٩

بايقاف اطلاق النار ، بينما كانت اسرائيل تعتبر هذه الاجتماعات من أجل أهداف أوسع وأكثر • وعلى أية حال فان المواضيع التى ستناقش هى امدادات الجيش الثالث ومدينة السويس وتبادل الاسرى وموضوع اغلاق باب المندب أمام ناقلات البترول •• أما الخطوة الثـالثة فكانت تتعلق بامدادات الجيش الاسرائيلى من الاسلحة • ورأت جولدا مائير أنها مسألة يجب أن تناقشها شخصيا مع الرئيس الامريكى •

وكانت قوات الامم المتحدة تحت قيادة جنرال سيلاسـفو ، الذى حضر لرؤيتى فى ٣٠ أكتوبر (تشرين أول) • وسلمنى الرسـالة التالية (الجنرال ديان • لقد أصدر السكرتير العام للامم المتحدة تعليماته لى ، فى ضوء طلب مجلس الامن وفقا لقراراته ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، بان أطلب من اسرائيل أن تعيد قواتها الى المواقع التى كانت تحتلها الساعة ١٦ر٥٠ فى ٢٢ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٣ • وتنفيـذا لتعليمات السكرتير العام للامم المتحدة ، فاننى بوصفى قائدا مؤقتا لقوات الطوارىء أتقدم اليكم بطلب تنفيذ ذلك) • ولم أكن أعتقـد ، بعد أن فشلت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى فى أن يجعلانا ننسحب الى خطوط ٢٢ أكتوبر (تشرين أول) ، أن هناك أية قوة يمكن أن تجعلنا نستجيب لطلب الامم المتحدة • لكننى على أية حال لم أكن أرى ضررا من وجـود قوات الطوارىء •

وتقرر أن تبدأ المباحثات العسكرية عند الكيلو ١٠١ على طـريق القاهرة ـ السويس • ورأس الجـانب الاسرائيلى الجنـرال أهارون ياريف ، والجانب المصرى الجنرال عبد الغنى الجمسى . وفى الايام الاولى انتهينا من موضوعات الامدادات غير العسكرية للجيش الثالث وموضوع تبادل الاسرى • أما المسائل الاخرى مثل تحديد خطوط وقف اطـلاق النار وفتح باب المندب ، فلم يكن المفاوضون العسكريون مخولين ببحثها •

وفى نفس الوقت التقت جولدا مائير فى أول نوفمبـر (تشرين الثانى) مع الرئيس نيكسون ومع كيسنجر خلال رحلتها الى واشنطون • وسبقت رحلتها مشاورات محمومة بيننا انتهت لتحديد موقفنا بالنسـبة [illegible]

أن يبدأ عددا من الاتصالات الدبلوماسية ، كانت القاهرة من بينها ، ولا يمكن الادعاء بأن الولايات المتحدة كانت متحمسة لزيارة مائير • وهكذا سـافرت مائير التى نعرفها والتى تصمم على الحصـول على رد ـ نعم أولا ـ حتى من الرئيس الامريكى •

وكانت الولايات المتحدة مشغولة فى تحركات سياسية ثلاثة فى منطقة الشرق الاوسط ، كلها فى النهاية لا تخدم اسرائيل • الاول هو محاولة رفع حظر تصدير البترول الى الولايات المتحدة ، والثانى تقوية موقف ونفوذ الولايات المتحدة فى الدول العربيـــة وفى مقدمتها مصر والسعودية ، والثالث هو أن تبحث بأسلوب هادىء مع الاتحاد السوفيتى حل الصراع بين العرب واسرائيل • وكانت المحادثات فى أمريكا – فى تصورى – صعبة هذه المرة مع نيكسون وكيسنجر •

وعادت جولدا مائير من أمريكا ، وطار كيسنجر الى مصر ليعرض اقتراح اتفاقية فصل القوات بين اسرائيل ومصر •

وفى مصر أحرزت الامور تقدما ، اذ كان الرئيس الســـادات فى الحقيقة يريد الوصول الى اتفاق للسلام فى الوقت الذى لم يكن يرحب فيه بتدخل أى من روسيا أو أمريكا فى بلاده • هذا فى الوقت الذى ظل فيه المتحدث الرسمى المصرى والصحافة المصرية ، يرددون أن قواتنـا نحن فى الضفة الغربية فى المصيدة •

وكانت الاتفاقية الاولى التى توصلت اليها وساطة كيسنجر بين مصر واسرائيل ، لاحقة للمباحثات العسكرية عند الكيلو ١٠١ وتم توقيعها يوم ١١ نوفمبر (تشرين الثانى) وكانت تتضمن ٦ مواد تتعلق فقط بامدادات الجيش الثالث وتبادل الاسرى • وقبل ذلك بأربعة أيام كان جوزيف سيسكو أحد مساعدى كيسنجر ، قد حضر الى القدس ومعه مسودة الاتفاقية التى تقترحها مصر ، والتقى مع ممثلين لحكومتنا • وبعد مناقشة لعدة ساعات وادخال بعض التغييرات اتفقنا على قبولها • وفى اليوم التالى نوقشت هذه المسودة فى مجلس الوزراء ووفق عليها •• وكانت الاتفاقية تغطى فقط المواضيع العاجلة ، أما المسائل الرئيســية التى لم تثر فى الاجتماعات العسكرية فقد عهد بها الى مؤتمر الســلام المقترح عقده فى جنيف • وعندئذ فقط أحسست بالراحة •

ولم يكن تقدم مباحثات الجمسى وياريف عند الكيلو ١٠١ مبعث سرور بالنسبة لى ، فقد كان يبدو لى أننا سنقدم بعض التنازلات مقابل لا شىء ، ولكن لم يكن فى مقدورى منعها • وكانت النقاط الدقيقة تعرض على مجلس الوزراء لتقديرها واصدار القرارات بشأنها • ولكنى لم أجد دعما وتأييدا لمقترحاتى التى تتضمن أن ننسحب من الضفة الغربية الا اذا عقدنا اتفاقا سياسيا يؤكد تغييرات أساسية فى الوضع ، منها حرية الملاحة فى قناة السويس واعادة فتحها ، وتحديد القوات على القناة ، واعادة بناء مدن القناة ولم يكن ممكنا تحقيق ذلك خلال مباحثات الجمسى

ـ ياريف وبدون وساطة الولايات المتحدة وقبولها المسئولية • ومع كل تحفظاتى على تحرك كيسنجر ، فقد كانت مصر متلهفة على خروجنا من أراضيها ، وهذا هو الوقت المناسب للوصول الى اتفاق عسكرى سياسى معها • وقد يكون هذا ممكنا فى جنيف ولكن بالتأكيد ليس فى الكيلو ١٠١ •

وفى منتصف محادثاتنا حول فصل القوات ، وفى يوم السبت أول ديسمبر (كانون الاول) فى الساعة العاشرة والنصف صباحاً ، توفى دافيد بن جوريون • وكنت قد زرته قبل يومين من وفاته بعد أن أبلغنى طبيبه عن حالته • وجلست بجوار سريره وكان يبدو هادئا فقد عاش حياة طويلة عاصفة وها هو يعادرها هادئا • وعندما نظرت اليه فكرت فى أنه سينعى ويبكى عليه الجميع حتى الذين هاجموه فى أيامه الاخيرة •• سينعيه قادة حزب العمل الذى قاده طويلا وسينعيه محررو جريدة دافار الذى أنشأها وسيفرقون بين الرجل والقيادة أى بين بن جوريون والبنجور يونيه •

راودتنى الافكار حول حتمية أن يبكى عليه الجميع بما فيهم من هاجموه •• بما فيهم قادة حزب العمل الذى قاده • وسوف يطلقون عليه (أعظم اليهود ـ ومهندس الدولة ـ وزعيم الامة) ، وانهم سيفرقون بين الزعيم وبين الانسان الذى قد يخطىء • لكن هذه التفرقة كانت خاطئة ، فالزعيم والانسان واحد •

٣٥ محادثات في واشنطون

في ديسمبر (كانون الثاني) عام ١٩٧٣ سافرت الى الولايات المتحدة لالقاء خطب في عدة اجتماعات تحت رعاية منظمة النداء اليهودي الموحد . ولما علم كيسنجر بهذه الرحلة اقترح على أن أبدأها قبل موعدها بعدة أيام لمقابلته ومقابلة وزير الدفاع . وقد أجريت أيضاً محادثات مع جيرالد فورد نائب الرئيس آنئذ بناء على دعوته .. والتقيت مع كيسنجر مرتين بدلا من مرة كما كان مقرراً ، اذ بدأت محادثاتنا صباح ٧ ديسمبر (كانون أول) واستؤنفت بعد ظهر نفس اليوم . وكان معى مساعدى زفى تسور وموتاجور الملحق العسكرى فى سفارتنا فى واشنطون ، وسيمحا دينتز سفيرنا ، وكان مع كيسنجر جوزيف سيسكو واثنان من المساعدين الآخرين .

وكانت بداية المحادثات فى الصباح تتعلق بامدادات السلاح . وبمجرد أن بدأنا الحديث فى هذا الموضوع ، حتى انفجر كيسنجر متسائلا هل ستوقف اسرائيل دفع مرتب سفيرها اذا لم يقم باثارة موضوع السلاح أكثر من عشر مرات يوميا . وشرح تسور أهمية كميات الاسلحة التى وصلت للعرب لا بالجسر الجوى فقط بل بالجسر البحرى ، والتى وصلت الى ٣٠٠ ألف طن ، بينما تلقينا نحن أقل من

ثلث هذه الكمية من الولايات المتحدة .. وبعد ذلك عرضت أنا الارقام مقارنا بما حصلنا عليه من الولايات المتحدة فقد استلم العرب ٣٥٠ طائرة منها ٢٠٠ من الدول الاشتراكية و١٥٠ من الدول العربية ،و١٥٥٠ دبابة من الدول الاشتراكية . فاذا أضفنا اليهم ما وصل من الدول العربية فان العدد يصل الى ٢٥٠٠ أي أكثر مما فقدوه فى الحرب .

وقلت لكيسنجر أن هناك أيضا مساعدات من نوع آخر ، فقد حاربنا فى سوريا دبابات تقودها أطقم كوبية ، وكذلك أسقطنا قبل يوم واحد طائرة على الجبهة المصرية يقودها طيار من كوريا الشمالية . ومن ناحيتنا فان قوتنا البشرية محدودة ، ولذا فان كميات السلاح التى يمكن أن نطلبها من الولايات المتحدة يجب أن تعوضنا هذا النقص . وقد طلبنا حاملات جنود وتلقينا ثمن ما طلبناه .. وهذه الحقيقة أيضا تنسحب على بقية أنواع الاسلحة التى طلبناها مثل صواريخ هوك أرض - جو . وطلبت السماح لنا بأن نطلب عددا أكبر من الطائرات من المصانع مباشرة . وقبل الحرب كنا قد طلبنا عددا قليلا من طائرات الفانتوم ، وقيل لنا أثناء الحرب أنه لا يوجد فائض فى الفانتوم للاستغناء عنه . ثم شرح كيسنجر موقف الولايات المتحدة ، وأسبابه . وفى النهاية أبلغنا أن بعض طلباتنا ستتحقق ، والباقى ستتم دراستها .

وانتقلنا الى الموضوع الثانى ، فناقشنا الاتفاقات مع مصر فيما يتعلق بقناة السويس . وكان موقف الولايات المتحدة النهائى أنها تفضل فتح قناة السويس .. وقلت لكيسنجر أن سيطرتنا على القناة الآن أكثر من ذى قبل . وشرحت له وجهة نظرى الشخصية (التى وافقت عليها رئيسة الوزراء) . وقلت ان انسحابنا من قناة السويس - وهو أكبر تنازل - لا يمكن أن يكون بلا ثمن . وأن الثمن الذى نتصوره هو اتفاقية سلام مع مصر . وقد اتضح من اقتراحات مصر عند الكيلو ١٠١ أن علينا أن نقدم الحد الاقصى ونأخذ الحد الادنى . فاذا كان علينا الانسحاب ستة أو عشرة كيلو مترات شرقى القناة . فانه يجب أن نضمن توقف الاعمال العسكرية ضدنا . هذا مع اعادة فتح قناة السويس وعودة المواطنين الى مدن القناة . ويمكن انشاء منطقة عازلة توضع تحت سيطرة الامم المتحدة . كما يجب أيضا أن نمارس عملا تجديا مع الولايات المتحدة من أجل فتح مضايق باب المندب ، لتأمين حرية الملاحة فيها .

ولم يوافق كيسنجر على كل هذه الافكار ، وكانت له تحفظات على بعضها . وقد أثار دهشتى أنه كان يجهل بعض الامور حول هذه المنطقة . وفيما يتعلق بباب المندب ، فعلى الرغم من أن حاملات الطائرات الامريكية

يؤثر في هذه المنطقة . فانها لا تريد أن نعمل كرجل البوليس في هذا العالم • وخلصت الى أن الولايات المتحدة قد تدخل الحرب من أجل مصالحها ، ولكن ليس من أجل مبادىء دولية مثل حرية الملاحة • وكان الدليل الواضح على ذلك يتمثل في التفسيرات التي طلبها الكونجرس من الرئيس عقب اعلانه وضع الاستعداد في القوات الامريكية في أكتوبر (تشرين أول) ، عندما هدد الروس بارسال قوات الى القاهرة •

وعلى أية حال فان مصر تصر على انسحابنا من معظم سيناء قبل أي حديث عن انهاء الحرب • وبالاضافة الى ذلك فان ياريف أخبر الجمسي أن هناك احتمالا بانسحابنا من قناة السويس في اطار اتفاقية تخفيض القوات ، دون أن يضع أي شروط سياسية بالنسبة لمصر • وقلت لكيسنجر أنه اذا أصرت مصر على رفض الشروط السياسية في الاتفاق ، فاننا سنبقى في مواقعنا العسكرية ، وعندئذ ستقبل مصر الاتفاقات التي رفضها الآن • وقلت هذا رغم أنني أعلم أنه ليست مصر وحدها هي التي تهتم باتفاق فوري ، بل ان الولايات المتحدة أيضا لديها هذا الاهتمام لكي تنتبه لهستيريا البترول التي تسود أوروبا • ولكنني كنت أعرف أيضا أننا لو ظللنا في مواقعنا لمدة عام آخر ، فان الولايات المتحدة سيكون لها موقف آخر •

وناولت كيسنجر الخريطة التي احضرتها معي ، وعليها العلامات التي وضعتها في ضوء اقتراحي بانسحاب القوات المصرية والاسرائيلية لمسافة ميل ونصف من خطوط وقف اطلاق النار • وكان هذا الاقتراح بناء على مشورة الجنرال سيلاسفو الذي كان يعتبر ذلك خطوة أولى نحو فصل القوات • ولم يكن لدي أي شك في أن المصريين سيرفضون ذلك • وبالرغم من تحفظات كيسنجر الجدية حول هذه الاقتراحات فقد اتفقنا على اجراء مناقشات أخرى بعد انتهاء رحلته للقاهرة المحدد لها ١٢ ديسمبر (كانون أول) وحضوره للقدس يوم ١٦ •

وبعد يومين في ٩ ديسمبر (كانون أول) ، التقيت بوزير الدفاع جيمس شليزنجر . وكان الاجتماع غير متوقع ، اضطررت ازاءه للعودة الى واشنطن من نيويورك • وكنت تناولت الغداء يوم ٧ ديسمبر (كانون أول) ، مع وليام كليمنتس ، نائب وزير الدفاع ، وتشاورت معه حول امدادات السلاح • وتبينت لحسن الحظ ، أن الولايات المتحدة لديها أسلحة كافية •

وبعد الغداء ذهبت الى الاجتماع الثاني مع كيسنجر وأخبرته عن محادثاتي في البنتاجون • وفي المساء علمت في فندقي أن شيلزنجر

سيعود من أوربا فى اليوم التالى • وبالرغم من أنه لم يتعود الذهاب الى البنتاجون يوم الاحد ، فانه سيقابلنى هناك فى صباح الاحد •

وكانت محادثاتى مع شليزنجر سارة ودار الحديث حول طلباتنا من الاسلحة ، ووعود التعويض التى لم تنفذ ، والهوة الضخمة بين ترسانتنا وترسانة العرب من الاسلحة • وأثرت مسألة شراء الطائرات من المصانع رأساً ، وقلت له أن اسرائيل هى الدولة الوحيدة التى لا يسمح لها أن تشترى احتياجاتها من الاسلحة من المصانع • فليبيا مثلا تستطيع شراء كل ما تطلبه من فرنسا ، والدول العربية الاخرى تستطيع الشراء من الغرب والشرق برصيدها الضخم من الدولارات ، أما نحن فحتى عندما تكون لدينا الاموال لا نستطيع الشراء • والدولة الوحيدة المستعدة للبيع لنا هى الولايات المتحدة • وبعد ذلك انتقلنا الى قائمة الاسلحة •واستمع ولكنه لم يعد بشىء •

وقرب نهاية المحادثات ، سألنى عن وضع اسرائيل فى الجبهتين الشمالية والجنوبية عسكرياً ، وعن احتمالات السلام • وأبلغته أن عمق رأس الجسر فى الجبهة المصرية يزيد على الست أميال ، ولكن لا خوف من عزلها لان المصريين لا يملكون الفرصة لعمل ذلك ، ونستطيع أن نبقى فى الضفة الغربية شهورا وشهور • ولا يوجد مكان مثل هذا نستطيع فيه سياسيا أن نتقاضى ثمنا غاليا • وبالنسبة لاتفاقية السلام مع مصر فاننى أخشى أن مصر قد لا تقوم بتقرير مثل هذه الاتفاقية الا اذا توصلنا لترتيبات مع سورياً والاردن • وصحيح أن مصر تريد انهاء الحرب وانها تريد انسحابنا لمدة ستين ميلا فى سيناء ، ولكنه عندما نصل الى المحادثات حول التسوية النهائية ، فان السادات يصر على ضرورة حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين والقدس •

وكان اجتماعى بجيرالد فور ، فى أول يوم عمل له كنائب للرئيس • وكان حديثنا صريحا ومفتوحا • وأخبرته عن الاسلحة السوفيتية التى واجهناها ، وعن المساعدات العسكرية التى وصلتنا من الولايات المتحدة ، وما الذى كان يمكن أن يحدث لو أن هذه الاسلحة لم ترسل الينا ، فقلت له اننا كنا حقيقة سنصمد ، ولكن الحرب كانت ستكون أقصى والخسائر أفدح • وكذلك ذكرت له مقابلتى مع كلمنت •• وقال لى فورد عن كيسنجر أن الامريكيين يؤمنون به • وعندما تحدث عن السلام قال فورد ان الولايات المتحدة تساعد اسرائيل وستستمر فى ذلك ، ولكننا نرى فى أن نساعدكم للوصول الى السلام الدائم • وعندما ناقشنا القرض الذى طلبته اسرائيل بمبلغ ٢ر٢ بليون دولار ، قال أن الكونجرس

سوف يوافق عليه بأغلبية ، ولكنه قرر أن هذا القرض يعتبر استثمارا من أجل السلام وليس لتجديد الحرب • وكان واضحا أن الامريكيين سيعطوننا هذا القرض فى مقابل أن نعمل نحن من جانبنا على الوصول الى تسوية مع العرب • وفى نهاية الاجتماع عبر عن أمله فى أن ينجح كيسنجر (الذى انتشلنا من فيتنام) فى التوصل الى تسوية فى الشرق الاوسط •

وقلت له أننا سنرى كيسنجر مرة أخرى فى اسرائيل فى ١٦ ديسمبر (كانون أول) قادما من القاهرة ومعه وجهة النظر المصرية ، وآمل أن نجد طريقا نحو السلام وأن لا تتجدد هذه الحرب • ولم تكن هناك نتائج ايجابية ومفيدة لهذا الاجتماع وما كنا نتوقع ذلك ، ومع هذا فقد غادرت مكتب نائب الرئيس بشعور سار ، لان مباحثاتنا تميزت بالاخلاص والوضوح •

وفى اليوم التالى خرجت مباشرة من اجتماعى مع شليزنجر الى المطار • وركبت احدى طائرات العال التى كانت تحمل معدات فى رحلة مباشرة من واشنطون الى تل أبيب •

ووصلت فى صباح يوم ١٠ ديسمبر (كانون أول) ، توجهت مباشرة الى القدس لاقدم تقريرى الى رئيسة الوزراء • وبعد التقارير التى أرسلتها لرئيسة الوزراء برقيا من واشنطون ، كان على أن أتناول التفاصيل • وتكلمت عن فرصتنا فى الحصول على أسلحة جديدة وعن خطوتنا القادمة فى المباحثات مع مصر • بالنسبة للموضوع الاول أخبرت رئيسة الوزراء أنه من المحتمل أن نواجه صعوبات فى الحصول على كل الاسلحة والمعدات التى طلبناها • وبالنسبة للموضوع الثانى فاننا سنستمع لكيسنجر الذى سيحضر بعد عدة أيام ويخبرنا عن رد الفعل المصرى على اقتراحاتنا • وأبلغتها أن اقتراح ياريف فى محادثات الكيلو ١٠١ يوم ١١ نوفمبر (تشرين الثانى) قد لاقى ترحيبا من الروس • ولكنى أبديت اعتراضى على هذا الاقتراح الذى يمتد مفعوله تسعة أشهر فقط • وقلت اننا لسنا فى عجلة ، ونستطيع أن نمارس الصبر ، ونبقى على الضفة الغربية لقناة السويس ، الى أن يتضمن اتفاقنا العسكرى مع المصريين الشروط السياسية التى نطلبها • وكذلك فلا بد من تدخل الولايات المتحدة فى المباحثات وجعلها مسئولة عن التنفيذ •

وقدمت تقارير أيضا لمجلس الوزراء ووزارة الخارجية ولجنة الامن فى الكنيست • وكانوا يرغبون فى سماع وجهة نظرى عن رؤية الولايات

المتحدة للموقف • وقلت لهم أنهم يتلهفون على الوصول الى نهاية للصراع في الشرق الاوسط ، ولذا فهم يطلبون منا أن نوافق على الحد الاقصى الذى يطلبه العرب ، حتى لو كان ذلك على حســـاب اسرائيل • وهناك أيضا رغبتهم فى مزيد من التفاهم مع الاتحاد السوفيتى • ولذا فهم يرون أن يعود كيسنجر مع الروس مباحثات السلام فى جنيف •

وأبلغت لمجلس الوزراء أنه قد قيل لى فى واشنطون ، بطريقة غير مباشرة ، أنهم لا يرغبون فى استسلامنا أو تخلينا عن مصالحنا ، وانما يتوقعون منا مزيدا من التقدم نحو السلام وأن هناك وقتا قد يضطرون فيه لممارسة الضغط علينا • ولكن حتى هذه اللحظة ، فاننى أعتقد أنهم لن يجبرونا على التخلى عن مواقعنا عن طريق منع السلاح عنا • ولم يحاول الامريكيون فى أى وقت أن يطلبوا منا الانسحاب الى خطوط ٢٢ أكتوبر (تشرين أول) ولم أسمع منهم اطلاقا اننا اذا لم نفعل ذلك فان الحرب ستتجدد • وبالنسبة لباب المندب فقد كانت للمصريين هناك مدمرتان ، ولكننا نحن الذين أوقفنا حاملات البترول القادمة لنا • وقلت لمجلس الوزراء أن وساطة كيسنجر بين العرب واسرائيل سوف تشمل موضوع حرية الملاحة فى مضايق باب المندب • وفى اللحظة التى يتم فيها توقيع اتفاقية فصل القوات ، فان المصريين لن يعترضوا سفننا هناك •

وبعد عودتى بأربعة أيام جاء كيسنجر لاسرائيل بعـــد أن زار الجزائر ومصر والسعوديةوالاردن وسوريا • وكان هدفه الرئيسى ان يؤمن انتهاء المقاطعة البترولية لامريكا ، ولكن هذا الامر أصبح يتصل اتصالا مباشرا بمحادثاتنا مع مصر وسوريا • وقضى عدة ساعات من اليوم الاول مع رئيسة الوزراء فى القـــدس ، وفى اليوم التـالى التقى بوفد المباحثات الذى كان يضم جولدا مائير وآلون وايبان وأنا ، كما حضر أيضا رئيس الاركان وياريف ودينتز • وكان يصاحب كيسنجر مساعده جوزيف سيسكو وبعض المسئولين فى الوزارة وكينيث كيتنج السفير الامريكى فى اسرائيل • وبدأ الاجتماع فى الصباح واستمر حتى منتصف الليل •

وبدأنا بالموضوع المزمن الخاص بالاسلحة ، وتناولنا بعـــد ذلك مشكلات المباحثات مع العرب • ولم نخرج بشيء جديد من مناقشاتنا حول الاسلحة اذ كنا قد طلبنا شراء بنادق من الولايات المتحدة وكنا فى حاجة اليها بسرعة ، ولكن البنتاجون قرر ارسالها بالسفن لا بالطـــائرات ، ليتفادى ما قد يقال من أن الولايات المتحدة تدفع أســـلحة عاجلة الى اسرائيل • ورغم قولنا أن وسائل النقل شيء يخصنا نحن ، فانهم لم يعيروا أى التفات لقولنا ..

وكانت مفاوضاتنا مع سوريا نكاد نكون منحصرة فى تبادل الاسرى. وكان السوريون قد رفضوا اعطاءنا قائمة بالاسرى ، ولم يسمحوا للصليب الاحمر بزيارتهم • وقد أثار هذا الموقف غضبنا • ولم يكن معقولا أن نجلس معهم على مائدة مفاوضات واحدة فى جنيف قبل أن ينتهى هذا الموقف • وكان الرئيس الاسد يريد أن يستخدم الاسرى للضغط خلال المباحثات لتحرير الاراضى المحتلة ، اذ كان يطالع من خلال الصحف الاسرائيلية مدى قلق الرأى العام على أولئك الاسرى وكان يعتقد أنه سينجح فى استخدام هذه الوسيلة • وتحدثنا مع كيسنجر فى هذا الموضوع وقلنا له أنه يجب أن يجد وسيلة لجعل سوريا تسلمنا قائمة الاسرى قبل البدء فى أى مباحثات وأن يسمح أيضا للصليب الاحمر بزيارة الاسرى • ولكن الاسد كان عنيدا وكان هدفه ، وان لم يقل ذلك صراحة ، هو تدمير اسرائيل •

وكانت مصر هى الموضوع الرئيسى فى مباحثاتنا مع كيسنجر • وكنت فى واشنطن قد أكدت حاجتنا للتأكد من أن اتفاقية فصل القوات ستتناول وقف الاعمال العسكرية •

وكان الافتراح الذى أحضره معه كيسنجر من القاهرة يقضى بخلق ثلاث مناطق شرقى القناة ، الاولى منطقة مصرية ، والثانية تحت سيطرة قوات الامم المتحدة ، والثالثة اسرائيلية • وأن تمتد المناطق الثلاث الى ٣٠ ميلا من قناة السويس ، وأن تتمركز القوات الاسرائيلية شرق ممرات متلا والجدى ، وتتمركز قوات الامم المتحدة على المداخل الغربية لهذه الممرات . ويتم تحديد القوات المصريه والاسرائيلية فى هذه المناطق ، سواء من ناحية عدد القوات أو القوة . وبالنسبة لحجم القوات فقد حددها السادات بتشكيلين يضمان ٢٤ الف رجل و ٢٠٠ دبابة . ووافق أيضا على عدم وجود بطاريات صواريخ أرض / جو فى شرق القناة ، لكنه لم يكن مستعدا لقبول أى تحديد لقواته غرب القناة .

وبعد أن وضحت التفاصيل ، دخلت المناقشات فى موضوع انسحابنا ، وما الذى يمكن أن نحصل عليه مقابل ذلك • لقد كان الاتفاق حول فصل القوات ، ولكنه كان يتناول أيضا الانسحاب الاسرائيلى••وكنا نحن فقط الذين ننسحب من غرب القناة ، ومن المواقع التى احتللناها فى شرق القناة لمدة طويلة • ونتيجة لهذا فان موقفنا العسكرى سيضعف • ومع هذا فان العرب لن يرضوا لانهم يريدون أن ننسحب الى حدود ما قبل ١٩٦٧ • وهم يجدون تأييدا لهذا الطلب خارج نطاق العالم العربى ••

اذن ماذا نحصل عليه نحن من انسحابنا ؟ سيتجدد علينا الضغط للعودة أكثر الى الوراء وسنكون فى موقف عسكرى وسياسى سىء ٠

والاجابة على كل هذه الاسئلة انه ليس لدينا ما نخسره ٠ وربما لا تكون قواتنا فى مصيدة عسكرية لكنها فى مصيدة سياسية ٠ فالمصريون لن يسكتوا على وجودنا فى الضفة الغربية ٠ واذا تجددت الحرب فان العالم كله سيقف ضدنا حتى الولايات المتحدة ٠ فالعالم له مصلحة قوية فى البترول لا فى الحق ٠ وهو يريد من الدول العربية المنتجة للبترول أن ترفع الحظر البترولى الذى فرضته حتى تدفع الدول الى موقف معاد لاسرائيل ٠ وحتى أولئك القلة الذين وقفوا الى جانبنا ، فانهم لن يستمروا فى ذلك ٠ ولذا فان السؤال الهام (كيف ستنتهى كل هذه الامور ؟) ٠

ولم يكن هناك اجابة حقيقية لهذا السؤال ولو أن الاجابة أن أسوأ ما يمكن أن يحدث بعد ستة شهور قد يحدث الآن اذا لم يحدث أى اتفاق ٠ ولهذا فان الهدف السياسى الاستراتيجى الذى يجب أن يسود الآن هو ايقاف جنون الحكومات فى أوروبا واليابان والبلـــدان التى تتعرض للضغط ، نظرا لايقاف ضخ البترول ٠ وكانت كل هذه الحكومات تحاول أن تظهر نشاطها لانهاء هذا الموقف بالضـــغط على اسرائيل ٠ وكانت الولايات المتحدة ترغب فى الوصول الى انهاء موضوع ايقاف ضخ البترول عن طريق عقد اتفاقية بين اسرائيل وكل من مصر وسوريا ٠ وكان انهاء ايقاف ضخ البترول مهما أيضا بالنسبة لنا أيضا ، لكنه لم يكن موضوعنا الرئيسى ٠ ولم يكن البترول هو المشكلة بين إسرائيل ومصر ٠

وكانت أول مرة أسمع فيها سؤال (كيف ستنتهى كل هذه الامور) خلال أحد اجتماعاتى مع اليهود فى نيويورك ٠ وكنت بدأت اجتماعى معهم بتلاوة اصحاح ٤٤ (لا تخف شيئا يعقوب خادمى) ٠ وبعد أن أنتهيت من حديثى كانت هناك أسئلة كثيرة ، ولكن أول سؤال كان من رجل عجوز قال لى (يا وزير الدفاع كيف سينتهى كل هذا ؟) وفى محادثاتى مع كيسنجر ، شعرت أن الحل الوحيد هو التمسك باصحاح (لا تخف من شىء يا يعقوب) ٠ لهذا عدت الى اقتراحى القديم والخطة التى حاولت طرحها بها بلا نجاح منذ حرب الايام الستة ٠ وقلت أن جولدا مائير على حق فى قولها ان ما يطلق عليه فصل القوات ما هو الا انسحاب من جانب واحد للقوات الاسرائيلية ٠ وما نحتاجه ليس انسحابا مماثلا للقوات المصرية ، بل اتفاقا مع المصريين ، يتضمن ثلاث مســائل رئيســية ٠

● ان فصل القوات يتم ضمن اطار اتفاقية انهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل ٠

● ان انسحابنا لن يتبعه قيام المصريين بتقوية خطوطهم الامامية، وأن دباباتهم لن تحل محل دباباتنا التى ستنسحب ٠

● اعادة الحياة الطبيعية الى المناطق المتفق عليها ٠ وذلك يعنى اعادة بناء مدن قناة السويس وعودة المدنيين واعادة النشاط الصناعى ٠

وكانت تلك هي الافتراحات التي ظللت أرددها لسنوات ، وقلت انه ربما يكون هذا الوقت مناسبا لوضعها موضع التنفيـــذ ٠ ونحن لا نرغب في البقاء غرب القناة ، أما بقاؤنا في الشرق فقد كنت أرى أيضا اننا يمكننا أن ننسحب قليلا الى الوراء ٠ وكان كل الاسرائيليين الحاضرين يعرفون هذه الاقتراحات ، حتى كيسنجر اذ كنت قد ذكرتهـــا له فى واشنطون ٠ وهز رأسه بعلامة الموافقة ، ويبدو أنه عرضها على السادات فى القاهرة ووجد أن هناك امكانيات لتنفيذها ٠

وسعدت لسماع هذه الانباء من كيسنجر ، فالطريق الى الاتفاق ما زال طويلا ولكنه ليس مسدودا ٠ وأنا لا أعتقد ان مصر مســـتعدة للوصول معنا الى اتفاق لانهاء الحرب ، حتى مع عودتها الى حدود ما قبل ٦٧ ولكننى كنت أعتقد أن مفتاح الوصول الى أى اتفاق مع أى دولة عربية ، وخصوصا مصر ، هو خلق ظروف تخفض عن رغبة العرب فى الحرب وتعيد للحياة شكلها الطبيعى ٠ وبالنسبة لمصر فان منطقة القناة هى المفتاح الآن لانها ليست على نفس المستوى مع القياس بالضفة الشرقية ٠ فالمصريون يعلمون أنها ليست مهمة لهم فى حين أنها مهمة لنا ، ما عدا شرم الشيخ التى يمكنهم استخدامها لاغلاق الملاحة هناك . . وانه ما دامت لن تحـل قضايا الاردن وسوريا ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين فلن تصل الى حل نهائى مع مصر ٠

وفى يوم ٢١ ديسمبر (كانون أول) جرت مراســم بدء مؤتمر جنيف للسلام الذى تأجل بعد ذلك ٠ وعندما كانت بعثتنا العسـكرية تستعد للسفر لسويسرا ، طلبت الكولونيل دوف سيون ، الذى سيكون نائبا لرئيس وفدنا العسكرى فى المؤتمر الجنرال موخاى هود ، ملحقنا العسكرى فى واشنطون ٠ وسلمت دوف سيون قرارات حكومتنا وأعطيته تعليماتى ٠ وكان سيون قد اشترك مع ياريف فى محادثات الكيلو ١٠١ ، وعلى علم بكل شىء عن الموضوع . وبالرغم من حبى له وتقديرى لكفاءته والعلاقة غير الرسمية التى تربطنا ، اذ كان زوج يائيل ابنتى ، فقـد كنت متأملا أن أعطيه هذا القدر من السلطة ٠ وكانت تجربتى مريرة ،

من محادثات الكيلو ١٠١ عندما أعطيت لممثلينا توجيهـات وتعليمـات غامضة ، ولم يكن واضحا امامهم من هو المسئول المباشر لهم .

وقلت لسيون : أن مسئولية الوفد وسلطاته تنحصر فقط في تقديم اقتراحاتنا الرسمية ، واذا سئلوا عن مقترحات غير رسمية تكون الاجابة بالنفى . وكان كيسنجر وجروميكو قد غادرا جنيف الى عاصمتيهما . وكان على وفدنا العسكرى أن يقضى الوقت في فراغ حتى ما بعد انتخابات اسرائيل العامة في ٣١ ديسمبر (كانون أول) . وقلت له أنهم قد يرسلون تقاريرهم الى رئيسة الوزراء ورئيس الاركان ولوزير الخارجية ولكنهم لا يتلقون تعليمات الا منى فقط .

وكنا نود أن نعرف من سيقود الحكومة بعد الانتخـابات . هل ستستمر جولدا رئيسة وزراء ولم أكن أعرف اذا كانت سترغب في أن أستمر في العمل معها كوزير للدفاع . ولكن أيا كان ، أنا أم أى شخص آخر ، وزيرا للدفاع مستقبلا ، فانه سيستمر في محادثاته مع الامريكيين حول اتفاقية فصل القوات المقترحة . وسوف يعرف سفيرنا في واشنطن متى يرغب كيسنجر في الحديث معنا مرة أخرى .

وتحدد للاجتماع يوم ٤ يناير (كانون الثانى) ١٩٧٤ فى واشنطن . وللاعداد لهذا الاجتماع عقدت جولدا اجتماعا مع خمسة وزراء ورئيس الاركان . وقدمت اقتراحاتى ، بناء على طلبها ، والتى شملت عدة نقاط . اربع منها عسكريا خاصة بتمركز القوات وتحديد حجمها وجدول زمنى للتمركز وميزانية خاصة لانشاء طرق في الخطوط الجديدة . وكانت النقاط الاخرى غير عسكرية مثل جهاز الاشراف على الاتفاقية كمراقبى الامم المتحدة وغيره ، ووقف الاعمال العسكرية ، واعادة المدنيين الى منطقة القناة ، وحرية الملاحة في باب المندب ، وتخفيض عدد القوات الاسرائيلية والمصرية . هذا بالاضافة الى اتفاق بين الولايات المتحدة واسرائيل حول امدادات السلاح والمساعدات الاقتصادية بعد تنفيذ الاتفاق مع مصر . وعرض رئيس الاركان الخريطة المقترحة للتمركز ، وقالت رئيسة الوزراء أن الخطوط الرئيسية ستراجع وتعرض على مجلس الوزراء في اجتماعه فى اليوم التالى . وبالفعل وافق مجلس الوزراء عليها ، وخولت السلطة لعرضها على كيسنجر .

وعندما قابلت كيسنجر يوم ٤ يناير في واشنطون ، عرضت عليه الاقتراح الذى وافقت عليه الحكومة ، والذى ستتبناه الحكومة التى يتم تشكيلها بعد الانتخابات . وقلت له اما أن يقبل الاقتراح ككل أو يرفض

ككل وأن الهدف منه هو فتح صفحة جديدة بين مصر واسرائيل • ولم أكن أعتقد أن مصر ستعيد فتح قناة السويس أو تعيد توطين مدن القناة طالما بقينا نحن فى منطقة القناة ، حتى ولو كنا بعيدين عن الساحل ونسيطر عليه بمدفعيتنا • ومن ناحية أخرى فلا معنى انسحابنا من الضفة الغربية اذا لم تكن مصر مهتمة باعادة فتح القناة مع منح شحنات اسرائيل حرية المرور ، كما أن الولايات المتحدة يجب أن تضمن حرية الملاحة فى باب المندب •

وتقابلنا فى اليوم التالى ، وكان كيسنجر قد درس الاقتراحات المكتوبة • وأثار موضوع تخفيض القوات ، ثم انتقل مباشرة الى موضوع ممرات متلا والجدى • وأنا أعلم أن السادات فانه دخل الحرب بهدف الوصول ولا بد له أن يحقق ذلك • حتى مع وجود قوات الطوارىء عند مدخل هذه الممرات ، فانه يستطيع أن يطرد هذه القوات باشارة من أصابعه ، وذلك فى حالة ما إذا قرر قراره على الحرب من جديد • وقضيت ساعة لاقنع كيسنجر أننى لن أتزحزح عن موقفى • وبعد هذه المحادثات تقابلت مع وزير الدفاع فى البنتاجون وكان من الصعب أن أهرب من الانطباع بأن سياسة أمريكا بالنسبة للسلاح هى اعطاءنا القليل الى أن نصل الى اتفاق مع مصر ، وفى هذه الحالة سنتوقع امدادات طويلة الاجل من السلاح • وكادت المشكلة أن أمريكا هى صديقتنا الوحيدة ، مع عدة خطوط تحت كلمة (الوحيدة) •

٣٦ المكوك والاتفاقية

كانت هناك ستة أيام محمومة فى شهر يناير (كانون ثان) ، ظل فيها هنرى كيسنجر كالمكوك رائحا غاديا بين القاهرة والقدس فقد قضى يوم ١٤ يناير (كانون ثان) مع السادات وعاد إلينا فى اليوم التالى ٠ وفى هذه المرة أحضر معه الاقتراح المصرى ٠ وكان اختلافنا مع المصريين يتركز أساسا فى نقطتين : من الذى سيحتل ممرات متلا والجدى ، والنقطة الثانية خاصة بتخفيض القوات ٠ وفى كلتا النقطتين لم نكن مستعدين للقبول بالحلول الوسط حتى ولو أدى ذلك الى فشل الاتفاق ٠ وبعد ساعات طويلة خلال النهار مضت فى المناقشة ، انتهى العمل بعد أن وضعنا خريطة تحدد موقفنا من النقطتين ، ومن بعض الوثائق الخاصة (بالتفاهم) مع الولايات المتحدة ٠ وعرضت صيغة الاقتراح على مجلس الوزراء الذى عقد خصيصا لهذا الغرض فى منزل رئيسة الوزراء التى كانت تعانى من نزلة برد ٠ وقرر المجلس تخويل رئيسة الوزراء فى إعطاء السلطة لرئيس الاركان أن يتقابل مع رئيس الاركان المصرى عند الكيلو ١٠١ وتوقيع اتفاقية فصل القوات والخرائط الملحقة بها ٠

وسافر كيسنجر الى القاهرة وعاد مساء يوم ١٦ يناير (كانون ثان) ، وأحضر معه النقاط النهائية للمصريين التى تضمنت بعض

التغيرات الطفيفة ومنها إنسحابنا ١٢ ميلا من مدينة السويس جنوبا الى رأس مسلة على الشاطىء الشرقى من خليج السويس • ووافقت لانه لا داعى عسكريا لوجودنا بالقرب من مدينة السويس لان ذلك لن يشجع على اعادة توطين المدينة بل سيزيد رغبة المصريين فى القتال • وفى اليوم التالى سافر كيسنجر لزيارته الاخيرة للقاهرة حيث يطير من هناك الى واشنطن عن طريق الاردن وسوريا •• وتم اعداد ترتيبات توقيع الاتفاق فى اليوم التالى •

وفى يوم ١٨ يناير (كانون ثان) ١٩٧٤ عند الكيلو ١٠١ ، مثل الجنرال دافيد اليعازر اسرائيل ومثل الجنرال عبد الغنى الجمسى مصر ووقعا على الاتفاقية • ووقع عليها الجنرال سيلاسفو ممثل الامم المتحدة كشاهد ، الى جانب حضور مستشارين أمريكيين وروس من بين رجال الامم المتحدة ، وجمهرة غفيرة من المراسلين الاجانب وكاميرات التليفزيون

وكان مؤتمر جنيف قد انعقد يوم ٢١ ديسمبر (كانون أول) قبل توقيع اتفاقية فصل القوات بأربعة أسابيع • وكانت الوفود برئاسة وزراء الخارجية ، وتضم بعض العسكريين من ذوى الرتب الكبيرة •

وهكذا نرى أن مؤتمر جنيف لم يلعب أى دور فى التوصـــل الى الاتفاقية ، وانما تم العمل فعلا فى القاهرة والقدس وواشنطون • وكنا نسمى مؤتمر جنيف فى هذه الاثناء (الطريق التركى) نسبة الى أيام الصبا عندما كان الحكام الاتراك يهملون رصف الطرق فتضطر العربات والخيول الى السير فى أى مكان الا على الطريق التركى •

وكان يوم ١٨ يناير الذى وقعت فيه الاتفاقية ، هو اليوم الاول الذى تسكت فيه المدافع ، اذ أن الحقيقة أن الاشتباكات لم تنقطع منذ وقف اطلاق النار رسميا يوم ٢٤ أكتوبر (تشرين أول) وفى خلال الشهرين التاليين على ايقاف اطلاق النار وقعت ٤٥٢ حادثة خرق لايقاف اطلاق النار من المصريين ، كانت خســـائرنا خلالها ١٥ قتيلا و٦٥ جريحا • ولا أعرف ما هى خسائر المصريين ولكن أتخيل أنها أكثر منا • وأيضا خلال هذه الفترة أسرنا ٦٨ مصريا بينهم ٨ ضباط • وكانت تمر أيام على بعض القطاعات فى سكون تام ، وفى أيام أخرى تتساقط علينا مئات بل آلاف الدانات من المدفعية • وكانت تعليمات القاهرة تقضى بعـــدم احترام قرار وقف اطلاق النار • وأحيط مجلس الشعب المصرى بأن هناك تعبئة للقناصة لاصطياد القوات الاسرائيلية المتمركزة غرب قناة السويس

وقد اتصلنا بكيسنجر وأثرنا هذا الموضوع فى مباحثات الكيلو ١٠١ وهددنا بايقاف امدادات الطعام لقوات الجيش الثالث •

وفى أول يناير (كانون ثان) ١٩٧٤ أخبرنى الجنرال سيلاسيو أنه قابل فى اليوم السابق وزير الحربية المصرى ورئيس أركانه ، اللذين أخبراه أن محاولات اقامة التحصينات التى تقوم بها قواتنا غرب القناة ، قد أثارت غضب القوات المصرية ، فقد خيل لهم أننا نقيم هذه التحصينات من أجل الاحتلال الدائم لهذه الاراضى ، ولهذا فتحوا نيرانهم . وأن الطريق الوحيد لايقافهم أن نوقف هذه العمليات . وكانت سياستنا أن نرد بشدة على أى نيران مصرية ، وكنوع من التحذير أن نحجز امدادات التموين للجيش الثالث لعدة ساعات .

وكانت نيران المصريين القوية فى منطقة الاســـماعيلية موجهة الى القوات التى يقودها ايريك شارون . وكان الرد القوى عليهم يأتى من اريك ، الذى لم يكن يسمح للمصريين بأن يشعروا بأنهم قادرون على أن يفعلوا ما يشاؤون . وعلاوة على ذلك فانه كان يعلم أن هناك موافقة على الرد الحاد . وكالعادة لم يكن يأخذ موافقة القيادة الجنوبية عندما كان يقوم برد الفعل على الاعتداء المصرى . فى حين كان قادة القطاعات الاخرى يطلبون التصريح قبل الرد وكان قائد الجبهة الجنوبية ، وهو الآن جنرال تال ، يعطيهم هذا التصريح بعد تردد ملحوظ .

وهكذا ظل وقف اطلاق النار على الورق . ولم يكن الاستمرار فى اطلاق النار هو السمة الوحيدة للجبهة الجنوبية ، فان الفترة ما بين ٢٤ أكتوبر (تشرين أول) و١٨ يناير (كانون ثان) كانت تحمل معهـا احتمالات تجدد القتال على أوسع نطاق . وكانت هناك ثلاثة خطط وراء هذا الاحتمال خطتان من جانب مصر وثالثة من جانب اسرائيل . فقد كانت هناك خطة مصرية لمهاجمة قواتنا غرب القناة من اتجاه القاهرة . والخطة الثانية هى عزل رأس الجسر التابع لنا باقامة اتصـــال بين الجيشين الثانى والثالث على الشاطىء الشرقى . وكلتا الخطتين كانت ستتم تحت قصف مركز قوى من المدفعية على قواتنا التى لم تكن محصنة ، مما يكبدنا خسائر فادحة ولهذا فان الاحتمال الموضوع للخطة أن اسرائيل ستنسحب خوفا على حياة جنودها ، وهو أمر حساس بالنسبة لاسرائيل

وكان لمصر فى ذلك الوقت ١٧٠٠ دبابة على الخطوط الامامية على الضفتين ، ٧٠٠ على الضفة الشرقية و ١٠٠٠ على الضفة الغربية . وهناك أيضا فى الضفة الغربية ٦٠٠ دبابة اضافية على الخط الدفاعى الثـانى للدفاع عن القاهرة . وكان لديها أكثر من ألفى مدفع و٥٠٠ طائرة وعلى الاقل ١٩٠ بطارية صواريخ سام ملتفة حول قواتنـــا لتمنع أى دعم جوى لها .

ومنذ انتهاء الحرب خرج كثير من الضباط المصريين من ذوي الرتب الكبيرة • ولكن أكثر الامور اثارة كانت طرد رئيس الاركان اللواء سعد الشاذلى • وكانت هناك تفسيرات كثيرة لخروج الشاذلى ، أهمها أنه فشل في الوقت المناسب في ادراك معنى عبور قواتنا للقناة • والواقع انه لم يستطع ايقاف عملية عبورنا للقناة ، لانه لم يكن يفهم ماذا يحدث، ولذلك لم يبلغ الرئيس السادات ، بل انه لم يتخذ اجراء سريعا لتحطيم رأس جسرنا عندما كان لا يزال في مرحلة الانشاء • وكان واضحا انه طالب بهجوم شامل على قواتنا فيما بعد نتيجة لسوء تقديره للموقف ، وكان يرى ضرورة تحطيمها مهما كان الثمن وكان السادات يخشى مثل هذا العمل العسكرى لان قواتنا غرب القناة كانت قد تزايدت الى ثلاثة فرق ، وكانت قد قامت بتطهير المنطقة المحيطة بها من بطاريات الصواريخ أرض/ جو • ولذا فقد فضل طرد الشاذلى والمضى فى مباحثات من خلال وساطة كيسنجر •

وكانت لدينا أيضا فكرة عن عملية هجومية فى حالة تجدد القتال سواء من جانب مصر أو من جانبنا • وكان اريك ، الذى لاحظ بحق أن الحرب مع مصر لم تكن حاسمة ، هو الذى يرى أن بامكاننا أن نهاجم مواقع القوات المدرعة فى المنطقة بين قواتنا والقاهرة ، بل وأشار الى الاماكن التى يمكن اختراقها بسهولة بين وحدات الاعداء ولكن كل هذه الافكار لم تصل الى مرحلة الخطة الكاملة ، لاننى لم أقتنع بها ، فقد كنا فى أحسن الاحوال سندمر بضعة مئات أخرى من الدبابات ونقوم بالانتشار فى منطقة أخرى ، بدون موقف عسكرى أو سياسى واضح • ولا شك أننا فى هذه الحالة كنا سنتكبد خسائر فادحة ، ولم يكن ذلك بالمبرر الكافى بالنسبة لعملية مشكوك فيها • وكانت الامكانيات الملائمة لنا هى تحطيم الجيش الثالث المحاصر • ونستطيع أن ندفع لهذه العملية ببعض الدبابات التى تتيح لنا التفوق ، ولكن كل هذه الاحتمالات قد تصبح حقائق فى حالة اذا ما بدأت مصر حرب استنزاف ضد قواتنا غرب القناة ، وذلك ما لم يحدث •

وشعرت بأن هذه الاتفاقية مع المصريين قد وضعت نهاية للحرب ، كذلك فانها ستدفع الى تحسن العلاقات بين مصر والولايات المتحدة وخاصة بالنسبة لمشكلة البترول • وهذه النقطة الاخيرة لها أهمية خاصة بالنسبة لاسرائيل • فالقلق كان يساورنا حول امدادات البترول للولايات المتحدة • لانها وان لم تكن مشكلتنا بالدرجة الاولى ، فان واجبنا بالتأكيد يقضى بمساعدة أصدقائنا من أجل المساعدات التى نتلقاها منهم •

٣٧ الحاجز الأخير

كانت مشكلة مباحثات فصل القوات مع سوريا ، انها تدور داخل دائرة مغلقة • فالسوريون يطالبون ببدء المحادثات قبل تقديم قائمة الاسرى لنا ، ونحن نصر على عدم البدء فى المباحثات قبل وصول هذه القائمة • وفى يوم ١٧ فبراير (شباط) ١٩٧٤ ، وصل كيسنجر الى القدس ،خلال احدى مهام سياسة المكوك فى عواصم الشرق الاوسط ، وسلم الى رئيسة الوزراء قائمة بأسماء ٦٥ أسيرا • وقرر أن السوريين أخبروه أن هؤلاء هم جميع الاسرى وأن ما يتردد عن قتلهم أو تعذيبهم لبعض الأسرى غير صحيح • واقترح كيسنجر ، بعد أن تم ازالة آخر حاجز ، أن ترسل اسرائيل ممثلين عنها الى واشنطن ، لتقديم مقترحاتهم حول اتفاقية فصل القوات مع سوريا •

ووافق مجلس الوزراء على هذا الاقتراح ، وقرر ايفادى • وسافر كيسنجر الى موسكو ، وتم الاتفاق على مقابلته فى واشنطن بمجرد عودته• وقبل سفرى ، استدعت رئيسة الوزراء المجموعة الوزارية لوضع اقتراح نهائى آخذه معى الى واشنطن • وكانت مائير بعد الانتخابات قد شكلت وزارة جديدة • وحضر هذا الاجتماع آلون وياريف وجاليلى وسابير وبارليف وبيريز ورابين وأنا ، وحضر أيضا رئيس الاركان • وقد ووفق

على أن أقدم الى كيسنجر الخرائط والاقتراحات الخاصة بفصل القوات ، وأن أصر على أن أى إتفاقية مع سوريا لن تنعقد قبل اطلاق سراح الاسرى. كما يجب أن تتضمن الاتفاقية بندا يتعلق بمنع أعمال التخريب . وكان على أن أطلب من كيسنجر أن يقوم بجهود مكثفه للسماح لليهود السوريين بالهجـرة .

وقد أثار أسفى ضرورة صياغة اقتراحنا بطريقة تكتيكية ، ولكن يبدو أنه لم يكن هناك مفر من الخوض فى هذه الامور فى المحادثات . وفى رأيى أن العرب هم وحدهم الذين فرضوا علينا هذا الاسلوب فى المساومة بأن نبدأ بالكثير ثم ننزل الى القليـل . كذلك فان الامريكيين أنفســـهم يفضلون ذلك حتى يجعلوا العرب يؤمنون بأنهم هم فقط الذين يستطيعون دفع اسرائيل الى الانسحاب . وقد يحصل العرب على السلاح من الاتحاد السوفيتى ، ولكنهم يجب أن يؤمنوا أن مفتاح الحل الســـياسى فى يد الولايات المتحدة الامريكية .

وكانت مشكلتنا فى هذه المساومة أنها ستضــعنا وجها لوجه مع شعبنا . فلا توجد أسرار فى اسرائيل . ولذا فان أى موقف سياسى معين نأخذه ، سيكون معروفا تماما . وبعد ذلك اذا أسقطنا بعض طلباتنا فان ذلك سيؤخذ على أنه استسلام سياسى ، ونتهم بهذه التهمة . ولم أكن أعتقد أن محتويات اقتراحنا ستلاقى قبولا من السوريين . فالسوريون يتميزون بالعناد ، وسيفضلون الاستمرار فى موقفهم على الموافقة على هذه الخطة . وكانت صعوبة المشكلة تتمثل فى أن عدم توصلنا الى اتفاقية مع سوريا ، سوف يضع مصر ، وهى الدولة العربية الوحيدة التى وقعت معنا اتفاقية فى موقف يجعلها لا تستطيع تنفيذها .

وأجريت عدة مشاورات مع رئيس الاركان ومع قادة الجبهة الشمالية للوصول الى الحد الادنى للخطوط التى يمكن أن ننسحب اليها . وقمت بدوريات فى المناطق المقترحة لخطوطنا . وأنتهيت من وجهة نظرى لتحديد هذا الخط ، بحيث نستطيع أن نترك مدينة القنيطرة أو الجزء الذى يقع منها شرقى الطريق الرئيسى . وعلى أية حال فان المشكلة لم تكن هذا الخط أو ذاك . وانما المشكلة هى مستقبل مرتفعات الجولان ، وأن لم تكن تلك هى المسألة العاجلة فى جدول الاعمال . ولم أكن أعتقد أن السوريين يستطيعون أن يقبلوا بسهولة فقدان الجولان . كما أن استمرار تواجدنا هناك يعنى أن حالة التوتر مع السوريين ستظل مستمرة ، وأن التأثير الاول سيقع على رأس مستعمراتنا المدنية هناك وكنت قد التقيت مع سكان تلك المستعمرات يوم ١٢ فبراير (شباط) ١٩٧٤ بعد قصف مستعمرة عين زيفان بيوم واحد الذى أسفر عن قتل امرأة واصابة آخرين . وقالوا لى أن روحهم المعنوية لم ترتفع فقط بعد حرب يوم كيبور ، بل انهم يريدون

البقاء أكثر من قبل ، وأن ما يقلقهم ليس هو الهجوم السورى بقدر قلقهم من امكانيه صدور قرار من الحكومة الاسرائيلية بالانسحاب .

وقابلت كيسنجر فى واشنطن يوم ٢٩ مارس (آذار) ١٩٧٤ ، فأبلغنى أن الروس مصرون على استئناف أعمال مؤتمر جنيف فى الحال. وأنهم قد يشكون من الطريقه التى تجرى بها أمريكا وحدها المفاوضات بين مصر واسرائيل وبدا واضحا أنه لو فشلت الوساطة الامريكية بين اسرائيل وسوريا ، فان هيبة الولايات المتحدة ستتأثر فى منطقة الشرق الاوسط ، وستجد اسرائيل نفسها فى موقف صعب للغاية . وقدمت اقتراحاتى لكيسنجر ، وكما قلت فيما بعد ، فاننى لم أقم (بصيغها) له بل اننى لم أكن متأكدا أنه سيريها لممثلى سوريا المقرر حضورهم الى واشنطن فى ١٤ أبريل (نيسان) لبدء المحادثات . وأثناء تناولنا الغداء فى وزارة الخارجية ، انتقلنا الى مواضيع أخرى منها تبادل الجرحى من الاسرى مع سوريا ، وامدادات الاسلحة الامريكية لاسرائيل التى لم تصل .

وبالنسبه لموضوع الاسلحة ، فقد دخلت فى التفاصيل فى اليوم التالى حيث أبلغت كيسنجر فى اجتماع مغلق اننى أصبت بخيبة أمل نتيجة للرد الذى تلقيناه فى موضوع الاسلحة . وقلت انه حتىاسرائيل، وهى الدولة الصغيره ، يمكنها أن ترسل عدة مئات من الدبابات لدولة صديقة فى حاجة اليها . وبعد ذلك انتقلنا الى المستقبل وقلت له اننا حتى لو وصلنا الى اتفاقية مع سوريا ، فان المشكلة الرئيسية ستبقى بلا حل ، وتحتاج الى تأكيد قوة اسرائيل فى الاعوام القادمة . ولعل وزير الخارجية الامريكى يشاركنى فى التفكير فى موقف اسرائيل خلال الخمس أو العشر سنوات القادمة . ونحن نحتاج بصفة عاجلة لطائرات وطرز مختلفة من الاسلحة الهجومية التى تمنحنا القدرة على الدفاع عن أنفسنا الآن وفى المستقبل . وطالت المباحثات ، ودخل سكرتيره ليذكره أنه يجب أن يذهب فورا (للاجتماع) الذى أعده ، وعرفت فيما بعد أن هذا الاجتماع كان زواجه بنانسى .

وصباح يوم الاثنين التقيت بوزير الدفاع فى البنتاجون وكان كعادته فرحا وودودا ولم أتلق منه أى تأكيد حول أى شىء ، سوى أنه قال أنه خلال الانتاج الجديد من الطائرات سيبحث طلب اسرائيل وبعد الظهر التقيت بلجنة القوات المسلحة فى الكونجرس وكان معى موردخاى هود . وكان علينا أن نجيب على أسئلة كثيرة بعضها عادى ، وبعضها فنى مثل تلك التى كان يوجهها بارى جولد ووتر فى مواضيع الطائرات والصواريخ المضادة وأثناء الاجتماع تلقيت مخابرة تليفونية ، ولدهشتى أبلغت بأننى

بعد أن تركت البنتاجون صــــباحا ، تمت اجابة طلبى وأنه بالرغم من الصعوبات فقد تقرر اعطاءنا الدبابات والحاملات التى طلبناها • وطرت بعد ذلك بعدة ساعات الى اسرائيل وقد ارتفعت روحى المعنوية •

وقد قمت خلال زيارتى هذه ، بالاضافة الى المباحثات ، بالقاء خطب فى عدة اجتماعات للنداء اليهـــودى الموحد ، وظهـــرت فى عدة برامج تليفزيونية • وقضيت كل أيامى بدون أجازة أو قليل من الراحة • وعـلى أية حال فان أقصى متعتى كانت عنـــد زيارتى لمتحفى متروبو لبتان ، وبروكلين ، وخاصة القسم المصرى •

وفى يوم ٢ مايو (آيار) وصل كيسنجر الى اسرائيل مع فريق من مساعديه ، وبصحبته هذه المرة زوجته نانسى • وأفصح أن يكرس جهودا مكثفة للوصول الى اتفاق مع سوريا • وبدأت رحلات بين اللد/دمشق / اللد فى النهار ، ومناقشات فى المساء • وكالعادة كان الاجتماع الاول مع رئيسة الوزراء • وأجتمع وفدا المباحثات الساعة الثالثـــة بعد الظهر • وأستمرت المناقشات فى عشاء عمل فى المساء فى منزل وزير الخارجية • وعلمت خلال العشاء أن اجتماع كيسنجر وجولدا مائير لم يكن مرضيا ، وكذلك فان اجتماع وفدى المحادثات بعد الظهـــر كان عقيما ـ وخلال العشاء التقت مع كيسنجر وأقترح أن نعقد سويا اجتماعا خاصا •فاشرت الى رئيسة الوزراء • وبعد العشاء ، أخذتنى جولدا جانبا وطلبت منى ان ألتقى بكيسنجر • وقلت لها اننى سأقترب خلال محادثاتنا من موضوع القنيطرة ، فوافقت جولدا بشرط أن أؤكد له اننى أعبر عن رأيى الشخصى وطلبت أن ينضم لى سيمحا دينيز سفيرنا فى واشنطن ، ومســـاعدى آرييه براون •

وتقابلنا مع كيسنجر ، وكان معه بيتر رودمان • وكان الوقت قبل منتصف الليل بعشرين دقيقة • وكان كيسنجر يريد أن يعرف السبب وراء كل نقطة فى اقتراحاتى : لماذا نحن مصرون على التمســـك بهذه التلال ؟ وما هى أهمية الطريق الذى يمر بالقنيطرة ؟ وأين بالضبط يقع اقليم رافد ؟ وأين نقاطنا الامامية فى جبل الشيخ ؟ وعندما غادرت حجرة كيسنجر كانت الساعة الواحـدة والنصف صباحا ، وكنت أكاد اسقط من الاعياء ، بينما كان كيسنجر نشيطا كما هو دائما •

وخلال قربى من كيسنجر والمباحثات اكتشفت فيه القدرة الهائلة على العمل والذكاء الخارق حتى أنه كان يحفظ الخرائط والاقتراحات فى ذهنه • وكان يصر على تحديد كل عبارة ولفظ بالتحـــديد ، ولا يترك العبارات تحتمل أكثر من تفسير كما كان يفعل الدكتور والف بانش خلال

محادثات ١٩٤٩ • وكان يستخدم ألفاظا بذيئة مع مساعديه اذا لم تطع تعليماته وتنفذ حرفيا وبسرعة • وكثيرا ما كان يسترخي في وسط المحادثات مستغرقا في تفكير عميق ويتشاور مع نفسه • وكنا نشعر بقرب حدوث هذه الفترات من التأمل عندما كان يبدأ في قضم قلمه الرصاص الاصفر وكأنه طفل في الحضانة •

وكانت هناك لحظات خلال الشهر الذى قضاه كيسنجر كالمكوك بين دمشق والقدس ، كنا نشعر فيها بأننا قد وصلنا الى طريق مسدود ، وأنه لن يكون هناك أى اتفاق • وكانت هذه المباحثات تتميز بأنها صعبة وشاقة ، والمساومة فيها على كل نقطة سواء كانت بالنسبة لتحديد القوات أو تحديد الخطوط الامامية • وكان أول اقتراح سورى يطالب بنصف الجولان وانسحابنا ٦ أميال غرب خط ١٩٦٧ • وقال السوريون أننا احتللنا جبل الشيخ بعد وقف اطلاق النار في حرب ١٩٧٣ ، ولهذا يجب الجلاء عنه كله ، كما رفضوا وجود قوات الامم المتحدة في أراضيهم ، ورفضوا اتباع النموذج المصرى من حيث وجود ثلاثة مناطق سورية وأمم متحدة واسرائيلية • ونحن أيضا في بادىء الامر ، قلنا أننا لن ننسحب بعد خط ١٩٦٧ ، ثم قررنا اعطاء السوريين الجزء الشرقي فقط من القنيطرة ، بينما تحتل قوات الامم المتحدة الجانب الغربى • وفى النهاية تركنا القنيطرة كلها ، بل وقمنا ببعض الانسحابات الاضافية •

وكانت المساومات متعددة ، غير أنه في النهاية ، عندما اتضحت تفاصيل الاتفاق الوحيد الذى يمكن أن توقعه سوريا كان علينا أن نقرر اما أن نوقعه أو نظل بدون اتفاق • وقد وضعنا لانفسنا مبدأين رئيسيين لا نحيد عنهما ؟! الاول أن لا ننسحب من خط عسكرى جيد ، أى لا يمكن أن ننسحب من التلال التى تشرف على القنيطرة ورافد ، والثانى أن لا نترك مستعمراتنا الامامية معرضة للهجوم • أما بالنسبة لقوات الامم المتحدة ، فقد وافقنا على أن تكون أصغر حجما مما اقترحنا ، وعلى تغيير اسمها الى قوات الامم المتحدة لمراقبة فصل القوات • وفيما عدا موقع جبل الشيخ ، فان هذه القوات لن تسيطر بل ستراقب فقط تنفيذ الاتفاقية • وعلى عكس ما حدث في مصر ، فان القوات الدولية ستحتل منطقة بمفردها ، ولكنها كانت منطقة صحراوية ، في حين أن المنطقة السورية منطقة مدنية تخضع للادارة المدنية السورية •

وقد أجرينا مباحثات جانبية ، في نفس الوقت ، مع الولايات المتحدة ، للتأكد من استمرار امدادات السلاح خلال السنوات القادمة ، والحصول على مساعدة مادية لتمويل شراء هذه الاسلحة ، مع تأكيد من الولايات المتحده بأنها لن تطلب منا أن ننسحب من أى أراض أخرى •

وكما حدث في الجبهة المصرية ، فان وقف اطلاق النار في الجبهة السورية لم ينفذ فعليا الا عند توقيع الاتفاقية · ولم يحاول السوريون احتلال اى موقع جديد ، باستثناء موقع واحد . (ولكنهم استمروا في القصف المدفعي على الحدود · وكان الاستثناء الوحيد هو جبل الشيخ ، فعندما احتللنا المواقع الثلاثة التى تحيط بالجبل ليلة ٢١ اكتوبر (تشرين أول) ، ونظرا لتساقط الثلج وعدم وجود طرق اضافية ، فقد اخلينا موقع القمة بعد أن أكدت لنا قوات الامم المتحدة أن الموقع تحت سيطرتنا ·لكننا لاحظنا بعد ذلك أن القوات السورية تصل اليه بصفة مستمرة ، بل وكانت تبقى هناك بعض الوقت · ولهذا ارسلنا وحدة الى هناك . وحدث القوات السورية وهاجمتها واحتلت الموقع وبقيت فيه وتم تحصين الموقع ، ومهدنا طريقا ، وأحضرنا هناك بعض الدبابات وواجهتنا مشـاكل فى تشـييد الطريق ثم فى استعماله بعد ذلك · لان سفوح الجبال كانت شـديدة الانحدار ، وكان الطريق الوحيد ضيقا ، وتحت نيران المدفعية السورية التى كانت تنطلق على أى سيارة تظهر · وحولنا بكل طاقتنا رغم متاعب الصعاب ورغم رداءة الجو · وكنت أزور هذا المكان على الاقل مرة أسبوعيا خلال أبريل (نيسان) ومايو (أيار) وكان واضحا ان السوريين يريدون فى احتلال الجبل ويعدون العدة لذلك ولذا كنت اريد أن اتأكد بنفسى من أن قواتنا تحتل الجبل بقوة وبسيطرة وتستطيع أن تدافع ضـد أى هجوم ·

وعقدت المرحلة النهائية للمباحثات مع سوريا فى جنيف · ولم تكن هذه المرة حول نقاط الاتفاقية بل كانت حول الجدول الزمنى لانسحابنا ، وتبادل الاسرى ، ودخول القوات السورية وقوات الامم المتحدة الىالاماكن التى نخليها · وكانت المباحثات تحت رعاية الامم المتحدة ممثلة بالجنرال سيلاسفو قائد قوات الامم المتحدة وضم الجانب الاسرائيلى الجنرال هرزل شافير والكولنيل دوف سيون · · وفى الساعة العاشرة والنصف منصباح ٥ يونيو (حزيران) ١٩٧٤ ، تم التوقيع على الاتفاقية · وكانت تلك هى الاشارة الرسمية الى انتهاء حرب يوم كيبور · وهمدت النار على الجبهة ، وعاد آخر الاسرى الى منازلهم ، وانتهت حالة الطـوارئ ، وتم تسريح الاحتياطى ، وعاد الفلاحون السوريون الى مزارعهم على الحدود ·

٣٨ معالوت

مرت أصعب أيام حياتى خلال السبعة شهور والنصف التى أعقبت حرب يوم كيبور. لم يكن لذلك علاقة بكيسنجر ولا بالحرب ، ولكنها كانت تتعلق بشكل جديد من أشكال العنف الذى مارسه الارهابيون ، وجاء هذه المرة من الحدود اللبنانية . وكان الارهابيون منذ سبتمبر الاسود ١٩٧٠ ، عندما امسك الملك حسين بزمام بلاده، قد تحولوا الى لبنان للقيام منها بعملياتهم . وتزايدت تلك العمليات من الحدود اللبنانية ، ووصل عددهم على الحدود الى حوالى خمسة آلاف شخص . وفشلت الحكومة اللبنانيه فى كبت جماحهم . وقد وجه الارهابيون عملياتهم ضد مستعمراتنا ومدننا فى الجليل الاعلى . وكانوا يطلقون صواريخهم من داخل لبنان ، وكانوا بين الحينة والاخرى يعبرون الحدود للقيام بعمليات تخريب أو قتل .

وبينما كانت المباحثات دائرة بعد حرب يوم كيبور لانهاء الاعمال العدوانية ، وعقد مؤتمر جنيف للسلام ، بدأت منظمات الارهاب نشاطها وفتحت فصلا جديدا باحتلال أماكن سكنية والتهديد بقتل من فيها وقتل أنفسهم معها ، اذا لم تتحقق طلباتهم . بالافراج عن زملائهم . وقد وقعت حادثتان خلال شهر واحد ، أحدثتا هزة عنيفة داخل اسرائيل ، أولاهما فى كيريات شمونا فى ١١ ابريل (نيسان) ، والثانيـــة فى ١٥ مايو

(آيار) ١٩٧٤ ، فيمعالوت وتقع المدينتان فى الجليل الاعلى قرب الحدود الشمالية ٠

وفى كيريات شيمونا فى يوم العملية ، فى الساعة الحادية عشرة والربع صباحا أعلن راديو دمشق أن مجموعة فدائية تابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (جورج حبش) قد اقتحمت مدينة كيريات شيمونا ، واستولت على مدرسة ، وقبضوا على كل من فيها ٠ وحذر الاعلان السلطات الاسرائيلية من أى محاولة للاستيلاء على المدرسة ستعرض حياة الاطفال للخطـر ٠

وعندما وصلت الى كيريات شـــيمونا ، كانت المعركة قد دخلت فى مرحلتها الاخيرة ٠ وكان جنودنا يحاصرون المبنى ، وقد تم اجلاء السكان من فى رحلة فى الخارج ، وكان المبنى فارغا ٠ فانتقلوا الى عمارة سكنية ، وانطلقوا داخل المبنى يلقون قنابلهم اليدوية ويطلقون النار من بنادقهم الاتوماتيكية ، وقتلوا السكان ٠ وعندما وصلوا الى الطابق العلوى أغلقوا على أنفسهم حجرة تطل على الشارع وتحصنوا داخلها ٠ وعندما اكتشف الجيران الحقيقة ، أبلغوا قوات الامن ٠ وبينما حاصرت القوات المبنى من الخارج ، دخلت مجموعة مختارة الى المبنى واقتحموا الحجرة المغلقة وقتلوا المخربين الثلاثة ، وكان المخربون قد قتلوا ١٦ مدنيـــا من بينهم ثمانية أطفال ٠ وفى أثناء تبادل النيران قتل اثنان من جنودنا ٠

وعندما وصلت الى كيريات شيمونا ، كانت المعركة قد دخلت فى مرحلتها الاخيرة ٠ وكان جنودنا يحاصرون المبنى ، وقد اجلاء السكان من المبانى المجاورة ٠ وكانت قواتنا تطلق النار على الطابق الاعلى حيث يختفى المخربون ٠ وعندما افتحم رجالنا الحجرة وجدوا المخربين قتلى عـــلى الارض ٠ وكانوا صغار السن وذقونهم حليقة وشعورهم منسقة ولو اننى قابلتهم فى الطريق لما أثاروا أدنى انتباهى ولا أدرى اذا كان هؤلاء يقدرون قيمة حياتهم ، ولكنهم كانوا بالتأكيد يؤمنون أن قتل اليهود عمل بطولى ٠ ولم ينجح أولئك الارهابيون فى الافراج عن زملائهم وانما قتلوا . ولكنهم حققوا شيئا هاما ، هو توليد الخوف فقد تملك الخوف والرعب كثيرا من العائلات بالمدينة ٠ لكن المؤسف أن كثيرا من الوزراء والضباط الكبـــار رفعوا أصواتهم بوعود لم يكن من الســـهل تحقيقها وخاصة فيما يتعلق بالامن ٠

وفى ١٥ مايو (آيار) ١٩٧٤ ، بعد هذا الحادث بشـــهر ، وقعت حادثة معالوت ٠ فقد اقتحم ثلاثة مخربين المدينة وارتكبوا أول حادث قتل قبل دخولهم اليها اذ هاجموا سيارة نقل تحمل بعض السيدات العربيات

الى منازلهن بعد انتهاء عملهن في مصـــنع غزل • وقتل المخربون امرأة وجرحوا عشرة من بينهم السائق • وعندما وصلوا الى معالوت دخلوا أحد المنازل وقتلوا عائلة كوهين ثم انتقلوا الى المدرسة حيث يقضي مائة طفل وأربعة مدرسين الليل • واحتلوا المبنى وأرسل المخربون مدرسا وأربعة أطفال بخطـابات تحمل انذارهم الذى أخذوا يكررونه من خـــلال مكبر صوت •• وكانت طلباتهم الافراج عن ٢٠ ارهابيا ممن قبضنا عليهم ، ليطيروا الى دمشق • وعندما يعلن راديو دمشق عودتهم ، سيطلق سراح أطفال المدرسة • واذا رفضنا تحقيق مطالبهم فانهم سينسفون المدرسة بكل الاطفال •

وهذا بدون شك ، عمل تخريبي انتحاري • وفى النهـــاية قتل المخربون • ولم يكن واضحا ما اذا كان المبنى قد أحيط بشحنات ناسفة كما أعلن الفدائيون ذلك • وعندما انتهى كل شيء عثرنا عـــلى خمس شحنات من المتفجرات اثنتان منهما تحت السلم واثنتان فى الفصل الذى وضع فيه الاطفال ، وشحنة فى الممر • ولم يكن واضحا ما اذا كانت البطاريات متصلة بالشحنات المتفجرة ، وانما المؤكد أن هذه الشحنات لم تكن كافية لنسف المبنى ، وأن الفدائيين كان لديهم الوقت لينسفوا المبنى ولكنهم لم يفعلوا •

وفى العمليات السابقة كان المخربون دائما يؤمنون عملية انسحابهم بزرع ألغام أو مواد تخريبية فى طريق القوات لتعطيلها الى أن يكونوا قد عبروا الحدود فى نفس وقت الانفجار • وهذه النظرية الجـــديدة قد خلصت المخربين من مشكلتهم • فبعد القتل والقبض على الاطفال يطالبون بمطالبهم ، التى هى دائما الافراج عن زملائهم ، وكذلك تأمين انسحابهم •

وقد فجر هذا الاتجاه الجديد مشكلتين أمام اسرائيل الاولى : هل نخضع لعملية الابتزاز التى يمارسها المخربون ؟ والثانية : هى كيف من وجهة النظر العسكرية نقاتل المخربين أثناء احتلالهم تلك المبانى ؟ وقد قابلتنا تلك المشاكل مرتين من قبل وكانت أول مرة فى يوليو (تموز) ١٩٦٨ ، عندما اختطفت احدى طائرات العـــال الى الجزائر (فى أول اختطاف جوى بواسطة المخربين) وكانت مطالبهم حينذاك الافراج عن بعض زملائهم المسجونين فى اسرائيل والسماح لهم بمغادرة البـــلاد • وقد عارضت بشدة الاستجابة الى مطالبهم ولكن الحكومة الاسرائيلية برئاسة ليفى أشكول آنئذ ، وافقت وتمت الاستجابة لمطالبهم • وتفجرت المشكلة الثانية فى أغسطس (آب) ١٩٦٩ أمام مجلس الوزراء عندما تم اختطاف اثنين من الاسرائيليين معلم وصامويلوف من على متن أحدى طائرات الخطوط

الجويه العالمية ، وسجنا فى دمشق وبادلتهم الحكومة باثنين من أسرى الحرب من الطيارين السوريين ٠

وكان أقرب الحوادث لحادثة معالوت هو حادث اختطاف احدى طائرات شركة سامبينا المتجهة الى اسرائيل ٠ وهبط بها المختطفون فى مطار اللد وطالبوا بالافراج عن ٣٠٠ من زملائهم ٠ وقررت الحكومة عدم الاستجابة لهم ٠ وفى اليوم التالى وبعمل عسكرى استغرق عدة دقائق ، قتل اثنان من المخربين ، وقبض على فتاتين كانتا معهما ٠ وخلال المعركة داخل الطائرة قتلت سيدة من الركاب ٠

وفى حادث كيرات شيمونا ، لم تضطر الحكومة الى اتخاذ أى قرار ، لأن المخربين لم يحتجزوا أى رهائن ، ولذلك لم تكن هناك مباحثات حول مطالبهم ٠ وقام الجيش الاسرائيلى بما يجب أن يفعله فى مثل هذه الظروف ، فحاصر المبنى وأخلى المبانى المجاورة ، وقام بعملية اقتحام وقتل فيها المخربين ٠ أما فى معالوت فقد اختلفت الظروف فقد طرت الى هناك مع رئيس الاركان ٠ وعندما وصلنا علمنا أن المخربين فى داخل المدرسة ومعهم الاطفال ٠ واتصلت تليفونيا برئيسة الوزراء وأبلغتها بالموقف ٠ وتم عقد اجتماع عاجل لمجلس الوزراء لتقرير ما سوف نتخذه ازاء هذا الموقف ٠

وفى معالوت كان المبنى محاصرا بقوات المظلات واقتربت من المبنى بحرص ، وعندما وصلت الى المؤخرة سمعت صوتا مألوفا يقول : « اذا اردت الاقتراب أكثر فستضطر للجرى ، وحتى لو زحفت فسوف يرونك » ٠ وكان هذا صوت موكى زوج ابنة أختى ، الذى كان يقود احدى مجموعات اقتحام المبنى ٠

ووافق مجلس الوزراء على مبادلة الاطفال بالمسجونين ، ولكن ليس بناء على الطريقة التى طالب بها المخربون لاطلاق سراح المسجونين . فقد وافقت الحكومة على اطلاق سراح الاطفال والمسجونين فى نفس الوقت دون الاعتماد على وعد الارهابيين ٠ وعند الظهر طرت الى القدس لاجتماع عاجل مع رئيسة الوزراء ٠ وعندما تركتها أسرعت الى الهليكوبتر التى تنتظرنى لاعادتى مرة ثانية الى معالوت ٠ وهناك وجدت بجانب الطائرة عوزى ابن أخى زوريك الذى هرع خصيصا للمشاركة فى العمليه ٠

وعندما وصلنا معالوت اتجهت فورا الى سطح منزل مجاور للمدرسة لأرى ماذا يجرى واستخدمت نظارة الميدان فشاهدت الاطفال متعبين للغاية ٠ وفى نفس الوقت ، كانت المباحثات التى جرت فيها الاستعانة

بوساطة السفيرين الروماني والفرنسي ، قد نعقدت وكان الوقت يمر ببطء شديد • وعندما اقتربت الساعة السادسة مساء ، وهو موعد انتهاء المهلة التي حددها المخربون لنسف المبنى بالاطفال وأنفسـهم معهم ، أعطت الحكومة الاذن للجنود باقتحام المبنى . ودخلت مباشرة في أعقـاب قوة الهجوم وتوجهت على الفور الى الفصل الذى احتجز فيه الاطفال . وكان المنظر مرعبا ، فالارض مغطاة بالدماء ، وعشرات من الاطفـال الجرحى مستلقون عند الحائط • وكان جنودنا قد قتلوا المخربين ولكنهم كانوا قد تمكنوا من قتل ستة أطفال وجرح ٦٨ •

ولم تكن محاولة انقاذ الاطفال هى العملية العسكرية الناجحة تماما. اذ أننا كنا ننتظر الى آخر لحظه . فى حين اننا خلال النهار قد نجد لحظه يكون خلالها المخربون غير منتبهين ، أما خلال الساعة الاخيرة ، فانهم كانوا حذرين ولا يتحركون بحرية كما كانوا يفعلون فى بادىء الامر • وكان الخطأ الثانى الذى ارتكبنه قواتنا انها كانت تتحرك ببطء • ثم أخطأت الطابق ، اذ توجهت الى الطابق الثالث ثم هبطت الى الثانى ، حيث ألقى الجنود بقنبلة فوسفورية وانتظروا انقشاع الدخان ، وعندئذكان المخربون قد ارتكبوا عملهم الوحشى ضد الاطفال .

وقلت بعد ذلك فى الكنيست اننى عارضت موافقة مجلس الوزراء على قبول شروط المخربين ، وأن هذه الموافقة كانت تعنى بالنسبة للمخربين اننا لن نتخذ عملا عسكرية سريعا • وعلاوة على ذلك فاننى أظن أن رئيس الاركان أخطأ بالاسـتمرار فى محاولاته للتفاوض حتى آخر لحظة ، رغم صدور قرار الحكومة بالعمل العسكرى • وقد حاولت أن أحثه على الهجوم فورا • ولم يكن فى وسعى أن أتصرف الا طبقا لتوجيهات الحكومة • وقدمت النصح كثيرا ولكن احدا لم يستمع الى .

وبعد أسبوع من الحادث حضرت اجتماعا لتأبين القتلى فى معالوت ـ وكانت الحالة النفسية سيئة •• وبعد الاجتماع حضرت اجتماعا آخر مع رئيس وبعض أعضاء المجلس البلدى وكانت معالوت قد أنشئت عام ١٩٥٧ نتيجة ضم معسكرين للمهاجرين اليهود من شمال أفريقيا • وبعد ذلك انضمت المدينة لبعض المدن العربية المجاورة أهمها (ترشيحا) • وقد أثير فى هذا الاجتماع موضوع مضاعفة سكان معالوت لا لمواجهـة مشاكل الامن وانما لمواجهة مستوى المعيشة المرتفع فى الجانب العربى فى ترشيحا • فالسكان فى المدينة العربية كانت لديهم منازلهم الخاصة والسيارات ، فى حين كان اليهود فى معالوت يعانون من الفقر ويسكنون الاكواخ • ومن بين ٥٠٠٠ عربى فى ترشيحا ، كان هناك ٥٠٠ طالب فى مدرسة ثانوية خاصة بها ، و ٣٢ طالبا فى الجامعة العبرية والجامعـات

الامريكية . هذا فى حين أن سكان الجانب اليهودى وعددهم ٣٥٠٠ لم تكن لديهم مدرسة ثانوية ، وكان منهم ٣ فقط فى الجامعات .

ولم يكن الحل هو زيادة عدد سكان معالوت ، وانما فى غرس جذور السكان اليهود فى هذه الارض حتى تصبح وطنا لهم ولاولادهم . فالعرب فى ترشيحا وصلوا الى هذا المستوى نتيجة لجذورهم الضاربة فى الارض واستمرارهم فى فلاحة أراضيهم وزرعها ورعايتها .

٣٩ بعيداً عن المنصب

تقرر أن تجرى الانتخابات العامة لاختيار أعضاء الدورة السابعة للكنيست يوم ٣١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٣ ، بعد الحرب التى تسببت فى مد الدورة الحالية بعد انتهاء السنوات الاربع المقررة لها فى ٣٠ أكتوبر (تشرين الاول) ٠ وكانت الانتخابات هذه المرة تحظى بأهمية خاصة ، اذ ستمثل نتائجها اتجاه الرأى العام بالنسبة للمستقبل القريب ٠ وكان هناك نقد شديد للحكومة بسبب أخطاء حرب (يوم كيبور) ودعيت الامة لابداء رأيها فى الحزب والاشخاص الذين ستعتمد عليهم وتشاركهم فى نظرتهم السياسية الخارجية ٠

ولم يكن نقد الماضى القريب منصبا فقط على الحرب ، بل كان موجها أيضا للسياسة العامة للحكومة التى فشلت فى الوصول الى السلام مع العرب ٠ وساد القلق بالنسبة للمستقبل ، ليس فقط بالنسبة للمشاكل العاجلة لما بعد انتهاء الحرب ، بما فيها مؤتمر جنيف ، وانما بالنسبة أيضا لموقف اسرائيل السياسى فى العالم ٠ فقد غطت السحب الكثيفة سماء البلاد ، لأن العرب استطاعوا فرض ثقلهم فى السياسة العالمية من خلال تكثيف نشاطهم الدولى ومن خلال تحكمهم فى مصادر البترول التى

يملكونها • أما اسرائيل فقد ازدادت عزلتها ، وغرق شعبها فى اليأس ليزيد الطين بله •

وبالنسبة لى فان الانتخابات كانت لها أهمية خاصة • فقد وجهت الى انتقادات عديدة شخصية وكوزير فبوصفى وزيرا كان على أن أتحمل المسئولية البرلمانية عن الجيش وقيادة الحرب • أما على المستوى الشخصى، فقد كنت أحظى بوضع عسكرى وسياسى مميز الى ما قبل قيـــام حرب ١٩٧٣ ، ومن هنا فان الناس كانت تتوقع منى أكثر مما تتوقعه من أى وزير دفاع آخر ، وطالبت حركة المعارضة والصحافة واتجاهات الرأى العام ، وحتى ضباط الجيش باستقالتى •

وكان هناك جانبان لهذا الامر ، أحدهما رسمى والاخر شخصى •• بالنسبة للجانب الشخصى ، فاننى كنت على ثقة بأننى لم أفشل فى تأدية واجباتى • أما ما اذا كان يجب أن أظل فى عملى ، فهذه مسألة عامة قبل كل شىء • وأما الاجابة على سؤال ما اذا كنت سأبقى وزيرا للدفاع ، فكانت متوقفة على أربعة أجهزة : رئاسة الوزراء ، وحزبى الســياسى ، والناخبين ولجنة أجرانات •

وكانت لجنة أجرانات ، بغير شك ، هى الهيئة الاكثر أهلية لتحديد ما اذا كنت مذنبا أم بريئا • وقد درست لجنة أجرانات كل الظروف المحيطة بهذه الحرب • وكان أعضاؤها يتميزون بالحيدة والمهـــارة الفذة فى التحقيقات ، وضمت أعضاء مؤهلين تأهيلا عاليا فى النواحى العسكرية والقانونية • وقد جاء تشكيل هذه اللجنة فى أعقاب مشاورات على مختلف المستويات ، وفى يوم ٨ نوفمبر (تشرين الثانى) اجتمعت رئيســــة الوزراء مع عدة وزراء ورئيس الاركان لبحث تشكيل لجنة تحقيق حول هذا الموضوع المؤلم . وقد قلت للحاضرين انه من أجل تأمين عدالة التقصى أمام هذه اللجنة ، فيجب أن تكون موضوعية وبعيدة عن أى تأثير حزبى أو خارجى • وأكدت هذا الموقف برسالة بعثت بها الى جولدا مائير أؤيد فيها تعيين هذه اللجنة •

وبعد عشرة أيام قرر مجلس الوزراء تشكيل لجنة لتقصى الحقائق يرأسها رئيس المحكمة العليا وتضم خمسة أعضاء • وكان على اللجنـــة أن تتقصى :

- معلومات المخابرات بالنسبة للايام السابقة لحرب يوم كيبور حول تحركات الاعداء العســـكرية ، واحتمال بدء الهجوم ، وتقييم هذه المعلومات ، والقرارات التى اتخذها المسئولون العسكريون والسلطات المدنية للرد على هذا التهديد •

- وضع جيش الدفاع الاسرائيلي في حالة الحرب ، وحالة استعداده في أيام ما قبل الحرب وعملياته الى أن تم احتواء العدو .

وكان قرار مجلس الوزراء بذلك من أجل تحقيق مطالب الرأى العام العاجلة التى تتطلب التضحية . وفى يوم ٢١ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٣ أصدر الدكتور شيمون أجرانات رئيس المحكمة العليا قرارا بتشكيل اللجنة برئاسته . وكان الاربعة الآخرون هم موشى لانداو القاضى بالمحكمة العليا ، ودكتور اسحاق تيبنزال مراقب ايرادات الدولة ، والجنرال يجال يادين ، والجنرال حاييم لاسكوف ، وبينما مضت اللجنة فى أعمالها التى استغرقت قرابة العام ، استعدت الامة للانتخابات العامة فى آخر ديسمبر (كانون الاول) وكان حزب العمل هو حزب الاغلبية منذ انشاء الدولة . وعندما اقتربت الانتخابات واجه الحزب مشكلتين ، الاولى الشخصيات التى سيرسحها ومن منهم سيكون فى مجموعة قيادة الحزب والذين سيكونون بالتالى وزراء فى الحكومة اذا حصل الحزب على الاغلبية . وكانت المشكلة الثانية ايديولوجية . فما هى السياسات التى سيتبعها الحزب ؟

وكانت الصدمة التى واجهتها الامة فى الحرب قد تركت انطباعاتها على الحزب ، حيث تم تغيير برنامجه الذى عرف باسم « وثيقة جاليلى » ، وأصدر الحزب برنامجه والذى كان يحتوى على ١٤ مادة . وتضمنت التغييرات اتجاهات جديدة تتناول موضوع السلام . وكذلك فان تشكيل قائمة المرشحين ومجموعة القيادة قد تغير تماما ، وقيل فى اجتماع اللجنة المركزية للحزب ان ذلك من أجل صياغة خطط للسلام ومن أجل تحديد القيادة فى الحزب .. وقد عقدت اللجنة المركزية دورتين ، ووفق فى الدورة الاولى على الموقف السياسى للحزب يوم ٢٨ نوفمبر (تشرين الثانى) وذلك بأغلبية ٢٥٦ صوتا مقابل ١٠٧ وغياب ٣٠ على القائمة الجديدة للمرشحين . وفى الدورة الثانية يوم ٥ ديسمبر (كانون الاول) أثيرت الترشيحات مرة أخرى ، وممن تتكون مجموعة القيادة على القمة . وقد أثارته هذه المرة جولدا مائير رئيسة الوزراء ، التى رفضت أن تبدأ بخطاب افتتاحى ، وطالبت بانتخابات سرية لاختيار مجموعة القيادة الجديدة ، ولاتاحة الفرصة لكل من يريد تغيير رئيسة الوزراء لابداء رأيه . وكانت العملية أيضا بمثابة طرح ثقة بها .

وكانت جولدا متلهفة على معرفة النتيجة . واستمرت الدورة طوال اليوم وحتى آخر الليل . وكنت أجلس فى الصف الامامى فى القاعة . وشعرت أن هذا الاجتماع يعد بمثابة نوع من المحكمة العليا للحزب . كانت حرب يوم كيبور خلفنا ، واطلاق النار ما زال مستمرا على الحدود ،

واتفاقيات فض الاشتباكات لم تحسم بعد ، ومن زال معظم شبابنا يخدم في الاحتياط على خط النار ، ولجنة أجرانات تواصل تحقيقاتها في القدس .. وكان علينا أن نراجع كثيرا من الامور : علاقاتنا مع العرب ، وعلاقتنا مع الولايات المتحدة الامريكية ، والمشاكل الاقتصادية . وقد تناول كل المتحدثين في المؤتمر هذه المشكلات ، وتعرضوا لتشكيل الحكومة القادمة بصورة مباشرة أو غير مباشرة . كما تعرضوا لاحتمالات تجدد الحرب ، والاستيطان في المستعمرات في الاراضي المحتلة ، ومشكلة الحدودالدائمة

وفي المســـاء طلبت الكلمة . وأعلنت أنه اذا تبنى الحزب بعض المواقف الهامة ، فانني قد لا أؤيدها . وقلت على سبيل المثال انه اذا تقرر الاعتراف بدولة فلسطينية مستقلة ، فانني في هذه الحالة أترك الحزب ، ولكن ليس معنى هذا أنني سأترك الحياة السياسية . وأكدت أنني أؤيد « وثيقة جاليلي » وخاصة ما يتعلق بانشاء مدينة (ياميت) عـــلى البحر الابيض المتوسط ، وحق اليهود في شراء الاراضي الواقعة بعد حدود ١٩٦٧

وقلت ان النقد الموجه لي شخصيا ما زال تحت التحقيق الان بواسطة لجنة أجرانات ، وستصدر فيه قرارها ، وبالنسبة لتشـــكيل الحكومة القادمة ، فلم أقترح — ولم يطلب مني — أن أكون أحد أعضائها أما بالنسبة للجانب البرلماني من مسئوليتي كوزير للدفاع ، ومسئوليتي بالتالي عن الاخطاء التي حدثت في الجيش فان القرار بشأنها يتوقف على رأى رئيسة الوزراء ، فاذا طلبت مني الاستقالة فذلك ما سوف أفعله ، وتكلمت أخيرا جولدا مائير وتناولت الرد على كل الامور التي أثيرت . فبالنسبة لموضوع اســـتقالتي قالت أنني قدمت اليها اســـتقالتي مرتين ، الاولى أثناء الايام المريرة في حرب يوم كيبور ، والثانية بعد أن أعلن وزير العدل يعقوب شمشون شابيرو أن على وزير الدفاع أن يذهب . وقالت أنها في المرتين رفضت هذه الاستقالة ، وأكدت أنها تشعر بالثقة الكاملة في . وقالت جولدا أنه اذا قرر الحزب رئاستها للحكومة القادمة فلابد أن تكون حرة في اختيار وزرائها .

وتمت موافقة اللجنة المركزية في اقتراعها السرى ل ٣٤١ عضوا ، كما يلي : ٢٩١ اختاروا جولدا ، و ٣٣ رفضوا ، وامتنع ١٧ عن التصويت . وهكذا تقرر أن تقود جولدا قائمة الحزب .

هبت حركة المعارضة في البلاد ، واســـتطاعت أن تصل الى قلوب الناس . وكان أعضاؤها يجمعون بين العاطفة والسياسة . واســـتطاعوا تنظيم مظاهرات خارج مقر رئيسة الوزراء أثناء اجتماعات مجلس الوزراء . وقامت الجماعات المتطرفة بالتظاهر ضد كيسنجر وضد أي انســـحاب من هضبة الجولان ، بينما طالب اليسار بالنقيض وأســـتمر نشـــاط هذه

الجماعات فى التدهور · وفى النهاية فشلت محاولاتها لتوحيد صفوفها فى هيئة تؤثر فى التيار السياسى ولكنها على الاقل أحدثت تأثيرا لدى الرأى العام بالنسبة لمسألتين ، الاولى المطالبة بالتغيير فى قيادة الدولة ، وقبل كل شىء أنا · وانجهت أصابع الاتهام نحو المسئولين عن الاخطاء العسكرية والسياسية عشية وأثناء حرب يوم كيبور · واستطاعت المعارضه أن تستقطب الشباب الذين اشتركوا فى الحرب ، والارامل ، وآباء وأمهات الرجال الذين سقطوا فى المعركة ·

ويحتاج وزير الدفاع الى ثقة الرأى العام أكثر من أى سياسى آخر ، لأنه مسئول عن قرار الحرب · وقد لا يشاركه الرأى العام آراؤه وتقديراته ، لكنهم لا بد أن يؤمنوا بوعيه واخلاصه وفهمه · ولكننى فى النهاية شعرت أننى بدأت أفقد ثقة الرأى العام وكان يحدث كثيرا أن أمر أثناء مغادرتى لمجلس الوزراء ، ببعض المتظاهرين فتشير الى سيدة (ربما كانت أرملة) قائلة « يا مجرم يا قاتل » وكأنها طعنة كانت تصيبنى فى قلبى ، لأننى لم أصدر طوال حياتى أوامر بأية عملية دون أن أكون مستعدا لأن أشترك فيها بنفسى · لكننى بالطبع لم أكن أحاول حتى أن أشرح هذا الامر لتلك السيدة الصغيرة ·

لكن هذه الحركات الرافضة والمحتجة أثارت مؤشرات خفية تهدف الى اضعاف قوتنا واستعدادنا للقتال · وكنت أنظر الى هذه الناحية بقلق عنيف وشعرت أننا نضعف قدرتنا على النضال ضد الصعاب والمشاكل التى تواجهنا ·

وقاد هذه الحركة ضابط صغير يدعى موشى أشكنازى ، كان خلال حرب يوم كيبور يقود نقطة بوادابست على القناة وهى الموقع الحصين الوحيد الذى لم يحتله المصريون · ولم يكن ذلك بسبب موشى ، بل بسبب موقعه الجغرافى القوى · ولكن أين للعامة ·· أن يعرفوا ذلك ؟ وكان طالبا فى الجامعة العبرية بالقدس ، وعرض على أستاذه فى الفلسفة البروفسور ناثان روتينستريش مقابلته فوافقت ، وتقابلنا فى منزل البروفسور فى القدس ·

وكان موشى يتحدث ، وكنت أنا متشوقا لسماع آرائه لكى أعرف ما الذى يريده وقال انه يعجب بى ويحترم شخصى ، الا أنه مصر على ضرورة استقالتى ، نظرا لمسئوليتى البرلمانية بالنسبة لكل نواحى الفشل فى الحكومة والجيش والحزب والسياسة التى سبقت الحرب · وكان يرى أن كل ذلك فاشل ومملوء بالاخطاء ، وأن سياسة الحكومة كانت غير مفهومة ولا حكيمة ، ولذا فهو يطالب بتغيير القيادة ، وأن يتغير مجلس

الوزراء وأما فى المقدمة ٠٠ ولماذا كان نصر حرب الايام الستة فاشلا ؟ لأننا لم نفصل سوريا عن الاردن ، ولم تكن قد هزمنا مصر هزيمة ساحقة. ولو أننا فى الشمال احتللنا جبل الدورز بصفة دائمة لفصلنا كليــة بين سوريا والاردن ولو أننا فى الجنوب كنا قد دخلنا مصر بعد عبور القناة لاوصلناها الى ما يشبه الاستسلام .

أما فيما يتعلق بحــرب يوم كيبور فقد كان يرى أن كل شئ سئ فالطيارون كانوا يرســلون فى مهام انتحارية بدون أى هدف ، وكان يراهم وهم يتساقطون فيطالب القيادة الجنوبية بعدم ارســالهم ، ولكن أحدا لم يستمع اليه ٠ وفى استحكامات قناة السويس لم يحارب أحد جيدا ، فالدبابات كانت تحارب فى منتهى السوء ، والاطباء لم يستطيعوا اخلاء الجرحى ، والصناعة الحربية الاسرائيلية لم تكن مستعدة للحرب ، وكان على رجالها أن يعملوا ليل نهار لانتاج البندقية (جليل) للمشاة ٠ وكل ما نحتاجه هو الثورة ٠ وموشى نفســه يريد التغيير بطريقــة ديمقراطية ، لكن هناك قلة فقط هم الذين يطالبون باستخدام وســائل العنف ، وقد نجح فى كبت جماحهم لكنه لا يستطيع ان يظل ساكتا اذا لم يحدث تغيير جوهرى فى السياسة ٠

وكنت أستمع اليه بشغف ٠ وكنت أنا شــخصيا أعتقد أن بعض تقدم كان على حق ، لكن بقية ما قاله لم تكن له قيمة لانه بدون أسانيد ٠ ولم تكن هناك أى فرصة لمناقشـــة هذه الامور جديا على الاقل فى هذه المناسبة ، لانه حضر الى هذه المنافشـــه وكأنه يؤدى جزءا من حملته الانتخابية ، وقد استمعت له حتى منتصف الليل ، ثم شــكرت مضيفى وانصرفت ٠ ولم يكن اللقاء مدعاة للسرور ، لانه لا كلمات اشكنازى ولا سلوكه مسا اى وتر لدى ٠ وكل ما اكتشفته أنه ليس يحدثنى ولا بالناس الذين يشابهونه تم بناء اسرائيل وليس بهم نزدهر ٠ والحقيقة اننا كنــا نتكلم وكأننا من عالمين مختلفين بعيدين عن بعضنا البعض ٠

ودخل حزب العمل الانتخابات بقائمة موحدة تحمل نفس القيادة ، ولكن الخلافات كانت منتشرة بين أفراد هذه القيادة ٠ وكان الناخبون يريدون التغيير ، يريدون ان يروا وجوها جديدة ٠ ولم يكن الناخبون هذه المرة هم نفس الناخبين فى المرة السابقة ٠ ففى هذه المرة كان هناك شباب أكثر ٠ وفوق كل هذا كان هناك جدل ونقد كثير حول الحرب وسياسة ما بعد الحرب ٠ وكان مما ضاعف التأثير كثرة الخسائر والقتلى والجرحى ، ووصــف الجنود العائدين للمعارك ، والاسرى العائدين من من مصر ، الامر الذى سبب حالة من اليأس ، وجعل النقد أكثر حدة ، وأدى الى تقوية المطالبة بتغيير القيادة ٠

وجاءت نتيجة الانتخابات بخفض ٥٪ من قوة حزب العمل ، وفقد سبعة مقاعد فى الكنيست (حصلنا على ٤٩ مقعدا من ١٢٠) وحصلت الاحزاب المعارضة على ٩ مقاعد وأدى هذا الى منع حزب العمل من تأليف الحكومة بمفرده واضطراره الى التآلف مع أحزاب أخرى وبعد اجتماع اللجنة المركزية ، فى ١٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٣ ، دعوت نفسى الى منزل رئيسة الوزراء جولدا مائير ، لاسألها عما اذا كانت ستكلفنى بوزارة الدفاع فى الحكومة الجديدة وأردت أن أحيطها مقدما بأمرين : أنه فى حالة صدور أى شىء يمسنى من لجنة أجرانات ، فاننى سأستقيل فورا والامر الثانى أنها يجب أن تتجاهل أى ضغط من حزب رافى أو أى حزب آخر اذا ما ضغطوا عليها لتعييني وزيرا للدفاع كشرط لانضمامهم للحكومة وأجابت جولدا أنها لن تتردد لحظه فى تعيينى وزيرا للدفاع فى حكومتها الجديدة : وأن هذا هو قرارها ، واذا حاولت أى قوة الضغط عليها لالغاء هذا القرار فأنها على استعداد للتخلى عن رئاسة الوزارة • وقالت أنها قد شاركتنى فى المسئولية ، وأنها كانت شريكة كاملة لى فى تلقى معلومات المخابرات واتخاذ القرارات الحاسمة وقد سررت لهذا الحديث الذى أعاد الثقة الى نفسى • وزاد من سرورى أن مائير لم تكن لتختارنى وزيرا للدفاع لولا تأكدها من أن ذلك يمثل صالح الدولة ، على الرغم من أن صداقتنا سويا لم تكن كصداقتها مثلا لجاليلى أو سابير •

ومن بعد الانتخابات ، استمرت حركة المعارضة ضدنا ، وأنضمت اليها الاحزاب السياسية التى فشلت فى تحويل نتيجة الانتخابات لصالحها • وظلت جولدا شهرين تجرى مباحثات لتشكيل الوزارة الجديدة ، وبعد جهود عنيفة قدمت الحكومة الجديدة الى الكنيست يوم ١٠ مارس (آذار) ١٩٧٤ • وكانت الصعوبة التى واجهتها هى رفض الحزب القومى الدينى الاشتراك فى الوزارة بسبب موقفها من قضية (من هو اليهودى ؟) وازاء ذلك أضطرت جولدا الى تشكيل حكومة أقلية لا تحظى بالاغلبية المطلقة فى الكنيست •

ولم أكن أشعر برغبة كبيرة فى الانضمام للحكومة • فما زالت حركة المعارضة مستمرة ضدى من كل الجهات حتى من زملائى فى الكنيست ومن صحيفة الحزب • بل ان بعض أعضاء البرلمان كانوا يقفون أمام كاميرات التليفزيون ليصافحوا زعماء حركات الاحتجاج ويهنئوهم على حملتهم ضد ديان •

ووصلت الحملة ضدى الى الجيش ، فقد وقف أحد الضباط الصغار فى اجتماع عسكرى ، أمام رئيسة الوزراء ، وطالب باستقالتى •

وفى اجتماع لمجلس الوزراء أرسلت مذكرة لجولدا اخبرها فيهـا بأننى لن أنضم الى الحكومة الجديدة • وقرأتها دون ان يبدو عليهـا أى صدمة أو مفاجأة وأبلغت أصدقائى فى رافى بهذه الخطوة • وأذيعت هذه الانباء فى المساء ، وتلقيت مكالمة غاضبة من جولدا تستـغرب فيهـا من اعلانى هذا الامر وظلت فى عدة مناسبات تحثنى على الرجوع عن هـذا القرار ، بل واتصل بى بعض أعضاء الحزب وكذلك شـيمون بيرير الذى رفض هو الآخر الانضمام للحكومة الجديدة بدونى • ولكننى أصررت على الرفض وكنت فى الحقيقة متلهفا على انهاء هذه الحرب بالوصـــول الى اتفاق مع السوريين واعادة أسرى الحرب ولكنى كنت أعلم أننى لن أنجح فى مهمتى هذه اذا لم يؤيدنى الحزب والكنيســت والحكومة • وبعـد التشاور مع أصدقائها المقربين قررت جولدا تشكيل الوزارة بدون رافى ، الذى قرر عدم الدخول فى الوزارة الجديدة بدونى ، وكذلك بدون الحزب القومى الدينى •

وفى يوم ٣ مارس (آذار) ١٩٧٤ عقد الاجتماع الاخير لمكتب قيادة الحزب للموافقة على الحكومة وتقرر احلال اسحق رابين بدلا منى كوزير للدفاع ، ودارت خلال الاجتماع مناقشات عنيفة ونقد مرير لكل الامور • وانتهت هذه المناقشات بأن أعلنت جولدا أنها قد قررت عدم تشـكيل الحكومة الجديدة • صحيح أن المناقشات كانت عنيفة ، ولكن رد الفعل عند جولدا كان أعنف • وعقدت دورة خاصـــة للجنة المركزية للحزب لاقناع جولدا بعدم الاســتقالة • وفى اعتقادى أن جولدا لم تفعل ذلك لتخلى أصدقائها عنها ، ولا لان الحزب القومى الدينى وحزب رافى رفضا الاشتراك فى الحكومة • وانما لاعتقادها بأن رفاقها فى الاحزاب الاخرى سيستديرون نحوها بعد أن ينتهوا من رجم كباش الفداء الاخرى •

وفى الاجتماع الذى عقـد بعد يومين لمحـاولة اقناع جولدا مائير بالعدول عن استقالتها ، أرجع كل المتحدثين المتاعب داخل الحزب الى رافى والى أنا على وجه الخصوص • وتكلمت أنا فاشرت الى أن هذا آخر يوم لى كوزير للدفاع ، وعبرت عن معارضتى لتشكيل حكومة أقلية • وحيث أننى أعلم أن جولدا لن ترأس الحكومة الجـديدة ، فقد طالبت بانتخابات عامة جديدة •• وغادرت الاجتماع قبل نهايته ، لاننى تلقيت مذكرة تفيد أن معلومات هامة قد وصلت من المخابرات ولابد من حضورى الى مكتبى • وأرســلت الى السـكرتارية قرار الحزب فيما بعد مكتوبا كما يلى :

« أن اللجنة المركزية تناشـد جولدا مائير أن تتراجع وتأخذ على عاتقها مسئولية تشـكيل الحكومة الجديدة • حظيت الفقرة بالموافقة•

بالاجماع ، وامتناع أربعة فقط ، طلبت اللجنة المركزية من الحزب القومى الدينى الاشتراك فى الحكومة تحت رئاسة جولدا مائير ، وذلك لمواجهه الاحتياجات العاجلة للقيام بالواجبات السياسية ازاء ما يواجه اسرائيل (موافقة بالاجماع) ، كل الوزراء وخاصة موشى وشيمون بيريز مطلوب منهم أن يقوموا بواجباتهم كوزراء ممثلين لحزب العمل ، والاستجابة لرغبة رئيستها فى الانضمام الى الحكومة الجديدة بلا معارضة ولا أعذار (موافقة بالاجماع) ، اللجنة المركزية للحزب تطلب من جولدا مائير استكمال جهودها لتشكيل الحكومة الجديدة وتقديمها للكنيست بناء على قرار اللجنة المركزية فى ١٤ فبراير (شباط) ١٩٧٤ » .

وكانت معلومات المخابرات التى وجدتها فى مكتبى أن السوريين قرروا استئناف الحرب فورا . واذا كانت مثل هذه المعلومات تعالج فى العادة بأقصى اهتمام ، فان الحساسية السائدة فى اسرائيل بعد حرب يوم كيبور ضاعفت من أهميتها . وأبلغت رئيسة الوزراء ، التى دعت الى اجتماع عاجل لمجلس الوزراء للنظر فى هذه الانباء ، وفى نفس الوقت ظلت الانباء تصل لتجدد هذا التحذير . وفى اجتماع مجلس الوزراء الذى عقد فى الثامنة والنصف مساء ، وكان بمثابة لجنة وزارية لشئون الامن تمت دراسة المعلومات وتحليلها . ومع أن اتخاذ القرار كان حتميا ، الا أن الخلافات بين الاعضاء سيطرت على الاجتماع . وأصر ممثلو الحزب القومى الدينى على عدم الاشتراك فى الحكومة الا اذا اشترك فيها رافى أيضا .

وفى نهاية الاجتماع أختليت بشمعون بيريز وقلت له أنه بناء على الموقف العسكرى الجديد فى مواجهة التهديد السورى فأننى أظن أنه يجب علينا أن نوافق على الانضمام للحكومة الجديدة ، وذلك سيجعل الحزب القومى الدينى يتبعنا ووافق ، بيريز وعدنا الى جولدا ، وقلنا لها أنها اذا كانت لا تزال تريدنا كوزراء معها فأننا قد قبلنا . وقالت جولدا أننى لم أتلق خيرا من هذه الهدية وفى اليوم التالى وافق الحزب القومى الدينى على الانضمام للحكومة . وبعد أسبوع حازت الحكومة الجديدة على ثقة الكنيست بموافقة ١٦٢ ضد ٤٦ وأمتناع ٩ عن التصويت .

ولم يقع الهجوم السورى المتوقع ، ولكن ثقة الرأى فى الحكومة مازالت غير متوافرة . وزاد الحالة سوءا أن وزيرين من الوزراء هما حاييم جفاتى وزير الزراعة وشلومو هيليل وزير البوليس صرحا بأن الرأى العام لا يثق بالحكومة . وكانت جولدا تدرك ضعف مركزها ولذا قررت الاستقالة . وفى ١١ أبريل (نيسان) ١٩٧٤ ، قدمت استقالتها

للكنيست • وفى هذه المرة كان قرارها نهائيا • وطبقا للقانون الاسرائيلى ، فان استقالة رئيسة الوزراء تعنى استقالة مجلس الوزراء كله وكانت تلك هى نهاية حكومة يوم كيبور • لكنه أيضا طبقا للقانون الاسرائيلى ، فان مجلس الوزراء يستمر فى عمله لحين تشكيل حكومة جديدة ، وقد أستغرق ذلك شهرين •

وفى نفس الوقت أعلنت لجنة أجرانات تقريرها الاول • وكان يشمل على موضوعين هما معلومات المخابرات عن تحركات العدو ونواياه وتقييم هذه المعلومات والموضوع الثانى استعدادات جيش الدفاع الاسرائيلى • وأصدرت اللجنة توصياتها بوضوح كامل وقسوة شديدة وتناولت فى تقريرها مبادىء عامة ، ثم تناولت أشخاصا فى مراكز السلطة •

وأوصت اللجنة بابعاد أربعة ضباط من المخابرات عن مناصبهم هم • الجنرال الياهو زاعيرا مدير المخابرات • الذى بسبب فشله الفظيع لا يجب أن يستمر فى منصبه رئيسا للمخابرات ، ونائبه البريجادير اريبه شاليف ، الذى لا يجب أن يستمر فى عمله بالمخابرات ، والمقدم يونابند مان المسئول عن النشاط المصرى فى المخابرات ، الذى لا يجب أن يعمل بعد الآن فى عمل يتصل بالمخابرات ، والكولونيل دافيبه جيداليا مسئول مخابرات الجبهة الجنوبية ، الذى لا يجب أن يعمل فى المخابرات ، بالنسبة للمستوى القيادى ، فقد تقرر ايقاف الجنرال شمويل جونين قائد الجبهة الجنوبية عن العمل العسكرى الى أن تنهى اللجنة تحقيقاتها ، وكذلك تقرر انهاء خدمة دافييد اليعازر رئيس الاركان لمسئوليته الكاملة عما حدث •

وفيما يتعلق بى ، قالت اللجنة انها قامت بالتشاور حول مسئوليتى المباشرة وقالوا « أن السؤال كان هل يمكن لوزير الدفاع أن يقوم بواجبات خارج نطاق مسئولياته » •• وقالوا فى النهاية أن وزير الدفاع لا يملك أصدار الاوامر الا فى حدود ما يقترحه عليه رئيس الاركان وفقا للمشاورات التى يجريها رئيس الاركان ومدير المخابرات • ولم تبحث اللجنة موضوع استقالتى •

وفى ٣ يونيو (حزيران) ١٩٧٤ ، أعلنت الحكومة الجديده برئاسة اسحق رابين ، وأصبح شمعون بيريز وزيرا للدفاع . وكانت اخر عملية قمت بها فى وزارة الدفاع هو توقيع الاتفاقية مع سوريا ، وقيامى بتعيين الجنرال موردخاى جور رئيسا للاركان بدلا من اليعازر ، وأصبح الجنرال

شلومو جازيت مديرا للمخابرات بالاضافة الى عدة تعيينات جديدة فى القيادات الشابة •

لم يكن الاتفاق مع سوريا مرضيا مثل الاتفاق الذى حدث مع مصر ولكنه بالنسبة لى كان يمثل أهمية كبرى •• لانه أنهى كل ما يتعلق بحرب يوم كيبور • وهنا أنذا أغادر منصبى كوزير دفاع ، وقد دخلت أسرائيل مرحلة استقرار جديدة تستريح فيها وتسترد أنفاسها ونقلب صفحة جديدة • صحيح أن هذه الصفحة ليست منفصلة عما يسبقها لكنها على أية حال تنهى الجزء الخاص بيوم كيبور • وقد نكون قد أنسحبنا ١٢ ميلا من قناة السويس وسلمنا مدينة القنبطرة ، ولكن خطوط وقف النار أصبحت الآن أكثر ثباتا من قبل الحرب وتمثل حقيقة جديدة • وقد أصبحت اسرائيل الآن بطائراتها وأسلحتها الحديثة أقوى عما كانت عليه قبل الحرب •

٤٠ حقيقة جديدة

كانت حرب يوم كيبور نتيجة لرفض مصر وسوريا عقد اتفاقات سلام مع اسرائيل ، ورفضهما أيضا ترك الجولان وسيناء فى يد اسرائيل ٠٠ ولرغبة العرب فى استعادة الارض التى فقدوها من خلال حرب جديدة ٠

وقد تحدد موقف مصر بالنسبة لاسرائيل بعد انتهاء حرب الايام الستة مباشرة ، عندما أعلن المصريون ثقتهم بعبد الناصر ٠ ورغم ما لحق بجيشهم من هزيمة ، فقد خرج عشرات آلالوف فى مظاهرات فى الشوارع تطالب عبد الناصر بسحب استقالته التى قدمها وكانت هذه المظاهرات بمثابة تعبير الامة المصرية عن أنها لم تنكسر ٠

ورغم أن مصر خسرت الحرب ، وفقدت جيوشها ، وفقدت كل سيناء ، الا أن الشعب لم يلم قادته أو أنفسهم ، ولم يداخلهم حتى ولو دليل من اليأس ، ولم تحطم الهزيمة العسكرية ثقتهم فى أنفسهم أو ثقتهم فى قدرتهم على الاستمرار فى النضال ضد اسرائيل ٠

وعندما شاهد الرئيس عبد الناصر هذه الثقة فى الشعب لم يأخذها على أنها تأييد بالنسبة لشخصه فقط ، وانما تأييد من الشعب لسياسته

نحو تجديد العمليات العســـكرية ضد اسرائيل • وبعد الحرب أضاف عبد الناصر مبدأ آخر لمبادىء نضاله ضد اسرائيل ، يقول (ان ما أخـذ بالقوة لا يسترد بغير القوة) وأن حساب مصر مع اسرائيل ليس بالنسبه لاستعادة سيناء ، بل لهزيمة الجيش •

ونمت صياغة سياســة ما بعد الحرب ضــد اسرائيل فى قرارات الخرطوم (بأنه لاسلام ولا اعتراف ولا مفاوضات) • وكانت خطة مصر العسكرية لاستعادة أراضيها على ثلاثة مراحل : الدفاع والصمود ثم الردع النشيط ، ثم (حرب الاستنزاف) فالنصر • وكانت المرحلة الاخيرة وهى العمل على احراز النصر قد بدأت عام ١٩٧١ • وقد أعلن الرئيس السادات خليفة عبد الناصر أنها (سنة الحسم) لكنها تأجلت حتى عام ١٦٧٣ • وقد ساعدت العوامل العالمية العرب على تنفيذ قرارهم بمبدأ الحرب • وكان العرب يطالبون بتنفيذ قرار مجلس الامن ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ ، الذى يطالب اسرائيل بالانســحاب من جميع الاراضى التى احتلتها فى حرب الايام الستة • ولقى هذا التفســير للقرار تأييدا بدون تحفظ من جانب الكتلة السوفيتية وفرنســا ودول عدم الانحياز ، لكنه لم يلق تأييدا من الولايات المتحدة ، وبريطانيا التى صاغت القرار •

وبعد حرب الايام الستة مباشرة وعد السوفييت مصر وســوريا (بتعليمها القتال) ومد جيوشهما بالاسلحة الحديثة ونمت أواصر الصداقة بين سوريا ومصر من جهة والاتحاد السوفييتى من جهة أخرى • ووصل الى مصر وسوريا آلاف الخبراء والمستشارين السوفييت ، وسلم عبدالناصر الدفاع الجوى الى السوفييت وعندما نمت قوة السلاح الجوى الاسرائيلى ، طالبت سوريا ومصر بمدهما بأحدث الاجهزة الالكترونية لمواجهة الطائرات وتم تزويدهما بها •• وبعد حرب الايام الستة بعدة سنوات ، اقتنع القادة العرب بأن جيوشهم قد أعيد بناؤها وأنهم يملكون القدرة الآن على هزيمة اسرائيل وكانت المساعدات الروسية تتم علانية ، وبالاضافة الى ذلك فان كل من سوريا ومصر قد انضمت اليهما قوات عراقية وسعودية وأردنية ومغربية ، ووقفت روسيا الى جانبهم باخلاص وثقة •

ولم يستطع النشاط السياسى خلال السنوات التالية للحرب ، ولا مبادرات السلام وجهود روجرز ويارنج ، أن نمنح العرب ما يريدونه • وكانت اسرائيل تطالب (بسلام حقيقى) ــ كما قال بن جوريون ــ مقابل انسحابها • ولم تكن مصر وسوريا مستعدتين لقبول مثل هذا السلام • وصمم قادتهما على أن أى اتفاقية للســلام يجب أن تتضمن الى جانب الانسحاب ، حل المشكلة الفلسطينية • وكان الفلسطينيون يصرون عـلى

العودة الى أرضهم · وكانت اسرائيل تعتقد أنها اذا وافقت على مطالب الفلسطينيين ، فمعنى ذلك نسف أساس وجودها نفسه ·

وخلال السنوات التالية للحرب ، آمن العرب بأن الاسلوب الوحيد لتحقيق أهدافهم هو الحرب · وبعد قرارات الخرطوم ، ألغت اسرائيل قرارها السابق اتخاذه فى يونيو (حزيران) بالاستعداد للعودة للحدود الدولية فى مقابل السلام مع مصر وسوريا · وبدأت اسرائيل فى اقامة المنشآت في المناطق المحتلة على أساس أننا لن ننسحب منها · فالقدس تم ضمها الى اسرائيل ، وبنيت مدينة عوفيرا فى شرم الشيخ ، وأنشئت مستعمرات فى الضفة الغربية ، وقال المتحدث الرسمى أن الجولان أراضى اسرائيلية ·

ولم تنجح الوساطة الامريكية ، ووجد السوفييت فى أزمة الشرق الاوسط مرتعا خصبا لمد نفوذهم على الدول العربية · وحتى الولايات المتحدة التى كانت ترغب فى حل المشكلة بالوسائل السلمية ، فانها لم تكن تستطيع فرض الحل بالقوة لانها كانت تعانى من مشكلاتها الخارجية مثل فيتنام والداخلية كووتر جيت حتى خلال السنتين الحاسمتين ـ ٧٢ ـ ١٩٧٣ ، لم تستطع الولايات المتحدة من خلال جهودها الدبلوماسية القيام بأى تأثير ، فى حين أن العرب كانوا قد انتهوا من بناء قوتهم العسكرية ·

وما انتهت الاستعدادات العسكريه حتى بدأت عملية الضغط الشعبى تتزايد ، مطالبة بالحرب ، وخاصة فى مصر · وكانت تكاليف بناء مثل هذا الجيش القوى قد كبدت ميزانية مصر تكاليف باهظة أرهقتها · كما أن شباب مصر فى الجامعات والمعاهد العليا ظل يخدم فى الجيش عاما بعد عام · وقام السادات بمشاورات تبين منها أنه لن يستطيع الاستمرار فى هذا الموقف ، والا واجه أزمة حادة · وبدا واضحا أنه لا فائدة اطلاقا من الجهود السياسية التى بذلها حافظ اسماعيل مستشار السادات من أجل الحصول على تأييد نيكسون وكان السادات يعتقد أن قدراته القتالية الآن تمكنه من أحراز النصر ، وهكذا شنت مصر وسوريا الهجوم يوم ٦ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ وكانت حرب يوم كيبور ·

وقد أخذت اسرائيل بالمفاجأة بعد سنتين من وعد السادات بأن عام ١٩٧١ هو عام الحسم · ولم تتحقق تهديدات مصر وسوريا بالقتال خلال السنتين · وفى بداية أكتوبر (تشرين الاول) ٧٣ عندما كانت هناك علامات عن النشاط العسكرى المتزايد فى مصر وسوريا ، قالت المخابرات

الاسرائيلية أن المصريين يقومون بمناروراتهم السنوية وأنهم لا يستعدون للهجوم ولم تكن هذه وجهة نظر المخابرات الاسرائيلية فحسب ، بل أن المخابرات الامريكية أيضا قالت ذلك • فقد نشرت النيويورك تايمز فى ١٢ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٥ ، فى تقرير نشرته أن المخابرات الامريكية فشلت فى أكتوبر (تشرين أول) ١٩٧٣ فى معرفة استعدادات الحرب بين العرب واسرائيل ، بل أن هناك عدة أجهزة تابعة للمخابرات فشلت فى معرفة ذلك حتى قبل بداية الاشتباكات بساعات قليلة •

وقال تقرير الجريدة أن نشرة المخابرات الامريكية التى صدرت فى اليوم السابق للحرب ، ذكرت أن المناورة العسكرية فى مصر تأخذ حجما أكبر من المناورات السابقة ، ولكن ذلك لا يدل على أنه أستعداد لعمل عسكرى ضد اسرائيل • وكانت مخابراتنا هى التى قادت قيادة الجيش والحكومة الى هذا الموقف الذى واجهنا به الحرب بقوات قليلة العدد وبامدادات لم تصل فى الوقت المناسب للقيام بهجوم مضاد •

ولم يكن هدف العرب من حربهم تحرير أراضيهم فحسب ، فبالنسبة لسوريا لم تكن الجولان فقط هى الهدف وانما بعد الاتصال بالاردن يتم الدخول الى الناصرة والجليل الاوسط • وبالنسبة لمصر لم يكن الهدف تحرير سيناء وقطاع غزة فقط ، وانما كان هدف السادات عبور القناة والاستيلاء على ممرات متلا والجدى معتقدا أن ذلك يؤدى الى هزيمة اسرائيل واجبارها على التسليم بطلباته • وهكذا كان الموقف كما يراه السادات حتى نهاية الاسبوع الاول من الحرب ، وبعد بداية الحرب بأربعة أيام ابلغ الولايات المتحدة انه يقبل ايقاف اطلاق النار فى حالة موافقة اسرائيل على الانسحاب الفورى من سيناء وقطاع غزة وفقا لجدول زمنى • وبعد أسبوع آخر ، حتى بعد أن أقامت اسرائيل رأس جسر ودخلت الى الضفة الغربية للقناة واضطر السوريون للتقهقر وأقامة خط دفاع عن عاصمتهم دمشق • أعلن السادات فى خطاب أمام مجلس الشعب أن مصر ستظل تقاتل حتى تستعيد أراضيها وتسترجع حقوق الشعب الفلسطينى • وقال أن مصر على استعداد لقبول ايقاف اطلاق النار بشرط أن تنسحب أسرائيل فورا الى حدود ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ • وانتهت الحرب بالرئيس المصرى وهو مستمر فى أرسال برقيات عاجلة لنيكسون وبريجنيف طالبا منهم ايقاف تقدم القوات الاسرائيلية التى تهدد القاهرة ، وكان السادات نفسه مع قواته المسلحة عاجزا عن ذلك •

وفى الجبهة الشمالية ، التى وصل فيها الجيش الاسرائيلى الى مسافة ٢٥ ميلا من دمشق أتخذ الرئيس الاسد خطوتين ، اذ أمر قواته

التى فقدت نصف مدرعاتها أن تتحصن لتدافع عن دمشـق ، وفى نفس الوقت أرسل برقيات احتجاج للرئيس المصرى على قبوله ايقاف أطلاق النار ، وطلب الاسد عدم ايلاء أى اعتبار للموقف على الجبهة واستمرار الحرب للحفاظ على الروح المعنوية للجنود • ولم تعكس حالة ايقاف اطلاق النار ، وبعدها اتفاقيات فصل القوات على الجبهات • سياسـة الدول المتحاربة فقط بل أيضا مصالح القوتين الكبرتين اللتين كانتا ترغبان فى انهاء الحرب لتجنب الصدام بينهما •

غير أن التغيير الاساسى الذى جاءت به الحرب ، هو أن السادات قد غير سياسة الحرب التى ورثها عن عبد الناصر الى سياسة سلام ، وكان بذلك يعبر أفضل تعبير عن رغبات شعبه •

وكانت كفاءة العرب فى شن هجومهم أكبر مما توقعناه • والحقيقة أن حرب الايام الستة والاشتباكات التى سبقت الحرب جوا وبرا قادتنـا الى أصدار حكم قاطع بأنه ليس من الصعب على اسرائيل أن تكسـب الحرب اذا اندلعت • وكان الظن أن خطوطنا الامامية ، فى القناة والجولان، قد أحسن تحصينها بحيث أصبحت حواجز لا يمكن اختراقها • كذلك فان تفوق مدرعاتنا وطيراننا جعل قيادة الجيش ، وجعلنى ، أحس بشـعور عميق الاغوار بالثقة فى قوتنا العسكرية واستقرارنا السياسى •

وعندما بدأت الحرب انكشـفت نقط الضعف فى اسـتراتيجية مدرعاتنا وفى عملياتنا الجوية المحدودة ، وذلك من خلال معارك كثيرة •• فقد كانت دباباتنا تمارس تكتيكا قديما هو نفس التكنيك الذى استخدمته فى الحروب السـابقة مفضلين الاختراق السريع بقواتنا المدرعة بدون مشاة أو دعم المدفعية • والهجوم فى قلب الاعداء محاولين بذلك تحقيق انكساره • ولكن هذه المرة ، وجدت قواتنا أنفسـها محاصرة بآلاف من مشاة الاعداء المزودين بالاسـلحة المضادة للدبابات والتى كان بمقدورها ايقاف تقدمنا وتكبيدنا خسائر فادحة •

والحقيقة أن وجه الحرب قد تغير الى حد رهيب وحتى أولئك الذين تابعوا بحرص التطور التكتيكى الذى حدث فى الاسلحة خلال السـنوات الاخيرة ، لم يستطيعوا استيعاب كمية التدمير الرهيبة التى يتحكمون فيها فقد كانت معـارك الدبابات وكميتها فى حرب يوم كيبور تعادل عشرة أضعاف ما استعمل خلال الحرب العالمية الثانية وضعف ما أسـتخدمه الامريكيون فى حرب كوريا ففى الحرب العالمية الثانية كانت أمام الدبابة نشيرمان فرصة واحدة فى كل ٢٠ فرصة لاصـابة الدبابة المواجهة من الطلقة الاولى على مدى ميل • وفى حرب كوريا كانت الفرصة واحدة لكل

ثلاثة · أما فى حرب يوم كيبور فقد كانت الفرصة ٧ من كل عشرة · ولذلك فان الدبابات كانت تتحطم بأرقام كبيرة وفى وقت قصير ·

وقد فقد العرب دبابات أكثر عددا من الدبابات الامريكية الموجودة فى أوربا وفقدت اسرائيل الكثير من الدبابات ولكن ليس فى اليوم الاول عندما فاجأنا العرب . وانما حدثت معظم خسائرنا عندما تمت تعبئة الاحتياطى ووصلت المعارك الى ذروتها فى يوم ١٢ أكتوبر (تشرين الاول) فى الجبهة الشمالية ويوم ١٨ فى الجبهة الجنوبية ·

أما قواتنا الجوية فقد كانت تقوم بعملياتها فوق منطقة مملوءة بالصواريخ المضادة ، ولم تستطع القيام بهجومها بدقة وكفاءة · وكان للتنسيق بين مجموعات صواريخ سام ٣ وسام ٦ والمدفعية المضادة للطائرات أثر ضخم فى تكبيد طيراننا خسائر فادحة ، ومنعه من البقاء طويلا فوق الاهداف أو دعم قواتنا البرية وحتى عندما قامت قواتنا الجوية بضرب الجسور المصرية عند قناة السويس ، فانها لم تستطع التأثير على عبور القوات المصرية لان هذه الجسور تم اصلاحها بسرعة فائقه · وكذلك لم يستطع طيراننا ضرب مئات العربات التى كانت تحتشد فى طوابير منتظرة عبور القناة ·

وكانت هناك عمليات فاشلة كنقص الاستعدادات فى نقطة جبل الشيخ فوق مرتفعات الجولان ، والفشل فى انتشار قواتنا فى غرب القناة فى الوقت المناسب · والهجوم المضاد يوم ٨ أكتوبر . والمحاولات القتالية الفاشلة لاحتلال مدينة السويس · وكان ذلك كله نتيجة أخطاء القادة . وادت الاخطاء الثلاثة الاولى الى اثار سيئة فى مرحلة بداية الحرب أما الفشل الرابع ، فى احتلال مدينة السويس ، فقد كان كفيلا بتغيير نتيجة الحرب · اذ لو أن مدينة السويس سقطت لكان الجيش الثالث قد استسلم ، برغم التدخل الامريكي · وكانت هزيمة المصريين عندئذ ستكون أكبر ، وموقفهم فى المساومة يكون أضعف ·

وهناك أيضا عدة حقائق لابد وأن تدخل فى الاعتبار ، وهى ان الاسلحة التى اشتركت على جبهات بالغة القصر ، والنيران التى أستخدمت كانت أكثر من أى حرب أخرى · ففى الحرب العالمية الثانية كان للفرنسيين ٢٠٠٠ دبابة فى خط دفاعهم الرئيسى (خط ماجينو) · وهاجم الالمان بثلاثة آلاف دبابة · وفى العلمين كان مع مونتجومرى ١٠٣٠ دبابة وكان مع روميل ٦٠٠ دبابة · وفى جبهة القناة كان لدى المصريين ضعف ما كان مع مونتجومرى ، وفى الجبهة الشمالية كان لدى السوريين نفس العدد الذى

هجم به الالمان على فرنســا ، يضاف الى ذلك الاعتماد الكبير من طرفى الحرب على القوتين الكبرتين • صــحيح أن قواتهما لم تتدخــل ، ولكن الاستمرار فى القتال كان يتوقف على ارادتهما سواء بالنسبة للبداية ، أو الاستمرار ، أو أنهاء القتال •

وبعد الحرب كان على أسرائيل أن تعوض خسائرها لكى تحافظ على مقدرتها على صد أى هجوم عربى فى المســـتقبل بعد أن خلقت الحرب حقائق عسكرية جديدة • أن هناك حدودا لتقوية اسرائيل عسكريا لا يمكن أن تتعداها والا أرهقها ذلك اقتصاديا •

وتقول نشرة معهد الدراسات الاستراتيجية فى لندن أن اسرائيل تحتفظ فى حالة السلم بجيش يعتبر حجمه مقارنا مع عدد سكانها أكبر من حجم الجيش فى دول أخرى أكبر منها بكثير • فالطيران والمدرعات فى الجيش الاسرائيلى تمثل ٨٠٪ من حجمه وتوضح المقارنة التالية الموضوع ، ففرنسا يبلغ عدد سكانها ٥٢ر٤ مليون نسمة لديها ٩٥٠ دبابة و ٤٦١ طائرة وبريطانيا بسكانها ال ٥٦ر٤ مليون لديها ٩٠٠ دبابة و ٥٠٠ طائرة مقاتلة • أما اسرائيل وتعدادها ٣ر٣ مليون نســمة فلديها ٢٧٠٠ دبابة و ٤٦١ طائرة مقاتلة •

ولهذا فان الطريق الذى يجب أن تسلكه اسرائيل لتحقيق التوازن العسكرى مع العرب ، لابد وأن يعتمد على الاعداد الكبيرة بل على تطـوير نوعية الاسلحة الى المستوى الذى يضمن أن أى محاولة من العرب لتحطيم اسرائيل سوف تؤدى فى النهاية الى تحطيم العرب أنفسهم •

وبالرغم من النصر الذى حققته اسرائيل فى حرب يوم كيبور فان الحرب تركت البلاد فى حالة تمزق ، وقد سميت الحرب (بالغلطة) ، وشكلت لجنة للتحقيق مع المسئولين عنها • لكن الرأى العام كان قد أصدر أحكامه قبل أن تصدر هذه اللجنة توصياتها ، وحظيت بالقسط الاكبر من هذه الاحكام • واتسم هذا الفصل من حياة اسرائيل بالفشل الناتج عن قصر النظر والاهمال والتراخى •

وفى اجتماع عقد فى حزب رافى بعد الحرب قلت أن ما حدث فى حرب يوم كيبور ، هو أن الصدمة الكبرى جاءت من اكتشــاف حقيقة جــديدة تختلف عن الماضى ، وهى أنه لا يوجــد شىء لا يقهر ، كما أن خسائرنا كانت فادحة ٢٥٠٠ قتيل وهو ثمن فادح بالنسبة لاسرائيل • لكن هذا العدد من وجهة نظرى لا يمثل خسائر كبيرة بالنسبة لما حققناه أمام تلك القوة الهائلة التى واجهناها ، وأن الامم الاخرى التى تواجه مثـل

هذا الموقف تعتبره صفحة مضيئة فى تاريخها ‥ ولكن يجب علينا أن نتعلم الكثير من دروس حرب يوم كيبور ونعيها جيـــدا ‥ وأهمها أن قيـــادات الجيش يتعين تغييرها ، وبسرعة ، اذا لم تقم بواجبها المطلوب أثناء الحرب ، وأن الزعماء والوزراء لابد وأن يعرضوا أفكارهم ووجهات نظرهم وسياستهم علانية طول فترة الانتخابات . ويجب أن يعرف الرأى العام سياسة الحكومة في شئون الدفاع والشئون الاقتصادية والسياسية الخارجية ، بل وأن يوافق عليها الرأى العام أيضا .

وقد جرت حرب يوم كيبور فى وسط حقائق سياسية وعسـكرية جديدة ، مختلفة عن حرب الايام الســتة ، وهى أن القوة العســكرية والسياســـية للعرب قد تزايدت وأن الدول الغربية بما فيها الولايات المتحدة أصبحت تخاف أن تغضب العرب من أجل ضمان تدفق بترولهم . ولو كان العرب قد نجحوا فى احتلال الجولان وسيناء فاننا كنا سنقاسى كثيرا ولا أعرف ما الذى كان سيترتب على ذلك بل اننا حتى لو كنا قـد أنقذنا بواسطة القوات الامريكية فان الموقف كان سيظل قاتما للغاية .

وأخيرًا

بعد سبع سنوات في وزارة الدفاع ، عدت الى الحياة المدنية · ولم تعد الليالى يتخللها رنين التليفون ، ولم أعد أندفع الى مكتبى فى الصباح ·· وقد قضيت أيامى الاولى فى نحال بير سبع أتذكر الامطار تنزلق على سطح تلال الخليل ، لان هذا الشتاء كان ممطرا · ولذا توجهت الى الجنوب ·· والآن فى أوائل الصيف طفت بسيارتى حول طرف وادى بير سبع ، ومنذ ستة آلاف عام كان يسكن هذه المنطقة سكان يعيشون على الصيد ويقيمون فى كهوف على جانب التل ، لها فتحات صغيرة تمكنهم من الدفاع عن أنفسهم ·

حول هذه الكهوف وتحولها الى مجرى النهر وتحركت أحجـــار — وكانت هذه الاحجار هى التى شـــدت أنتباهى أثناء دورانى على أحـــد الطرق · فربطت حبلا فى سيارتى الجيب ونزلت الى ممر مجرى النهـــر الجاف لارى هذه الاحجار البيضاء . وفى البدايه كان صعبا على أن أجـد مكانا لقدمى ، ولكن بعد أن تأرجحت قليلا وجدت مكانا جيدا ، هو سطح أحد الكهوف · ودخلت الى داخله ، وفى أحد الاركان وجدت بعض الصخور فى شكل دائرة · ويبدو أنه الموقد والمدفأة · ووجدت بعض الاوعية التى كانوا يستخدمونها متناثرة وكذلك بعض الاسلحة والحراب المكســـورة ورأس فأس ·

وعندما حاولت أن أدرس أكثر فى مجتمع الكهوف القديم ونموذج حياتهم كانت الحضارة الحديثة ممثلة فى أصوات الطائرات النفاثة فوق رأسى تقطع على أستغراقى · وفحصت حطام الحيوانات المتبقية من وجبتهم الاخيرة · وكان سكان هذا الكهف يعيشون فيه قبل سيدنا ابراهيم بألفى عام · وكانوا لا يقرأون ولا يكتبون ، ولكنهم كانوا يرسمون على الصخور وكانت هذه منازلهم منها يتحركون ليصطادوا فى النجف وفى ســيناء · يعرفون كل بقعة أرض لانها أرضهم وموطنهم · ولابد أنهم كانوا يحبونها· وعندما كانوا يتعرضون للهجوم ، كانوا يقاتلون فى سبيل الحفاظ عليها· والآن ها أنا هنا فى نهاية الجبل وفى داخل منازلهم · وكان لشعورى غير العادى · فقد انتقلت الى هذا الجو القديم ، وبالرغم من أن النيران كانت مطفأة ، فقد كنت أغلق عينى وأتصور أن ربة المنزل تعد وجبة العائلة ·· عائلتى أنا ·

خـاتمـة

ها قد انتهت رحلتك ــ أيهـا القارىء العزيز ــ عبر الصفحات مع موشى ديان ٠

هذه هى قصة حياته ، بترجمة حرفية تقريبا ، قدمناها لك بكل الامانة والشجاعة ٠٠فنحن لم نعد نخشى هذا العدو ٠٠ ولابد أن نقرأ ونعرف عنه المزيد ٠٠ حتى ولو لم يكن حديثه عنا منصفا ٠

* * *

ها هو موشى ديان ٠٠ الرمز الحى ، بعد انهيـاره ، لاسطورة الجيش الذى لا يهزم ٠

الرمز الذى تحطم ٠٠ ولكنه من خـلال الغرور وادعاء البطولة ، يحاول أن ينفى عن نفسه تهمة التقصير والفشل فى الحرب ، بعد أن واجه ــ كما يقول ــ (جنودا يختلفون عن الجنود الذين عرفناهم عام ١٩٦٧) ٠

* * *

ها هى قصة اسرائيل من خلال قصة حياة ديان ٠٠

سلسلة من المغامرات العسكرية المعتمدة على السلاح كمبرر وسـبب لبقائها ٠٠ وهذا هو أبلغ الدروس التى قد نخرج بها من هذا الكتاب ٠٠ أن المغامرة قد تصلح لحيـاة الفرد ، لانها قد تنجح وقد تفشل ، لكنها لا تصلح لحيـاة الشعوب وخاصة اذا ما كانت تخوض معركة لتقرير مصيرها ٠٠ فالشعوب لا تحيا بالمغامرة ٠٠ وحتى لو نجحت فى البقاء على قيد الحياة حتى الآن بالمغامرة ، فلن تعيش طويلا الا اذا نحت المغامرات جانبا ، واختارت الحق والعدل طريقا لها ٠

ألم تسقط كل حصون خط بارليف على مناعتها أمـام المصريين ؟

ألم يصرخ القائد الاسرائيلى قائلا : (لم أعد أسـتطع الصمود وسوف أستسلم) أمام الدبابات السورية ؟

الم يقل ديان للرئيس الامريكى فورد : (لو لم تكن المساعدات الامريكية ، لكانت الحرب أقسى والخسائر أشد ؟

اذن فهى مغامرة !! والشعوب ــ كما قلنا ــ لا تحيـــا بالمغامرة ٠

***

لكنه يبقى بعد ذلك عدة استفسارات ، لا أشـــك فى أن القارىء العزيز ، يشاركنى فى توجيهها الى ديان ، بعد أن أنهى قصة حياته :

* لقد رويت لنا عن كل العمليات الاسرائيلية المضادة فى سيناء ٠٠ فاين عســـاف ياجورى ولواء الدبابات الذى صادته القوات المصرية ثم أسرت قائده ؟

* لقد رويت لنا عن حصـــون بارليف ٠٠ فلماذا لم تذكر لنا تكاليف أقامتها التى وصلت الى ٢٤٠ ألف مليون دولار ؟

* لماذا لم تخبر القراء ــ عند بداية حديثك عن الحرب ــ عن براعة الاستراتيجية العربية التى اغلقت مضيق باب المندب ؟

* أين المعركة الباســلة لتحرير القنطرة شرق ، ثانى مدن سيناء ؟

* لماذا أغفل ذكر الحقائق المهمة خـــلال فترة حرب ١٩٧٣ ، أثناء حديثه عن هذه الحرب ؟

* صـــحيح انه ذكر هذه الحقائق فيما بعد ، ولكن فى فصول مستقلة بعيدة عن وقت حدوثها ٠٠ فهو يذكر مثلا فى الفصل ٣٩ انه قدم استقالته الى جولدا مائير مرتين أحداهما أثناء الحـــرب والاخرى عندما هاجمه وزير العمـــل مطالبا باســـتقالته ٠٠ لماذا لم يذكر لنا هاتين الواقعتين ــ عـــلى أهميتهما ــ خلال حديثه عن الحرب ؟

* وهو ــ مثلا ــ لم يكشف عن العيوب التى حدثت على الجانب الاسرائيلى فى العمليات وفى الطيران وفى المدرعات الا فى الجزء (٤٠) آخر فصـــول الكتاب ٠ وهو لم يعترف

ببسالة وصمود شعب السويس الا فى نفس هذا الفصل عندما يؤكد : (ان السويس لو سقطت لتغير الموقف) .

* * *

لكنه بالطبع لو ذكر هذه الحقائق فى موضعها من سرد الاحداث ، لكان قد كشف حقيقة الفشل الاسرائيلى وعراه ، ولكان قد اعترف بالانتصار العربى الحقيقى .

ثم ...

* لماذا يقول دائما ان اجتماعات جولدا مائير رئيسة الوزراء ، كانت تتم بحضور خمسة وزراء فقط . ولا يتحدث عن هذه الحقيقة ؟ لماذا لم يذكر صراحة أن (المطبخ السياسى) هو الذى كان يقرر الامور الهامة بعيدا عن مجلس الوزراء بأكمله ؟

مرة أخرى نقول أن ديان لو أوفى هذه الامور حقها ، لكان قد انصف وصدق .. وما كان ذلك مطلوبا منه .. ولا متوقعا .

* * *

ويأبى ديان الا أن يختم كتابه بكشف صورته الحقيقية كواحد من رواد ورعاة الحلم الصهيونى ..

انه ينهى كتابه بقصة الكهف الذى عاش فيه القدماء منذ آلاف السنين لدرء الهجمات عن أنفسهم ، مستعدين للدفاع بالسلاح ..

انه يقصد اسرائيل .

لكنه ينسى أن هؤلاء القدماء انقرضوا لانهم حبسوا أنفسهم داخل الكهف ، ولو مدوا أيديهم بالسلام ـ بدلا من السلاح ـ لجيرانهم ، لعاشوا أكثر من ذلك طويلا .

الفهرس

صفحة

الباب الأول

(من العمل السرى الى الحرية)

الباب الثانى

(الاستقلال ١٩٤٨ — ١٩٥٢)

الباب الثالث

(واصبحت رئيسا للأركان ١٩٥٣ — ١٩٥٧)

صفحة

الباب الرابع

(من وزير الى مواطن عادى ١٩٥٨ — ١٩٦٧)

الباب الخامس

(حرب الأيام الستة ١٩٦٧)

الباب السادس

(الجسور المفتوحة ١٩٦٧ — ١٩٧٣)

صفحة

الباب السابع
(حرب يوم الغفران ١٩٧٣)

الباب الثامن
(بعد الحرب ١٩٧٣ - ١٩٧٥)

الرقم الدولى ٦ ــ ١٠ ــ ٥٢٧٢ ــ ٩٧٧
رقم الابداع ٣٣٩٥ / ١٩٧٧

مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر

قصة حياتى

صدر هذا الكتاب فى انجلترا بقلم موشى ديان تحت اسم « قصة حياتى »

وقد قام مركز الدراسات الصحفية بمؤسسة دار التعاون بنقله الى اللغة العربية مع الاحتفاظ بالمضمون الاصلى للنص الانجليزى وذلك لايماننا بأن هذا الكتاب واحد من اهم الكتب التى يجب ان يقـــراها كل عربى ·· عسكريا كان أو مدنيا ·

فمن خلال قصة حياة موشى ديان ·· تنبسط امامنا الصـــورة الفعلية للعدو الصــهيونى ·· وتتضح الملامح الحقيقيـــة لاسرائيـــل « الدولة » ، والفكرة الصهيونية العدوانية المختفية وراءها ·

ولن تتاتى لنا رؤية واضحة الا اذا درانا واستوعبنا ما يكتبه هذا العدو، وعلى راسهم موشى ديان ·

الكتاب ـ باختصـــار ـ درس لابد من قراءته واستيعابه